

ويل هيل

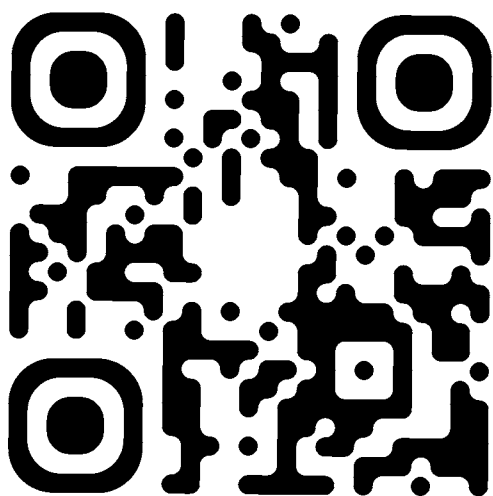
بعد الحريق

مكتبة

رواية

المركز الثقافي العربي





سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

ويل هيل

بعد الحريق

العنوان الأصلي للرواية :

Will Hill
After The Fire

© Will Hill, 2017
All rights reserved

مكتبة
t.me/soramnqraa

الكتاب

بعد الحريق

تأليف

ويل هيل

ترجمة

زياد حسون

الطبعة

الأولى ، 2024

الإيداع القانوني :

2024MO4066

الترقيم الدولي :

ISBN: 978-9920-657-83-9

جميع الحقوق محفوظة

© المركز الثقافي العربي

الناشر

المركز الثقافي العربي

الدار البيضاء - المغرب

ص.ب : 4006 (سيدنا)

42 الشارع الملكي (الأحباس)

هاتف : 0522 303339 - 0522 307651

فاكس : +212 522 305726

Email: markaz.casablanca@gmail.com

ويل هيل

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعد الحريق

رواية

ترجمة: زياد حُسُون



المركز الثقافي العربي

اذهب وأخبر ذلك الكذاب طويل اللسان،
اذهب وأخبر ذلك الهارب في عتمة الليل،
أخبر المتسكع، والمقامر، والنمام،
أخبرهم أن الله سيتال منهم جميعاً.

قطعة كلاسيكية من أغنية لجوني كاش

أُندفع عبر الفناء، عيناى تفيضان بالدمع، وقلبي يدق داخل صدري بى بعنف.

للا يزال دويّ إطلاق النار يصمّ الآذان، وأنا أسمع - أسمع بالفعل - أزيز رصاصات تتجاوزني، أئينها الخافت مثل طنين الحشرات الحثيث، لكنني لا أبطئ، ولا أغير مساري. حريق الكنيسة خارج عن السيطرة، ابتلعت النيران الهائجة سقفها، وانطلق منه نحو السماء عمود دخان هائل، وأصوات مكبرات الصوت الحكومية تتردد في أنحاء المجتمع، وتكرّر أوامرها المُصمّمة للآذان مرّة بعد مرّة.

-- «ألقوا أسلحتكم، وتقدّموا إلى الأمام ببطء وأيديكم مرفوعة في الهواء!».

للا أحد يصغي. لا رجال الحكومة الآخرين، وبالتأكيد لا أحد من إخواني وأخواتي.

بععيداً، عند البوابة الأمامية، تهدر الدبابة مندفعة لتسحق السياج الشبكي الضعيف، وهي تمخض أرض الصحراء. من مكان ما بين ضجيج المحركات وصخب إطلاق النار الذي لا يتوقف، يمكنني سماع صرخات ألم وتوسّل في طلب المساعدة، لكنني أجبر نفسي على تجاهلها والمضيّ قدماً: عيناى مثبتتان على الكباشن الخشبية عند الطرف الغربي من القاعدة.

أَتَعَثَّرُ بِشَيْءٍ مَا .

تتشابك قدماي وأقع منبطحةً فوق الأرضية الإسفلتية المتصدّعة. يسري أَلَمٌ مبرّح عبر جسدي مع ارتطام كتفي بالأرض، لكنني أكرّز على أسناني وأعاود النهوض على قدميّ، وألقي نظرةً حولي لأرى ما الذي سقطتُ فوقه.

إنّها أليس مستلقيةً على ظهرها ويداها تقبضان على بطنها .

استحال قميصها أحمر اللون، فيما هي غارقةٌ في بركةٍ من الدماء تبدو أكبر من أن تخرج كلّها من شخصٍ واحد. رغم ذلك، هي لا تزال على قيد الحياة. عيناها باهتتان، لكنهما تمكّنتا من العثور على عينيّ، وها هي تنظر إليّ بتعبيرٍ أعجز عن وصفه. ثمة أَلَمٌ، وصدمة، وخوف، وشيءٌ شبيه بالارتباك، كما لو أنّها تريد أن تعرف كيف وصلت الأمور إلى هذا الحدّ.

أنظر في عينيها المحدّقتين بي. أريد أن أبقى معها، أريد أن أخبرها أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام، وأنّها ستكون بخير، لكنّ الحقيقة أنّ كلّ شيءٍ ليس على ما يرام، أنا لا أعرف الكثير عن جروح الرصاص، لكنني لا أعتقد أنّها ستكون بخير. أنا واثقةٌ من أنّها ستموت.

أحدّقُ بها، أضيّع بضع ثوانٍ ثمينة، أخذ الجزء الصغير الذي لا يزال يعمل من دماغي بصرخ عليّ لتضييعها، ثم أركض متّجهة إلى المهاجع الغريبة. تتسّع عينا أليس وأنا أستدير مبتعدة، لكنني لا أرى غضباً فيهما. أعتقد أنّها تفهم ما يتوجّب عليّ فعله. هذا ما أقوله لنفسي على الأقلّ.

يخرج شخصٌ ما من قلب الدخان المتصاعد، فأتجمّد واقفة في مكاني وأرفع يديّ. لكنّه ليس أحد رجال الحكومة ذوي الخوذ السوداء والنظارات الواقية والبنادق. إنّه آموس، عيناها محمّرتان

ومنتفختان، إحدى ذراعيه تتدلى رخوةً إلى جنبه، وفي يده السليمة
مسدّسٌ يرتعش.

- «أين هو الأب جون؟»، يسأل بصوتٍ أجشٍّ وممزّق. «هل
رأيتَه؟».

أهزُّ رأسي وأحاول الالتفاف كي أتجاوزَه، لكنّه يمسك
بذراعي ويجذبني نحوه.

- «أين هو؟ أين النبي؟»، يصرُّ آموس.

- «لا أعلم!»، أصرخ وقد وصلت الدبابة إلى الفناء، وإطلاق
الرصاص بات أكثر من أيّ وقتٍ مضى، والنيران تقفز من مبنى
لآخر بأسرع ممّا يمكنني اللحاق به.

أدفع آموس بأقصى ما أستطيع، فيتعثّر متراجعاً إلى الوراء.
يصوّب المسدّس نحوي لكنني كنتُ قد تحرّكتُ بالفعل. أسمع
صوت طلقات خلفي لكنّ أيّاً منها لم يجد طريقه إليّ قبل أن أخفي
في غمامة الدخان.

من الصعب التنفّس على الفور؛ أثبّت إحدى يديّ على فمي
وأنفي، لكنّ الدخان الكثيف المرّ ينزلق بين أصابعي، وأبدأ في
السعال. أرى إخوتي وأخواتي الذين سقطوا في كلّ مكانٍ من
حولي بينما أركض بأقصى سرعتي، أشكّالٌ داكنة أترنّح يميناً
وشمالاً كي أتجنّبها. عددٌ قليلٌ منهم كان يتحرّك، يحاولون جرّ
أنفسهم على الأرض أو يرتجفون ويتشنجون وكأنّهم يعانون نوبةً
ما، لكنّ معظمهم كان بلا حراك.
معظمهم كان ساكناً تماماً.

تلوح المهاجع الغربية إلى الأمام متّي، تنبثق من جدرانها
وأسقفها ألسنةٌ من الدخان الكثيف. أصوات إطلاق النار خلفي لا
تتوقّف، ومع الكثير جدّاً من الرصاص المتطاير في الهواء بدا

وكأنها مسألة وقت قبل وقوع المحتوم. لكن إذا ما استطعتُ فتح
الكبائن قبل ذلك، فلستُ أهتمّ.
أنا حقّاً لا أهتمّ.

أتعثّر وأنا أخوض في الدخان الأسوأ متّجهةً نحو أقرب
كابينة، أتحمّس المفتاح الرئيسيّ في جيبِي. أمسكُ بالقفل المعلّق
في الباب، فأسمعُ صوت حسيس احتراق، وللحظة قصيرةً جدّاً لم
أفهم ما حدث - إلى أن يتفجّر الألم عبر جسدي فأسحبُ ذراعي
بقوّة لتبقى معظم راحة يدي عالقةً في القفل المعدنيّ. أسقط جائيةً
على ركبتِي، وأنشُبُ يدي اليسرى المهشّمة على معدتي، وتنفجر
من فمي صرخةٌ لا تبدو بشريّةً حتّى.
الألم؛ إنّه كاسخٌ، ساحقٌ.

إنّه كما لو أنّ شخصاً أقحم يدي داخل وعاءٍ من الحمض
القويّ وهو يبقّيها هناك بالقوّة، وإذا يحاول عقلي معالجة الألم
المبرح، يتلاشى كلّ شيءٍ آخر: رائحة الدخان، حرارة النار،
ضجيج البنادق. يتسلّل الوهن إلى الداخل من جميع الجوانب، كما
لو أنّ حواسّي تذوي شيئاً فشيئاً. ثمّ يدفعني شيءٌ ما من الخلف
فأهوي ساقطةً على الأرض.

أحد رجال الحكومة يقف فوقِي، وجهه مختفٍ خلف قناعه،
وفوهة بندقيته مصوّبة بين عينيّ.
- «يداكِ حيث يمكن أن أراهما!»، إنّه صوت رجل. «أريني
يديكِ!».

ترتعش يداي إذ أرفعهما فوق رأسي. «أرجوك»، أقول بصوتٍ
أشبه بالنعيب. «أطفال. يوجد أطفالاً في تلك الكبائن. أرجوك».
- «اخرسي!»، يصرخ بي. «لا تتفوّهي بكلمةٍ أخرى!».

- «أرجوك»، ألح عليه. «إنهم في الكبائن. عليك أن تساعدهم».

ينظر رجل الحكومة إلى المباني. رأسي يدور ومعدني تتأرجح وأشعر بأنني على وشك فقدان الوعي جرّاء الألم الصارخ في يدي، لكنني أجبر عيني على البقاء مفتوحتين، وأجبر عقلي على التركيز على الهيئة البشرية الداكنة الواقفة فوق.

- «الأقفال»، أ همس، وأرفع المفتاح الرئيسي. «أرجوك...».

تخذلني قواي. ينظر رجل الحكومة إلى الكابينة. ثم ينظر إلى الأسفل نحوي. وينظر إلى الكابينة مجدداً.

- «تبّاً!»، يصرخ، ثم ينتزع المفتاح من يدي ويستدير مسرعاً نحو الباب. أشاهده وهو يمسك القفل بيده التي ترتدي قفازاً، ويلتزم المفتاح في القفل، وأتساءل للحظة مرعبة ما إذا كان هذا كله مضيعةً للوقت، وما إذا كانت هناك بعض الأقفال التي لا يمكن حتى للمفتاح الرئيسي أن يفتحها. ثم تدور الأسطوانة وينفتح القفل. يجذب رجل الحكومة الباب فاتحاً إيّاه، ويندفع إخواني وأخواتي خارجين وهم يسعلون ويتنحنحون، عيونهم محمّرة والدموع تنهمر منها.

- «اذهبوا إلى البوابة الأمامية»، أتدبّر قول هذه الكلمات بشقّ الأنف. «ابقوا معاً. ارفعوا أيديكم...».

أرى هوني في مؤخرة الحشد، وللحظات أشعر بشيء ما يجتاح صدري ويطفئ على الألم في يدي. عيناها متورمتان ومنتفختان وبشرتها شاحبة، لكنّ فيها وفكّها أظهرتا تصميمها المألوف، وهي لا تزال تنفّس، وهو الشيء الوحيد الجيد. لم أكن متأكدة أنها ستكون كذلك.

هي تساعد آخر الأطفال الباكين، المذعورين، في الخروج من الكابينة وتقودهم جنوباً نحو البوابة الأمامية. يندفع رجل الحكومة إلى الكابينة التالية، ويصرخ في جهاز اللاسلكي خاصته طلباً للدعم، فأشعر بشيء في داخلي انفلت متحرراً، تجتاحني موجة من الارتياح قوية لدرجة أنها أثرت بي جسدياً، إذ تبعث الحياة في عضلاتي المنهكة، فأسحب نفسي إلى وضعية الجلوس.

يشقُّ الأطفال طريقهم عبر الفناء، وأيديهم مرفوعة باستسلام كامل، ثم يندفع رجال الحكومة خارجين من غمامة الدخان الكثيف ويبعدون بحمل إخواني وأخواتي خارجين بهم عبر الفتحات في السياج. يمكنني سماعهم يبكون في طلب أهاليهم، وأشعر بقلبي ينفطر حزناً عليهم، لكنهم أحياء؛ هم لا يزالون أحياء، وهذا كل ما يهم، هذا هو الشيء الوحيد المهم بينما العالم يحترق من حولنا.

أسمع صراخاً عالياً وحاداً بما يكفي لاختراق أزيز الرصاص وهدير الجحيم من حولي، فأدير رأسي باتجاهه. قبض اثنان من رجال الحكومة قرب أنقاض الكنيسة المحترقة على لوك ورفعاه عن الأرض من يديه وقدميه. هو يتخبط في قبضتهم، يصرخ ويصرخ أن ينزلوه على الأرض، أن يدعوه يذهب مع الآخرين، أن يتركوه يرتقي.

صوته المفعم بالغضب والهياج واليأس والذعر المحموم، هو آخر شيء أسمعه قبل أن يلفَّ الظلام كل شيء.

بعد

مكتبة

t.me/soramnqraa

... أنا مشوشة تماماً ...

... أشعر بيدي كما لو أنّها ملفوفة بحزام من نار. عيناى مفتوحتان وكل شيء أبيض وثمة ضجيجٌ يصفر في أذنيّ وشيءٌ بلا وجه يحوم فوقى، أحاول أن أصرخ، لكن لا يحدث شيء وأنا خائفة جداً لدرجة أنّى عاجزة عن التفكير ...

... رجلٌ ينظر للأسفل نحوى، وجهه ليس إلّا عينيّن فوق قناع أبيض، يُظهر على مرأى منى إبرة ضخمة، لا أفعل شيئاً سوى التحديق بها إذ إنّنى مذعورة ولا أجرؤ على الحركة، وحين يدفع بالإبرة فى ذراعى لا أشعر بها حتّى، لأنّ الألم فى يدي لا يزال شديداً لدرجة أنّه يحجب أىّ شيءٍ آخر. أعرف مذ كنتُ طفلة كيف يبدو الأطباء، فكان التلفزيون لا يزال مسموحاً آنذاك، لكننى لم أرهم على أرض الواقع حتّى الآن، ويصرخ النبى فى رأسى بأنّ الأطباء هم عملاء للحكومة، وأنّ كلّ واحدٍ منهم هو خادمٌ للشيطان، ويرجرج صوته دماغى ويخضّ معدتى بعنف، وأنا خائفة جداً لدرجة أنّى أعجز حتّى عن التنفس بينما يلصق الطبيب بجلدى الإبرة المغروزة فى ذراعى، ثمّ يقوم بتوصيلها إلى أنبوبٍ يؤدّى إلى كيسٍ يحوى سائلاً

أبيض بلون الحليب. يقول شيئاً لا أفهمه ثم يبدأ السائل بالتدقق وشاهدته وهو يمرُّ عبر الأنبوب باتجاه ذراعي، لكنني أعجز عن تحريك عضلة واحدة، وأتمكن من تكوين فكرة وسط ضجيج الأب جون وهو يزعم داخل رأسي، وأتساءل ما الذي سيحدث عندما يدخل السائل الأبيض فيّ، وأتساءل إن كنت سأبقى أنا حين أستيظ في المرة القادمة . . .

. . . الأضواء فوقني تعميني لكن الألم أقل بكثير الآن، والكيس البلاستيكي في آخر الأنبوب فارغ، ويمكنني أن أرفع رأسي بالقدر الكافي لأرى قفاز الضمادات الكبير الذي بات يلفُّ يدي اليسرى. يقف طبيبٌ بجوار سريرِي من حينٍ لآخر ويحدّق بي، وأسمع أحياناً أصواتاً عالية من بعيد، وأحياناً أبدأ في البكاء ولا أستطيع التوقف. أشعر بحرارة شديدة وبرودة شديدة، وأشعرُ بأنَّ كلَّ شيءٍ يسير على نحوٍ خاطئ، أريد حقاً أن أعود إلى البيت؛ فحتّى ذلك كان أفضل من هذا. يسألني رجلٌ بقبّعة وزيّ رسميٍّ عن اسمي، لكن الأب جون يزمجر في رأسي فأمتنع عن الإجابة. يسأل مرةً أخرى ولا أجيب، يقلب عينيه ويمشي مبتعداً . . .

. . . تطلب امرأةً من شخصٍ ما أن يُجلّسني، فتمتدُّ يداها أسفل منّي وتضغط أصابعُ على جلدي وتجترني على طول السرير حتى أصبح مسنودةً على الوسادة. تقول المرأة بالزيّ الرسميّ: «هذا أفضل»، وأكاد أضحك، لأنّه ليس ثمة شيءٌ أفضل، لا شيءٌ يقترب من أن يكون أفضل. «هل يمكنك إخباري مَنْ أشعل الحريق؟»، تسألني، فأهزُّ رأسي. «مَنْ وزّع الأسلحة؟»، أهزُّ رأسي. «هل رأيت جون بارسون بعد أن بدأ إطلاق النار؟»، أهزُّ رأسي. «ماذا حدث داخل

المنزل الرئيسي؟ ماذا فعلت هناك؟»، أهرز رأسي. تحدّق بي، ثمّ تقول بنبرة باردة: «هناك أناسٌ قد ماتوا، يا فتاة». «الكثير من الناس. ينبغي بك أن تبدئي في الكلام». تنحني فوقي، لا أعرف ما الذي ستفعله فأشبح بوجهي لأرى على حزامها شارةً ذهبيةً ممهورةً بـ قسم شرطة مقاطعة لايتون، فيتوقّف قلبي في صدري وأسمع نفسي أصرخ، ممّا جعل المرأة بالزيّ الرسميّ تقفز إلى الخلف وقد جحظت عيناها بفعل الصدمة، وأسمع وقع خطواتٍ راكضة ويبدأ قلبي بالخفقان من جديد؛ أخبط على السرير، أصرخ وأصرخ، وأشعر بأيّد تثبّت ذراعيّ وساقيّ ويد الطبيب تنزل نحوي بإبرة أخرى و... .

... تنبثق وجوه إخوتي وأخواتي من العتمة، أناسٌ عرفتهم طيلة حياتي، شعرهم يحترق، جلدهم يذوب منسلخاً عن جماجمهم، وهم يصرخون بكلمتين مراراً وتكراراً: «هذا خطوك، هذا خطوك، هذا خطوك، هذا خطوك». أستدير وأحاول الركض مبتعدةً عنهم، لكنّ الأرض تستحيل رمالاً متحرّكة تحت قدميّ وأغرق فيها حتّى كاحليّ، بينما تمرُّ أصابعٌ فوق كتفيّ ومؤخرة عنقي؛ أشعر بالهلع لكنني أعجز عن الصراخ لأنّ فمي يأبى أن يفتح. كل ما يمكنني فعله هو الخوض في غمرة السواد الكالِح، وجرّ نفسي للأمام في محاولةٍ للعثور على طريق العودة...

... يقف رجلٌ يرتدي بذلةً داكنة بجانب سريري؛ أنا غارقةٌ في العرق ويدي تؤلمني كثيراً كما لو أنّها مغطّاةٌ بحشراتٍ عضّاضة، ولا أعتقد أنّي كنتُ يوماً متعبّةً بهذا القدر. أشعر وكأنّ جسدي مصنوعٌ من الرصاص والخرسانة، بينما أشعر أنّ جفنيّ هما أثقل الأشياء في العالم برمّته. يخبرني الرجل بأنّه سيتمّ نقلني فأحاول أن أسأل إلى

أين، لكنّ كلّ ما يخرج من فمي - مع صراخ الأب جون في رأسي بأنّه لا ينبغي بي التحدّث إلى الغرباء أبداً تحت أيّ ظرفٍ من الظروف - هو صريرٌ هامس. يقول الرجل إنّهُ لا يعرف، فأستجمع آخر ما تبقى من قوّتي وأسأله مَنْ تمكّن من النجاة من الحريق. يُكشّر ويمشي مبتعداً...

... في يدي ثمّة فرشاة طلاء تقطر بالأزرق البنفسجيّ، أعرف أنّني أحلم لكنني لا أهتمّ ولا أريد أن أستيقظ. أطلي الجدار الخشبيّ أمامي، وأسمع في البعيد صوت تكسّر الأمواج عند قاعدة الجرف، وأشمّ رائحة الدخان المتصاعد من المدخنة وأعرف أنّني إذا نظرتُ للأسفل سأرى عشباً أخضر تحت قدميّ، لكنني لا أنظر للأسفل. أطلي اللوح الخشبيّ أمامي، واللوح المجاور له، ثم اللوح المجاور...

... يقرأ رجلٌ آخر ببذلة داكنة مطابقة قائمة أسماء من قطعة ورق. أسمع اسم هوني ورينبو ولوسي وجيرمايا فأنفجر في البكاء وتنهمر دموع الارتياح من عينيّ، ويمنحني الرجل أوّل ابتسامة أراها منذ أن استلقيتُ على هذا السرير ويواصل قراءة الأسماء لكن ليس لوقتٍ طويل، ويفسح الارتياح المجال للحزن وتستمرّ دموعي في الانهمار لأنّ القائمة كانت قصيرة جداً جداً...

... يتحرّك السقف منزلقاً قبالي بينما يقود طيبان سريري على امتداد رواقٍ طويل وصولاً إلى داخل صندوق معدنيّ يرتجّ ويهتزّ بعنف ويجعل معدتي تغزل بسرعة. أحاول مدّ يديّ إلى الجدران كي أثبّت نفسي لكنّ أحد الأطباء يدفع ذراعيّ للأسفل نحو السرير

فتضرب موجةً من الألم الصاعق يدي اليسرى وأصرخ بأعلى صوتي .
«آسف»، يقول الطبيب لكنّ عينيه باردتان وفمه يختبئ خلف قناعه .
ثمّة صفيّرٍ وارتجاجٌ عنيف وهبوب تيّار هواءٍ بارد قويّ، وها أنا
أتحركُ مجدّداً وإذ بي ألمح قطعةً صغيرة من السماء؛ زرقاء مثل
الجدار في حلمي، قبل أن أرفع وأقحم في صندوقٍ معدنيٍّ آخر، إلّا
أنّ هذا يحوي رفوفاً مليئةً بالعلب والزجاجات والأجهزة التي لا
أستطيع تمييزها . ثمّة قعقةٌ تحتي كما لو أنّ محرّكاً اشتغل في مكانٍ
قريب ويبدو الصوت مثل الشاحنة الحمراء التي اعتاد آموس أن
يقودها لكنّ هذا أعلى ويوحى بالغضب . . .

. . . تساعدني امرأةٌ لطيفة الوجه بزيٍّ أبيض على النهوض من
السريّر الذي كنتُ مستلقيةً عليه منذ أن استيقظت، تنزلي بلطف
لتضعني على سريّرٍ آخر في غرفةٍ بيضاء مرتّبة مع نافذةٍ عالية على
أحد جدرانها . تطلب مني أن أضغط على زرٍّ برتقالي بجوار الباب
إذا ما احتجّت لأيّ شيء، وأشعر بغصّةٍ في حلقي وأطلب منها إلّا
تركني لوحدي، فتعانقني وأبدأ في البكاء مجدّداً، ويستشيط الصوت
في رأسي غضباً لأنّني لم أبلُك بهذا القدر مذ كنتُ طفلةً صغيرة لكنّني
لم أتمكن من حبس دموعي . تهدّئني المرأة صاحبة الوجه اللطيف
وتمسّد شعري وتقول لي إنّّه لا بأس عليّ، وإنّ كلّ شيءٍ سيكون على
ما يرام، سوف تكون هنا إذا ما احتجّت إليها، ثمّ تنزلُ برفقٍ من بين
ذراعيّ وتبتسم لي قبل أن تخرج من الغرفة وتغلق الباب خلفها،
لأسمع إذ أستلقي على السريّر صوت جلجلة معدنية مع انزلاق القفل
مستقرّاً في مكانه . . .

مكتبة
t.me/soramnqraa

. . . أنا مشوّشة تماماً . . .

بعد

أنا جالسة على أريكة حمراء داكنة، ساقاي لا تتوقفان عن الارتعاش ويدي تؤلمني كثيراً، أحاول بأقصى ما أستطيع ألا أشعر بالذعر لكنني أعجز عن ذلك، فأنا لا أعرف ما الذي سيحدث لي. أنا حتى لا أعرف أين أنا.

الغرفة التي أجلس فيها أكبر من غرفتي في القاعدة لكنها لا تزال صغيرة مع ذلك. الجدران رمادية باهتة وعلى الأرضية سجادة رمادية داكنة، وتحتوي الغرفة على أريكة حمراء داكنة وطاولة عريضة مع كرسيين محشورين أسفل الجانب البعيد منها بمواجهتي. كل شيء سلس ونظيف، وثمة آلة ما فوق الطاولة وكاميرا فوق الباب. المرأة ذات الزي الأبيض والوجه اللطيف - الممرضة هارو، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي، لقد أخبرتك أن اسمها الممرضة هارو - أحضرني إلى هنا منذ خمس دقائق، ورأيت الكلمات «غرفة المقابلات رقم 1» مطبوعة على الباب حين كانت الممرضة هارو تفتحه.

سألتنني إن كنت بحاجة إلى أي شيء قبل أن تغادر. لم تكن لدي أي فكرة كيف أجيب على هذا السؤال.

أسمع صوت القفل وهو يدور، وأحبس أنفاسي إذ يفتح الباب ويدخل رجل الغرفة. هو ضئيل الحجم وله لحية كثيفة وشعر خفيف وخطوط عميقة على جانبي زوج من العيون الودودة. يرتدي قميصاً

أبيض وربطة عنق، ويحمل حقيبة جلدية على كتفه. يسحب أحد الكرسيين ويجلس عليه، ثم يسحب كومة من الأقلام والدفاتر من حقيبته ويرتبها بعناية على الطاولة أمامه. وبعد أن يضع كل شيء على النحو الذي يريده، يضغط على زر في الجهاز وينتظر حتى يضيء ضوء أخضر صغير، ثم يتسم لي.

- «مرحباً»، يقول لي.

لا أقول شيئاً.

أعلم أنني كنت قبلاً قد طرحْتُ سؤالاً على الرجل الذي يرتدي البرزة الداكنة، حين كنتُ مستلقيةً على السرير مشوشةً الذهن. لكنني الآن أفكر بصورة أوضح وبعض الأشياء متجذرةً في نسيج كينونتي لدرجة أنني لا أتذكر وقتاً لم تكن موجودةً فيه، ومن الصعب أن أتلمس طريقي عبر الالتفاف حولها، حتى بعد كل ما حدث.

لا تتحدثني أبداً إلى الغراء. أبداً.

- «اسمي الدكتور روبرت هيرنانديز، أنا رئيس قسم الطب النفسي في مستشفى الأطفال بجامعة تكساس بأوستن. هل تعرفين ماذا يعني هذا؟».

لا أجيب بشيء.

- «هذا يعني أنني متخصص بصحة الأطفال»، يقول لي. «لا سيّما الأطفال الذين اختبروا أحداثاً عصبية. أنا أستمع إليهم وأحاول مساعدتهم».

في رأسي، يصرخ الأب جون أن الغراء يريدون إيذاي فحسب، يريدون تعذيبي، يريدون قتلي.

- «أتفهم أن هذا وضعٌ مرعبٌ جداً بلا ريب»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لقد مررتُ بمحنةٍ مروّعة، وأعلم أنك تتألمين كثيراً. لكنني لستُ عدوك، بغض النظر عما يمكن أن يكون قد قيل لك،

وأعدك أنني لا أضمر لك أيّ شرّ. أنا أريد مساعدتك. لكن كي يتحقّق ذلك، عليك أن تثقي بي ولو قليلاً فقط كبداية. هل تعتقدين أنّه يمكنك فعل ذلك؟».

أحدّق فيه. يبدو واضحاً من نظرة الترقّب في عينيه أن ليست لديه أدنى فكرة عن معنى ما يطلبه.

- «ما رأيك أن نبدأ بشيء بسيط؟»، يقول لي. «لَمْ لا تخبريني باسمك؟».

لا أجيب. وتظلّ عيناها شاخصتين إلى عينيه.

- «لا بأس بذلك»، يقول لي. «لا بأس به تماماً. ما رأيك بهذا؟ سأطرح عليك سؤالاً وأنتِ تومئين لي فقط أو تهزّين رأسك. لست مضطّرة أن تقولي كلمة واحدة».

لا أحرّك عضلة واحدة. حتّى أنني أحاول ألا أرمش بعينيّ. تبهت ابتسامة الدكتور هيرنانديز قليلاً. «لا؟»، يقول لي. «لا تريدان أن تجرّبي ذلك؟».

أرمش بعينيّ إذ بدأتا تؤلمانني، لكنّ هذا كلّ ما فعلته. يوماً برأسه، ويخربش شيئاً في أحد دفاتره. أراقب القلم وهو ينزلق فوق الورقة، وأريد معرفة ما الذي يكتبه عنيّ لكن لا يمكنني السؤال.

- «حسنٌ»، يقول بينما يضع القلم من يده. «آخر ما أريد فعله هو جعلك تشعرين بالضغط بأيّ حالٍ من الأحوال. لا يسعني إلّا أن أتخيّل كم هذا صعب عليك، لذا أعتقد أنّ أفضل شيء في هذه المرحلة هو أن تعودتي إلى غرفتك وسنحاول مجدّداً في الغد. أنتِ لست مضطّرةً للتحدّث إليّ، وأضمن لك أن لا أحد - أقلّه أنا - سوف يجبرك على التحدّث. لكن لو لم أكن أعتقد بصدق أنّ ذلك سيكون مفيداً لك، فما كنت لأكون هنا».

أقاوم الرغبة في أن أومئ له بينما يزعم الأب جون في رأسي، ويدعوني بالمهرطقة، ويخبرني بأنه لطالما عرف أنني كنتُ زائفةً وكاذبة.

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه مجدداً، ويبتسم لي ابتسامة عريضة، ويبدأ في إعادة الدفاتر والأقلام إلى حقيبته. «حسنٌ إذا»، يقول لي. «خذي قسطاً من الراحة. أراك غداً».

ترافقني الممرضة هارو إلى غرفتي. لا أتفوه بكلمة ونحن نسير على طول الأروقة الرمادية، لكنها ما انفكت تبتسم لي بينما كانت تغلق باب غرفتي وتقفله.

ألقي نظرةً من حولي في الغرفة التي أفترض أنها أصبحت الآن بيتي. لا يمكن القول إنها كبيرةٌ بحالٍ من الأحوال، لكنها ليست صغيرة أيضاً؛ كان هناك الكثير من الغرف أصغر منها في القاعدة، كما أن هذه الغرفة فيها مغسلة ومرحاض ومكتب وكُرسيّ.

الباب يُقفل من الخارج، لذا أعتقد أن الأمر مشابهٌ للقاعدة من هذه الناحية.

وجدتُ كومة ملابس على طاولة المكتب بعد أن أحضرتني الممرضة هارو إلى هنا الليلة الماضية، بجوارها كدسةٌ سميكة من الأوراق وعلبٌ من أقلام الرصاص والتلوين. سراويل رمادية، وملابس داخلية، وجوارب، وقمصان، وأحذية رياضية، معظمها لا تزال ملفوفة بالنايلون، وجميعها لا تزال تحمل بطاقات الأسعار. أنا أرتدي بعضاً من هذه الأشياء الآن.

أنا متأكدة أنها أول ملابس جديدة أرتديها في حياتي. ثمة ساعة رقمية على الحائط فوق الباب، أضاءت الساعة

بالأرقام 10:17. أخبرتني الممرضة هارو بأنها ستحضر لي وجبة الإفطار كلَّ يوم في الساعة 9 ووجبة الغداء في الساعة 12:30، لكن لم تكن لديَّ أية فكرة حول ما يُفترض بي فعله في الوقت بين الوجبتين.

أستلقي على سريرى وأحدّق في السقف لبعض الوقت، ثمَّ أنهض وأذرع الغرفة جيئةً وذهاباً حتّى تؤلمني عضلات ساقيّ وتحرقني يدي تحت الضمادات، فأجلس إلى طاولة المكتب.

لم يكن هناك في القاعدة بعد التطهير كتبٌ مسموحة عدا الكتاب المقدّس، وبالكاد كان هناك ورقٌ وأقلام رصاص، لكن كان لديّ دفتر رسم بسيط كان الأب باتريك قد أعطاه لي حين كنتُ طفلةً صغيرة. ورغمَّ أن قادة السرايا كانوا يعلمون بأمره لأنني لم أخفِه، إلّا أنّهم لم يأخذوه مِنِّي. رسمتُ على كلّ صفحةٍ عشرات المرّات إلى أن امتلأت كلّ ورقة بأخاديدٍ من خطوط أقلام الرصاص التي كانت تُمحي مرّةً بعد مرّة. كان الدفتر في غرفتي عندما اندلع الحريق، لذا اعتقد أنّه احترق.

أخذُ ورقةً من الكدسة وأمرّر أصابعي فوق سطحها. إنّها ملساء لأنّها لم تُستخدَم من قبل. إنّها جديدة تماماً. إنّها لا تملك تاريخاً.

أحدّق في الجدار الأبيض أمامي حتّى بات رأسي فارغاً، ثمَّ أخرج قلم رصاصٍ من العلبة البلاستيكية وأشرع في الرسم.

منذ وقتٍ طويلٍ وحتّى الآن، يبدو أنّ كلّ ما يظهر على ورقة الرسم خارجٌ عن سيطرتي. قد أقصد رسم كلبٍ، أو سفينة فضاء، أو جزيرة صحراويّة، لكنّها دائماً ما تنقلب إلى نفس الشيء في النهاية. يبدو وكأنّ الحياة تدبُّ في قلم الرصاص بين أصابعي، كما لو أنّه يعرف نواياي الحقيقية أفضل مِنِّي. أنا نوعاً ما أعرف ما هو الطبيب

النفسي من الأيام حيث كان لا يزال يُسمح لنا بمشاهدة التلفزيون وقراءة الكتب، رغم أنني لم أخبر الدكتور هيرنانديز بذلك حين سألني، وبالنسبة للرسومات، سيقول على الأرجح أنها عقلي الباطن الذي يحاول فرض نفسه. سيكون على حق في الغالب، لكنني لن أريها له أبداً، لذا فالأمر ليس بتلك الأهمية.

أرسم الخطوط الأولى - وعلى الفور تقريباً - تبدأ الصورة المألوفة في الخروج من رأسي إلى الورقة. أبدأ أقلام الرصاص بأقلام ملونة وأترك نفسي أنجرف في رتابة التكرار، تعمل يداي بصورة تلقائية بينما تطفو عبر رأسي الذكريات المحطمة المضطربة...

... أبي؛ رغم معرفتي أنه ليس هو حقاً، إنها نسخة معدلة عنه قام عقلي بتصويرها نقلاً عن صورة قديمة له. هو يبتسم لي، وأتساءل إن كان يبدو هكذا فعلاً عندما يبتسم؛ فالناس يبدوون مختلفين عندما يكونون عناصر متحركة عنهم حين يُجمّدون داخل إطار...

... النيران التي تنبثق من فجرة عبر نوافذ الكنيسة وتتسابق عبر أرض الصحراء مثل حيوان برّي يطارد فريسته، وهي تفرق بلذّة متوحشة...

... وجه هوني وهي تقول «لا» للأب جون، حين نظرت في عينيه ونطقت كفرة عن سابق دراية وإصرار...

... أمي، آخر مرّة رأيته فيها؛ جالسة في مؤخرة الشاحنة الحمراء، ولا تزيح عينيها عني بينما تحمل بيديها كلّ ما تملكه في كيس بلاستيكي واحد...

... نيت، يحوم فوق في العتمة؛ عيناه واسعتان، صوته مغلف بالقلق، ويداه ممتلئتان بأشياء ممنوعة...

... الباب المقفل في قبو البيت الكبير ...

... الأب جون بعد أن تحققت نبوءاته أخيراً وأمسى خدّمة الشيطان على أبوابنا. أبحث في ذكرى وجهه عن اليقين الذي كان بمثابة المدد للفيلق، والذي أقنع إخوتي وأخواتي - وأقنعتني لأطول وقت - أنّ الربّ سيحفظهم ويأتيهم بنصرٍ مؤزّر، ثمّ لا يجدوا شيئاً من ذلك ...

... أليس، وأحشاؤها تندلق خارج بطنها ...

... الدبابة وهي تندفع للأمام ...

... الدماء ...

... أغلفة الطلقات الفارغة ...

... الكثير من الدماء ...

... عالمي برمّته، في لحظاته الأخيرة قبل أن يختفي من

الوجود ...

أرتعش إذ تسري برودةٌ صعوداً على طول عمودي الفقريّ، ثمّ أنظر للأسف إلى قطعة الورق لأرى نفس الصورة كما هو الحال دائماً.

الماء يملأ معظم الورقة، أزرقٌ باهت منقّط بالأبيض. لا أعرف ما هو بالضبط - بحيرة أو محيط أو نهر أو شيءٌ آخر - إذ إنّ أكبر مسطح مائي رأيته بعينيّ هو النافورة في ساحة بلدة لايفيلد. أيّاً يكن هذا الشيء، فأنا لا أرسمه من ذاكرتي.

ترتفع المنحدرات البنية الناتئة من حافة المياه وصولاً إلى أرضٍ منبسطة من العشب الأخضر، مكانٌ يختلف كلّ الاختلاف عن غبار الصحراء البرتقاليّ المحمّص. وراء حافة الجرف ثمة منزلٌ صغير بجدران زرقاء باهتة، وسطح أبيض، ومدخنةٌ يرتفع منها عمود دخان رماديّ رفيع نحو السماء التي لها نفس لون الماء تقريباً.

بجانب المنزل تقف هيئتان بشريّتان ضئيلتان . هما لا يكادان
يعدوان كونهما أكثر من مجرد شخصين من أعواد، لكنني أعرف مَنْ
هما بالضبط .

أحدهما هو أنا .

الآخر هو أمّي .

بعد

أستيقظ على ملاءة مبلّلة بالعرق، مع صرخةٍ عالقة في حلقي .
أحلامٌ سيّئة . النار، لوك، الأب جون .
أنظر إلى الساعة فوق الباب .
8:57 .

لم أنم في حياتي حتّى هذا الوقت المتأخر بحسب ما أتذكّر .
ربّما حدث ذلك فقط في المرّات التي كنتُ فيها مريضة . لم يتبقَّ
سوى ثلاث دقائق على وصول الممرّضة هارو مع إفطاري، إذا كان
ما أخبرتني به في الأمس صحيحاً .

بالطبع لم يكن كذلك! يتردّد صدى الصوت الضخم الصاخب
للأب جون في رأسي . إنها غريبة! هم يكذبون! هم فقط يكذبون!
تسري قشعريرة على طول ذراعيّ . لا تزال القوّة الجبّارة في
صوت النبي تبثّ الذعر فيّ، حتّى بعد كلّ شيء: اليقين المطلق،
السّلطة المتّقدة التي لا تتساهل مع أيّ نوع من الجدل . أغمضُ عينيّ
بإحكام وأركّزُ على المياه والمنحدرات والمنزل الأزرق، فيتلاشى
الصوت في النهاية، رغم معرفتي أنّي لن أتخلّص منه على نحوٍ كامل
أبداً .

أفتح عينيّ وأجلس على حافةٍ سريري . يدي تؤلمني أكثر من أيّ
وقتٍ مضى . عادةً ما كان هورايزون يقول لي أنّ الأمور تصبح مؤلمةً

جداً عندما تكون آخذةً في التحسّن، وآمل من كلّ قلبي أن يكون محقّقاً، إذ أشعر كما لو أنّ شخصاً يدفع بشعلةٍ ملتهبة فوق أصابعي وحين أحاول حكّها عبر طبقات الضماد السميكَة أشعر وكأنّها نهاية العالم.

لا أعرف متى غططتُ في النوم أخيراً بالأمس. بعد أن انتهيتُ من الرسم، بكيْتُ لبعض الوقت إلى أن جلبتُ لي الممرّضة هارو صينية بلاستيكية عليها طبقٌ من النقانق والبطاطس المهروسة، وكانت تعلو وجهها تلك النظرة اللطيفة التي جعلتني أبكي من جديد لدى مغادرتها، بحيث كانت الدموع تتدحرج فوق خديّ وأنا أتناول طعامي.

لا أعرف متى بالضبط، لكنني استلقيتُ في مرحلةٍ ما بعد أن أنهيتُ وجبتي، وأغمضتُ عينيّ. أجري الحسابات في رأسي وأدرك أنني لا بدّ قد نمّتُ بشكلٍ متقطعٍ لثمانية عشر ساعة تقريباً. رغم ذلك، لا أشعر بالراحة. أشعر أنني مرهقةٌ ومستهلّكة، كما لو أنني استنزفتُ للحدّ الأقصى وما تبقى من طاقتي لم يعد كافياً للاستمرار. أشعر بالخواء.

يدور مفتاحٌ داخل القفل، وثمة طريقةٌ على الباب قبل أن يُفتح. يبدو ذلك عبثياً، فأنا واثقة أنني لن أستطيع منع أيّ شخصٍ من الدخول حتّى لو أردتُ ذلك، لكنني أظنّ أنّه تصرفٌ مهذب.

تظهر الممرّضة هارو ويدها صينية أخرى تحوي طبقاً من البيض المخفوق واللحم المقدّد والبطاطس المقلية وكوباً من سلطة الفواكه وكأساً من عصير البرتقال. أول فكرة تبادرت إلى ذهني بسرعة كبيرة، هي أنني لا أستطيع تناول هذه الوجبة بأي حالٍ من الأحوال، لأنّه ورغم وجود الفاكهة داخل كوبٍ صغير، فمن الواضح أنّها جزءٌ من نفس الوجبة حالها حال البطاطس، والفاكهة مع الخضار في وجبةٍ

واحدة هو أمرٌ ممنوعٌ بصورةٍ قطعية. إنها قواعد الفيلق التي أرساها الأب جون بعد أن تلقّفها من فم الرب مباشرةً، والمحفورة في دماغي مثل جرح مشرط.

أحاول ألا أرتبك إذ بدأت معدتي تقرقع، حتّى أنّني أتدبّر رسم ابتسامةٍ صغيرة جدّاً على شفّتيّ بينما تضع الممرّضة هارو الصينية على المكتب. ترمق اللوحة التي رسمتها بالأمس بعد أن عدتُ من لقاء الطبيب هيرنانديز، ويخفق قلبي بسرعة في صدري فأنا لا أريدها أن تنظر إلى اللوحة. يبدو الأمر كما لو أنّها تراني عارية.

- «إنّها جيّدة جدّاً»، تقول لي وابتسامتها تتسع شيئاً فشيئاً. «أين يقع هذا المنزل؟».

- «لا تلمسيها»، أقول لها بصوتٍ أقرب للحشرجة وهي أولى كلماتي مذ أحضروني إلى هنا، بصرف النظر ما هو هذا المكان. في رأسي، يقول لي الأب جون إنّني غبيّة وضعيفة وعديمة النفع. «أرجوكِ لا تلمسيها».

تومئ الممرّضة هارو برأسها وتراجع مبتعدةً عن المكتب. «لن أفعل»، تقول لي. «لا تقلقي. سأعود بعد عشرين دقيقة. أريد أن أبدّل لك الضماد قبل أن تذهبي لمقابلة الدكتور هيرنانديز. هل هذا مناسبٌ لك؟».

أومئُ برأسي. تبتسم لي، ثمّ تختفي خلف الباب وتحكم إغلاقه. أنتظر حتّى أتأكد أنّها ذهبت بالفعل، ثمّ أمسك باللوحة، أطويها من المنتصف وأدفع بها إلى صدري بإحكام بينما أجول بناظريّ في الغرفة بحثاً عن مكانٍ لأخبئها فيه. ليس هناك أيّ مكان.

ليس هناك مكان بالطبع. الغرف ذات الأبواب الثقيلة التي تُقفل من الخارج والنوافذ التي لا يمكن الوصول إليها؛ غرفٌ كهذه ليست

فيها أماكن لتخبيئة الأشياء. أفكر في اللوح الخشبي الرخو تحت سريري في القاعدة، وفي المساحة المعتمدة أسفل منه، لكن الأرضية التي أقف عليها الآن مصنوعة من بلاط بلاستيكي أملس والجدران من حولي مسطحة وجرداء.

الحلُّ الأسهل هو إتلاف الورقة - ففي نهاية المطاف، الأمر ليس كائنني لا أستطيع رسم المنزل والمنحدرات والمياه ثانيةً - لكنني لا أريد أن أتلفها. لا أريد ذلك فحسب. إنها لي أنا، ولا ينطبق هذا الوصف على شيء آخر في هذه الغرفة.

بدلاً من ذلك، أفكُّ غطاء وسادتي وأدسُّ لوحتي المطوية بداخلها ثم أقلب الوسادة بحيث تنضغط اللوحة على مرتبتي. إنه إلى حدٍّ كبير أسوأ مكانٍ على الإطلاق لإخفاء أي شيء، ورغم أنني لا أعتقد أن ثمة كاميرات في غرفتي - لا يمكنني رؤية أي منها على الأقل - لكن الأمر لن يستغرق من الممرضة هارو أو شخص آخر أكثر من خمس ثوانٍ للعثور على اللوحة إذا ما قرّروا أن يبدووا في البحث. لكنَّ هذا أفضل ما يمكنني القيام به.

- «سأقترح شيئاً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «إذا كان هذا مناسباً لك؟».

مجدّداً، أنا جالسةٌ على الأريكة في غرفة المقابلات رقم 1. الطبيب النفسي خلف طاولة المكتب، دفاتره وأقلامه مرتبةٌ بأناقة أمامه، والضوء الأخضر مضاءٌ في الجهاز بجانبه. سألني كيف أشعر هذا الصباح حالما دخل من الباب. لم أجب على السؤال، رغم أنني في الواقع أشعر ببعض التحسّن - جسدياً على الأقل - بعد أن بدّلت الممرضة هارو ضمادي ووضعت مرهماً أبيض دهنيّ القوام على الجلد المحترق في يدي.

لم أجب على هذا السؤال أيضاً.

- «سأخذ صمتك على أنه موافقةٌ ضمنية»، يقول لي. «اقترحي هو أن نجري مقايضة. أنتِ تسألين سؤالاً وأنا أجيب عليه. ثم أسأل وأنتِ تجيبين. كيف يبدو ذلك؟».

داخل رأسي، يحذّرني الأب جون من الوقوع ضحيةً لهذه الخدعة الواضحة، ومن أن أكون غيبيةً وساذجة وكاذبة. أبذل قصارى جهدي لتجاهل صوته، لكن هذا لم يكن سهلاً أبداً - ينفجر صوته ويهدر ويزأر، ولسنواتٍ طويلة كان الصوت الوحيد المهم، المصدر الوحيد للحقيقة في عالم مليء بالكاذب. مع ذلك، أنا أحاول تجاهله، لأنني ورغم كوني خائفة من التحدّث إلى الدكتور هيرنانديز - أو أيّ شخصٍ آخر - ولا أرغب حقّاً في الردّ على أية أسئلة، إلّا أنّ هناك شيئين أحتاج إلى معرفتهما. شيان لا أعتقد أنه بوسعي المضيّ قدماً دون معرفتهما.

كوني شجاعة، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي. لكنّ هذا لم يكن صوت الأب جون؛ إنّه يشبه صوتي كثيراً، غير أنّه يقول أشياء ما كنتُ لأجرؤ أبداً على قولها.

- «حسنٌ»، أقول، فيبتسم لي الدكتور هيرنانديز. أتساءل إن كان قد بدأ يعتقد أنّي لن أتحدّث ثانيةً في حياتي. «لكن فقط إذا كان يمكنني أن أبدأ أولاً».

- «بالطبع»، يقول لي. «أسألي أيّ شيءٍ ترغبين فيه».

أخذُ نفساً عميقاً. «أين هي أمّي؟».

تتلاشى ابتسامته عند طرفي فمه، وأرى شفقةً في ملامحه، وأكره كونه يشعر بالأسف عليّ، لكنني لا أقدر على إخباره بذلك لأنّ تعابيره أصابتنني بالذعر ممّا كان سيقوله لدرجة أنّ صدري ضاق كثيراً حتّى انحبست أنفاسي داخل رئتي.

- «أنا آسف، أخشى أن ليست لديّ أيّة معلومة بخصوص والدتك».

يرتاح صدري. إنّ إجابته - أو لا إجابته لأكون دقيقة - هي ما كنتُ أتوقّعه إلى حدّ كبير، رغم أنّه لا يزال من المؤلم سماع الكلمات بصوت عال.

كان يمكن للأمر أن يكون أسوأ، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. كان يمكن أن يخبرك أنّها ماتت.

هذا صحيح، كان ذلك ليكون أسوأ بالفعل. لكنني لست متأكّدة إلى أيّ درجة سيكون كذلك، إذ إنّ عدم المعرفة شيءٌ شنيع بحقّ، حتّى بعد مرور كلّ هذا الوقت.

- «أنا آسف»، يكرّر قائلاً.

- «هي ليست هنا؟». لا يزال صوتي أشبه بالحشرة، ضئيلٌ ومنخفض.

- «لا»، يقول لي. «هي ليست هنا».

- «هل لا تزال حيّة؟».

- «لا أعرف».

أحدّق به. «لا تعرف؟».

- «أخشى أنّي كذلك»، يقول لي. «أتمنّى لو أنّ بوسعي منحكِ

الجواب الذي ترغبين به، أو إخباركِ بكذبةٍ تريحك، لكنني أوّمن بشدّة أنّ الصدق هو أهمّ عنصرٍ في هذه العمليّة. مع الوقت، وحين تكونين جاهزة، هناك أشخاصٌ آخرون سيرغبون في التحدّث إليك، ومن المحتمل أن تكون لديهم معلومات حول هذا الموضوع أكثر ممّا لديّ».

الموضوع! أنت تتحدّث عن أمّي أيّها الوغد.

يحمّرُ وجهي بسبب الكلمة الرديئة، رغم أنني الوحيدة التي سمعتها. يعبس الدكتور هيرنانديز.

- «هل أنت بخير؟».

- «متى؟»، أسأله.

- «المعذرة؟».

- «متى سيرغب هؤلاء الأشخاص الآخرون في التحدّث إليّ؟».

- «عندما يكون هذا ملائماً»، يقول لي.

- «متى يكون ذلك؟».

- «عندما تكونين جاهزة؟».

- «مَن يقرّر ذلك؟».

- «أنا أقرّره»، يقول لي. «بالتشاور مع زملائي. لا يمكن تحديد جدولٍ زمنيّ دقيق، ليس في هذه المرحلة المبكرة، لكنني سأقطع لك وعداً الآن. سوف أسأل الوكالات الأخرى المتداخلة في هذه القضية عن أيّ معلومات لديها بشأن والدتك وأوافيك بردها. هل يبدو ذلك مقبولاً؟».

أهزّ كتفيّ. أعرف أنّه يريدني أن أقول نعم، لكنني لن أفعل. ينظر الدكتور هيرنانديز إليّ لبرهةٍ طويلة، ثمّ يكتب ملاحظةً في أحد دفاتره. هناك أربعةٌ منها بأحجامٍ مختلفة، بالإضافة إلى ثلاثة كتيّبات. لا أفهم كيف يمكن أن يحتاجها جميعاً.

- «لا بأس»، قال وهو يضع القلم من يده وابتسم لي. «إنّه دوري كي أطرح سؤالاً. إذا كان هذا لا يزال مناسباً لك؟».

العدل هو العدل، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي.

أهزّ كتفيّ مجدداً.

- «حسنٌ»، يقول لي. «هذا عظيم. ما اسمك؟».

- «مونيم (*)»، أقول له.

تصبح ابتسامته أوسع. «هذا اسمٌ جميل».

لا أقول شيئاً.

- «هل لديك غيره؟»، يسألني.

- «غير ماذا؟».

- «أسماء».

- «هل يُفترض بي أن أحمل أكثر من اسمٍ واحد؟».

- «معظم الناس لديهم اسمان على الأقل».

- «بعض إخوتي وأخواتي لديهم ستة أو سبعة. أنا لديّ واحدٌ

فقط».

- «جيدٌ»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هذا جيد».

أحدّق به. من الواضح أنّه يريدني أن أقول شيئاً ما، لكن ليست لديّ أدنى فكرة ماذا يكون.

- «إن كنتِ تقولين لي إنّ لديك اسماً واحداً فأنا أصدّقك»،

يقول لي.

أنت لا تصدّقني. من الواضح أنّك لا تفعل. رغم أنّي لا أعرف لمَ تظنّ أنّي قد أكذب بشأن اسمي.

- «حسنٌ»، أقول له.

- «ماذا عن جون بارسون؟ بمَ كان يناديك؟».

- «الأب جون كان يناديني بمونيم».

- «هل —».

(*) Moonbeam : ومعناها شعاع القمر - المترجم.

أهزُّ رأسي. «أنا لا أريد التحدّث عنه».

- «لا مشكلة»، يقول الدكتور هيرنانديز ويرفع يديه المفتوحتين في إيماءة تقول ابقني هادئة والتي تجعلني أرغب في ضرب رأسه بطاولة المكتب. «لا مشكلة على الإطلاق. لا داعي للحديث عنه، أو عن أيّ شيء قد يجعلك غير مرتاحة، إلى أن تصبحي جاهزة. اتّفقنا؟».

أومئ له برأسي بأصغر إيماءة ممكنة.

يبدو عليه الارتياح. «عظيم. دورك الآن».

- «ماذا فعلت برسالتني؟»، سأله.

يعبس ويقول: «المعذرة؟».

- «كانت ثمة رسالة في جيبتي»، أقول له. «أثناء الحريق. أين

هي؟».

- «أخشى أنني لا أعرف. هل كانت مهمّة؟».

أهم شيء في العالم.

أدرس ملامح وجهه بعناية أملاً في العثور على شيء يدلّ على أنّه يكذب. لطالما كنتُ بارعةً في قراءة البشر، خاصّةً بعد الذي حدث لأمي، لكنّ كلّ ما رأيته في وجه الدكتور هيرنانديز هو القلق، لذا أهزُّ رأسي وأقول: «إنّها ليست بذات أهميّة».

يومئ برأسه رغم أنّه لا يبدو مقتنعاً على الإطلاق. «حسنٌ. لمّ لا تسأليني شيئاً آخر؟ ذاك السؤال لا يمكن احتسابه حقّاً».

- «ليس لديّ أيّ أسئلةٍ أخرى».

- «لا سؤال على الإطلاق؟».

أنت لم تجب على الاثنين اللذين كانا لديّ.

- «لا».

- «لمّ لا أعطيكِ إذاً القليل من المعلومات حول ما يجري؟ قد

ترغبين عندئذٍ في سؤالي عن بعض الأشياء، وقد تشعرين نتيجةً لذلك براحةً أكبر في محيطك الجديد».

أشكُّ في ذلك كثيراً. لكنني أهزُّ كتفيّ «حسنٌ».

- «عظيم». بدأتُ ألاحظ أنه يقول هذه الكلمة كثيراً. «إذاً هذا

المكان؛ هذا المبنى الذي نتواجد فيه، يسمّى مركز جورج دبليو بوش الحكومي. إنه في أوديسا، على بعد حوالي خمسين ميلاً من المكان الذي كنتِ تعيشين فيه. هل تعرفين من هو جورج دبليو بوش؟».

أهزُّ رأسي بالنفي.

- «لقد كان رئيس الولايات المتحدة»، يقول الدكتور هيرنانديز.

«هل تعرفين معنى ذلك؟».

- «لقد كان رئيس الحكومة».

- «هذا صحيحٌ تماماً. كان جورج دبليو بوش رئيساً لثمانى

سنوات، حتّى العام 2009، وقد سُمّي هذا المبنى تيمناً به حين غادر منصبه. هذا القسم من المركز، حيث نحن الآن يسمى الوحدة الآمنة. إنه مكان حيث يمكن الاعتناء بالأشخاص على أفضل وجه، وحيث يمكن أن يكونوا بأمان تام. هل تعرفين أين كنتِ قبل أن يتمّ إحضاركِ إلى هنا؟».

- «في مستشفى».

- «صحيحٌ مجدّداً، لقد كنتِ في مستشفى ميرسي ميموريال،

على بعد ستة أميال من هنا. كنتِ هناك لأربعة أيّام». يدور رأسي وأشعر أنني دُخت. بدا لي أنني كنتُ مستلقيةً على ذاك السرير لأشهر.

أربعة أيّام؟ هل كان ذلك حقاً كلّ شيء؟ هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً؟

- «أعرف أنّ أحداً ما قد تحدّث إليك أثناء وجودك هناك»، يتابع

الدكتور هيرنانديز. «أعلم أنهم طرحوا عليك الأسئلة عندما لم تكوني في وضع مناسب للإجابة عليها، وأنا آسف جداً لما فعلوه. ما كان ينبغي أن يحدث ذلك. من الآن فصاعداً، لن يسألك أحد أي شيء ما لم أكن هنا للتأكد أنك موافقة على ذلك. أعدك».

أومئ برأسي، للمرة المئة تقريباً. يبدو وكأن ذلك ليس كافياً، كما لو أنه يتوقع مني أكثر من هذه الاستجابة. أخمن أنه كان يمكنني أن أجرب الابتسام، لكنني لا أعتقد أن ذلك سيكون مقنعاً جداً.

- «أنت لست سجيناً هنا»، يقول لي. «ومن المهم ألاّ تعتبري نفسك كذلك. أفهم أن ثمة أقفالاً على الأبواب وأنه يتم إخبارك ماذا تفعلين وأين تذهبين، فمن الطبيعي أن تشعرين بالإحباط إزاء وضعك هذا. لكن عليك أن تصدّقيني عندما أقول لك إن كل شيء يجري لضمان سلامتك وأمنك في المقام الأول. أنت لست واقعة في أية ورطة».

أكاد حقاً أن أضحك بصوت عالٍ.

لا فكرة لديك. لا فكرة لديك على الإطلاق.

- «إذاً يمكنني أن أغادر؟»، أسأله.

- «ها أنت ذا»، يقول وقد عادت ابتسامته. «إنّ لديك سؤالاً

آخر بالفعل».

أحدّق فيه.

- «الجواب هو نعم»، وإذا يدرك أنني لن أردّ على ما كنت واثقة

أنها مجرد مزحة، يقول: «إنّ الهدف من وجودي هنا برمتي يتمحور حول مساعدتك على المضيّ قدماً في حياتك بأسرع ما يمكن».

- «لكنني لا أستطيع المغادرة الآن؟».

يعبس الدكتور هيرنانديز. «حسنٌ، أنت لا تستطيعين، ليس في

هذه اللحظة بالذات».

- «إِذَا كَيْفَ لَا أَكُونُ سَجِينَةً؟».

يبدو وكأنه يفكر جيداً في الإجابة لثانية أو اثنتين. ثم يقول في النهاية: «يتعلق الأمر أكثر بكيفية فهمك للوضع الذي أنت فيه. ينبغي أن تنظري إليه على أنه عملية سنخوض فيها ونعمل عليها أنا وأنت معاً، وأن نقبل أننا بحاجة إلى وضع حدودٍ معيّنة حتى يحدث ذلك. نحتاج إلى العمل في مكانٍ تشعرين فيه بالأمان، حيث يمكننا استكشاف بعض الأشياء التي مررت بها واتخاذ إجراءات إيجابية لمعالجتها. حين تكتمل هذه العملية، وأكون راضياً ومقتنعاً بأنك على خير ما يرام وجاهزة وبأمان، عندها سيكون لك مطلق الحرية في المغادرة».

لا أصدّق ذلك لثانية واحدة، لكنني لا أرى فائدة من قول ذلك بصوت عالٍ.

- «متى يكون ذلك؟»، أسأله.

- «كلّما بدأنا مبكراً، انتهينا بوقتٍ أسرع».

- «حسنٌ»،.

- «عظيم»، يقول الدكتور هيرنانديز، ويفتح أحد دفاتره. «كم عمرك يا مونييم؟».

العدل هو العدل.

- «سبع عشرة سنة»، أجيبه.

- «متى يصادف عيد ميلادك؟».

- «سأتمّ الثامنة عشرة في الحادي والعشرين من نوفمبر».

- «سأرسل لك بطاقة معايدة»، يقول لي.

مزحة أخرى. أحدّق به فحسب.

ينظر للأسفل ويخربش شيئاً ما. أنتظر. في النهاية تعود عيناه

للنظر في عينيّ. «هل ثمة شيءٌ ترغبين في التحدّث عنه في هذه الجلسة؟ يمكن أن يكون أيّ شيء، أيّ شيء على الإطلاق». - «لا».

- «هل أنتِ متأكّدة؟».

- «أنا لستُ بكاذبة»، أنا أكذبُ عليه الآن.

- «أنتِ لستِ كذلك بالطبع»، يقول وهو يشير بإيماءة ابقِي هادئة بيديه مجدّداً. هذه المرّة تتناوبني رغبةٌ عارمة في عضّ معصميه، إذ أعتقد أنّني أظهر هدوءاً لا يُصدّق نظراً لكلّ الظروف. «في هذه الحالة، لمَ لا تخبريني شيئاً ما؟ لا يهمّ ما هو، ليس من الضروري أن يكون شيئاً مهماً، مجرد شيءٍ عن حياتك». - «مثل ماذا؟»، أسأله.

- «الأمر متروكٌ لكِ بالكامل. أيّ شيءٍ يخطر ببالك».

أفكرُ في هذا. أنا أعرف ما الذي يريدني أن أتحدّث عنه - نفس الشيء الذي سألتني عنه المرأة بالزيّ الرسميّ في المستشفى - لكنّني لن أقول شيئاً بهذا الشأن، ليس له أو لأيّ شخصٍ آخر، ليس الآن ولا في أيّ وقت، لأنّني لا أريد أن أقضي بقيّة حياتي في زنزانة، هذا إذا ما كنتُ أصلاً قادرةً على تجنّب هذا المصير.

لكنّني لستُ غيبّة. هو ربّما يظنّني غيبّة، لكنّني لستُ كذلك.

أعرف أنّه لن يدعني أخرج من هنا ما لم أخبره شيئاً ما.

يجب أن تنظري إلى هذا كعمليةٍ متكاملة، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسه.

أخذُ نفساً عميقاً، وأبدأ في الكلام.

قبل

إنَّ سحابة الغبار المتصاعدة من الطريق الترابي خارج البوابة الأمامية للقاعدة أصغر من أن تكون ناجمة عن سيّارة آخذة بالاقتراب، مع ذلك فإنَّ قادة السرايا الأربعة يتحرّكون باتجاهها، والبنادق في أيديهم. لا نحظى بالكثير من الزوّار هنا، ومعظم أولئك الذين يأتون إلينا غير مرحّبين بهم.

اللافتات التي تشير إلى أنَّ هذه ملكيّة خاصّة معلّقة على طول السياج، لكنّها لم تكن دائماً كافية لإبقاء الناس خارجاً، إذ واجهنا لعدّة سنوات مشكلة في كلّ فصل خريف، عندما كان الطلاب الجامعيّون الجدد من ميدلاند وأوديسا يؤمّرون بسرقة شيء ما من داخل القاعدة وأخذه لإخوانهم في بيت الأخويّة. لا أعتقد أنَّ أيّاً منهم نجح يوماً في مهمّته - إذ عادةً ما كان قادة السرايا يطردونهم قبل أن يصلوا إلى السياج ويرسلونهم مجدّداً إلى الصحراء وهم يتعثرون ضاحكين مهلّلين. لكن حدث في مناسبتين على الأقل أن أُصيب مراهقون مخمورون ونصف عراة بجروح بسبب لفائف الأسلاك الشائكة على طول الجزء العلويّ من السياج. لففنا بطانيّات حول الأولاد النازفين الباكين الذين استحالوا بيض اللون بفعل الصدمة - ووضعناهم في مؤخّرة الشاحنة الحمراء حيث قاد آموس بهم إلى لايفيلد حتى يتسنّى لهم الحصول على المساعدة. في

النهاية، توقّف الأمر. أحمَنُ أنهم سئموا من فعل الشيء ذاته كلّ سنة. لا أدري.

أشكُّ أن يكون هذا الزائر مسألةً تثير القلق، فنحن في منتصف النهار، وأياً يكن مَنْ يثير سحابة غبار فهو يسير وسط الطريق مباشرةً. الطلاب عادةً ما كانوا يأتون عبر الصحراء من جهة الغرب، من مَخْرَجٍ في الطريق السريع حيث كان هورايزن يحسب أنهم يركنون سيّاراتهم، كما أنهم - وعلى نحوٍ لا يثير الدهشة - كانوا يقومون بهذه الرحلة في الليل فقط.

أمشي نحو السياج مع حشدٍ من إخوتي وأخواتي: آيريس، أليس، لوك، مارتن، أغافي، ونصف دزينة آخرين. أشعر باضطراب خفيفٍ في معدتي جرّاء الإثارة لدى اقترابنا من البوّابة، حيث كان قادة السرايا قد توقّفوا واصطفّوا بثبات؛ هورايزون متقدّماً بعض الشيء عن الآخرين. هذا الاضطراب ليس لأنني أعتقد أنه ستكون هناك أيّة مشكلة، بل لأنّ هذا قد يكون شيئاً غير عاديٍّ في يومٍ كان حتّى الآن أقلّ من عاديٍّ في كلّ شيء.

فتح قادة السرايا باب غرفة نومي بعد الفجر مباشرةً، وتناولت نفس الإفطار الذي أتناوله دائماً في قاعة جنود الفيلق: نصفاً ثمرة الجريب فروت، وبيضتان مسلوقتان جيّداً - البيض ليس من الخضروات، لذا فأنا لا أخالف أيّة قواعد - وزبدية من الشوفان مع الزبيب. عملتُ بعد الإفطار في حدائق الخضروات خلف البيت الكبير لبضع ساعات، وكنتُ على وشك إعادة أدواتي إلى الحظائر حين انتبعت آيريس إلى سحابة الغبار واستدعتُ أقرب قائد سريّة.

أنحشُرُ بين كتفيّ بير وهورايزون العريضتين وأسترق النظر عبر القضبان المعدنيّة في البوّابة الأمامية، وفجأةً أشعر بحرارة بشرتي قد ارتفعت حقّاً، كما لو أنني كنتُ في الشمس لوقتٍ طويل.

ثُمَّ رجلٌ يمشي على الطريق الترابي . يتطاير شعره الأشقر الطويل فوق وجهه مع نسيم الصحراء، ويبدو قميصه كما لو أنه أُصِقَ على عضلاته البارزة لدرجة أنني متأكدة أن بوسعي عَدها حتّى من هذه المسافة البعيدة . هو يرتدي بنطال جينز باهت اللون وحذاءً مغبراً، وثُمَّ حقيبة من قماشٍ غليظ معلقةً على كتفه، وعلى وجهه ابتسامةٌ جعلتني أشعر بركبتيّ وكأنّهما ستنهاران تحتي .

- «يا للهول»، تشهق أليس . «يا ربّ، لا تُدخلني في التجربة» (إنجيل متى).

يغضبني هذا على نحوٍ مفاجئٍ لدرجةٍ أذهلتني . أليس في العشرين من عمرها، أي أكبر مِنّي بخمس سنوات، ولديها ابنتان، ويرغب جانبُ طفولتيّ بداخلي لم أكن أعرف بوجوده منذ خمسِ ثوانٍ بالصباح: «أنا رأيتهُ أولاً!»، لكنني لا أطلق له العنان بالطبع، سيكون ذلك سخيلاً جداً . بدلاً من ذلك، أواصل التحديق فحسب، وقلبي يخفق داخل صدري بقوة، بينما يتوقف الرجل على بعد مسافة مناسبة من قادة السرايا وبنادقهم ويرفع يديه في بادرة سلام .

- «على رِسلكم»، يقول الرجل . «على رِسلكم الآن . لقد جئتُ مسالماً» .

يغمرني عمق صوته برغبةٍ ملّحة في أن أفتح البوّابة وأركض إلى الطريق وأرمي بنفسي في أحضانه، رغم كونه دخيلاً وقد يكون خطيراً، كما أنه يبدو أكبر مِنّي بكثير، والإعلان الثالث ينصُّ صراحةً بأنّه لا يُفترض بي أن أفكر في أشياء كهذه .

- «أعتقد أننا من سيحكم على ذلك»، يقول هورايزون بنبرةٍ حازمة لكنها ليست عدائيةً بالكامل . «ما شأنك هنا؟» .

- «لديّ بعض الأسئلة التي كنتُ أطرحها على نفسي»، يقول

الرجل. «سمعتُ أنَّ هذا قد يكون المكان الذي أعثر فيه على إجابات».

- «قد يكون كذلك»، يقول هورايزون. «وبالمقابل، قد لا يكون كذلك. ما اسمك يا رفيق؟».

- «نيت»، يقول الرجل. «نيت تشايلدرس».

- «من أين أنت يا نيت تشايلدرس؟».

- «لوبيوك»، يجيب الرجل ويدير رأسه نحو الطريق الذي جاء منه. «ذاك اسمها في الأصل. وأييلين في الآونة الأخيرة».

- «مَن أخبركَ أنَّكَ قد تجد أجوبةً لأسئلتك هنا؟»، يسأل هورايزون.

- «نادلةٌ في المطعم في لايفيلد»، يقول نيت. «اسمها بيثاني. لقد تحدَّثنا بعض الشيء، وأخبرتني أنَّ هذا مكانٌ يجدر بي التحقق منه».

شكراً لك بيثاني. شكراً جزيلاً لك.

- «لا يبدو ذلك مرجَّحاً»، يقول هورايزون. «ليس لدينا الكثير من الصِّلات بسكَّان البلدة».

- «هذا ما قالته»، يقول نيت. «أخبرتني أنَّها اعتادت التحدُّث إلى أطفالٍ من هنا عندما كانت هي طفلة أيضاً. قالت إنَّه كان من المؤسف أنَّهم توقَّفوا عن القدوم إلى البلدة».

يومي هورايزون برأسه. يقف قادة السرايا الثلاثة الآخرون في صمت، فمن الواضح أنَّهم قرروا تركه يضطلع بمهمَّة الكلام بالكامل.

- «حسنٌ. إن كنتَ تبحثُ عن إجابات، فهناك رجلٌ ينبغي بك التحدُّث إليه. لكنني وبما أننا نتحدث الآن كصديقين، سأحذرك أنَّه إن كان قلبك كاذباً، فسوف يرى ذلك على الفور. لا كذب عليه،

وبالتأكيد لا خداع، لذا إن كان هذا ما يدور في خلدك، فيمكنك أن تستدير في الحال وترجع من الطريق التي أتيت منها». - «شكراً على التحذير»، يقول نيت. «أعتقد أنني سأجرب حظي».

- «فليكن إذاً»، يقول هورايزون، ويفتح القفل المعلق على البوابة الأمامية. «مرحباً بك في كنيسة فيلق الرب المقدسة. آمل إذا اهتديت لطريق الحق أن تكون إقامتك هنا طويلة ومثمرة. رغم أنني لست من يقرر ذلك».

تراجع بقيتنا إذ يفتح هورايزون البوابة. يمشي نيت عبرها ببطء، يومئ برأسه إلى إخوتي وأخواتي كل بدوره. ثمّ يبتسم حين يصل إليّ، وأشعر ببشرة وجهي تستحيل حمراء وحارة مثل سطح الشمس، وتنتابني رغبة في قول شيء ما، شيء ذكيّ ومضحك ورائع، لكنّ عقلي خاو تماماً لذا أحّدق به فحسب إذ يمرُّ أمامي.

- «سأرافقك إلى الكنيسة»، يقول هورايزون وهو يناول القفل لبير كي يعيد تعليقه. «يمكنك انتظار الأب جون هناك». يومئ نيت. «قد الطريق».

يرفع هورايزون بندقيته ويعلّقها على كتفه، ويمضي مع نيت نحو المبنى الذي ينتصب شامخاً في وسط القاعدة. تسير بقيتنا خلفهما حتى نصل إلى الساحة الإسفلتية حيث يفصل آموس عنّا ويتّجه نحو المنزل الكبير وهو يسترق النظر إلى الوراء من فوق كتفه بينما يمضي في طريقه. هورايزون يقود نيت صعوداً على درجات الكنيسة ثمّ إلى الداخل ويغلق الباب تاركاً بقيتنا في الخارج.

- «يا إلهي»، تقول أليس بنظرة تملؤها الشهوة لدرجة أنني كدث أتراجع فزعة. «قلبي لا يزال يخفق. إن لم يسمح له النبيّ بالبقاء فسوف أذهب معه حين يغادر».

- «انتبهي لألفاظك يا أليس»، يقول جاكوب.

- «لَمْ قد لا يسمح له الأب جون بالبقاء؟»، أسأل متجاهلة إياه.

- «لَمْ قد يسمح له؟»، يسأل لوك. «الناس لا يتجولون هنا هائمين على وجوههم بلا هدف. الأرجح أنه مسبب للمشاكل». «اسكت يا لوك»، تقول أليس. «أنت لا تعرف ما الذي تحدث عنه».

يهز لوك كتفيه. «سوف نرى».

- «أنت محق»، تقول أليس. «سوف نرى».

عند الطرف الشمالي من الفناء، يظهر الأب جون على شرفة المنزل الكبير ويشرع في السير باتجاهنا، وآموس من خلفه. يخيم الصمت على الحشد المتجمع بينما ينزل الأب جون درجات المنزل الكبير، وشعره الطويل الداكن يتطاير فوق كتفيه. هو يرتدي قميصاً رمادياً وبنطال جينز أزرق باهت، ملامحه صارمةً وجديةً، لكنه مع ذلك يأخذ لحظةً كي يومئ باتجاهنا بينما هو يشق طريقه نحو الكنيسة ثم يختفي بداخلها. يعود آموس لينضم إلينا مع تكشيرة على وجهه المتغضن.

- «ماذا قال النبي؟»، يسأل لوك.

- «الأب جون لا يعبر عما يجول بخاطره لأمثالي»، يقول آموس. «سوف يتحدث إلى الرجل الجديد. ثم هو والرب سيتكلمان بالأمر، وبعدها سوف يخبرنا بالقرار الذي تم اتخاذه».

- «أعتقد أن علينا السماح له بالبقاء»، تقول أليس.

- «أه، أه»، يقول آموس. «أعتقد أنني أعرف أي جزء منك أتى بهذا الرأي».

تضيق علينا أليس. «لا تتحدّث إليّ هكذا، يا آموس. لا داعي لذلك».

يهزّ آموس كتفيه ويدير ظهره لها. تقف بقيتنا بصمتٍ وبلا حراك في انتظار الأب جون ليعلن حكم الرب على نيت تشايلدرس. تمرّ الدقائق بينما شمس الظهيرة البلاهبة تحتل كبد السماء، وأنا وإخوتي وأخواتي نصيخ السمع بحثاً عن أي تلميح حول ما يجري داخل الكنيسة.

أخيراً، وبعد ما بدا أنّها ساعات طويلة، فُتح الباب الخشبي الطويل، وخطا الأب جون خارجاً عبره، بملامح جامدة وغير قابلة للقراءة. يلحق به هورايزون ونيت نزولاً على درجات الكنيسة وعبر الفناء، ثمّ يتوقّفان عندما يتوقّف النبيّ بمواجهة الحشد.

- «لقد جيء إلينا برجل»، يقول الأب جون. يرتفع صوته ويتدحرج عبر نسيم الصحراء اللطيف، هادراً ومقنعاً بلا تكلف. «يبقى أن نرى ما إذا كانت لديه القدرة على أن يكون أخاً حقيقياً في فيلق الرب أم ينبغي نبذه بصفته خادماً للشيطان. يبقى أن نرى، والحقيقة لن تُكشف على يد أيّ شخصٍ هنا. لذا، يمكن لهذا الرجل أن يقضي الليل داخل أسوارنا، بينما يصلي كلُّ واحدٍ منّا كي يجلو الرب حقيقة هذا الأمر. وحين يحلّ الصباح، لا شكّ لديّ أنّ الرب سيعلن عن رغباته. الربّ طيّب».

- «الربّ طيّب»، يردّد كلُّ من في الساحة بمنّ فيهم أنا. يومئ الأب جون لنيت، ثمّ يلتفتُ إلى هورايزون. «هناك سريرٌ فارغ في المبنى 12. أعطه بطّانية، واحرصْ أن يحصل على شيءٍ ليأكله».

- «نعم، يا أبت»، يقول هورايزون.

يومئذ الأب جون برأسه، ثم يشق طريقه عائداً إلى المنزل الكبير دون أن يقول كلمةً أخرى. يستعرض نيت الحشد بابتسامةٍ على وجهه، ابتسامة بدت - لي على الأقل - مشوبةً بالقلق بعض الشيء.

- «لقد سمعتم الأب جون»، يقول هورايزون. «من سيدلُّ هذا الرجل —».

- «أنا»، أقول بصوتٍ عالٍ. «أنا سأخذه إلى المبنى 12».

يبتسم هورايزون لي، ويهزُّ رأسه. ينظر نيت باتجاهي رافعاً حاجبه بينما أحسُّ بنظرة أليس الساخطة تحرق مؤخرة عنقي.

- «حسنٌ إذاً»، يقول هورايزون. «نيت، سوف تُريك مونيم أين تضع متعلقاتك الشخصية. ذاك المبنى الطويل شرق الكنيسة هو قاعة جنود الفيلق. انضمَّ إلينا هناك بعد ثلاثين دقيقة لتناول الغداء».

يبدأ الحشد في التفرّق، هم يتمتمون فيما بينهم بحماس. لستُ متفاجئةً بذلك؛ مرَّ أكثر من عامين منذ أن انضمَّ أحدٌ ما إلى الفيلق بأية طريقة بخلاف ولادته فيه. يؤرّجح نيت حقيبتَه على كتفه ويمشي باتجاهي، وابتسامةٌ عريضة تعلو وجهه.

- «مونيم»، يقول لي. «إنَّه اسمٌ جميل».

يا ربّ، خذ روحي، دعني فقط أرتقي إليك الآن، فلا شيء في الدنيا سيكون أفضل من هذه اللحظة.

- «شكراً»، أتدبّرُ بصعوبة قول هذه الكلمة، وفجأةً أدرك على نحو لا يصدّق أنّ صوتي سخيف وعالٍ ومتهدّج مثل صوت قطة في خضمّ شجار، ولا أستطيع أن أفهم لماذا لم يخبرني أحدٌ بذلك قبل الآن، وإذا أفكر بصدق ألاّ أتحدّث مجدداً لبقية حياتي يطلب منّي الصوت في مؤخرة رأسي أن أهدأ. آخذ نفساً عميقاً وأشير شمالاً. «من هنا».

- «امضي بنا»، يقول لي . «ثمّة حوض استحمامٍ ساخن في هذا المكان، أليس كذلك؟» .
أعبسُ وأقول: «إنّه صندوقٌ خشبيّ كبير»، أقول له . «يوجد به سرير، وربّما بعض الرفوف» .
يضحك، فتستحيل أحشائي حمماً بركانية . «أنتِ وأنا سنكون صديقين، يا مونييم»، يقول لي . «يمكنني معرفة ذلك منذ الآن» .

بعد

- «متى وصل نيت تشايلدرس إلى مجمّع الفيلق؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.
- «لا أحبّ تلك الكلمة»، أقول مكشّرة.
- «مجمّع؟».
- أومئ برأسي.
- «أنا آسف»، يقول لي. «لن أستخدمها بعد الآن».
- «شكراً لك».
- يدوّن شيئاً في أحد دفاتره. «إذاً متى وصل نيت؟».
- «قبل فصلّي صيف».
- يسجّل ملاحظة أخرى، ثمّ يرجع مسنداً ظهره إلى الكرسيّ ويتسم لي. «لم أخبرني بهذا يا مونييم؟».
- «ظننتُ أنّه لا يهمّ ما الذي أخبرك به؟».
- «إنّه لا يهمّ بالفعل»، يقول لي. «أتساءل فقط ما إذا كانت هذه ذكرى سعيدة؟».
- أفكر ملياً في سؤاله. إنّ كلّ شيءٍ ملطّخ وملوّث بما حدث لاحقاً، وذكرياتي مسودّة ومتشابكة ومشوّهة، لكنني أحاول أن أتذكّر كيف شعرتُ يوم وصول نيت، كيف شعرتُ حقّاً، وكم سررتُ حين أعلن الأب جون أنّه سيُسمح له بالبقاء.

- «نعم»، قلتُ أخيراً. «إنّها ذكرى سعيدة».

- «لماذا؟»، يسألني.

- «لأنّ نيت كان صديقي».

نجلس صامتَيْن لبرهةٍ طويلة. ينظر إليّ بنصف ابتسامةٍ على وجهه، ولا فكرةٍ لديّ ما إذا كنتُ قد أخبرتهُ بقصّةٍ أراد سماعها، وما إذا كان ذلك سيكون جيّداً بما فيه الكفاية - في الوقت الحالي على الأقل. يرغب الأب جون ويزبد مهتاجاً في رأسي، يصبّ جام غضبه ولعناته عليّ لأنني بحثُ بأيّ شيءٍ إلى شخصٍ غريب، إلى طبيب نفسيٍّ من بين كل البشر، ونظرة الدكتور هيرنانديز ثابتة وابتسامته تبدو حقيقية، وأجدُ حقّاً صعوبةً في تكوين قراءةٍ عنه، وهو ما أعتقد أنّه شيءٌ مدروسٌ ومتعمّدٌ من جانبه لكنّه أيضاً محبّطٌ بحق. في النهاية، وبعد ما بدا وكأنّها ساعاتٌ من الصمت غير المريح لكنّه ليس غير مريحٍ بالكامل أيضاً، نظر الدكتور هيرنانديز إلى ساعته.

- «لا يزال الوقت باكراً بعض الشيء»، يقول لي. «لكن أعتقد أنّني أوّد إنهاء هذه الجلسة إذا كنتِ موافقةً على ذلك؟».

أحاول ألاّ أسمح للارتياح الذي تدفق في عروقي بالظهور على ملامحي. «هذا يناسبني تماماً»، أقول له.

- «قبل أن ننهي جلسة اليوم، ثمة شيءٌ أريد أن أسألك إياه. هل يمكنكِ إخباري أين كنتِ تعيشين داخل مجمّد... داخل ملكية الفيلق؟».

- «لماذا؟».

- «استعدنا عدداً من الممتلكات الشخصية من المباني بعد إخماد الحريق. نرغب في إعادة أكبر عددٍ ممكن منها إلى أصحابها».

يخفق قلبي بقوة. «ماذا وجدتم؟».

- «هل تفكرين في شيء محدّد؟».

- «لا»، أكذبُ عليه.

- «إذاً هل يمكنك إخباري أين كنتِ تعيشين؟».

- «المبنى رقم 9»، أقول له. «كان بناءً مربعاً في الزاوية

الجنوبية الغربية. كانت غرفتي في الطرف الغربي الأقرب للسياح».

يومئذٍ الدكتور هيرنانديز برأسه، ويسجّل ملاحظة. يتسم إذ يرفع

عينيه نحوي مجدداً. «أنا سعيدٌ بالتقدّم الذي أحرزناه»، يقول لي.

«أعتقد أنها كانت بداية رائعة، كما أعتقد أنّه يجب أن تكوني فخورةً

بالكيفية التي تفاعلت بها هذا الصباح، وبأنّك كنتِ قادرةً على طرح

الأسئلة والإجابة عليها. سيكون ذلك جزءاً مهماً جداً من هذه

العملية بينما نمضي قدماً فيها. كيف تشعرين حيال ذلك؟».

- «لا أشعر بأيّ شيء»، أقول له، وهذه هي الحقيقة.

- «أفهم هذا»، يقول لي، وأنا متأكّدة من أنّه يعتقد نفسه

كذلك، رغم أنّه ما من سبيلٍ يجعله قادراً على الفهم حقّاً. «أودّ أن

تستمرّ هذه الجلسات لساعة كاملة حيثما أمكن ذلك، لكن ليس علينا

القلق بشأن ذلك اليوم. سوف أطلب منك موافاتي كلّ صباح. كيف

يبدو ذلك؟».

- «هل لديّ خيار؟»، أسأله.

يتسم لي. «بالطبع لديك الخيار، لكنني أعتقد أنّ الروتين

سيكون مهماً للغاية، و... ماذا؟».

أنا أبتسم، لا أستطيع منع نفسي.

- «لا شيء»، أقول له.

يميل رأسه قليلاً. «هل أنتِ متأكّدة؟».

- «أنا متأكّدة».

- «حسنٌ»، يقول رغم أنّه يبدو على نحوٍ جليّ أنّه لا يصدّقني.

مكتبة

t.me/soramnqraa

«كما كنتُ أقول، أعتقد أنَّ الروتين سيكون مهمًّا جدًّا لجهة إحراز تقدّم ملموس، وأنا أعرف أنَّ كلينا يريد أن تخرجني من هذا المكان في أقرب وقتٍ ممكن».

أمين لذلك.

أومئ برأسي.

- «عظيم»، يقول لي. «هل ثمة شيء آخر تودّين أن تسأليني عنه قبل أن ننهي اليوم؟».

أفكر لثانية أو اثنتين، وأدرك أنَّ ثمة سؤال. «هل تتحدّث مع إخوتي وأخواتي أيضاً؟».

- «أنا شخصيًّا أعمل معك ومع اثنتين أخريين من الناجين»، يقول لي. «زملائي يعملون مع الستّة عشر الآخرين».

- «مَن؟»، أسأله.

- «المعذرة؟»

- «مع مَن تتحدّث بالإضافة إلَيَّ؟».

- «أخشى أنَّ هذه معلومات سرّية»، يقول لي. «رغم أنَّ الجلسة الأخرى التي سأطلب منك المشاركة فيها ستجعل من السهل عليك معرفة ذلك».

أعبس. «أيّ جلسةٍ أخرى؟».

- «أنا وأنتِ سنلتقي في العاشرة كلّ صباح، بعد أن تكوني قد تناولتِ فطورك»، يقول الدكتور هيرنانديز. «وجبة غداك محدّدة عند الثانية عشرة والنصف. بعد ذلك سأطلب منك المشاركة في نشاطٍ يسمّى التفاعل الاجتماعي الخاضع للإشراف».

- «ما هذا؟».

- «إنّه نوعٌ من العلاج الجماعيّ الذي يسمح لي ولزملائي بمتابعة تفاعلات الأشخاص الذين نجّوا من تجارب مروّعة، كما

يخلق العلاج مساحةً لتلك التفاعلات كي تتطوّر بصورة عضوية داخل بيئة خاضعة للرقابة».

أحدّق فيه . كانت هناك الكثير من الكلمات التي لم أفهمها فيما قاله للتوّ . «إذا سأكون أنا وأنت وبقية زملائك؟» .
يتسم ويهزّ رأسه . «ليس تماماً» .

في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف، تظهر الممرضة هارو مع وجبة غدائي . اليوم هي عبارة عن رغيف اللحم والبطاطس المهروسة مع صلصلة حمراء زاهية وحلوة المذاق مثل الكراميل، لكنني جائعة حقاً لذا أجلس إلى المكتب وأتناولها بينما أفكر في الدكتور هيرنانديز .

أنا لا أثق به . رغم أنّ جزءاً يائساً وتوّاقاً منّي يريد ذلك، إلّا أنّه ليس بوسعي الوثوق به . أظنّ هذا يكاد يكون من نافل القول، رغم أنّ السبب فيه ليس لكونه غريباً - مع أنّ هذه لا تزال أوّل فكرة تخطر ببالي حين أفكر به . إنّ سبب كوني لا أستطيع الوثوق به هو أنّني لا أعرف - في الوقت الراهن - حقاً ما الذي يريده .

أودّ أن أصدّق أنّه ليس لديه مآرب سوى مساعدتي على التحسّن كي أتمكّن من مغادرة هذا المكان، لكن ليس بوسعي السماح لنفسي بتصديق ذلك . لقد مات الكثير من الناس - سبعة وستون شخصاً إذا كانت القائمة التي قرأها الرجل لي في المستشفى دقيقة - وأنا أعرف أشياء، وفعلت أشياء، سوف يريد منّي الدكتور هيرنانديز أو الأشخاص الآخرون الذين ذكرهم التحدّث عنها . وهي أشياء لا يمكنني أن أخبر أحداً بها .

سبعة وستون شخصاً، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي، جميعهم موتى .

أشعر بغصّة في حلقي.

لكن ثمانية عشر آخرين لا يزالون على قيد الحياة، يتابع الصوت. تسعة عشر، بمن فيهم أنت. لا بدّ أنّ هذا يعني شيئاً ما. أغمضُ عينيّ لأنني لا أستطيع التفكير في هذا الآن، في أيّ من هذا كلّهُ. يظهر لي وجه الدكتور هيرنانديز طافياً في العتمة بجانبني، وتصيبني الدهشة لكنني أجبر نفسي على التركيز عليه إلى أن تنحسر الغصّة من حلقي ويصفو ذهني، وأشعر في النهاية بشيء أقرب إلى أن أكون بخير مجدّداً.

مع تقدّم الجلسة في غرفة المقابلات رقم 1، فوجئتُ بشيئين. الأول، أنّني ألفتُ نفسي راغبةً في إخبار الدكتور هيرنانديز ببعض الأشياء؛ والثاني، بدا الأمر وكأنّه لربّما يكون من الجيد أن أفعل ذلك. أنا على دراية بالطب النفسي رغم أنّ الأب جون أوضح لنا جيّداً بعد التطهير أنّ جميع وسائل العلاج بخلاف الصلاة ما هي إلّا أدواتٌ للشيطان. لقد تحدّثتُ أمّي عن الأمر من حينٍ لآخر رغم أنّه لم يكن يُفترض بها أن تفعل، وذلك أثناء تلك اللحظات النادرة التي تحدّثتُ معي فيها عن والدي. يبدو أنّه كان يتحدّث إلى شخصٍ ما كلّ أسبوعٍ إلى أن انتقل مع أمّي إلى القاعدة، ورغم أنّ أمّي كانت تطلق على الشخص الذي تحدّث إليه والدي لقب المعالج، إلّا أنّني متأكّدة من أنّهما الشيء نفسه. أخبرتني أمّي أنّ وظيفة المعالج هي تهدئة الناس وحملهم على الانفتاح والتحدّث عن أشياء صعبة ومؤلمة.

استجوابهم! يصرخ الأب جون في رأسي. هتُك أرواحهم وتمزيقها إلى أشلاء! تدنيسهم! الحكم عليهم بالبحيم!
يهدر صوته ويتردّد صداه في رأسي، يبعث بقشعريرة على طول عمودي الفقري، رغم معرفتي بأنّه ليس حقيقياً. أصرخ به في صمتٍ

أن يخرس، لأنني أريد أن أصدق أن الدكتور هيرنانديز كان يقول الحقيقة حين أخبرني بأنه ليس عدوي، وأنه بصدق لا يضمر لي أيّ شر. أريد حقاً أن أصدقه. أنا فقط لا أستطيع ذلك. ليس بعد.

أنهي طعامي وأستلقي على سريري. يمكنني عبر النافذة الصغيرة المرگبة على ارتفاع عالٍ بحيث لا يمكن لأحد الوصول إليها رؤية مستطيل ضيق من السماء. أستذكر السماء في القاعدة، الأزرق الواسع القاحل في النهار، الساطع لدرجة أنك بالكاد تستطيع النظر إليه، والعتمة اللانهائية في الليل، حيث تنبسط النجوم وصولاً إلى الأرض، وتتوهج السماء بتريليون نقطة بَرّاقة.

ترتفع الدموع في زاويتي عينيّ ثم تنسكب نزولاً على خدي، ويهمس الصوت الهادي في مؤخرة رأسي مخبراً إياي بأنني يجب أن أكون قويّة. أعرف أن هذا صحيح، لكن المعرفة لا تجعل الدموع تتوقف ببساطة، لأنّ كوني قويّة لا يعني أنّه لا يُسمح لي أن أفقد إخوتي وأخواتي والسماء والشمس والصحراء. يمكنني أن أفعل كلاً الأمرين، فلا شيء جيّد بالمطلق، ولا شيء سيّء بالمطلق. كلُّ شيء في مكان ما في المنتصف.

أجلس إذ أسمع الصوت المألوف بالفعل لقفل يدور، وألقي نظرة على الساعة، حيث تشير الأرقام إلى 1:55. يُفتح باب غرفتي وتسالني الممرضة هارو إن كان الدكتور هيرنانديز قد أخبرني عن جلسات التفاعل الاجتماعي الخاضع للإشراف. أومئ برأسي، وتخبرني أنّ الوقت قد حان.

أنهض وألحق بها عبر ممرّ طويل، نجتاز باباً بعد بابٍ مطابق للذي سبقه، حتّى نصل واحداً مع لافتة على الحائط بقربه كُتب عليها العلاج الجماعي. تفتح الممرضة هارو الباب وتقف جانباً، ولثوانٍ

أَظْلُ بلا حراك. أَقِف في الممرّ الرمادي فحسب، وأصغي.
يمكنني سماع أصواتٍ داخل الغرفة، لكنّها لا تبدو أصوات
بالغين، بل أصوات أطفال عاليةٍ وعصبيّة.

ثمّ تعرّفتُ على صوت، ومن ثمّ صوت آخر، وآخر، فيخفق
قلبي بقوةٍ في صدري، وأركض مجتازةً الممرّضة هارو المبتسمة ثمّ
عبر الباب، وكان لديّ من الوقت ما يكفي فقط كي أمرّ سريعاً على
وجوه إخوتي وأخواتي الصغار قبل أن يظهر لوك قبالتني ليطالب
بمعرفة ما الذي كنتُ أخبر الغرباء به.

تخرج الكذبة تلقائياً. «لا شيء»، أقول له. «لم أخبرهم بأيّ
شيء».

- «من الأفضل ألا تفعلني»، يقول لوك. «من الأفضل أن تبقي
فمك مغلقاً».

أنظر إليه. يبدو غاضباً كما لم أراه من قبل، وهو ما ينبئ بشيءٍ
ما - بشرته محمّرة، عيناه تقدحان شرراً، ويداه مسندتان إلى جانبيه.
وخلفه يمكنني رؤية هوني ولوسي ورينبو وجيرمايا وكل الآخرين
واقفين قرب الجدار الخلفي للغرفة الأكبر بكثير من غرفة المقابلات
حيث أتحدّث إلى الدكتور هيرنانديز، وهي مليئةٌ بالكراسي
والطاولات والألعاب. هم يحدّقون بي وعلى وجوههم ابتسامات
رائعة فيمتلئ قلبي بالسرور والارتياح لكنّ الصوت في مؤخرة رأسي
يطلب منّي أن أكون حذرة.
حذرةً جدّاً.

- «قلتُ إنني لم أخبرهم بشيء، ابتعد يا لوك»، أقول له.
يمسك بذراعي ويضغط عليها بقوة. تنقلب براجمه بيضاء من
شدّة الضغط وأنا أتألّم حقّاً، لكنني أرفض أن أسمح للألم بالظهور
على ملامحي، وأبقي عينيّ مثبتتين على عينيه.

- «أفْلَيْتُهَا، يا لوك»، تقول هوني. «ليس لديك الحق في استجواب أحد. لم يضعك أحد في موقع المسؤولية».

يستدير لوك بسرعة نحوها. «أنتِ اخِرسِي! يجب أن تكوني في الجحيم الآن بسبب ما فعلته، لذا أغلقي فمكِ اللعين! لا أحد يرغب في سماع هرطقتكِ!».

- «قد تكون على حق»، تقول هوني. «لكنني لستُ في الجحيم. أنا هنا. فلم لا تفلتها يا لوك؟ أنت لا تثير إعجاب أحد».

- «ما كان ينبغي بهم أن يسمحوا لك بالخروج من ذلك الصندوق أيتها العاهرة الصغيرة»، يبصق لوك. «كان يجدر بهم تركك تموتين هناك».

تنقبض معدتي، لكنّ هوني تحدّق في لوك وحسب؛ عيناها صافيتان، وبشرتها شاحبة. هي في الرابعة عشرة فقط، لكنّها أشجع شخصٍ أعرفه. أكثر شجاعة مني بكثير.

- «هذا يكفي، يا لوك»، أقول مجبرةً الهدوء الذي لا أشعر به على الظهور في صوتي. «أنا لم أقل شيئاً. اهدأ فحسب».

يستدير كي يواجهني مجدّداً، وأرى - بوضوح وعلى نحوٍ فظيع الآن - الجنون المزبد في عينيه والذي لم أُميّزه إلا بعد فوات الأوان. «الربُّ يختبرنا»، يقول بصوتٍ يرتفع ويرتعش. «إنّه يستمع إلى كلّ كلمةٍ نقولها. إنّه معنا في هذه الغرفة الآن».

- «أصدّقك»، أقول له. «هل يمكنك أن تفلت ذراعي، من فضلك؟ أودّ معانقة إخوتنا وأخواتنا».

يغرز أصابعه بقوة في لحمي، ثمّ يحرّر قبضته أخيراً. أراجع مبتعدةً عنه، ثمّ أستدير وأذرع الغرفة وصولاً إلى هوني وأخذها بين ذراعيّ. وبينما يركض الآخرون نحونا، أهمس لها بهدوءٍ شديد بحيث لا يسمعي أحد.

- «أعلم أنه ينبغي أن يكون لديك بعض الأسئلة بخصوص الطريق، تذكّري فقط إلام يرمز أوّل حرف "S"».

أفلّتها. تنظر في عينيّ وتومئ برأسها بينما يرتطم بنا بقيّة إخوتنا وأخواتنا ويكادون يتكوّمون فوق بعضهم وهم يعانقونني بأذرعهم الصغيرة، ويخبرونني كم هم سعداء برؤيتي بعد أن اعتقدوا أنني ارتقيتُ مع الآخرين وأنهم سعداء حقّاً لأنني لم أفعل. أرى الانتفاخات السميكة الأرجوانية والسوداء على وجه لوسي، وأشعر بالدموع تسيل على خديّ للمرة الثانية اليوم. ليس لأنني من تسبّبتُ لها بالكدمات، رغم أنني قد أكون فعلتُ ذلك أيضاً، بل لأنّ هذا ليس جيّداً أبداً - مجموعة من الأطفال الخائفين المحبوسين داخل مبنى مليء بالغرباء - ليس شيئاً صحيحاً، ليس شيئاً كان يجب أن يُسمح بحدوثه.

ما كان ينبغي بحالٍ من الأحوال أن تصل الأمور إلى ما وصلت إليه.

- «ماذا كانوا يسألونك؟»، تسأل أورورا؛ إحدى ابنتي أليس. تجتاح ذهني صورة دماء تتسرّب داخل رمال الصحراء، وأدركُ فجأةً - أدركُ حقّاً، رغم أنني كنتُ أعرف بالفعل - أنّ أورورا وأختها وينتر قد أصبحتا يتيمتين الآن.

يا إلهي.

إنّهما في السادسة والخامسة من عمرهما، وهما الآن يتيمان.

يا إلهي.

- «لا شيء»، أقول لها. أتملّص من عشرات القبضات الصغيرة وأنهض واقفة. «في الحقيقة، لقد كنتُ في المستشفى حتّى قبل يومين».

- تشير أورورا إلى الضمادات الملفوفة حول يدي. «هل أصبت بحروق؟».
- أومئ برأسي.
- «هل تؤلمك؟».
- أرسم لها أشجع ابتسامة لديّ، وأكذبُ قائلة: «الأمر ليس بهذا السوء، لكنّ وجودي في المستشفى عني أنني لم أتحدّث إلى أيّ أحدٍ هنا حتّى صباح الأمس. ماذا كانوا يسألونك؟».
- «عن حياتي»، تقول أورورا. «عن ما كنّا نفعل كلّ يوم، ما كنّا نأكل. هذا النوع من الأشياء».
- «هل تتحدّثين إلى الدكتور هيرنانديز؟»، أسألها.
- تهزُّ رأسها. «الدكتورة كيلى. إنّها لطيفة بالنظر إلى كونها غريبة. هي تطلب منّي دائماً أن أرسم أشياء».
- «آية أشياء؟»، يسأل لوك. أنظر حولي، فأرى على وجهه تكشيرة كبيرة قد جعدت جبينه.
- «قالت إنّ ذلك لا يهمّ»، تقول أورورا. «أيّ شيءٍ يخطر ببالها».
- «ماذا رسمتِ إذا؟»، أسألها.
- «الحصان وحيد القرن».
- أبتسمُ لها. «هل من شيءٍ آخر؟».
- «رسمتُ الأب جون. رسمته فوق حصانٍ ذهبيّ يدوس خدّمة الشيطان».
- يتحوّل عبوس لوك إلى ابتسامةٍ عريضة بينما تذوي ابتسامتي.
- «ماذا قالت الغريبة عن ذلك؟»، يسألها.
- «لم تقل شيئاً»، تجيب أورورا. «وضعتِ الرسم في ملفّ وسألتني عن الدراسة».

- «فتاة طيبة»، يقول لوك. «لا تخبريهم بأي شيء. التزمي طريق الحق مهما قالت لك. الرب طيب».

- «الرب طيب»، تقول أورورا وعيناها تلمعان. معظم الآخرين - وإن لم يكن جميعهم - يرددون معها، ويحدّق لوك بي إلى أن تمتت الكلمات أيضاً.

- «الغرباء يكذبون»، يقول وهو يستدير ليوواجه الأطفال. «أصغوا إليّ إذ أقول لكم ذلك. الغرباء يكذبون. ثمة مرضٌ يعمي قلوبهم؛ ظلمةٌ زرعها الشيطان بنفسه هناك ورعاها. لقد حدثت معجزةٌ أمام أعينهم، ارتقاء النبي وإخوتنا وأخواتنا إلى مكانهم اللائق بجانب الرب، لكن هل رأوا ذلك؟ هل جثوا على ركبهم ونبذوا هرطقتهم؟ هل طلبوا المغفرة؟ لم يفعلوا شيئاً من ذلك، لأنّ عقولهم المسمومة ما كانت لتسمح لهم بقبول حقيقة ما شهدوه. أشفقوا عليهم إذا توجّب عليكم ذلك، لكن إياكم أن تنسوا من هم، ومن يخدمون. سوف يحاولون قطع صلتنا بالرب، سوف يحاولون حرقنا عن طريق الحق الذي كنّا لوحدنا صادقين بما يكفي لنسلكه، لكننا لن نسمح لهم بذلك. لن نسمح لهم، لأنّ مجدنا أبديّ، وكلُّ واحدٍ منكم يعرف أنّ هذه هي الحقيقة. إنّ إيماننا في موضع اختبار، لكنّ هذه الغُمة ستنجلي بشرط أن نظلّ أقوياء في صفّ الرب. وزمننا سوف يسود بأسرع ممّا نتوقع».

يسكتُ لوك. أحدّقُ فيه برعبٍ يرّجُ معدتي بعنف، أنضرعُ بصمتٍ ألا تنطق هوني التي كان وجهها مغلفاً بقرفٍ لا تستطيع - أو لا تريد إخفاؤه - أنضرعُ ألا تنطق بكلمة. ينبغي بي الافتراض أنّ الدكتور هيرنانديز وزملاؤه يشاهدون هذا، وأنهم لن يسمحوا بحصول مكروه لأحدٍ منّا، لكنّ هذا المكان يبدو في هذه اللحظة أبعد ما يكون عن المكان الآمن الذي أخبرني أنّ جلسات التفاعل

الاجتماعي الخاضع للإشراف توقّره، ولا أحبُّ أن أفكر فيما قد يفعلهُ لوك إذا ما تحدّثتْ هوني ضدّه.

يحدّقُ في الوجوه المنتشية لإخوتنا وأخواتنا الصغار، ثمَّ يستدير وينظر إلى الزاوية العليا القريبة في الغرفة. أنظر إلى حيث ينظر، وأرى كاميرا موجهةً إلينا.

- «ولخدّمة الشيطان أقول هذا»، يقول لوك. «يمكنكم محاولة إفسادنا، وهدم إيماننا، وتمريغنا في القذارة. نحن نرحّب بمحاولاتكم، لأنّنا صادقون ولا نخاف. ها نحن نقف هنا أمامكم. نقف هنا، وعندما يرى الرب ذلك مناسباً سوف نرتقي لنكون إلى جانبه بينما أنتم ترحفون على بطونكم عبر نيران الجحيم إلى أبد الآبدين».

يحدّق لوك في الكاميرا بصمتٍ لبرهةٍ طويلة، ثمَّ يدير ظهره لها ويركع على ركبتيه ويقول: «صلّوا معي».

يذهب الأطفال إليه طوعاً، يأخذون بأيدي بعضهم البعض ويشكّلون دائرة. تحافظ هوني على أبعد مسافة ممكنة بينها وبين لوك، وأنا سعيدةٌ لأنّها فعلتْ ذلك، لأجلنا نحن الاثنين. آمل أنّها فهمتْ ما همستُ لها. هناك أشياء يجب أن تعرفها، أشياء يمكنني أنا فقط إخبارها بها، لكنني لا أستطيع فعل ذلك عندما أعرف أنّ الآخرين ينصتون.

أجثو على ركبتيّ، وتمسك أورورا يدي المضمّدة برفق بينما تقبض رينبو على يدي الأخرى بإحكام. قبل أن يغمض عينيه ويطلق برأسه، يرمقني لوك بنظرةٍ طويلة وباردة، وتصلني رسالته واضحةٌ تماماً.

أنا أراقبك.

أنا لا ألومه مع ذلك. حقّاً لا ألومه. لقد كان مرتاباً منّي لوقتٍ

طويل قبل الحريق، وكان محققاً في ارتيابه. هو محقٌّ في ارتيابه.
فهذا هو الشيء الذي لا يعرفه أحد، الشيء الذي لا يمكنني إخباره
للدكتور هيرنانديز أو لأيٍّ أحدٍ آخر.

بسببي أصبحت أورورا ورينبو والعديد من إخواتهما وأخواتهما
أيتاماً، وبسببي مات الكثيرون.
هذا كلّ خطأي.

بعد

راودتني الكوابيس مجدّداً. ليست سيّئة بقدر المرّة الماضية، لكنّها لا تزال سيّئة. نارٌ ودم.

عندما عدتُ إلى غرفتي في الأمس بعد جلسة التفاعل الاجتماعي الخاضع للإشراف، كانت ثمّة حقيبة على المكتب. حدّقتُ فيها لبرهةٍ طويلة قبل أن أفتحها بأصابع مرتجفة، إذ يمكنني من خلال البلاستيك الشّفاف رؤية أشياء رأيتها آخر مرّة في غرفتي داخل القاعدة. السكاكين ذات المقابض المحفورة لم تكن موجودةً هناك، كما اختفتُ صورة جدّيّ والورقة من دفتر يوميات والدي، فمن المفترض أن تكون قد تحوّلت إلى رماد مع كلّ شيءٍ آخر تقريباً. لم تكن رسالتي في الحقيبة؛ لا يفاجئني ذلك. نجا صدف البحر، والساعة المتوقّفة. ساعة والدي.

مررتُ بأصابعي فوق سطحها الزجاجي عندما استيقظت، ورأسي لا يزال متخماً ببقايا الأحلام السيّئة. ثمّ أعدتُ كلّ شيءٍ إلى الحقيبة، وانتظرتُ وصول الممرّضة هارو مع إفطاري.

لم أكل كثيراً.

حين عادت الممرّضة هارو كي تأخذني إلى جلسة اليوم مع الدكتور هيرنانديز، سألتني إن كنتُ على ما يرام، فكذبتُ وقلّتُ

نعم. لا أعتقد أنّها صدّقني تماماً، لكنّها لم تضغط عليّ بهذا الشأن وهي ترافقني إلى غرفة المقابلات رقم 1، وقد كنتُ ممتنةً لها لذلك.

- «كيف حالك هذا الصباح، يا مونييم؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أجر جر نفسي على الأريكة، وأهزّ كتفيّ.

- «هل نمتَ جيّداً؟».

أهزّ كتفيّ.

- «هل —».

- «هل كنتَ تراقب؟»، قاطعته. «بالأمس، أقصد عندما كنّا جميعاً معاً».

يومئ برأسه. «جلسات التفاعل الخاضع للإشراف مراقبةٌ دائماً».

- «إذاً هكذا كان يُفترض أن تسير الأمور؟»، أسأله. «طنتَ أنّه لا بأس بذلك؟».

- «ليس من المفترض أن تسير على أيّ نحوٍ محدّد، إنّهُ تفاعلٌ عضوي. يسير في الاتجاه الذي يمليه المشاركون».

- «لكن يُفترض بهذا أن يساعد، أليس كذلك؟»، أقول له.

- «ذاك هو القصد بالتحديد»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هل لي أن أسأل ما الذي يزعجك يا مونييم؟ هل هو ما قاله لوك؟».

أليس هذا واضحاً؟

- «أظنني لا أرى كيف يكون سماع مثل هذه الأشياء مساعداً للآخرين»، أقول له.

- «أفهم ذلك»، يقول لي. «أفهمه تماماً. لكنّ سير العملية بالنسبة للوك يختلف عن سيرها بالنسبة لك، ولهوني، ورينبو وأيّ

شخصٍ آخر. البشر يتعاملون مع الصدمة بأساليب مختلفة جداً». - «ألا ترى أنه من الخطير السماح له بالتحدّث على هذا النحو؟».

يتكئ الدكتور هيرنانديز على كرسيّه. «هل حقّاً تعتقدان أنّ ما قاله لوك خطير، أم يصعب عليك سماعه لأنّك لا تصدّقينه؟». أحدّقُ به بينما يصرخ الأب جون في رأسي، ويقول لي إنّ المهرطق فقط قد يقترب من الوقوع في مثل هذا الفخّ الواضح، فقط شخصٌ غبيّ وزائف وعديم النفع.

- «لو اعتقدتُ أنّ ما فعله لوك كان خطيراً»، قال أخيراً، «فما كنتُ لأسمح باستمرار الجلسة. لقد وعدتُك بيئةً آمنة، وتلك بالتأكيد أولويتنا القصوى. غالباً ما تنطوي جلسات التفاعل على جدلٍ حادّ، وحتىّ خلافات يمكن أن تقود إلى نقاشاتٍ تحمل طابع التحديّ، لكنّ البيئة متحكّمة بها وتتمّ مراقبتها على مدار اللحظة. ليس هناك ما يدعوكَ للقلق».

- «حسنٌ»، أقول له. لا أصدّقه للحظة، لكنني لا أرى فائدةً من إخباره بذلك. يمكنني فقط أن أمل أنّه محقّ وأنني مخطئة.

- «هل تودّين مواصلة الحديث عن جلسات التفاعل الاجتماعي؟»، يسألني. «لا مشكلة على الإطلاق إن كان هذا ما تريدينه».

أهزّ رأسي.

يومئ لي. «لا بأس. عظيم. أودّ أن —».

- «هل لديك أيّ أطفال؟»، أسأله. خطر هذا السؤال ببالي الليلة الماضية بينما كنتُ أنتظر أن أغطّ في النوم، وإذا لم أطرحه الآن فسوف أنساه بحلول الوقت الذي ننتهي فيه من الحديث عن الموضوع الذي يريد الانتقال إليه أيّاً يكن.

يعبس الدكتور هيرنانديز. «لَمْ تسألين؟».

- «قلتَ لي إنَّ عملَكَ هو مساعدة الأطفال»، أقول له. «أتساءل فحسب إن كان لديك أيُّ أطفالٍ من صلبك».

- «هذا عادلٌ بما فيه الكفاية»، يقول الدكتور هيرنانديز. «إنَّه سؤالٌ شرعيٌّ تماماً. الجواب هو لا، ليس لديَّ أطفال. هل يقلقك هذا؟».

تحبطني إجابته بعض الشيء. ظننتُ أنَّ السؤال قد يزعجه، وأنَّه لن يحبَّ أن أ طرح أنا عليه أسئلةً شخصية بدلاً من أن يكون الوضع معكوساً، لكن لا يبدو أن ذلك أزعجه على الإطلاق.

- «مونيم؟»، يقول لي.

لقد طرح عليك سؤالاً، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. هل يقلقك هذا؟ قل لي الحقيقة.

- «لا أعتقد أنَّ ذلك يهم»، أقول له. كنتُ قد فكَّرتُ في الأمر لبعض الوقت قبل أن أغط في النوم. «أعتقد أنَّك على الأرجح تستطيع أن تكون طبيباً بيطرياً بارعاً دون أن يكون لديك حيوانات».

يطلق ضحكةً أقرب للسعال، يبدو مذعوراً لجزء أو جزأين من الثانية، ثمَّ يستسلم ويضحك طويلاً وبصوتٍ عالٍ، وينقلب لون وجهه إلى الأحمر القاني. أبتسم رغم كونه وبشكلٍ واضح يضحك عليَّ، لكنَّه صوتٌ من الجميل سماعه.

- «أنا آسف»، يقول وهو يلهث ويحاول أن يستجمع نفسه. «لا يجب أن تظنِّي أنني كنتُ أضحك عليك. الأمر فقط أنَّ هذه أفضل مصادقةٍ على ما أفعله لكسب رزقي سمعتها في حياتي. سأذكّر أن أستخدمها مستقبلاً».

- «يسعدني أن أكون في الخدمة»، أقول وأنا لا أزال أبتسم.

«لَمْ ليس لديك أطفال؟».

- «أصببت زوجتي بمرضٍ حين كانت مراهقة»، يقول، فتختفي ابتسامتي. «هي بخير، لقد تعافت، لكنّ ذلك تركها غير قادرةٍ على الإنجاب».

- «أنا آسفة».

يومئ برأسه. «لا بأس. لكن، شكراً لك».

- «هل أنتما متزوَّجان منذ وقتٍ طويل؟».

- «لديك الكثير من الأسئلة هذا الصباح».

- «قلتَ لي إنّ الأسئلة شيءٌ جيّد».

يبتسم. «لقد قلتُ ذلك بالفعل. التقيتُ بزوجتي في الكلية. نحن متزوَّجان منذ ستّة عشر عاماً».

- «ما اسمها؟».

- «ماريون».

- «هل هي جميلة؟».

- «إنّها أجمل امرأةٍ في العالم».

أبتسم. «لا يبدو هذا مرجحاً. لا أقصد الإهانة».

- «لم أعتبرها كذلك»، يقول لي، والنظرة على وجهه تنبئ بأنّه يعني ذلك. «الحبُّ يغيّر طريقة رؤيتك لكلّ شيء. إنّهُ يعميك، لكن على نحوٍ جيّد. أنظرُ إلى ماريون ويمكن لعقلي أن يخبرني بموضوعية أنّها على الأرجح ليست أجمل امرأةٍ في العالم، لكنّ هذا لا يهمّ مطلقاً. هي كذلك بالنسبة إليّ».

تتسّع ابتسامتي. لا بدّ أنّه من اللطيف أن يكون هناك شخصٌ يفكّر بك على هذا النحو، أن تعلم أنّه من بين كل البشر على الكوكب، ما من أحدٍ أكثر منك يفضّلون أن يكونوا معه. ثمّ أعود بذاكرتي إلى الأب جون وكيف كان ينظر إلى إزمي وبيلا وأغافي وجميع الأخريات، فتتلاشى ابتسامتي.

ينتبه الدكتور هيرنانديز إلى ذلك، ويقول: «مونيم؟ هل أنتِ على ما يرام؟».

- «أنا بخير».

- «هل ثمة شيء آخر تودّين أن تسأليني عنه قبل أن نبدأ؟».

- «هناك شيئا إضافيان».

- «أعتقد أنه يمكنني تخمين الشيء الأوّل»، يقول لي. «أمك؟».

أومئ برأسي.

- «لقد قدّمتُ طلباً إلى رئيس وحدة المهامّ التي تضطلع

بالتحقيق في قضية فيلق الرّب للحصول على جميع المعلومات المتعلقة بوالدتك. لقد أقرّ باستلام الطلب، لكنني لم أسمع شيئاً عن الأمر بعد. سأعلمك حالما يصلني أيّ شيء».

- «شكراً لك»، أقول له، أنا لا أعرف ما هي وحدة المهامّ،

لكنني ممتنة له للسؤال. «أقدّر ذلك».

- «قلت لك إنّني سأفعل ذلك، حين قلت إنّني لن أكذب عليك

كنتُ أعني ما أقول».

ليس ثمة ردّ مناسب حقّاً على هذا، فالناس يقولون دائماً إنّهم

لن يكذبوا، لكنهم دائماً ما يفعلون. وإذا كنتُ أعرف ذلك، فلا بدّ

أنّه يعرفه أيضاً، فهو أكبر منّي بكثير وقضى حياته بأكملها في العالم

الخارجي.

- «ماذا كان سؤالك الثاني؟».

أخذ نفساً عميقاً. «ماذا سيحدث لي؟».

يتجهّم وجهه. «سنعمل معاً عبر هذه العمليّة، كما تحدّثنا

بالأمس. ثمّ سوف —».

- «ليس هذا ما أقصده»، أقول له. «لا أقصد هنا، في هذه

الغرفة. أعني ماذا سيحدث لي في كلّ شيء آخر».

- «أنا لا —» .

- «قلتُ إنّ هناك أشخاصاً آخرين أرادوا التحدّث إليّ . ماذا سيحدث عندما ستسمح لهم بذلك؟» .

يحدّثُ أحدنا في الآخر بصمتٍ لما بدا أنّه وقتٌ طويلٌ حقّاً . أحارب الرغبة في التلوّي والتفوق على الأريكة ، وأجبر نفسي على البقاء ثابتة والتقاط نظره في انتظار جوابه .

- «لا أعلم» ، يقول أخيراً . «أعلم أنّ هذا لا يساعد في شيء ، وأنا آسفٌ لذلك ، لكن تركيزي ينصبُّ على العمل والخوض في كلّ ما حدث لكِ ومحاولة إعدادكِ كي تتمكّني من عيش بقية حياتكِ أياً كان ما تخبّئه لكِ . كلّ شيءٍ آخر خارجٌ عن سيطرتي» .

- «هل سأذهبُ إلى السجن؟» .

السجن مكانٌ جيّدٌ جدّاً لكِ ! يعوي الأب جون ، ويرجُّ صوته جدران جمجمتي . مكانكِ الصحيح هو الجحيم بسبب ما فعلته !
يعبس الدكتور هيرنانديز . «لماذا بحقّ السماء قد تذهبين إلى السجن؟» .

يضرّبني الذعر مثل موجةٍ مدّية . «ما من سبب» ، أقول وأنا أحاول إبقاء صوتي حيادياً . «لا تلقِ بالاً» .

ينظر إليّ دون أن يقول شيئاً ويمكنني أن أرى أنّه يحاول تقرير ما إذا كان يجب أن يتوقّف عند ما قلته للتوّ أو يتجاهله ويمضي قدماً .

- «لا يذهب الناس إلى السجن ما لم يكونوا قد ارتكبوا جريمة» ، يقول لي . «هل ثمة شيءٌ تودّين إخباري به يا مونييم؟» .

نعم .

أهزُّ رأسي .

- «هل أنتِ متأكّدة؟» ، يسألني .

- «هل يمكننا التحدّث عن شيءٍ آخر؟»، أقول، كارهةً نبرة التوسّل التي تسلّلت إلى صوتي. «أرجوك؟». يحدّق بي، ثمّ يكتب ملاحظةً طويلة في أحد دفاتره. «يمكننا بالطبع أن نتحدّث عن شيءٍ آخر»، يقول إذ يرفع رأسه أخيراً. «أعتقد أنّها فكرةٌ عظيمة. إذاً هاك شيئاً كنتُ أفكّر فيه منذ جلسة الأمس. لقد لاحظتُ عليك ارتكاساً حين تحدّثتُ عن أهميّة الروتين. هل هذه ملاحظة في محلّها؟».

بلا مزاح!

أومئ برأسي.

يتكئ دكتور هيرنانديز على كرسيّه. «لم لا تخبريني لماذا؟».

قبل

أموس هو الشخص الوحيد المسموح له بالذهاب خارجاً . صباح كلّ جمعة يختفي في الشاحنة التي تركها ديزرا بعد رحيله ، ثمّ يعود بعد خمس أو ستّ ساعات وقد تكدّس صندوق الشاحنة بالفاكهة المعلّبة والطحين والديزل والمعكرونة والفاصولياء وأكياس البذور . أموس ليس بقائد سرّيّة ، لكنّه والأب جون تلقّيا دعوتهما إلى طريق الحقّ معاً ، لذا فإنّ مهمّة جمع الإمدادات - وهي شرٌّ لا بدّ منه كما يسمّيه هورايزون - قد أوكلت إليه : أخبر الربُّ الأب جون أنّ أموس هو أقلُّ من قد يلوّثه العالم خارج أسوار القاعدة .

من البديهيّ أنّه لا يمكن للأب جون الذهاب بنفسه - لن يدّخر خدّمة الشيطان أدنى فرصة لقتله . لكنّ الخارج يمثل خطراً على جميع جنود الفيلق ، حتّى أكثرهم ثباتاً وصدقاً ؛ إنّهُ مُفسدٌ ومُغويّ ، وظلمته تتغلغل حتى في أنقى القلوب . لذا وحال عودة أموس ، وبينما الأخوة والأخوات يقومون بتفريغ الشاحنة ، يأخذ الأب جون مباشرة إلى الكنيسة لتطهيره ومباركته ، والتأكد من أنّ قدميه ما تزالان ثابتتين على طريق الحقّ .

جاء أموس إلى الصحراء مع النبيّ قبل سنوات طويلة ، وهو يحبُّ أن يكرّر القول بأنّ كلّ ما وجده في العالم الخارجي كان

اليأس. أَخْبَرَنِي مَرَّاتٍ عَدِيدَةً - أَكْثَرَ مِمَّا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَتَذَكَّرَ - أَنَّ
الْأَبَ جُونُ قَدْ أَنْقَذَ رُوحَهُ مِنْ لَعْنَةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَأَنَّهُ سَيُضَحِّي بِحَيَاتِهِ فِدَاءً
لَهُ دُونَ أَيِّ تَرَدُّدٍ.

لَطَالَمَا قُلْتُ لَهُ إِنَّنِي أَمَلُ أَلَّا تَكُونَ هُنَاكَ ضَرُورَةً لَذَلِكَ.
لَمْ يَكُنَ الْيَوْمَ مُخْتَلِفًا عَنْ أَيِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ آخَرَ. شَيَّعَ الْجَمِيعُ
آمُوسَ بَعْدَ الْإِفْطَارِ بِوَقْتٍ قَصِيرٍ، ثُمَّ انْخَرَطُوا فِي الْمَهَامِّ وَالْأَعْمَالِ
الْمَنْزِلِيَّةِ الَّتِي لَا حَصْرَ لَهَا وَالَّتِي تَضْمَنُ سِيرَ عَمَلِ الْقَاعِدَةِ بِسَلَاسَةٍ
وَتَحَافِظَ عَلَى صِحَّةِ عَائِلَتِنَا وَسَعَادَتِهَا. قَضَيْتُ فِتْرَةً بَعْدَ الظَّهْرِ أَعْمَلُ
مَعَ هُونِي عَلَى قِطْعَةِ أَرْضٍ جَرْدَاءٍ عَلَى أَطْرَافِ الْحُدَاثِقِ الشَّرْقِيَّةِ،
أَعَزَقُ الْأَحْجَارَ الثَّقِيلَةَ خَارِجَ التَّرْبَةِ الْعَنِيدَةِ وَأَسْحَبُهَا إِلَى كُومَةِ
الْأَحْجَارِ خَلْفَ الْكَنِيسَةِ. إِنَّهُ عَمَلٌ شَاقٌّ جَدًّا، وَأَنَا مُتَعَبٌ وَأَتَصَبَّبُ
عَرَقًا. لَذَا وَرَغْمَ أَنَّ السَّمَاءَ كَانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَظْلُمُ، لَمْ أَنتَبْهِ إِلَى أَنَّ
آمُوسَ لَمْ يَْعُدْ حَتَّى كُنْتُ أَسِيرُ إِلَى غُرْفَتِي حَيْثُ تَسَاءَلُ نَيْتَ بِصَوْتٍ
عَالٍ مَا الَّذِي جَعَلَهُ يَسْتَغْرِقُ كُلَّ هَذَا الْوَقْتِ.

تَمَرُّ لِحِظَةً صَمْتٍ طَوِيلٍ. تَجَمَّعَ مُعْظَمُ إِخْوَتِي وَأَخَوَاتِي فِي
الْفَنَاءِ، كَعَادَتِهِمْ فِي نَهَايَةِ يَوْمِ الْعَمَلِ قَبْلَ قِرْعِ جَرَسِ الْعِشَاءِ، وَأَرَى
أَنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ وَاجِمُونَ وَأَنْظَارُهُمْ شَاخِصَةٌ نَحْوَ الْبَوَابَةِ الْأَمَامِيَّةِ.

- «لَقَدْ تَجَاوَزْتَ السَّادِسَةَ»، يَقُولُ بِير. «هَلْ تَرَوْنَ أَنَّهُ يَنْبَغِي بِي
إِبْلَاجُ الْأَبِ جُونُ؟».

لَكُنَّا نَسْمَعُ فِي الثَّانِيَةِ الَّتِي يَنْهِي فِيهَا سُؤَالُهُ صَوْتًا مِنْ بَعِيدٍ. يَمْتَدُّ
أَفْضَلَ جِزْءٍ مِنَ الطَّرِيقِ التَّرَابِيَّةِ الَّتِي تَقُودُ مِنَ الْبَوَابَةِ إِلَى الطَّرِيقِ
السَّرِيعِ لِمَسَافَةِ مِيلٍ، لَذَا فَإِنْ ضَجِيجُ مُحَرِّكِ الشَّاحِنَةِ يَصِلُ إِلَى آذَانِنَا
قَبْلَ أَنْ نَرَى وَهْجَ مَصَابِيحِهَا الْأَمَامِيَّةِ بِوَقْتٍ طَوِيلٍ.

يَهْرَعُ لُونِسْتَارُ مَهْرُولًا عَبْرَ الْفَنَاءِ وَيَفْتَحُ الْبَوَابَةَ الْأَمَامِيَّةَ. وَبِالْكَادِ
بَعْدَ ثَلَاثِينَ ثَانِيَةً يَدْخُلُ آمُوسُ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ كَبِيرَةٍ لِدَرَجَةٍ أَنَّهُ كَانَ عَلَى

لونستار أن يثب مبتعداً عن الطريق كي لا يُدهَس. صريرُ مكابح يصمُّ الآذان، وسحابة غبار كثيفة وخانقة بينما تنزلق الشاحنة لتتوقّف وسط الفناء، وإذ يخرج آموس منها تكون عيناه جاحظتين وقميصه ملطّخاً بالدماء.

- «لقد باغتوني»، قال لاهثاً. «هاجمني ثلاثة منهم بغتة خارج متجر العُدّة».

يتقدّم نيت للأمام، وقد علث وجهه الوسيم تكشيرة. هو دائماً هادئٌ جدّاً، وبارعٌ جدّاً في كلّ مرّة يحدث فيها أمرٌ سيّء.

- «هل تأذيت؟»، يسأله.

يهزّ آموس رأسه، ويأخذ نفساً عميقاً صافراً. «أنا بخير، تلقّيتُ بضعة ضربات قبل أن أتمكّن من العودة إلى الشاحنة، لكن لا شيء سيّء جدّاً. لقد طاردوني يا نيت، هل تصدّق ذلك؟ طاردتني شاحنتان لهم وصولاً إلى لوبوك تقريباً، قبل أن يشعروا بالملل ويعودوا أدراجهم».

- «ما الذي بدأ الأمر؟»، يسأل نيت. أحدّق فيه، في خطّ فكّه الصلب والقويّ، والبقعيتين الحمراءوين اللتين ظهرتا أعلى وجنتيه، كما يحدث دائماً حين يغضب. أعلم أنّني يجب أن أولي انتباهي لآموس، فهو يتألّم كما أنّ شيئاً رهيباً قد حدث بالفعل، لكنني بدلاً من ذلك أحدّق في نيت.

أحدّق فيه كثيراً.

- «أنا لم أفعل شيئاً»، يقول آموس. «كنتُ أفرغُ عربة التسوّق في الشاحنة عندما سألني ذاك الشاب من أين أنا. أتعرف؟ هو لم يكن يسأل حقّاً على أيّ حال. فقد كان يعرف بالفعل».

- «ماذا قال؟»، يسأل نيت.

- «سألني إن كنتُ أحد أولئك المخشّين من فيلق الربّ»، يقول

آموس، ويتورّد وجهه بلونٍ قرمزيّ وهو يتذكّر ما حدث. «ثمّ سألني إن كنت قد ضاجعتُ ابنتي اليوم».

تعلو جوقَةُ أصواتٍ غاضبة من الحشد الذي تجمّع حول الشاحنة الصغيرة. بعضهم يصيح «هرطقة» وبعضهم «شيطان»، والعديد من إخواني وأخواتي يغمضون أعينهم للحظات ويصلّون.

- «ماذا قلتَ ردّاً على ذلك؟»، يسأل نيت.

يبتسم آموس بإحباط. «قلتُ له ليس لديّ ابنة».

يتردّد صدى ضحكة نيت عبر الفناء. «إجابةٌ جيّدة. سأخمن أنّه هجم عليك إذ ذاك؟».

- «هو ورفاقه».

- «هل رددتَ بالمثل؟».

السؤال، الذي وصل بهمهمة منخفضة مألوفة، لم يصدر عن نيت. يستدير الحشد كشخصٍ واحد نحو البيت الكبير. يقف الأب جون على الشرفة، وشعره الطويل الداكن يرفرف في هواء الأمسية البارد. هو يرتدي نفس القميص وبنطال الجينز والحذاء الذي يرتديه دوماً، وعيناه الثابتان مرگزتان على الرجل الذي يقف بجانب الشاحنة.

- «لا، يا أبت»، يقول آموس. «لقد خلّصتُ نفسي، ثمّ ركضتُ هارباً».

يومئ الأب جون برأسه. «أحسنّت»، يقول، ويمضُ عليه بابتسامة صغيرة. «لقد خدمتَ ربّنا بصدقٍ وإيمان تاماً كما أنتظر منك أن تفعل».

من زاوية عيني أرى لوك مقطّب الجبين عابساً. هو في السابعة عشرة، أكبر منّي بشهرٍ أو نحو ذلك - هذا ما يعرفه الجميع على الأقل - وقد أمضى كلّ يوم من حياته داخل أسوار القاعدة. يخبرنا الأب جون صباح كلّ يوم أنّه فقط الطيّبون، فقط أفضل الطيّبين

الأوفياء والمخلصين والصادقين هم المسموح لهم بالخدمة في الفيلق، لأنَّ الربَّ لا يخطئ، وإنَّه لَمِنَ الكفر القول بغير ذلك. لكنني لستُ واثقةً من أهليَّة لوك. لستُ واثقة بأدنى درجة.

حين كنَّا في الثانية عشرة، ضبطته وهو يؤذي بواسطة سكّين حيوان أبوسوم خلف ورشة الصيانة، آذاه بشدَّة لدرجة أنَّه كان على أموس أن يخلَّص ببندقيَّته الحيوان المسكين من عذابه. وقع لوك في ورطةٍ بسبب ما فعله - لطالما ذكرنا الأب جون بأنَّه حتَّى أصغر مخلوقات الربَّ تستحقُّ احترامنا، مع استثناء بديهيٍّ ألا وهو الغرباء - ولا أعتقد أنَّه سامحني يوماً على وشايتي به، فألمحه في بعض الأحيان ينظر إليَّ بطريقةٍ لا أحبُّها حقًّا.

- «لقد هاجم خدْمَةُ الشيطان أحد إخوتنا!»، يصرخ لوك بأعلى صوته. «اعتدوا عليه، وأسالوا دماءه، وطاردوه عبر نصف المقاطعة! أوَّل ما يجب علينا فعله في الصباح هو أن نقصد لايفيلد ونريهم كيف يكون انتقام الرب!».

تنتقل عبر الحشد متممَّةً منخفضة. معظم الأصوات التي استطعتُ تمييزها لا توافق على اقتراح لوك، لكن ليس جميعها. ليس جميعها على الإطلاق.

- «هل هذا ما ستفعله، يا لوك؟»، يسأل الأب جون. يهبط صوته إلى ما يشبه الهمهمة الخافتة لكنَّ نبرتها وديَّةٌ تقريباً، وأرتعدُ إذ يخيم الصمتُ الثقيل على الحشد مجدداً.

- «نعم، يا أبتِ»، يقول لوك وعيناه تلمعان بشدَّة. «سأفعل هذا. سأفعله إذا أعطيتني الأمر».

- «سوف تمثل لأمري؟».

- «بالطبع، يا أبتِ»، يقول لوك.

- «دون سؤال؟».

- «نعم، يا أبت».

- «مع ذلك، عندما أشيد بالأخ آموس لأنه أدار خدّه الآخر، أنت تدعو بدلاً من ذلك للانتقام؟»، يسأل الأب جون بصوت يرتفع شيئاً فشيئاً. «أمام إخوتك وأخواتك، في هذا المكان الذي بنيناه معاً، هل تفترض أنك تعرف عقل الربّ أفضل منّي؟ هل ستكون متغظراً؟».

يجفل لوك، لكنّه لم يُشح بنظره عن وجه النبيّ.

- «هل تشكّك بي، يا لوك؟».

لا يجيب لوك بشيء. يتقدّم النبيّ إلى حافة الشرفة، وجهه شاحب، عيناه صافيتان.

- «لقد طرحْتُ عليك سؤالاً، يا لوك»، يقول وقد أصبح صوته مثل تحطّم الصخور. «لقد طرحْتُ عليك سؤالاً وبحقّ اسم الربّ الأقدس سوف تجيبني، وإلا سوف تقبع محدّقاً في العتمة داخل صندوق حتّى تبدأ المعركة النهائية!».

صوت الأب جون عالٍ لدرجة أنّه يبدو من عالم آخر؛ إنّ يهدر ويدوي ويضرب أذنيك بعنف كالرعد. ينكص لوك والخوف يملأ عينيه، ويتراجع العديد من إخوتي لأخواتي للوراء فزعاً من ضراوة الغضب المفاجئ للنبيّ.

- «أجب!»، يزار الأب جون.

يبتلع لوك ريقه بصعوبة. «لا، يا أبت»، يقول بصوت يكاد لا يكون أكثر من مجرد همس. «أنا لا أشكّك بك. أنا آسف».

- «هل تقرّ بغطرسك؟»، يسأل الأب جون وقد عاد صوته إلى حجمه الطبيعي بذات السرعة والفجائية التي انفجر فيها إلى زئير هادر.

يخفض لوك بصره نحو أرضية الفناء الإسفلتية. «نعم، يا أبت».

- «هل تفهم أنَّ التشكيك في إرادة الربِّ هو هرطقة؟».

- «نعم، يا أبت».

يومي الأب جون برأسه ويقول: «لا تدع هذا يتكرَّر، يا لوك. الربُّ أقلُّ تسامحاً مِنِّي بكثير».

لا يقول لوك كلمةً واحدة. هو فقط يحدِّق في الأرض بوجه شاحب.

- «يا رجال ونساء فيلق الرب»، يقول الأب جون بعد أن وجَّه نظره إلينا مجدِّداً، «عائلتي التي أحبَّها أكثر من أيِّ شيء على هذا الكوكب اللعين الآثم. أنتم مخلصون وصادقون، وإنَّ مناعتكم في وجه الهرطقة تجعلني أكثر تواضعاً كلَّ يوم. أشكر الربَّ لأنَّه جمعنا معاً، أشكره على حكمته وإحسانه وأمثولته الكاملة المشعَّة ضياءً. أيُّها الأخوة والأخوات، لقد عرفنا منذ سنواتٍ عديدة أنَّ نهاية الزمان في طريقها إلينا، وقد رأى الربُّ أن يذكِّرنا أنَّ الوقت ينفذ. أولئك الذين بورِكوا ممَّا للسير على طريق الحقِّ سيجدون أنفسهم قريباً في معركةٍ ضدَّ أولئك الذين يخدمون الشيطان، وعندما يحين ذلك الوقت، سيكون انتقام الربِّ مشهداً تجدر رؤيته بحقِّ. سيكون مشهداً تجدر رؤيته، أيُّها الأخوة والأخوات، مشهداً رائعاً ومخيفاً. لكن لحظة ذلك الحساب النهائي المجيد لن يختارها الإنسان الفاني، ليس أنا وليس أيُّ أحد هنا. اللحظة سيختارها الربُّ بنفسه. هل تشكُّون فيما أقول؟».

تهدر جوقة أصوات تصمُّ الأذان بـ«لا»، لكنَّ شفتيَّ لوك لا تتحرَّكان ميلتراً واحداً. أعرف ذلك لأنَّني أراقبه.

يبسم الأب جون. «الربُّ طيِّب. جوليا، اعتني بجراح آموس، واجعلي بيكي تحضَّر له الحَمَّام. يا قادة السرايا، اجتمعوا في البيت

الكبير من فضلکم وانتظروني هناك. نيت، احرص على تفريغ الإمدادات من الشاحنة، واجلب أغراضی الشخصية إلى مكنتي. يمكن للبقية أن يمضوا إلى شؤونهم».

تملاً لثرثرة خافتة الفناء إذ يبدأ الحشد في التفرق. أرى جوليا تتجه إلى المنزل الذي تتشاركه مع بيكي خلف الكنيسة، حيث تحتفظان باللوازم الطبية، وأرى بير وهورايزون والآخرين يشقون طريقهم إلى البيت الكبير. على الشرفة، يبقى الأب جون ساكناً تماماً، والصوت في مؤخرة رأسي يهمس لي. هذا لم ينته بعد.

يتجهّم وجهي إذ أنظر إلى الأب جون فأراه يحدّق في لوك بعينين ضيّقتين، وأعرف أنّ الصوت محقّ. - «لوك؟»، يقول النّبيّ.

يتجمّد الجميع في أماكنهم. لوك الذي كان يشقّ طريقه نحو الشاحنة، يستدير باتجاه البيت الكبير. - «نعم، يا أبت؟».

- «انضمّ إليّ في الكنيسة»، يقول الأب جون. «سأصلّي معك».

يطرق لوك برأسه مجدّداً ويمضي نحو الكنيسة. هو يعرف تماماً ما الذي ينتظره هناك؛ الجميع يعرفون. يتفرّق إخوتي وأخواتي بسرعة متبعثرين في كل الاتجاهات، وكأنّ حاجة ملحة لأن يكونوا في مكان آخر قد استحوذت عليهم فجأة.

يسمح آموس لبيكي أن تأخذه من يده وتقوده بعيداً، بينما يفتح نيت الباب الخلفي للشاحنة ويبدأ في فرز الأكياس والصناديق. أحتّ الخطي إذ يرفع صندوق طماطم معلّبة، فتلمع عضلات ذراعيه في الضوء الآخذ بالتلاشي.

- «هل تحتاج للمساعدة؟»، أسأله.

يبتسم لي ابتسامةً عريضة، فأحتفي بالأحاسيس المألوفة والمتزامنة لمعدتي وهي تتحوّل إلى ماءٍ ولجلدي إذ تضطّرم فيه النيران. «أنا بخير»، يقول لي. «تابعي طريقك».

أومئ برأسي، لكنني لا أفعل ما يطلبه. بل أقف بقربه وهو يضع الطماطم جانباً، ويمدّ يديه داخل صندوق الشاحنة ليمسك بالغرض التالي.

- «لم يبدُ لك سعيداً جدّاً»، أقول له.

يهزّ نيت كتفيه. «إنه رجلٌ ذو إيمانٍ راسخ، أو صبيٌّ إذا صحّ القول. قد تكون بعض التعليمات حول كيفية توجيه ذلك الإيمان مفيدةً له، لكنّ المسائل الروحية ليست من اختصاصي».

- «كلُّ شيءٍ هو مسألةٌ روحية»، أقول مقتبسةً إحدى العبارات المفضّلة للأب جون. «كلُّ شيءٍ نفعله يهّمُ الربّ».

- «لن تصيبي نجاحاً في جعلي أجادل»، يقول نيت. «هل تريدان المساعدة حقّاً؟».

أكثر من أيّ شيء.

- «بالتأكيد».

- «هاكِ إذّاً»، يقول ويسحب صندوقين ملفوفين بشريط أحمر وأزرق. «خذي هذين إلى البيت الكبير».

أأخذهما منه. إنهما ثقيلان حقّاً - ثقيلان جدّاً بالنسبة لي، لكن ليست هناك حتّى أصغر احتمالية أن أقرّ لنيت بذلك.

- «هل تمكّنتِ منهما؟»، يسأل وكأنّه يستطيع قراءة أفكارني.

- «لا مشكلة».

- «هل أنتِ متأكّدة؟».

- «ألم أقل للتوّ لا مشكلة؟».

يبتسم لي مجدّداً، فتبقي أحشائي وترتفع حرارة وجهي إلى ما يقارب درجة حرارة الشمس .

- «حسنٌ إذا»، يقول لي . «أقدّر لك المساعدة» .

- «أنتَ على الرحب»، أقول وأستدير نحو البيت الكبير، مثبتّة الصناديق الثقيلة بأفضل ما أستطيع . وبينما أترنّح عبر الفناء وكلّ خطوة أصعب من سابقتها، ألقى نظرةً على ملصقات الشحن وأرى الاسم الذي تُرسل إليه جميع أغراض الأب جون الشخصية .

جيمس كارميل .

بعد

- «هل بدا ذلك غريباً بالنسبة لك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز. هو مائل في كرسيه إلى الأمام، وقد ملأ أربع صفحات في أحد دفاتره أثناء حديثي. «أقصد الاسم على ملصقات الشحن». أومئ برأسي.

- «في ذلك الوقت؟ أم الآن، بعد أن حدث كل شيء؟»، يسألني.

أفكر في سؤاله للحظة. «بل في ذلك الوقت على ما أظن. كان الجميع يفهمون الغرض من ذلك، لكن الأمر كان غريباً، إذ لم تبدُ القاعدة وكأنها مخبأة ومعزولة بالفعل».

- «هل تعرفين ماذا كان بداخل ذينك الصندوقين؟»
- «لا».

يخربش سطوراً جديدة في دفتر ملاحظاته. أنتظر بصبر دون أن أنبس ببنت شفة، لكنني حقاً لا أحبُّ أنه يكتب عني وأنا أجلس على بعد ستة أقدام منه، فالأمر كما لو أنه يتحدث عني بالسوء من وراء ظهري. وضع قلمه جانباً إذ انتهى، وأعطاني ابتسامة مشجعة.

- «لا يزال لدينا عشرون دقيقة متبقية في هذه الجلسة»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هل أنتِ —»
- «أنا بخير».

قبل

كان لدى لوك علامات ضربٍ بالحزام على كتفيه لمدة أسبوعٍ تقريباً.

لا أحد متفاجئٌ بوجودها، أو بحقيقة أنه لا يبذل أيَّ جهدٍ لإخفائها. هو يأتزر بها كشاراتٍ شرفٍ بينما تتحوّل شيئاً فشيئاً إلى اللون الأزرق ثمّ الأرجواني ثمّ الأسود، ويتجوّل في أرجاء القاعدة بصدريّات بلا أكمام أو بلا أيّ شيءٍ من الخصر وصعوداً، حريضاً كلّ الحرص أن يرى الجميع دليل كفّارته.

مع اقتراب يوم الجمعة، يشتعل أموس حماسةً ليقوم بمهمّة تأمين الإمدادات من لايفيلد.

- «لا أحد يهاجمني مرّتين»، قال لأيّ شخصٍ مستعدّ للاستماع. «سأكون جاهزاً لهم هذه المرّة. ستري إن لم أكن جاهزاً».

لكن يتبيّن أنّ جاهزيته، من عدمها، لن تكون محلّ اختبار، إذ يعلن الأب جون أنّه لن تكون هناك استثناءات لحظر الذهاب إلى الخارج حتّى إشعارٍ آخر. إنّ خيبة أمل أموس باديةً للعيان، لكنّه لم يتفوّه بكلمة - لن يتكلّم ضدّ الأب جون كما أنّه لن يوجّه انتقاداً للربّ نفسه. ويكسبه هذا التسليم الرزين نقاطاً لدى الغالبية العظمى من إخواننا وأخواتنا الذين يتعاطفون مع خيبة أمله لعدم قدرته على

تأدية مهمّة تعود بالنفع على العائلة بأكملها. يأخذون هذا التسليم كبرهان - وكأنّ هناك حاجةً للمزيد من البراهين - على عمق إيمان أموس وتفانيه في سبيل إخوته وأخواته. أنا لا أتفق مع ذلك.

أشكّ - بل أنا متأكّدة في الواقع - أنّ قدراً كبيراً من خيبة أمل أموس تتأتّى من الحقيقة البسيطة التي مفادها أنّه يحبّ الذهاب إلى الخارج - رغم ادّعاءات لا حصر لها بعكس ذلك؛ وأنّه يتطلّع بحماسٍ إلى قيادة الشاحنة الصغيرة عبر البوابة الأمامية صباح يوم الجمعة. لم أعلن شكوكي على الملأ أبداً، ليس حتّى لبيت أو هوني، فهذه الشكوك ليست سوى هرطقة من الناحية العملية. يوضّح الإعلان الأوّل أنّ المملكة الأرضية مقسّمة إلى المجال المقدّس لفيلق الربّ والخارج؛ إلى أولئك الذين يسلكون طريق الحقّ وخدمته الشيطان. ما من مناطق رماديّة، ما من مكان في الوسط. لكن إن كنتُ محقّة بشأن أموس، وأنا متأكّدة أنّي كذلك، فأنا حقّاً لا ألومه. لأنّني - وهذه هرطقة بالتأكيد - أفتقد الخارج أيضاً.

قبل التطهير، حين كنتُ صغيرة، كنّا نذهب للخارج طوال الوقت. لكنّنا لم نكن نسمّيه الخارج آنذاك، سمّيناه البلدة، أو لايفيلد، والذي كان - ولا يزال - اسمه الفعليّ.

لايفيلد، تكساس. تأسّست عام 1895. عدد السكّان 2147.

الأب باتريك، الذي لا يفترض بي حتّى التفكير في اسمه، ناهيك أن أحلم بلفظه بصوتٍ عال، اعتاد أن يقود موكباً من ثلاث سيّارات ممتلئة بإخوتي وأخواتي إلى البلدة كل صباح عدا يوم الأحد. كنتُ دائماً ما أركب في صندوق السيّارة الثانية مع ليزي وبنجامين، اللذين كانا أفضل صديقين لي في العالم كلّهُ إلى أن

رحلاً . كانت أمّ ليزي تركن خارج مكتب المحاماة حيث عملت كموظفة استقبال، وقبل أن تدلف إلى الداخل كانت تقبل كلاً ممّا على جبهته وتطلب ممّا أن نكون أولاداً طيّبين . ودائماً ما وعدناها أنّنا سنكون كذلك .

كنّا خلال الساعات الثلاث التالية نسير جيئةً وذهاباً على طول الشارع الرئيسي في لايفيلد، ونوزّع المنشورات التي تدعو الناس إلى سماع كلمة الربّ، ونقبل بامتنان أيّ تبرّعات يتكرّم الناس بتقديمها . وكُنّا في بعض الأحيان نبيع الأشياء التي صنعناها خلال فترات ما بعد الظهر الطويلة والحارّة في القاعدة بعد أن تستغلّ والدّة ليزي استراحة غدائها كي تقود بنا نحن الثلاثة رجوعاً إلى هناك : فلائد من الشرائط والأغصان الرفيعة، وزهور مجفّفة مضغوطة في إطارات الصور الفوتوغرافية، ومزامير مكتوبة بخطّ اليد بأقلام بكل لون يمكن تخيّلها .

الكثير من الناس تجاهلونا، وخاصّة الرجال والنساء الذين عملوا وعاشوا في البلدة ورأونا كلّ يوم، ويحدث في بعض الأحيان أن يقول أحدهم شيئاً لئيماً، لكنّ الناس كانوا لطفاء معظم الوقت . كان سكّان لايفيلد - ولا يزالون، بلا شكّ - قوماً يخافون الله بطريقتهم الخاصّة، وكانوا في العموم يحترمون إيماننا رغم اختلافه عن إيمانهم . بعد التطهير، وعندما أعلن الأب جون أنّه لم يعد من الآمن الذهاب إلى الخارج، بكيتُ حتّى غفوت، وأعلم يقيناً أنّي لم أكن الوحيدة . أعدّ الموظفون في مكتب المحاماة كعكة لوالدّة ليزي بعد أن تقدّمت باستقالتها، وقالوا لها إنّهم سيفتقدونها .

لم تكن مفاجأة كبيرة لأيّ متنبه أنّ ليزي وأمّها قد رحلنا بعد أسبوعين .

أخبرنا النّبّي أنّه ورغم أنّ سكّان البلدة قد يبدون لطيفين

وودودين، فإنَّ الاستراتيجية المفضَّلة للشيطان هي إرسال الذئاب
بأثواب الجملان وسط عباد الربِّ الصادقين، بغرض استغلال
طبيعتهم الطيِّبة على أفضل نحو.

أتساءل إن كان الرجال الذين هاجموا آموس يوم الجمعة
الماضية هم من أولئك الذين اعتادوا أن يضعوا ورقة الدولار في
يدي أو يخبروني كم كان ثوبي جميلاً.
أنا واثقة أنَّ الأب جون سيخبرني أنَّهم كانوا كذلك.

مع إلغاء التزوّد بالإمدادات، يكون يوم الجمعة أقل إثارة بكثيرٍ
من المعتاد.

إنَّ إحدى أهمِّ القواعد في فيلق الربِّ هي أنَّ المخازن يجب أن
تحتوي دائماً على طعام يكفي لثلاث أشهر في حال ضربَ خَدَمَةُ
الشيطان حصاراً على القاعدة وحاولوا تجويعنا. لن يجوع أحدٌ إذا
لم يذهب آموس إلى المدينة لبضعة أسابيع، لكن في الظروف
العادية، فإنَّ يوم الجمعة هو أكثر من مجرد الجوانب العملية
الضرورية للبقاء.

إلى جانب الأساسيات كالوقود والدقيق والفواكه المعلَّبة،
يجلب آموس دائماً عدداً من أكياس الهدايا الصغيرة - أرغفة الخبز،
أو البسكويت، أو الدونات، أو السكاكر المغلَّفة - وكلّ شهرٍ أو
نحو ذلك يملأ كيسين كبيرين بالملابس من سوق البالة في ضواحي
لايفيلد، وغالباً ما احتوى الكيسان على أحذية مبقَّعة بالزيت والجينز
والقمصان التي شهدت جميعها أياماً أفضل بكثير، لكنَّ أيَّ شيءٍ
جديد هو بطبيعته مثيرٌ دائماً.

من الآمن الافتراض أنَّ الأب جون لا يوافق رسمياً على هذه
الممارسة - رغم أنَّ إمداد إخوتك وأخواتك بقطعة شوكولا أو فطيرة

تَفَاح لا يَرِد في أيِّ إعلَان ولا يخضع لآيَة قاعدة محدّدة - لكنّه يدرك جيّداً أنّ السّماح لأفْراد عائلته ببعض الحلوى بين الحين والآخر سيجعلهم يحبّونه أكثر فحسب .

وإنَّ رجال ونساء فيلق الرّبّ يحبّون الأب جون، إنَّهم يحبّونه حقّاً .

لا أحد يعرف الكثير عن حياته قبل أن يأمره الربّ بالقدوم إلى الصحراء . أثناء التّطهير، غادر معظم الرجال والنساء الذين كانوا جزءاً من الفيلق عند وصوله، ورغم أنّهم قالوا الكثير من الأشياء الخطيرة - أشياء شريرة وهرطوقية - عنه وعن حياته في تلك الأيّام الأخيرة المحمومة قبل أن يحزموا أشياءهم ويغادروا القاعدة إلى الأبد، فقد تبيّن بالفعل أنّهم كاذبون وقلوبهم زائفة، ولم ينصت أحدٌ إليهم .

أولئك الذين بقوا، الذين قاوموا إغراءات خدّمة الشيطان، الذين ظلّوا صادقين، أولئك عرفوا الأب جون لثماني سنواتٍ الآن، وهم في العموم مخلصون له أكثر من إخلاصهم لأنفسهم . اعتبر أكثر إخوتي وأخواتي إيماناً أنّ حياة النّبِيّ قبل أن يتلقّى دعوته غير ذات صلة، وما كانوا ليتكهّنوا بها علناً أكثر ممّا كانوا ليغظّسوا أنفسهم في البنزين ثمّ يشعلوا عود ثقاب .

مع ذلك، ثمّة ثرثرة حول ذلك، رغم ندرتها ورغم أنّها لا تأتي إلّا همساً . سمعتُ أنّ الأب جون كان موسيقياً في لوس أنجلوس أو سان فرانسيسكو قبل أن يأتي إلى القاعدة؛ وسمعتُ أنّه كان واعظاً متجوّلاً كرّس حياته للبحث عن طريق الحقّ وقد كوفئ أخيراً على إيمانه اللامتناهي؛ سمعتُ أيضاً أنّه كان سكّيراً - أو ربّما مجرماً حتّى - بلغ الحضيض على يد الشيطان قبل أن يتمّ إنقاذه . حالما أصبحت كبيرة بما يكفي لأدرك أنّ الكبار يقولون أشياء بوجود

الأطفال لا يقولونها بوجود بالغين آخرين وبدأتُ إذ ذاك أبقى أذنيّ مفتوحتين، سمعتُ كل هذه القصص وعشرات القصص الأخرى، وتوصلتُ إلى نتيجة بسيطة لا يمكن إنكارها.

لا أحد يعرف مَنْ كان الأب جون قبل أن يصبح الأب جون. إنّه الأب جون فحسب، وهذا كلُّ ما يهمّ.

أنا أتجوّل في الفناء بعد أن عرفنا أنّ آموس لن يذهب إلى البلدة. يُفترض بي العمل في الحداثق مجدّداً اليوم، لكنني لستُ في عجلة من أمري كي أبدأ، لذا أتناقل بينما أمشي عبر البيت الوحيد الذي عرفته في حياتي.

القاعدة - كما كانت تسمّى دائماً حتّى قبل وقتٍ طويل من التطهير - تتكوّن من أكثر من عشرين مبنى، بما في ذلك الكنيسة الصغيرة، وهو اسمٌ يقلّل من قدر الكنيسة التي يمكن أن تستوعب حتّى مئتي شخص؛ والبيت الكبير حيث يعيش الأب جون مع زوجاته وأطفاله؛ ومربّعان منتظمان من المنازل على شكل حرف L؛ وصفّان طويلان من المهاجع الخشبية؛ وقاعة جنود الفيلق؛ والمطبخ والمخازن؛ ومجموعة من المباني الملحقة التي تتراوح في حجمها بين الأكواخ الصغيرة والحظائر الواسعة.

على الجانب الآخر من الفناء، أرى نيت يسير باتجاه الحداثق، فتقلب مشيتي المتثاقلة هرولة كي أنجح في اللحاق به. يخبرني الصوت في مؤخرة رأسي بأنني مثيرة تماماً للشفقة لكوني أطارده عبر الفناء، لكنني أقول للصوت أن يخرس، لأنني لا أرتكب أيّ خطأ ولا يهمني بم يفكر.

الحقيقة هي كالتالي: لم يحدث أيّ شيء بيني وبين نيت، وأنا أعرف أنّه لن يحدث أبداً.

لطالما عرفتُ ذلك، منذ وصوله، لأسبابٍ ليس أقلّها أنّي بعد أقلّ من عام من الآن سأكون متزوّجةً من الأب جون. أنا لستُ غبيةً. لكن في الوقت نفسه، فإنّ مشاعري تجاه نيت دائماً ما تكون مختلطة، وكأنّها أحجية الصورة المجزأة منقوصة من قطع الأطراف المرجعية. هو ينظر إليّ كأختٍ صغيرة فحسب - ليس مثل بعض إخوتي الأكبر سنّاً - وأنا حزينّةٌ لذلك لكنني سعيدةٌ أيضاً، معظم الوقت على الأقل. هو لم يتسلّل يوماً لرؤيتي بعد إطفاء الأنوار، وأنا أعرف أنّه لن يفعل ذلك أبداً، رغم أنّي في بعض الأحيان أستلقي مستيقظة وأنا أنقلب مع وخز الإحساس بالذنب، فيما أمل أن أكون مخطئةً وأنّه لربّما سيأتي، وأظلّ على هذه الحال إلى أن يبدأ ضوء الفجر بالتسلّل إلى السماء الشرقية.

ليس نيت فقط؛ لا أحد يأتي لرؤيتي بعد إطفاء الأنوار، ليس كما يحدث مع أليس وستار وليزا وبعض أخواتي الأخريات الأجلّ منّي. لا يفترض بهذه الزيارات أن تحصل على الإطلاق - الإعلان الثالث واضحٌ تماماً، وكذلك عقوبة مخالفته - لكنّها تحصل على آية حال وقادة السرايا وهم الوحيدون الذين يملكون مفاتيح المهاجع ما كانوا أبداً ليفتحوا غرف نوم أخواتي لأيّ كان دون إذنٍ من النبيّ.

يبقى بابي مغلقاً دائماً حتى الفجر. أحسب أنّ الأب جون سيغضب بشدّة إذا اكتشف أنّ أحداً ما قد لمس إحدى زوجاته المستقبلات، ولعلّ هذا ما يبقي إخوتي بعيدين. إنّها القواعد إذاً، هذا ما أقوله لنفسني على الأقل - رغم أنّ أمّي دأبت على إخباري أن أتوخّى الحذر مع إخوتي الأكبر سنّاً لأنّ في رؤوس الرجال ما يشبه المفتاح الكهربائي الذي ينقلب بوجود الفتيات الجميلات ويجعلهم حمقى ولا يمكن التنبؤ بتصرفاتهم.

سألّتها مرّة إذا كان لدى أبي واحدٌ أيضاً، فقالت لي أنّه لم يكن

لديه مفتاح، كان فقط غيباً ولا يمكن التنبؤ به طوال الوقت. يؤلمني أن أسمعها تتحدث عنه على هذا النحو، لكنّها عرفته جيّداً في حين أنّي لم أعرفه على الإطلاق، لذا أظنُّ أنّه عليّ الأخذ بكلامها حول ما كان عليه. كما كان من اللطيف أن تنادينني بالجميلة، رغم أنّها فعلت ذلك بطريقةٍ غير مباشرة.

على أيّة حال.

يسمعني نيت قادمة من ورائه فيستدير وعلى وجهه ابتسامة، تلك التي تجعل عدد دقات قلبي يتضاعف دائماً.

- «مرحباً مونييم، كنتُ أعرف أنّه أنتِ».

أبتسم له أيضاً. «كيف ذلك؟».

- «لديكِ وقع خطيٍّ مميّزٌ جدّاً»، يقول لي. «تبدو جدّيةً دائماً،

وبها نوعٌ من الرصانة».

تنقلبُ ابتسامتي عبوساً. «ما الذي تتحدّث عنه؟».

- «لا أعرف»، يقول وهو يهزُّ كتفيه. «جرّبي مرّةً أن تصغي

السمع لها».

- «الأرجح أنّي لن أفعل»، أقول له.

يشخر ضاحكاً ويومئُ برأسه. «هذا منصف. هل ترغبين في

مساعدتي في قطف بعض الخيار؟».

- «بالأكيد»، أقول وأخذ خطوةً إضافية كي أمشي بجانبه بينما

نتّجه نحو السياج الغربي. تفتersh الشمس السماء فوق رؤوسنا

مباشرة، وتغمر القاعدة بأكملها بضوءٍ ساطعٍ جدّاً بحيث يجعل كلّ

شيءٍ يبدو جديداً تماماً، وفي رأسي تلمع واحدةٌ من أصعب الحقائق

فجأةً مثل لكمةٍ في البطن.

كنتُ سعيدةً هنا.

لوقتٍ طويل، كنتُ كذلك حقاً.

القاعدة ليست الجنة بالتأكيد، بغض النظر عما يحب الأب جون أن يقوله؛ في الواقع هي ليست قريبة لو قليلاً من ذلك، ولم تكن كذلك يوماً. لكنني مثل الجميع، كان ثمة وقتٌ - حين كنتُ أصغر بكثير - حيث كنتُ سعيدةً لتصديق أيّ شيءٍ تقريباً إذا ما وعدني أحدهم أنّه الحقيقة. بالنسبة لي، وعلى عكس معظم - وربما جميع - إخواني وأخواتي، فإنّ ذلك الوقت لم يدم إلى ما لا نهاية.

لم يكن هذا ذنب الأب جون، ليس في ذلك الوقت على الأقل. فكما كان يقول غالباً، هو مجرد إنسان؛ مغرورٌ وغير معصوم عن الخطأ مثل أيّ إنسانٍ آخر، ورغم أنّنا جميعاً مخلوقون على صورة خالقنا، فإنّنا لسنا قريين من القداسة بحالٍ من الأحوال - إن حالة السموّ الكامل محفوظة ومحفوظة فقط للرب نفسه. كنتيجة، لطالما فهمتُ أنّ كلام النبي لا يمكن أخذه ببساطة كحقيقةٍ لا يأتيها الباطل، وقد أخذ هذا الفهم يتّضح أكثر فأكثر مع تقدّمي في السنّ.

أعلم - من دون أدنى شك - أنّه لا يمكن ببساطة أن يكون كلُّ إنسان في العالم يعيش خارج أسوار القاعدة سيئاً، تماماً كما أعلم علم اليقين أن ليس كلُّ إخواني وأخواتي صالحين. صالحٌ وطالح، صادقٌ وزائف: إنّهما النقيضان في طيفٍ كامل من السلوكيات، وليس الشينين الوحيدين اللذين يمكن للإنسان أن يتّصف بهما. لأنّ الحياة ليست بتلك البساطة. البشر ليسوا بهذه البساطة، رغم أنّي متأكّدة من أنّ الأشياء ستكون أكثر بساطةً ووضوحاً بكثير لو أنّهم كذلك.

أعتقد أنّ الأب جون يفهم هذه الحقيقة جيّداً، رغم أنّه ما كان ليعترف بها أبداً؛ وأعتقد أنّه لهذا السبب يدّعي بأنّه الرسول فقط،

- وليس الرسالة نفسها . لكن ولفترة طويلة لم يهمني ذلك - عندما تكلم، حتى لو شككت في كلماته، آمنت مع ذلك .
- كانت لدي أسئلة، وأفكار لم أخبر أحداً بها قط، إذ عرفت أنه ستوصم بالهرطقة، لكنني ما فتئت أؤمن به وبإخوتي وأخواتي وبالفيلق، حتى فعل ما فعله بأمي .
- «هل أراهن على ما تفكرين به؟»، يسأل نيت لدى وصولنا إلى السياج الذي يحيط بالحدائق .
- «سيكون رهانك خاسراً»، أقول له .
- يبتسم . «أعرف حين يكون هناك ما يدور في ذهنك، يا مونيم . هيا، قل لي ما هو» .
- أومئ برأسي، إذ إنه على حق - ثمة شيء في ذهني، أبعد من ذاكرة بحلوها وممرها لأوقات أفضل . شيء كان يتأكلني منذ يوم الجمعة الماضي، وما كنت لأحلم بإثارته مع أي شخص آخر .
- «إنه لوك»، أقول .
- «ماذا عن هذا الحثالة التافه؟»، يسأل نيت، فأشهق بصوت عال، فلا أحد يتحدث هكذا عن أحد إخوته أو أخواته أبداً .
- «لا يمكنك أن تقول هذا»، أقول وأنا أشعر بالضيق من نفسي لأنني لا بد أنني بدوت مثل فتاة صغيرة مصدومة .
- «يمكنني إن كانت هذه هي الحقيقة»، يقول نيت وابتسامته أخذة في الاتساع . «إن عضوية فيلق الرب لا تنفي عنك تلقائياً صفة السفالة . للأسف» .
- أضحك . لا أستطيع منع نفسي .
- «على أية حال»، يتابع نيت . «لا أعتقد أنك ستشين بي إلى أحد قادة السرايا . ما به لوك إذا؟» .

- «لقد شكك بالأب جون على مرأى ومسمع الجميع». يهزُّ نيت كتفيه. «وقد جُلِدَ بسبب ذلك. هل لديك مشكلة مع ذلك؟».

- «لا».

- «إذاً ما الأمر؟».

أخذ نفساً عميقاً، إذ أريد لهذا أن يخرج بصورة صحيحة. «إنَّه يسبِّب المتاعب، أقصد لوك. وأحياناً... أحياناً يبدو وكأنَّه يفعل ذلك عمداً».

- «إنَّه في السابعة عشرة»، يقول نيت. «بالطبع هو يفعل ذلك عمداً. إنَّه يحاول تبيان كيف له أن يتواءم مع هذا العالم، وأين هو مكانه فيه، لذا فهو يسيء التصرف من وقتٍ لآخر. لم يزعجك ذلك؟».

- «أنتَ لم تكن هنا المرَّة الماضية»، أقول له. «لقد بدا الأمر مألوفاً. هذا كلُّ شيء».

- «هل تتحدَّثين عن التطهير؟»، يسألني.

- «لا أعرف. نعم، أظنُّ ذلك».

- «هل أنتِ قلقة؟».

أهز رأسي. «لا أظن. أنا لا أثق بلوك فحسب. اسمع نيت، أنا أسفة. لم أقصد أن أجعل من هذا موضوعاً كبيراً».

يبتسم نيت. «لا بأس. ولا حاجة بك للقلق. ليس لوك سوى تافهٍ صغير كرهه كان يمكن إيقافه عند حدِّه عبر تحطيم غروره مرَّة أو اثنتين قبل الآن، لكن لو اعتقدتُ أنَّه يشكِّل خطراً بالفعل، على الأب جون أو على أيِّ شخصٍ آخر، لكنك قد فعلتُ شيئاً حيال ذلك».

- «ماذا كنتَ ستفعل؟» .

تختفي ابتسامته فجأة وكأنّها لم تكن موجودة . «كنتُ سأخنقه أثناء نومه» ، يقول لي . «والآن هيّا بنا . هذا الخيار لن يقطف نفسه بنفسه» .

أجبر نفسي على الابتسام بينما تسري رعشةٌ في عروقي . يستدير ، فأتركه يأخذ بضع خطوات قبل أن ألحق به إلى الحداثق .

بعد

يتوقف الدكتور هيرنانديز عن تدوين الملاحظات؛ كانت عيناه شاخصتين إليّ بينما كنتُ أتكلّم.

- «هل تعتقدين أنّ نيت كان ليفعل ما قاله؟»، يسألني. أهزّ رأسي. «لا».

- «ما الذي يجعلك متأكّدة جدّاً؟».

أهزّ كتفيّ. أنا لستُ متأكّدة؛ ليس بنسبة مئة في المئة. أعلم - بدون أدنى شكّ، لأنّني رأيتُ ذلك بأمّ عيني - أنّ نيت كان مستعدّاً تماماً لإيذاء لوك، رغم أنّي لن آتِ على ذكر ذلك الآن. لكنّني لا أعتقد بصدقٍ أنّه كان سيقتله فعلاً، لذا فأنا لا أكذب من الناحية الفنيّة.

- «هل عوقب الناس لتلفّظهم بهرطقاتٍ وبدع؟».

- «لا»، أقول له. إنّها كذبة، كذبةٌ كبيرة لدرجة أنّني قلقة من أن تشتعل النيران بي لأنّني تفوّهتُ بها.

- «لكسرهم القواعد؟».

- «لا».

- «هم لم يكونوا خائفين إذّا؟».

لا أردُّ بشيء.

تضيق عينا الدكتور هيرنانديز. «مونيم؟ هل كان أعضاء فيلق الرب يخافون الأب جون؟».

- «ما الذي قلته؟»، يلحُّ لوك عليّ، صوته كفحيح أفعى. «بم أخبرت الغريب؟».

بالكاد يبعد وجهه بوصة واحدة عن وجهي وظهري منضغط إلى الحائط، بينما يراقب إخوتنا وأخواتنا بصمت وبوجوه مكروبة. أستذكر ما قاله الدكتور هيرنانديز حول كون جلسات التفاعل الاجتماعي بيئة مراقبة ومسيطرًا عليها تمامًا، وأتساءل إلى متى يجب أن يستمرّ هذا قبل أن يأتي شخصٌ ما إلى غرفة العلاج الجماعي ويضع حدًّا له.

- «لم أقل شيئًا»، أكذب. «حاولتُ إخباره عن الأب جون، وكيف أنَّ النبيّ يضاهي عشرة أضعاف الرجل الذي يمكن للغريب أن يأمل أن يكون عليه، لكنّه لم يرغب في سماع ذلك فأعادني إلى غرفتي. هذا كلّ شيء يا لوك. أقسم أنَّ هذا كلّ شيء».

يأخذ نصف خطوة إلى الوراء. لا فكرة لديّ كم ظلّ يحدّق بي، لكنّه يبتسم في النهاية، ويمرّر براجمه فوق خدي. أحاول ألا أرتجف.

- «جيدّ»، يقول لي. «لقد أبلّيت حسنًا. هم يحاولون قلبنا ضدّ بعضنا البعض، في الوقت الذي يجب أن نظلّ أقوياء ومتماسكين. لكنّا لن نسمح لهم بذلك. هل سنفعل؟».

أهزّ رأسي. لا يزال وميض الجنون يلمع في عيني، مثل ضوء متراقص يجعلني أرغب في التقيؤ. إنّهُ نفس الضوء الذي رأيته في عينيّ الأب جون في النهاية إذ احترق كلّ شيء من حوله.

- «هذا صحيح»، يقول، ويستدير نحو الآخرين. «لن نسمح

لهم بذلك. لقد ارتقى النبي، تماماً كما وُعدنا. لقد ارتقى إخوتنا وأخواتنا، تماماً كما وُعدنا. لقد رأيتوهم بأُم أعينكم وهم يصعدون إلى السماء، وإذا كنتم تعتقدون أننا تُركنا هنا صدفه، فأنتم تكذبون على أنفسكم، وتثبتون زيفكم فحسب. كلُّ واحدٍ منا يخضع للاختبار، وكلنا نواجه تحدّياً لإثبات إيماننا، وإظهار أننا نستحقّ الجلوس في حضرة الربّ مع عائلتنا. هل تفهمون ما أقوله لكم؟». ثمّة هممةٌ بالموافقة، لكنّها هممةٌ فحسب.

يعبس لوك. «لا يمكنني سماعكم، هل تفهمون الحقيقة التي أخبركم بها؟».

هممةٌ أخرى، هي بالكاد أعلى من سابقتها. اختفى الحماس الذي غمرهم لوقتٍ قصير حين تحدّث لوك عن الارتقاء آخر مرّة. ربّما فقدت كلماته شديده الشبه بتلك التي استخدمها الأب جون على مرّ السنين قوّتها وقدرتها الملهمّة في مواجهة واقع هذه الغرفة وهذا المكان، أو ربّما تكون المعركة النهائية قد استنفذت إخوتي وأخواتي بالكامل. تحت أضواء الفلور الساطعة في الغرفة الواسعة، هم يبدون على حقيقتهم تماماً: أطفالٌ مذعورون، بعيدون عن الديار. أحدّقُ بهم، يؤلمني قلبي داخل صدري، وأسترق النظر إلى لوك فأدركُ أنّه يرى الشيء نفسه. يأخذ خطوةً للأمام، وقبضتاه مشدودتان، ويحاول مجدّداً.

- «أعلمُ أنكم تتألّمون»، يقول لهم. «أعلمُ أنكم خائفون، وأنكم تفتقدون لآبائكم وأمهاتكم. هذا أمرٌ طبيعي، رغم أننا نعلم جميعاً أنّ هذا العالم الآثم برمّته هو مسألةٌ مؤقتة فحسب. لكنّه يا إخوتي وأخواتي ليس الوقت المناسب لخسارة قلوبنا. إنّها، الآن هنا في هذه القاعة، اللحظة المناسبة كي نتمسّك بإيماننا أكثر من أيّ وقتٍ مضى، كي نكون مخلصين لكلمات النبي ونثبت أننا نستحقّ

الارتقاء معه. فلنثق به كما كنّا دائماً. فلنثق به، وأعدكم أنّه لن يخذلنا أبداً.

تبدأ ويلو في البكاء. لا ألومها، ليس لثانية واحدة - هي في العاشرة فحسب، وكانت تقف في ظلّ والدتها حين احترقت رصاصة رأس هذه الأخيرة. أحسب أنّها قد تواجه مشكلة في التشبّث بإيمانها في هذه اللحظة بالذات، مهما يكن ما يقوله لوك.

يمشي نحوها، ويجثو على ركبتيه أمامها، ويحاول تهدئتها بأفضل ما يستطيع. لم يكن اللطف يوماً من صفات لوك الأصيلة، لكنّه يحاول؛ وهو ينبغي بي أن أقرّ على مضض بأنّه أمرٌ مميّز. تتوقّف ويلو عن البكاء بعد دقيقة أو اثنتين، لكنّ وجهها يبقى قناعاً يوحي بالبؤس المطلق. كيف يُنتظر منها أن تفهم الأشياء التي رأتها؟ كيف يمكن لأيّ شخص أن يبدأ بمحاولة مساعدتها في تجاوزها؟

يمسك لوك بيديها. «هناك أشياء علّمني إيّاها الأب جون»، يقول بصوتٍ خافت. «قدرات. قوى. أشياء لن يكون خدّمة الشيطان قادرين على فهمها. إذا لم يحلّ ارتقاؤنا قريباً، فلن أتردّد في استخدام هذه القدرات. سأستخدمها وأحرّنا جميعاً من هذا المكان حيث سنبدأ ثانية في مكانٍ جديد بينما ننتظر النبيّ أن يدعونا إليه».

تومئ ويلو برأسها، وتتدبّر رسم ابتسامةٍ صغيرة.

- «أنتَ كومةٌ كبيرة من الهراء، يا لوك»، تقول هوني. «لا تكذب عليها».

تختفي ابتسامة ويلو، وتنظر إلى لوك بعينين اتّسعتا فجأة وامتلاّتا بعدم اليقين. هو حتّى لا ينظر إليها مع ذلك، بل إنّ نظرتّه ثابتةٌ عند هوني.

- «سوف ترين»، يقول لوك. «أوه، لسوف ترين قريباً بما يكفي. ليست لديك أدنى فكرة عمّا أنا قادرٌ عليه».

- «أنتَ مخطئ»، تقول هوني. «أنا أعرف بالضبط ماذا تكون». يتسم لها لوك ابتسامة ليس فيها أيُّ أثرٍ للفكاهة، ثمَّ يحوّل انتباهه مجدّداً إلى ويلو. «لا تصنعِ إليها. كلُّ شيءٍ سيكون على أحسن ما يرام. ليس هناك ما تخافين منه».

أحدّق به.

أحدّق به ولا أتفوّه بكلمة واحدة.

لا أتفوّه بكلمة واحدة، لأنّني أعتقد أنّه مخطئ.

حتّى الآن، بعد الحريق والرصاص والدم، لا يزال هناك شيءٌ نخاف منه.

وأنا واثقةٌ من أنّني أنظر إليه.

بعد

يفتح الدكتور هيرنانديز باب غرفة المقابلات رقم 1 في الساعة العاشرة ودقيقتين، لكنّه لا يعبره ويتّجه نحو المكتب كالعادة. بدلاً من ذلك، يقف نصفه داخل الغرفة ونصفه الآخر خارجها، وابتسم لي ابتسامة عريضة لا تبدو مقنعة تماماً.

- «صباح الخير، يا مونييم، كيف حالك اليوم؟»، يقول لي.
- «أنا بخير»، أقول، وأشعر بجبهتي وهي تتغصّن في تكشيرة.
«ألن تدخل؟».

تظلّ ابتسامته على حالها. «بالطبع. لكن إذا كان هذا مناسباً لك، فإنّ جلسة هذا الصباح ستكون مختلفةً بعض الشيء. هل تتذكّرين ما أخبرتك به عن أشخاص آخرين يرغبون في التحدّث إليك؟».

أشعر بتشنج يقبض معدتي. «نعم، أتذكّر».
- «عظيم»، يقول لي. «حسنٌ إذًا. يرغب أحدهم في التحدّث إليك الآن. كيف تشعرين حيال ذلك؟».
- «مَن يكونون؟»، أسأله.

- «اسمه العميل أندرو كارلايل، وهو يعمل لصالح مكتب التحقيقات الفيدرالي. هل تعرفين ماذا يكون؟».

رجل حكومة! يصرخ الأب جون، ويرعد صوته في رأسي.
رجل حكومة! لا تخبره أي شيء! اهربي! اهربي بحياتك!
أهز رأسي بالنفي. لا أريده أن يعرف أن الأب جون كان يدين
مكتب التحقيقات الفيدرالي وجميع الوكالات الحكومية الأخرى
كخدمة للشيطان صباح كل يوم أحد تقريباً.

- «في مكتب التحقيقات الفيدرالي»، يقول الدكتور هيرنانديز،
«هم يعملون على جرائم خطيرة جداً، تلك الأكبر والأكثر تعقيداً ممّا
تستطيع الشرطة المحلية التعامل معه بمفردها. من المهمّ القول مقدّماً
إنّ رغبته في التحدّث إليك لا تعني بحالٍ من الأحوال أنّك واقعةٌ في
أيّ نوع من المشاكل، وأنّه ما من أحدٍ سيحملك على الإجابة عن
أسئلة لا ترغبين في الإجابة عنها. لكن إن كنتِ مستعدّةً للتحدّث
إليه، فإنّ ذلك سيساعد التحقيق الجاري بشأن ما حدث لإخوتك
وأخواتك، وإن لم تكوني كذلك، فاستمعي إلى أسئلته على الأقلّ.
وأنا أعتقد صادقاً أنّك ستجدين هذا مفيداً».

- «لَمْ يريد التحدّث إليّ؟»، أسأله. «أنا لا أعرف أيّ شيء».
- «هو فقط يريد أن يسألك عمّا رأيّت، وما الذي حدث أثناء
الحريق وقبله. ما رأيك إذا؟ هل ستحدّثين إليه؟».
- «هل لديّ خيار؟».

- «دائماً»، يقول لي. «لكنّ تعاونك معه سيجعل العمل الذي
نقوم به أنا وأنتِ أسهل بكثير. أنا متأكّد أنّ هذا يبدو مثل مقايضةٍ
صعبة، وقد تكون كذلك، لكنّها الحقيقة أيضاً».
- «خذ وأعط»، أقول همساً.

- «بالضبط»، يقول لي. «أين تعلّمتِ هذه العبارة؟».
من هورايزون. حين كنتُ صغيرة، وحين كان لا يزال
مسموحاً لنا أن نتعلّم أشياء.

أهزُّ رأسي. «لا أعرف. لا بدَّ أنِّي سمعتها مرّةً في مكانٍ ما».
- «ستحدّثين إليه إذا؟ العميل كارلايل؟»
أهزُّ كتفي. «أظنُّ ذلك».

تعاود ابتسامته الظهور، واسعة وغير مقنعة كما كانت من قبل،
ثمَّ يخرج من الباب ويغلقه وراءه. أحدّق بالباب وأحاول إبطاء
تسارع نبضات قلبي.

ابقي هادئة. أنتِ الوحيدة التي تعرفين الحقيقة، ولا يمكنهم
إجباركِ على إخبارها. هم لا يعرفون شيئاً، لذا ابقي هادئةً
فحسب.

يعود الدكتور هيرنانديز إلى الغرفة، ويلحق به رجلٌ يحمل كرسيّاً
بلاستيكيّاً. هو أطول من الطبيب النفسي، بشعرٍ داكنٍ مسرّخٍ بعناية
إلى جهةٍ واحدة، وعينين زرقاوين وسط بشرّةٍ توحى بأنّه قضى الكثير
من الوقت في الهواء الطلق. إنّه يرتدي بذلةً رماديّةً داكنةً فوق قميصٍ
أبيض، ويومئ لي برأسه إذ يجلس على الكرسي.

- «مونبيم»، يقول الدكتور هيرنانديز، «هذا هو العميل
كارلايل».

- «يسعدني اللقاء بك»، يقول الوافد الجديد - خادم الشيطان.
«كيف حالك هذا الصباح؟».

- «أنا بخير». أحاول أن أبقي نبرتي ثابتةً وحياديةً بينما أنظر
إليه وأقول: «وأنت؟».

- «أنا بخير تماماً»، يقول لي. «شكراً لسؤالك وللسماع لي
بالدخول والجلوس معك».

وكأنني كنتُ أملك خياراً.

- «لا مشكلة»، أقول له.

يبدأ الدكتور هيرنانديز في إخراج دفاتره وأقلامه من حقيبته بينما

يخلع العميل كارلايل سترته ويعلقها على ظهر كرسيه. إذ يستدير نحوي، أرى شكلاً أسود اللون بارز الزوايا تحت إبطه فينكمش شيء ما بداخلي حين أدركت ما هو. لثانية، أنا أحدق فحسب، ثم أندفع وأتعربش مذعورة على ظهر الأريكة الحمراء وقد جحظت عيناى. ترتطم يدي المضمّدة بالحائط وأشعر بألم مروّع لكنني بالكاد ألتفت إليه مع صعود صرخة إلى حلقي، صرخة تتطلّب كلّ القليل المتبقي من قوّتي كي أكبحها.

- «مونبيم؟»، يقول الدكتور هيرنانديز بصوت أصبح الإلحاح سيّمته فجأة. «ما الأمر؟ ما المشكلة؟».

أهزّ رأسي. إذا فتحت فمي لأخبره فسوف تخرج الصرخة وحسب؛ أنا أعرف ذلك لأنّ كلّ ما يمكنني رؤيته هو مسدّس العميل كارلايل، وكلّ ما يمكنني سماعه هو دويّ إطلاق نارٍ من أسلحة آليّة وصرخات إخوتي وأخواتي. تملأ رائحة الاحتراق اللاذعة رأسي، ويبدأ كل شيء بالطفو والسباحة أمامي، وأناكّد فجأة أنني سأغيب عن الوعي.

يدير الدكتور هيرنانديز رأسه في الاتجاه الذي أنظر إليه بحثاً عن الشيء الذي أراه، الشيء الذي أفزعني وجعلني أبتعد عنهما على هذا النحو. ثمّ تتسع عيناه فجأة، ويقفز على قدميه ويسحب العميل كارلايل من كتفيه عن كرسيه.

- «ما هذا بحقّ الجحيم؟»، يصرخ العميل وقد احمرّ وجهه. يحاول تحرير نفسه، لكن الطبيب النفسي يقبض عليه بإحكام ويجرّه باتجاه الباب. يقاوم كارلايل، يتلوّى ويحتجّ إلى أن يصفر الدكتور هيرنانديز من بين أسنانه: «المسدّس، أيّها الأحمق».

يتجمّد العميل كارلايل ويشحب وجهه كالأموات، ثمّ يترك نفسه ليُدفع خارج الغرفة. يصفق الدكتور هيرنانديز الباب خلفهما بينما

يلحق بالرجل الآخر، لكنّ الباب لا ينغلق؛ بل يظل مشقوقاً بأقل قدر. أحّدق به وقلبي يخفق بقوة في صدري، وأدرك أنّ وقتاً طويلاً قد مرّ مذ أخذتُ آخر نفس.

أشعر وكأنّ أحشائي قد استحالت إلى خرسانة ثقيلة. أحّدق بالباب، وبالجُزء الصّغير من جدار الرواق الرماذي الذي يمكنني رؤيته عبر الفجوة الضيّقة، وأركّز بها بشدّة وأقول لنفسي أن أهدأ، ثمّ بعد لحظة صمتٍ طويلة لم يحدث خلالها شيء أتدبّر أن أصفر زفيراً رقيقاً من أسفل حنجرتي، وأشعر بكلّ شيء يسترخي قليلاً، وأنني ربّما لن أفقد الوعي في نهاية الأمر. أخذُ نفساً أعمق، ثمّ نفساً آخر، فيتلاشى الضغط في صدري والطين في رأسي، وأسمع أصواتاً بعيدة في الخارج تصل إلّي عبر الرواق.

- «ما الذي كنت تفكّر فيه بحقّ الله؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز بصوتٍ حادّ وبارد. «هل أحتاج أن أخبرك لمّ ليس من الملائم ارتداء مسدّس في جلسة علاج؟ أرجوك قل لي إنني لستُ في حاجة أن أشرح لك ذلك».

- «لم أفكّر»، يقول العميل كارلايل. «إنّها عادةٌ فحسب. أنا ألبسه في الصباح، وأخلعه في الليل. أنا آسف».

- «أنت آسف»، يقول الدكتور هيرنانديز. «حسنٌ. هذا عظيم. هل يمكنني أن أطرح عليك سؤالاً؟». - «بالأكيد».

- «هل لديك أيّة فكرة عن الذي مرّت به تلك الفتاة؟ أعني، لقد قرأت التقارير، أليس كذلك؟ أنت تفهم الأشياء التي رآها؟».

أقبع متجهّمةً في مكاني داخل الغرفة الفارغة. هناك جانبٌ منّي يكره سماعهما يتحدّثان عني وكأنّني فأر مختبر، لكنّ جانباً آخر يحبّ سماع الدكتور هيرنانديز وهو يستشيط غضباً لأجلي. لقد مرّ وقتٌ

طويل منذ شعرتُ أنّ أحداً يقف في صفّي، حتّى لو للحظة.

- «لا بأس، لا بأس»، يقول العميل كارلايل. «ها أنا أنزعه.

أترى؟».

- «أحرص في المرّة القادمة على نزعه قبل أن تدخل»، يقول الدكتور هيرنانديز. «سأكون صريحاً معك تماماً أيّها العميل كارلايل. إذا فعلت أيّ شيءٍ أعتقد أنّه قد يعرّض تقدّم مونيم للخطر بأيّ شكلٍ من الأشكال، فلن أتردّد في رفع تقريرٍ إلى رئيس قسمك. أنا جادّ في هذا كلّ الجدّ».

صمتٌ طويل. أنا جاثمةٌ على طرف الأريكة، أصيحخ السمع.

- «أنتَ على حقّ»، يقول العميل كارلايل. «أنا آسف. لن يتكرّر هذا مرّةً أخرى».

- «شكراً لك»، يقول الدكتور هيرنانديز وقد عاد بعض الدفء المعتاد إلى صوته. «تذكّر فحسب أين أنت الآن، وأين كانت هي، اتّفقنا؟ إنّها أقوى ممّا كان يحقّ لي بحالٍ من الأحوال أن أمل أنّها ستكون، لكن لا تقلّل أبداً من خطورة وضعها. إنّها في حالة بالغة الهشاشة».

- «اضطراب ما بعد الصدمة؟».

- «لم أنّه تقيمي الأوّلِي بعد، لم أرجّح ولم أستبعد أيّ شيء، بما في ذلك اضطراب ما بعد الصدمة. لذا خذ الأمور برويّة، اتّفقنا؟».

- «لَكَ ذلك»، يقول العميل كارلايل. أسمعُه يطلق زفرةً عميقة. «إنّها بمثل عمر ابنتي، أصغر أو أكبر بستّة أشهر. هل تعرف هذا؟».

- «تجاهل ذلك»، يقول الدكتور هيرنانديز بحدّة. «تعامل معه. إنّ جلب مسائلك الشخصية إلى هنا لن يساعدك أو يساعدها».

- «لقد كنتُ في مكتب التحقيقات الفيدرالي لثمانية عشر عاماً»، يقول العميل كارلايل، ويكاد يبدو أنه يبتسم. «هل كنتَ تعرف ذلك؟ وقد أُجريتُ خلال هذه المدة أكثر من سبعمئة مقابلة».

- «ماذا تحاول أن تقول؟».

- «لا شيء». ظننتُ أنها معلومة مفيدة وحسب. هل سنعود إلى الداخل؟».

ثمّة صمتٌ طويل، وأتساءل ما الذي يحدث على الجانب الآخر من الباب. هل يحدثان بأحدهما الآخر؟ هل أنّ الدكتور هيرنانديز يجعل العميل كارلايل ينتظر لأنّه يفكر في سؤاله فعلاً، أم لأنّه يريد أن يوضح مَنْ هو المسؤول هنا؟ يمكن للصمت أن يكون سلاحاً إذا استُخدم بشكلٍ صحيح - إنه يجعل الناس متوترين، ويجعلهم يقولون أشياء لا ينبغي بهم قولها لكسر التوتر. لقد فهم الأب جون قوّة الصمت جيّداً جداً.

- «حسنٌ»، يقول الدكتور هيرنانديز أخيراً، «دعنا نعود إلى الداخل».

أرجع إلى وضعي المعتاد - متكوراً على نفسي في زاوية الأريكة وركبتي مشدودتان إلى صدري - بينما الأسئلة تتسابق في ذهني.

ما هو اضطراب ما بعد الصدمة؟ وماذا قصد بـ«حالة بالغة الهشاشة»؟ هل سوف أتكرّر أو ما شابه؟

يُفتح الباب. يظهر وجه الدكتور هيرنانديز المتجهّم، وعينه على مقبض الباب ثمّ عليّ، لكنني أقابلهما بما آمل أنّه التعبير المطلق عن البراءة. يلتقط نظرتي لثانية، ويجلس في كرسيّه. يفعل العميل كارلايل الشيء نفسه، وحافطة الكتف لم تعد مرئية الآن. ينظر العميل كارلايل نحوي مباشرة.

- «أنا آسفٌ حقاً»، يقول لي . «لم أكن أفكر على نحوٍ سليم . أحسب أنكِ رأيتِ من الأسلحة ما يكفي لحياةٍ كاملة ، صحيح؟» .
أومئ برأسي .
- «لن يحدث هذا ثانية» ، يقول لي .
- «لا بأس . أنا لم أكن أتوقع ذلك فحسب» ، أقول له .
- «بالطبع لم تكوني كذلك» ، يقول الدكتور هيرنانديز . «إنَّ ردّة فعلكِ منطقيّةٌ بالكامل» .
- «أنا آسف» ، يكرّر العميل كارلايل .
- «لا تقلق بهذا الشأن» ، أقول له . «إنّه غلوك 22 ، صحيح؟» .
تتّسعُ عيناه . «أعيدي ما قلتِ» .
- «ذاك الذي كان معلقاً في كتفك» ، أقول له . «يبدو مثل غلوك 22» .
- «هذا صحيح» .
- «لا أعتقد أنّ هذا موضوع مثمر لـ —» .
يميل العميل كارلايل إلى الأمام في كرسيّه . «أنتِ تعرفين الكثير عن الأسلحة» .
- ليست لديكِ أدنى فكرة .

قبل

نجري تدريباً صبيحة أيام الاثنين والأربعاء والجمعة، وبعد ظهر يوم السبت.

هذا التدريب هو واحد من نشاطين في الفيلق - الآخر هو خطبة الأب جون صباح يوم الأحد - والتي يكون الحضور فيها إلزامياً تماماً؛ إنها تفوق في أهميتها أيّ شيء آخر قد يلزم القيام به في أرجاء القاعدة بغضّ النظر عن مدى أهميته، وبغضّ النظر حتّى عن أيّ مرضٍ قد يعاني منه أيّ أخٍ أو أخت. رأيتُ أشخاصاً واقعين فريسة حمّى الإنفلونزا ينهارون خلال جلسة التدريب ليعاودوا النهوض مترنّحين بمجرد أن يتلقّوا إنعاشاً، وعلى وجوههم نوعٌ من الإصرار المذعور.

يبدأ التدريب دائماً بمحاضرةٍ من الأب جون، يذكّرنا فيها بالشرّ المتربّص في الخارج، ورعب الأعداء الوحشيّ الذي من المقدّر لنا مواجهته.

حين تحلّ نهاية الزمان، قيل لنا أن نتوقّع مخلوقات شيطانية بحراشف وأجنحة وأفواه مليئة بالأسنان تخرج من الأرض وتتخذ هيئة أولئك الذين نجّهم؛ حيواناتٌ منقّرة لها عشرات الرؤوس التي تنفث اللهب وتحرق الأرض تحت حوافرها. وحين تبدأ المعركة النهائية أخيراً، سيمدّ الرب أولئك الصادقين بالقوّة اللازمة لدحر قوى

الظلام، وحالما يتكلّل ذلك اليوم بالنصر سنرتقي فوق أعمدة النور كي نجلس بجانب حضرته.

لكن وإلى أن يحلّ ذلك اليوم المجيد أخيراً، ثمّة عدوّ آخر ينبغي أن نحصّن أنفسنا ضده - عدوّ بشريّ، فاسدٌ ومسرّبٌ بالخطيئة، عدوّ لم يتحدّث عنه الأب جون يوماً إلّا بنبرة تقطر سماً خالصاً.

رجال الحكومة.

غنيّ عن القول أنّ جميع العملاء الحكوميّون هم خدّمة الشيطان، لكن لدى سماع الأب جون يقول ذلك، تشعر أنّهم سيّئون بقدر سيّدهم. هم جرذان في أجساد بشر، مسوخٌ بلا أرواح يكرهون الربّ، سيذلّون كلّ ما في وسعهم لحرف رجال ونساء الربّ الطيّبين عن طريق الحقّ. لن يفكّروا مرّتين قبل أن يقدموا على قتلي وقتل كلّ واحدٍ من إخوتي وأخواتي إذا لاحت لهم أصغر فرصة، وما كانوا ليحبّوا شيئاً أكثر من حبسنا وتعذيبنا للأبد. للحكومة أشكالٌ عديدة - مكتب التحقيقات الفيدرالي FBI، ومكتب الكحول والتبغ والأسلحة الناريّة ATF، ووكالة الاستخبارات المركزيّة CIA، والشرطة، ومصلحة الضرائب، ووزارة الأمن الداخلي - لكنّها جميعاً ليست إلّا تنيناً برؤوس كثيرة، وحشٌ ينتشر كالسرطان مع هدفٍ واحد: أن يسود الشيطان في الأرض.

أمشي عبر الفناء باتجاه البيت الكبير. لستُ في عجلة من أمري، رغم أنّي أستطيع أن أرى أنّ معظم أفراد عائلتي قد تجمّعوا فعلاً في ميدان الرماية خلف البيت الكبير، ورغم أنّ الوصول متأخراً إلى التدريب يؤدّي إلى عقوبة مضمونة. لكن يبدو وكأنّ أعين الجميع مسلّطة عليّ بالفعل، إذ الجميع يهمسون بشائعاتٍ عني الآن بفضل نيت وأمي، لذا الآن بالذات، في هذه اللحظة تماماً، لستُ أهتمّ إن

كنتُ سأعطيهم سبباً آخر كي ينظروا إليَّ بعين الريبة .

أمشي بجانب البيت الكبير وأنضمُّ إلى القسم الخلفي من الحشد . تلتفتُ هوني نحوي وتبتسم لي - وهي لفتةٌ أقدرها أكثر ممَّا قد تظنُّ - لكن لا يبدو أنَّ أيَّ أحدٍ آخر قد لاحظ تأخري . بدأ الأب جون محاضرتَه بالفعل في المساحة الخالية أمام ميدان الرماية ، يشرح بملامح صارمة وعينين ضيّقتين ما ستفعله الحكومة بنا إذا تخلَّينا عن حذرنا ولو لثانيةٍ واحدة .

الحكومة لديها مروحيّات ستسكب عليك الغازولين المشتعل إذا ضبطتكَ في الخارج ، بعيداً عن نطاق حماية الأب جون . سيقتل رجال الحكومة أصغر إخوتنا وأخواتنا ، ثمَّ سيثوون أجسادهم فوق حفرةٍ من نار الجحيم ويأكلون لحمهم . سيلقح رجال الحكومة الأخوات في الفيلق بمخلوقات طفيلية ستلتهمهنَّ من الداخل .

سيقطع رجال الحكومة أذرعكم وأرجلكم ويخيطون أفواهكم ، ثمَّ سيضحكون ملء أشداقهم بينما تتصوَّرون جوعاً . إذ انتهى الأب جون من خطبته ، كان العديد من إخوتي وأخواتي الصغار يذرفون الدموع ؛ هم يبكون بصمتٍ بالقرب من آبائهم وأمهاتهم الذين تعلو وجوههم نظرات ملؤها التوتر . ليس الضعف شيئاً مسموحاً به في فيلق الرّب . أسترّق النظر إلى هوني بطرف عيني ، وأراها تحدّق في النبيّ مباشرةً ، وعلى وجهها تعبيرٌ لا يمكن قراءته .

حالما تنتهي المحاضرة ، يحين وقت إطلاق النار . يقع حقل الرمي أبعد ما يمكن عن البوابة الأمامية ، مخفيٌّ عن أعين المتطفّلين بواسطة البيت الكبير والحدايق وصفٍّ ورش الصيانة .

يذكّرنا الأب جون باستمرار بأنّه من الجوهريّ جدّاً ألا يدرك أعداؤنا كم نحن مستعدّون إلّا بعد فوات الأوان.

إنّ قادة السرايا مسلّحون على مدار الساعة، لكن لا يسمح لبقية أعضاء فيلق الرب بحيازة أسلحة خاصّة بهم. احتفظ معظم الناس أيّام الأب باتريك ببندقية على الأقل في غرفهم، لكنّ هذا تغيّر بعد التطهير، حاله كحال كلّ شيء آخر تقريباً. لذا فإنّنا نستخدم أثناء التدريب البنادق التي يحضرها أموس من الغرفة المغلقة في قبو البيت الكبير، حيث يحصي هذا الأخير بعناية كلّ قطعة سلاح في بداية كلّ حصّة ونهايتها.

نقوم بإطلاق النار لمُدّة ساعة تقريباً، وقد طوّرنا مهارتنا عبر التصويب على أشجارٍ رُسم عليها أشكالٌ بدائية لرجالٍ ونساء كُتب على صدورهم FBI، وعلى أقراص الرماية، والعلب والزجاجات والأباريق البلاستيكية وأي شيء يمكن قذفه داخل حقل الرمي. الضجيج يصمّ الآذان، والدخان الذي يعبق به الهواء كثيفٌ ولاذع ويخرّش الحلق.

نتدرب على غلوك 17 و22، وديزيرت إيغل، وMP5، وسميث أند ويسون 45، وAR-15، وسيغ ساور P226، وAK47، وM4، وM16، وريمينغتون دوبل، وبيريتا 9MM، والعشرات من أنواع المسدّسات والبنادق الأخرى. لا يُسمح للأطفال دون سنّ الثامنة بإطلاق النار، لكن على الجميع أن يكونوا حاضرين، بغض النظر عن أعمارهم. وأنا واثقة أنّ معظم إخوتي وأخواتي يستطيعون تسمية ستّة وعشرين طرازاً مختلفاً من الأسلحة قبل أن يكونوا قادرين على سرد الستة وعشرين حرفاً أبجدياً.

أصوّب فوهة بندقية M4، ببندقية أتذكّر أنّني بالكاد تمكّنت من رفعها أوّل مرّة سلّمت إليّ، وبالكاد استطعتُ الضغط على الزناد. أنا

متأهبةً للارتداد، أضع ثقلي على قدمي الأمامية، والمقبض مشدودٌ إلى كتفي، وبالكاد تهتزُّ ذراعي قبل أن أسحب الزناد مرّةً بعد مرّة. صوتُ الطلقات مثل قرع طبولٍ معدنيّة، يتلو كلّ واحدةٍ منها انخلاع قطعٍ من لحاء شجرة وتطايرها في الهواء.

أفرغُ المخزن، وإذ أعيد تعبئته أسترّق النظر إلى الأب جون. هو يقف تحت شجرة البلوط الأبيض على طرف الحديقة الغربيّة، يراقب عائلته وعلى وجهه نظرة فخرٍ واعتزاز، وفجأةً تجتاحني لحظة وعيٍ وإدراكٍ للبندقية التي في يدي وما هي قادرةٌ على فعله، وتومض في رأسي فكرةٌ أعظم وأخطر بكثير من الهرطقة لدرجة أنني أطردها على الفور خوفاً من أن تظهر بطريقةٍ ما على وجهي.

إذ ينتهي إطلاق النار، يجمع آموس الأسلحة ويحملها إلى البيت الكبير، بينما تستعدُّ بقيتنا للتدريبات القتاليّة. ينقسم الفيلق بأكمله إلى أزواجٍ يختارها الأب جون، ثمّ تبدأ هذه الأزواج القتال لمدة ثلاث دقائق بكلّ ما لديهم وبأيّ شيءٍ يمكنهم العثور عليه: اليدين، والقدمين، والأظافر، والأسنان، والصخور، وقطع الخشب.

ككلّ التدريبات، إنّها ليست اختيارية. لكن على عكس إطلاق النار، فإنّ من المستحيل تزييفها. إذا كان ثمة من يراقب حقاً عن كثب، فسيلاحظ ما إذا كانت رصاصاتك تفشل في إصابة أهدافها، لكنك قد تفلتّ في كثيرٍ من الأحيان من المحاولة بجذّ كبير إذا كنت لا ترغب في ذلك كثيراً.

القتال مسألةٌ مختلفة تماماً. إذا تساهلت مع أيّ شخصٍ تمّ تحديده كخصمٍ لك، ولاحظ أحد قادة السرايا ذلك، فسيجروناك أمام الجميع ويجعلونك عبرةً لمن يعتبر. لا مكان للرحمة داخل فيلق

الربّ - إلى جانب الضعف والتمرد، فإنّ انتهاك القواعد هو الذي يتسبّب بأقسى العقوبات، وهي نقطة ستستوعبها سريعاً إن كنت تملك ذرة عقل.

يهمس الأب جون بالأسماء لقادة السرايا، ثمّ يراقبنا بينما يتمّ فصلنا إلى صفّين طويلين بمواجهة أحدهما الآخر. اليوم تقف أمامي لوسي، واحدة من ألطف الفتيات وأرقهنّ في الفيلق بأكمله. يستحيل أن تكون هذه مصادفة.

ويجب أن أكون غبيّة كي لا أدرك ما الذي يحدث حقّاً: إنّ الأب جون يختبرني - يختبرني علناً - ليرى ما إذا كنتُ سأمضي قدماً في أدبّة شخص أهتمّ لأمره لمجرّد أنّه طلب منّي ذلك؛ ما إذا كنتُ سأظلّ ملتزمةً بالامتثال للأوامر؛ وما إذا كنتُ لا أزال محلّ ثقة. يبدو الأمر وكأنني أخضع للمحاكمة دون أن يطلعني أحدٌ على التهم الموجهة إليّ، رغم أنّي أعرف بمّ قد تكون مرتبطة. أمّي.

نيت.

لوسي في الثانية عشرة فحسب، وأقصر منّي باثنتي عشرة بوصة، ولا تزن أكثر من ثمانين رطلاً بأحسن الأحوال. يمكنني طرحها أرضاً خلال خمس ثوان، وأنا أعرف أنّ هذا هو بالضبط ما ينبغي بي فعله - أن أنجز هذه المهمة الفظيعة بأسرع ما يمكن، كي أضمن ألاّ أتسبّب لها سوى بالحدّ الأدنى من الألم. لكنني لا أريد أن أفعل.

أنا لن أفعل ذلك.

أنا أحاول إخفاء الأمر - وأعتقد بصدق أنّي أنجح في ذلك، معظم الوقت على الأقل - لكنني غاضبةٌ جدّاً من نيت، ومن أمّي، ومن نفسي. الغضب حارٌّ وحادٌ ورأسي ممتلئٌ بأفكار تجعلني أشعر

بالغثيان، أفكارٌ نشأتُ على الاعتقاد بأنّها ستلقني بي في نيران الجحيم الأبدية، ورغم معرفتي بأنّ الأمور قد تغيّرت - وبأنّني قد تغيّرت - فإنّ جزءاً منّي لا يزال الشخص الذي اعتدْتُ أن أكونه، وذاك الشخص لا يزال يؤمن بشدّة أنّني يجب أن أعاقب على ما فكّرتُ به عندما كنتُ أحمل بندقيةَ الـ M4 وأنظر إلى الأب جون، وعلى كلّ الأشياء الأخرى التي تبقيني مستيقظةً في الليل وتسمّم أحلامي حين أغفو.

هذا هراء، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. أنتِ لم — أقول له أن يخرس. لأنّني أستحق أن أعاقب، حتّى لو لم يعرف بأمر تلك الأفكار أحدٌ سواي. أنا خائفةٌ وغاضبةٌ ووحيدة، ولا أعرف ما الذي سيحدث.

لكنّني الآن بالذات، أريد أن أشعر بشيء ما فحسب. لذا عندما يعطي بير إشارة البدء صارخاً: «هيا!»، وتندفع لوسي للأمام وتجرب لكمة في اتّجاهي، أنا لا أحركُ عضلةً واحدة. بدلاً من ذلك، أسمح لقبضتها الصغيرة أن ترتطم بأنفي وأتلذّذ بالألم الذي ينفجر مندفعاً عبر رأسي.

تمتلئ عينيّ بالماء على الفور، وأتذوّق الطعم النحاسيّ للدم في مؤخرة حلقي. ألمح من بين دموعي نظرة ذعري تظهر على وجه لوسي، لكن ليس هناك ما يدعوها للقلق، إذ لا نيّة لديّ للانتقام. أنتظرُ، ساكنةٌ تماماً كتمثال، إلى أن تفهم ماهية الوضع، ثم أتركها تضربني مرةً ثانية وثالثة.

تأتي لكمتها الثالثة أقوى بكثير من اللكمتين السابقتين، فأترجّح متراجعة للخلف إلى أن تتشابك قدماي وأسقط على ظهري. تقف لوسي فوقّي، تحوّلّت ملامح وجهها اللطيفة في العادة جرّاء إثارة العنف السحيقة، تلك المتعة البدائية المتأبّية عن التسبّب بالألم لكائنٍ

حيّ آخر. أهدق في وجهها وأبتسم لها، لكن لا بدّ أنّها ابتسامة مروعة مع فمي الذي تملؤه الدماء، لأنّ عينيها تتسعان ولجزء من الثانية تبدو هي لوسي التي أعرفها - قبل أن يدفعها جاكوب رينولدز جانباً وينظر إليّ بعينين تتقدان غضباً.

«انهضي»، يزمجر قائلاً.

كان الآخرون جميعاً قد توقّفوا عن القتال. يهدق الأب جون بي من تحت شجرة البلوط الأبيض، لكنّه لا يبدو غاضباً؛ بل إنّ ملامحه تنمّ في الغالب عن الفضول. أدرك مذهولةً إذ أنهض واقفة ببطء أنّي أصبحت محور الاهتمام.

- «فلتأت بهذا الهراء حين يحلّ يوم الدينونة ولسوف تموتين»، يقول جاكوب. «هل تصغين إليّ؟ لن ترتقي، ولن تجلسي بين يديّ الرب، ستموتين فحسب وستقبع روحك في الجحيم. هل هذا ما تريدينه؟».

أهدقُ به لبرهةً طويلة، ثمّ أهرّ رأسي بأقلّ ما يمكن. يشيرُ إلى لوسي التي تنظر إليّ بعينين يملؤهما الأسف والاعتذار. أودّ أن أقول لها إنّ هذه ليست غلطتها، وأنّها لم ترتكب أيّ خطأ، لكنني أعرف أنّ ذلك سيزيد الطين بلّةً فحسب.

- «هل تعتقدين أنّك تسدينها معروفاً بعدم الردّ؟»، يسأل جاكوب. «هل تعتقدين أنّك تقومين بحمايتها؟ أنتِ لا تفعلين. إذا لم تتعلّم كيف تقاتل وتتأدّى وتنهض وتقاتل مجدّداً، فلن يرشدها الربّ في المعركة النهائية وسينتهي بها الأمر بقربك في الجحيم. أنتِ تخذلينها فحسب».

أبصق الدم على الأرض، وإذا أنظر إلى جاكوب، أشعر وكأنني أراه - أراه حقّاً - للمرة الأولى في حياتي. إنّهُ بدينٌ وقبيحٌ ولا أعرف لمَ استمعتُ يوماً إلى أيّ كلمةٍ خرجت من فمه.

- «اضربيهـا»، يقول لي .

- «لا» .

تخرج أصوات شهقات مسموعةً من جمهرة إخوتي وأخواتي،
فلا أحد يتحدثُ إلى قائد سرّية على هذا النحو، حتّى الشخص الذي
كان بوضوح الخيار الثاني .
لا أحد .

يأخذ خطوةً للأمام نحوي، وتضيق عيناه . «اضربيهـا أو
سأضربها أنا» .

- «مونبـيم»، تقول لوسي بصوتٍ مرتعش، «لا بأس . افعلي
ذلك فحسب» .

- «لن أفعل!»، أصرخ بأعلى صوتي .
يجفل جاكوب . ينظر حوله ووجهه يطفح بالغضب والإحراج،
ثمّ يلتفتُ إليّ مجدّداً ويزمجر: «آخر فرصة» .
- «اذهب للجحيم» .

يخيّم على الحشد صمتٌ عام ومخيف . للحظةٍ بدت بلا نهاية،
لم يبدِ جاكوب أيّ ردّ فعل؛ هو يحدّق بي فحسب، وجهه قرمزيّ
اللون، وصدره يرتفع ويهبط بوضوح تحت قميصه القطنيّ . ثمّ - وعلى
نحوٍ أسرع بكثير ممّا تصوّرتُ أنّه ممكن بالنسبة لشخصٍ بدين وغير
لائقٍ جسديّاً - يستدير بسرعة يساراً ويلطم لوسي على وجهها بقبضته
المشدودة، فإذا بها تطير في الهواء وقد ارتخت أطرافها وتخلّفت
عنها، ثمّ تهوي متكوّمة فوق الأرض وتبدأ بالصراخ .

- «لا!»، تغادر الصرخة فمي وأنا أنقضُّ قافزةً للأمام، مستعدةً
لغرز أصابعي في هلام مقلتيّ عينيّ جاكوب كي أنتزعهما من رأسه .
أكاد أنجح في ذلك .
أكاد .

يعترضني لونستار، ويضربني ضربةً ساحقة تطيح بي إلى الأرض
وتخرج كلَّ الهواء من رئتيّ بجلبةٍ أشبه بانفجار بالون. يرتطم رأسي
بأرض الصحراء وتترأى لي مجموعاتٌ كاملة من النجوم المتلألئة
بينما هو يجرّني من قدميّ ويلوي ذراعيّ بعنفٍ خلف ظهري. يندفع
ببر نحوّي، ويرفعني الاثنان بسهولة عن الأرض ممسكين بمعصميّ
وكاحليّ. أشتّم وألعنُ وأصرخ كي يفلتاني بحقّ الربّ، لكنّهما
يحملانني فحسب عبر ميدان الرماية دون أن ينسا بينت شفة.

يكاد إخواني وأخواتي يقعون فوق بعضهم البعض وهم يفتحون
الطريق، وكلُّ واحد منهم حريصٌ أشدّ الحرص ألاّ تلتقي عيناه بعينيّ
بينما أبصق وأصرخ وأعوي. ومن تحت شجرة البلوط الأبيض،
يرمقني الأب جون بنظرةٍ تنمُّ عن خيبة أملٍ عميقة.

إذ أمضي محمولةً قرب زاوية البيت الكبير، تنجرف عبر هواء
الصحراء الدافئ صرخات الألم المروّعة مع شروع جاكوب في تلقين
لوسي الدرس الذي رفضتُ أن ألقنها إيّاه.

مكتبة

t.me/soramnqraa

بعد

يشحب وجها الرجلين الجالسَيْن خلف طاولة المكتب إذ أنهى كلامي .

لست متفاجئة، رغم أنني متأكدة أن هذا هو بالضبط ما أراد العميل كارلايل - وجانبٌ مذب من الدكتور هيرنانديز - أن يسمع عنه: العنف والعقوبات والأسلحة. نادراً ما يصنع الدم نهايات سعيدة، لكنه دائماً ما يصنع قصصاً أفضل.

- «متى حدث ذلك لصديقتك؟»، يسأل العميل كارلايل بصوت خافت وصارم.

- «قبل الحريق بثلاثة أيام»، أقول له.
- «إذاً فقد كانت تلك آخر جلسة تدريب لفيلق الرب على الإطلاق؟».

تسري قشعريرة صعوداً عبر عمودي الفقريّ، فأنا لم أفكر في الأمر على هذا النحو. «نعم»، أقول له. «أظنُّ أنها كانت كذلك».

- «لقد أخبرتني أن الناس لم يتعرضوا للعقاب نتيجة خرقهم للقواعد»، يقول الدكتور هيرنانديز. ثمّة شيء يكاد يكون طفولياً في صوته، مثل مراهق يحاول ألا يبدو عليه الحرْد، وهو ما يجعلني أرغب في الضحك بصوت عال. «أخبرتني أن رجال ونساء فيلق الرب لم يكونوا خائفين. لم قلت ذلك؟».

أهزُّ كتفيّ. يمكنني أن أقول الحقيقة - أنني لم أكن أثق به عندما سألني، وأنني ما زلتُ لا أثق به تماماً الآن - لكن بَمَ سيفيدني ذلك؟

يختلس الدكتور هيرنانديز النظر إلى العميل كارلايل بتعبيرٍ بدا على نحوٍ غريب أشبه بالغيرة، ثمَّ يخرش شيئاً في أحد دفاتره لبرهةٍ طويلة. وإذا يعود بانتباهه إليّ أخيراً، يكون قناع الاحتراف المحايد قد عاد مجدداً إلى مكانه.

- «ماذا حدث لك؟ أعني بعد ذلك»، يسألني.

- «حبَسَني بير ولونستار في غرفتي»، أقول له. «ظننتُ أنني سأقتاد إلى البيت الكبير حال انتهاء جلسة التدريب، لكنَّ هذا لم يحدث. ثمَّ سمح لي بير بالخروج عندما قُرِع جرس العشاء». - «لماذا لم تعاقبي برأيك؟».

أهزُّ كتفيّ. «ربّما اعتقد الأب جون أنَّ هذا سيبدو سيئاً لكوني إحدى زوجاته المستقبلات. أو ربّما كان لا يزال يقرّر ماذا سيفعل معي حين بدأ كلُّ شيءٍ آخر في الحدوث. لا أعرف». يدوّن الدكتور هيرنانديز ملاحظة، ويومئ برأسه. «لقد أتيت على ذكر قادة السرايا مرّاتٍ عديدة، هل يمكنك أن تخبريني أكثر عنهم؟».

- «كان هذا هو الاسم الذي أطلقه الأب جون على الأعضاء الأربعة الأكثر موثوقية في الفيلق».

- «كانت لديه طريقةٌ غريبة في إظهار مدى ثقته بهم»، يقول العميل كارلايل. «أتحدّث عمّا حدث في النهاية. لكن أظنُّ أنك تعرفين ذلك أكثر من أيِّ شخصٍ آخر».

يقفز قلبي داخل صدري. «ما الذي تتكلّم عنه؟».

- «أتكلّم عمّا حدث في البيت الكبير. عمّا رأيته، أثناء الحريق».

يتجهّم وجه الدكتور هيرنانديز، ثمّ يقول: «حسنٌ. أعتقد أنّه يجدر بنا أن —».

- «أنا لم أدخل إلى البيت الكبير أثناء الحريق»، أقول للعميل كارلايل.

تضيق عينا العميل. «هل أنت واثقة من ذلك؟».

- «كلّ الثقة».

يحدّق بي. أرغم نفسي على ألا أشيح بنظري.

ابقي هادئة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. هو لا يعرف شيئاً. ما من طريقة لذلك. لذا ابقي هادئة فحسب.

- «حسنٌ»، يقول أخيراً. «إذا كان هذا ما تقولينه، فأنا أصدّقك».

- «حاذِر»، يقول الدكتور هيرنانديز بصوتٍ خافت.

يومئ العميل كارلايل برأسه، ثمّ يبتسم لي. «والدك كان قائد سرّيّة، أليس كذلك؟».

أعبس. «مَن أخبرك بذلك؟».

- «هذا ليس مهمّاً في الوقت الراهن».

- «إنّه مهمٌّ بالنسبة لي».

- «لماذا؟».

- «لأنّ التفكير في أنّ الناس يتحدّثون إليك عن عائلتي يجعلني أشعر بالتوتر».

- «هل أنت —».

يتدفّق الغضب في عروقي. «أنا لستُ غبيّة»، أقول له. «ربّما تظنّ أنّي غبيّة، لكنني لستُ كذلك. الوحيدون الذين يمكنهم إخبارك

بأي شيء عن والدي بعد انضمامه إلى الفيلق، هم أولئك الذين غادروا الفيلق أثناء التطهير. كل شخص آخر قد مات». يهزّ العميل كارلايل رأسه. «بصرف النظر عن إختوتك وأخواتك الأصغر سنًا، وعنك».

أحدّق فيه للحظة طويلة، إذ إنّ ما يفعله شيءٌ مقرفٌ بحق. غنيّ عن القول إنّّه يعرف أكثر ممّا يقول؛ كلاهما كذلك، ولا بأس بهذا إلى حدّ بعيد، فأنا أعرف أكثر بكثير ممّا أخبرهما به. لكنّ القذف بذكرى والدي على هذا النحو - لأنّهم إن كانوا يعلمون أنّه كان قائد سرّيّة، فمن الآمن الافتراض أنّهم يعرفون أيضاً أنّه قد مات - لهو شيءٌ قاسٍ فحسب.

- «لا أحد يستطيع أن يخبرني بأيّ شيءٍ عن أمّي، لكنك تريد التحدّث عن أبي؟»، أقول له. «هذا لا يبدو عادلاً».

- «بالفعل، يمكنني رؤية كيف أنّه لا يبدو كذلك».

- «لقد أخبرتك أنّي لا أملك أيّة معلومات عن والدتك، يا مونبيم»، يقول الدكتور هيرنانديز. «ألا تصدّقين أنّي كنتُ أقول الحقيقة؟».

أهزّ كتفيّ.

- «لا بأس»، يقول العميل كارلايل. «إذا أنتِ تقولين أنّ والدك لم يكن قائد سرّيّة؟».

- «من الواضح تماماً أنّك تعرف بالفعل»، أقول وأنا أحاول إبقاء الإحباط الذي يخيم عليّ بعيداً عن صوتي، لكنني لستُ متأكّدة على الإطلاق من أنّي أصيب نجاحاً في ذلك. «لماذا تريد منّي أن أقول ذلك لك؟».

- «أنا مهتمّة أكثر بمعرفة لم لا تريد أن تقول ذلك».

- «حسنٌ»، يقول الدكتور هيرنانديز. «سأطلب من كليكما أن

تخفّفاً من حماستكما قليلاً. النقاش الحادّ قد يكون صحّياً، لكنّ التحفّز للقتال لن يكون مفيداً لأحد.

- «أنا آسف»، يقول العميل كارلايل، لكنني أهدق في عينيه وأعرف أنّه لا يعني ذلك.

- «لقد مات والدي قبل أربع عشرة سنة»، أقول له.

يومئ برأسه. «أعلم ذلك. أنا آسف جداً».

- «إذاً لم أنت مهتمّ ما إذا كان قائد سرّيّة أم لا؟».

- «أنا مهتمّ بمعرفة إن كان ذلك يغيّر طريقة تفكيرك بهم أم لا».

- «هذا لا يغيّر شيئاً»، أقول له. «كان والدي أحد قادة السرايا

الأصليين عندما أسّسها الأب باتريك أوّل مرّة. كانوا مختلفين آنذاك».

- «مختلفون عمّا كانوا عليه بعد أن تولّى الأب جون زمام

الأمر؟».

أومئ موافقة. «لقد تغيّروا بعد التطهير».

- «لكنّك قلت إنّّه كان مجرد اسم أكثر خدم الأب جون

موثوقة»، يقول العميل كارلايل. «مع ذلك فقد كانوا الوحيدة

المسموح لهم بحمل السلاح وقد شاهدوا جاكوب رينولدز يعتدي

على صديقتك لوسي ولم يفعلوا شيئاً حيال ذلك، وقاموا بجرك إلى

غرفتك وحبسك فيها رغم أنّك لم ترتكبي أيّ خطأ».

أهزّ رأسي ببطء. يزداد إحباطي وينتشر مثل حريق غابة يبدو أنّه

سيخرج عن السيطرة. «لم لا تخبرني فحسب ماذا تريدني أن أقول؟

سيكون هذا أسهل وأسرع بكثير».

- «لا أحد يريد هذا أبداً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «وأنا

آسف إن كان هذا هو الانطباع الذي تشكّله عن هذه الجلسة. نحن

نريد أن نخبرنا ماذا تتذكّرين يا مونييم، بماذا تفكّرين وبمّ تشعرين.

نودُّ منك أن تقولي الحقيقة بقدر ما تشعرين أنكِ قادرةٌ على قولها، لكنَّ آخر شيءٍ نريد فعله هو أن نضع الكلمات داخل فمكِ ونحملكِ على قولها».

أجد نفسي فجأة على وشك أن أنفجر بالبكاء.

ينظر إليّ الدكتور هيرنانديز نظرةً شديدةً اللطف والتعاطف لدرجة جعلتني أرغبُ في الصراخ، والعميل كارلايل ينظر إليّ كما لو أنني لستُ شخصاً واقعياً حقاً، كما لو أنني لستُ إلا ملفاً على هيئة إنسان متختم بالمعلومات التي تحتاج للاستخراج، وكل شيءٍ بداخلي يرغي ويزبدُ هياجاً وغضباً. أنا أكرههما، وأكره كلَّ شخصٍ آخر في العالم بأسره.

بما في ذلك نفسي.

يجدر بكِ ذلك! يصرخ الأب جون. أنتِ إنسانةٌ سيئة! أنتِ زائفة!

- «هل يمكنكِ إخبارنا عن قادة السرايا؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «سبق أن فعلتُ ذلك»، أقول بصوتٍ مرتعش.

- «لا بأس إن كنتِ لا تريدين، لكنكِ لم تخبرينا عنهم. ليس حقاً»، يقول لي.

- «أنا لا أريد أن أخبركما».

تعبّر لمحةً من خيبة الأمل وجه الدكتور هيرنانديز. إنها لمحةٌ سريعة جداً، بالكاد يمكنُ ملاحظتها، لكنني أراها. «جيد»، يقول لي. «لا بأس بذلك تماماً. سنستأنف هذا في الغد».

يعبس العميل كارلايل - أحسبُ أنه في العادة لا يتوقّف ببساطة عن طرح الأسئلة لأنَّ موضوع الدراسة لا يرغب في الإجابة عنها - لكنّه لا يقول شيئاً.

يرفع الدكتور هيرنانديز حقيبتَه، ويعيد بعناية الأقلام والدفاتر إليها. ينهض واقفاً حالماً يرتّب كلّ شيء كما يريد. «أراك صباح الغد»، يقول لي. «أمل أن تسير جلسة التفاعل الاجتماعي على نحو جيّد بعد ظهر اليوم. سأكون مراقباً».

لا أستطيع منع نفسي. النيران بداخلي توشك على الانطفاء، لكنّ آخر الجمرات لا تزال مستعرة.

- «تماماً مثل قائد سرّيّة»، أقول له.

يتوقّف حيث هو. «لَمْ قلتِ ذلك؟»، يقول لي بوجهٍ عابس. لا أجيب بشيء.

يجلس بجانب العميل كارلايل الذي لم يغادر مكانه. «إذا كان قادة السرايا هم ليسوا إلّا الأعضاء الأكثر موثوقية في فيلق الرّب، فلمَ حاولتِ إهانتي عبر مناداتي بواحدٍ منهم؟».

- «لمعرفتي أنّك تعتقد أنّهم كانوا أشخاصاً سيّئين».

يومئ برأسه، والتكشيرة ما زالت تغضّن جبينه. «أنتِ محقّة، هذا بالضبط ما أعتقد أنّهم كانوا عليه».

- «ما حدث للوسي حدث في النهاية، حين كان كلُّ شيء ينهار. لكن الأمر لم يكن الأمر كذلك دائماً. هم لم يكونوا كذلك دائماً».

مثيرٌ للشفقة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. أنتِ تكذّبين على نفسك. مَنْ الذي تحاولين حمايته؟ هم أم أنتِ؟

- «أنا أصدّق ذلك، يا مونبيم»، يقول الدكتور هيرنانديز. «أصدّقه بالفعل. لَمْ إذاً لا تخبرينا كيف كانوا حقّاً؟».

قبل

يجب أن يكون لديكم قواعد. هذا ما يقوله الأب جون دائماً.
دون قواعد، الأشياء تنهار.

لكن لا يكفي أن تضع القواعد فحسب؛ يجب أن تتأكد من أن الناس يلتزمون بها. يمكنك أن تشرح كيف أن القواعد تفيد الجميع، وكيف تمنحهم إحساساً بالأمن والأمان، وسوف يلتزم بها الكثير من الناس - معظمهم ربّما - لأنّ أرواحهم طيبة ويفهمون الطريقة التي ينبغي أن يعمل بها المجتمع. لكنّ هذا ليس كافياً على الدوام، لأنّ البعض أقلّ طيبة، وأقلّ ميلاً لئلا يتصرّفوا بأنانيّة. يحتاج أمثال هؤلاء إلى حافز يجعلهم يلتزمون بالقواعد، رغم أنّه من البديهيّ أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله، ولأنّك لا تستطيع مكافأة الشخص في كلّ مرة يفعل فيها الشيء الصحيح، لذا عليك التعامل مع الأمر بطريقة عكسية. عليك أن تحرص أن يكون هناك عواقب لعدم اتّباع القواعد.

هكذا تجري الأمور داخل فيلق الرّبّ.

ثمّة أربعة قادة سرايا في كلّ وقت، ولم يكن هناك سوى ستّة منهم طوال فترة وجود فيلق الرّبّ، فاللقب والمسؤوليّات المرافقة له هما التزامٌ لمدى الحياة. هم لا يرتدون الزيّ الرسميّ ولا يضعون الشارات، لكنّ الجميع يعرفون من هم، وذلك ليس بسبب الأسلحة

المعلّقة في أحزمتهم أو تتدلّى من أكتافهم فحسب. في السنوات التي تلتّ التطهير، وعندما كان الإخوة والأخوات لا يزالون يصلون إلى القاعدة بانتظام معقول، كان أوّل شيءٍ تعلّموه هو أنّ كلمة الأب جون نهائية. والثاني هو أنّ قادة السرايا كانوا السبب في ذلك.

سمعتُ أشخاصاً يقارنون بين قادة السرايا والشرطة في الخارج - عادةً حين كانوا يغضبون لأنّهم عوقبوا لفعلهم شيئاً لا ينبغي بهم فعله. إنّ كلّ ما أعرفه عن الشرطة يأتي من البرامج التلفزيونية؛ عندما كان لا يزال مسموحاً لنا بمشاهدتها، لكنّهم لا يبدو أنّهم يشبهون قادة السرايا في شيء، أقلّه بالنسبة إليّ. قادة السرايا لا يتجسّسون على زملائهم من الرجال والنساء، أو يستجوبونهم، أو يحاولون خداعهم والإيقاع بهم، وهم دائماً متواضعون؛ ولا يحاولون مطلقاً أن يُظهروا تميّزهم عن الجميع. لكن إذا حدث خطأ ما، إذا حاد شخصٌ ما عن طريق الحق لو للحظة واحدة، فسوف يظهرون كالسحر. وإذا يفعلون، فهم يضعون عدالة الربّ موضع التنفيذ.

العدالة كما يفسّرها الأب جون بالطبع.

حينُ كنتُ في الثانية عشرة، ضرب أحد إخوتي واسمه شانتي ابنته إيكو ذات الأربع سنوات بمقبض مكنسة بعد أن عثر عليها جالسةً على أرضية المطبخ، وعلى وشك أن تشرب من عبوة سائل التبييض. وصلت الضوضاء الناتجة عن ذلك إلى كلّ ركنٍ في القاعدة: صوت الضرب بمقبض المكنسة، صراخ إيكو، وصيحات الغضب الصادرة عن شانتي، وتوسّلات زوجته لينا اليائسة أن يتوقّف بحق الربّ.

رأيتُ هورايزون وبيير يهرعان عبر الفناء حاملين بندقيتيهما، ويختفيان داخل المطبخ. اشتدّ الهرج والمرج والصراخ، ثمّ جرّ

القائدان شانتى خارجاً إلى الفناء وإلى داخل إحدى الحاويات المعدنية الثلاث الموجودة في الركن الشمالي الشرقي من المجمع. كان يركل ويقاقل ويصرخ في كلِّ شبرٍ على طول الطريق، لكنَّ بير وهورايزون كانا شديدي البأس؛ ألقيا بشانتى داخل الحاوية، وصفقا الباب وأحكما إغلاقه، ثمَّ ركضا عائدين إلى المطبخ للاطمئنان على إيكو ولينا اللتين خرجتا في النهاية إلى ضوء الصباح بوجهين ممتنعين وملابس ملطَّخة بالدماء.

ترك شانتى داخل الصندوق المعدنيّ لمدة عشرة أيّام بلياليها، مع نصف رغيفٍ من الخبز فقط وزجاجة ماء سعة 2 لتر كل يوم. خلال النهار، وحين تكون الشمس ساطعةً في كبد السماء، تصبح الصناديق ساخنةً لدرجة أنَّك لا تستطيع لمسها بأصابعك. في الليل، وبعد أن تكون الحرارة قد تسَلَّت هاربةً عبر الهواء مع غروب الشمس، فإنَّ الصناديق تصبح شديدة البرودة حتَّى أنه يمكنك العثور على صقيعٍ متجمّد فوق أسطحها في أواخر شهر مايو، أو حتَّى في يونيو.

في اليوم الأوّل، دخل شانتى في نوبات صراخ ونحيب ترافقت بضربٍ عنيف على جدران الصندوق؛ كان ذلك بمثابة تذكيرٍ لا هوادة فيه بشكل العدالة - ووقّعها - داخل فيلق الربّ. في اليوم الثاني بحلول وقت الغداء، ضعفت الجلبة إلى قرعٍ خفيف على الجدران كلّ ساعةٍ أو نحو ذلك. بحلول اليوم الثالث، بات الصندوق أخرسَ.

في مساء اليوم الخامس، أمر الأب جون بفتح الصندوق، وألقى نظرةً مطوّلةً بداخله، ثمَّ سأل لينا إن كانت تودُّ منه أن يَمَنَّ على زوجها بالرحمة. وضعتُ لينا ذراعيها حول إيكو وضمتها بقوة، ثمَّ أخبرت النبيّ أنَّ الرحمة للضعفاء. قبل الأب جون جبهتها،

وأخبرها أنَّ الربَّ طيّب، وأمر قادة السرايا بإعادة إغلاق الصندوق .
بعد ما يقرب من مئتين وخمسين ساعة، وحينُ فُتِحَ الصندوق
أخيراً بصورة نهائية، كان الرجل الذي سُحب خارجاً إلى ضوء
الصباح الساطع غير الرجل الذي اقتيد إلى الداخل . لم يقدر شانتي
على المشي دون مساعدة، وكانت بشرته قد استحالت بيضاء شبحية،
وجلده يترهل متدلياً عن عظامه، وعيناه غائرتان ولا حياة فيهما . لم
يستطع أن ينظر في عيون إخوته وأخواته الذين تجمّعوا ليشهدوا
إطلاق سراحه .

تطلّب الأمر من جوليا وبيكي ثلاثة أشهر من الرعاية والتمريض
- تحت رقابة مشدّدة من قادة السرايا - لإعادته إلى حالة أقرب
للصحة . ثلاثة أشهر مستلقياً في السرير، أطعمته خلالها الحساء
الرقيق بالملعقة . ثلاثة أشهر لم تقم فيها لينا وإيكو بزيارته لو مرّة
واحدة . وحالما أصبح قوياً بما يكفي كي يجلس خلف عجلة
القيادة، اختفى شانتي وسط سحابة من الغبار .

زوجته وابنته لم تودّعا حتى . ثمّ أعلن الأب جون بعد أقلّ من
شهر أنَّ الربَّ قد اختار لينا للانضمام إليه برباط الزواج المقدّس،
وسرعان ما نقلتُ هي وإيكو أغراضهما إلى البيت الكبير .

لم تقع غالبية الناس في مثل هذه المشكلات الخطيرة، ولم تُنزل
بهم مثل هذه العقوبات الشديدة . كان أسوأ ما حصلتُ عليه يوماً هو
عقوبة الصيام لثلاثة أيّام، والتي فرضها عليّ الأب جون بعد أن كان
قد سُمح لي لأوّل مرّة بالخروج في نوبة حراسةٍ مسائية، وتركتُ
يومئذٍ موقعي عند البوابة الأمامية عندما سمعتُ جلبةً في الصحراء
اتّضح أنّها صادرةٌ عن قطة شاردة .

كان صيام الثلاثة أيّام صعباً، لكنني كنتُ أستحقّه؛ تحدّث
هورايزون معي عن الأمر لوقتٍ طويل، وشرح لي بصوته الخافت

اللطيف كيف كان يمكن لخدمة الشيطان أن يعبروا سيراً عبر البوابة
الأمامية مباشرة وصولاً إلى البيت الكبير حيث سيقومون بقتل النبي،
وكل ذلك كان ليكون خطأي.

كان محقّقاً، وقد نجح ذلك تماماً معي.

لم أغادر بعد ذلك موقعي مطلقاً لو لثانية واحدة حين أكون في
نوبة حرس.

بعد

- «جوعوك لاثنتين وسبعين ساعة لأنك غادرت موقعاً سخيفاً ما لدقيقتين؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «لم يجوعوني»، أقول له. «كانت عقوبة. وكانت من أجل مصلحتي».

لا تفعلني هذا، يحذرنني الصوت في مؤخرة رأسي. لا تختلني لهم الأعداء.

يكتب الدكتور هيرنانديز في أحد دفاتره، ثم يرمقني بتلك النظرة التي أكرهها كثيراً، النظرة التي تظهر بوضوح كبير أنه يشفق عليّ. «ما العقوبات الأخرى التي طبّقها قادة السرايا؟».

لا أريدُ بشيء. حافظي على هدوئك. يضع قلمه جانباً. «مونيم؟ ألا تريدان الإجابة عن هذا؟»، يسألني.

أهز رأسي. حافظي على هدوئك. - «لَمْ لا؟».

- «لأنّ لا شيء من هذا حقيقيٌّ بالنسبة إليك!». يباغتني الارتفاع المفاجئ في نبرة صوتي، لكنني أرفض أن أبدو محرّجة.

وبدلاً من ذلك، أستمعُ بتعبير الصدمة الذي اجتاح وجه الدكتور هيرنانديز، وبتغضن جبينه وجحوظ عينيه. «لا شيء منه! أنتَ تجلس هناك مع كلِّ أقلامك ودفاترك وتكتبُ عني فيما أنا جالسةٌ هنا، أمامك تماماً، والأمر كما لو أنك تعتقد أنني لا أرى ماذا تفعل أو لا أعرف ما الذي تكتب عنه، كما أنك هادئٌ جداً على الدوام وجميع أسئلتك تبدو منطقيةً جداً وكلُّ شيءٍ بالنسبة لك هو بمثابة أحجية تحتاج إلى حلٍّ، حتّى أنا، وفي حالتي أنتَ لم تتبيّن حلّها بعد فحسب! أنا لا أخبرك بهذه الأشياء كي أرفقه عنك، أو لأنني أعتقد أنّ هذا هو ما تريد سماعه. لقد عشتُ هذه الأشياء، لأنّ تلك كانت حياتي الحقيقيّة! لم لا يمكنك أن تفهم ذلك؟».

يحدّق بي العميل كارلايل بعينه الزرقاوين اللامعتين، لكنني أتجاهله وأصبُّ كلَّ ما تبقى لديّ من تركيز على الدكتور هيرنانديز. - «أنا آسف»، يقول بعد أن مرّ ما بدت أنّها ساعات طويلة. «أعلم أنّه من المستحيل بالنسبة إليّ أن أفهم حقّاً ما مررت به، وسأكون أوّل مَنْ يعترف أنني لا أفهم دائماً كلَّ شيءٍ بصورةٍ صحيحة. لكنّ هذا كلّهُ هو بمثابة عمليّة متكاملة بالنسبة إلى كلينا. هناك أشياء لا يُتوقّع منك فهمها؛ أشياء عن العالم الذي نشأت فيه وبقية العالم الذي يقع خارج تلك الأسوار، وبعض هذه الأشياء تحتاج أن يتمّ تحدّيها والعمل على كشف حقيقتها. أنا أحاول أن أبقيك مرتاحة وهادئة أثناء رحلة الاستكشاف هذه بالطف ما أستطيع، رغم أنني لا أشكُّ بأنّ الأمر لا يبدو لك كذلك دائماً. هذه المشاعر صحيحةٌ وشرعيّةٌ تماماً، وأنا لا أحاول التقليل من شأنها أو تحويل وجهتها على الإطلاق، اتفقنا؟».

يخفق قلبي بشدّة داخل صدري، وترتفع حرارة بشرتي كثيراً، وتؤلمني يدي تحت الضماد فجأة أكثر ممّا كانت تؤلمني طوال اليوم،

لَكُنِّي أَسْمَعُ فِي صَوْتِهِ صِدْقًا وَلَا أَعْتَقِدُ - أَوْ رَبِّمَا لَا أُرِيدُ الْإِعْتِقَادَ - أَنَّهُ يَزَيِّفُ ذَاكَ الصَّدَقَ.

أَخَذَ نَفْسًا عَمِيقًا. «حَسَنُ. أَنَا آسَفَةٌ».

- «أَنَا آسَفْتُ أَيْضًا»، يَقُولُ لِي. «لَكِنِ الْآنَ وَبَعْدَ أَنْ تَفَاعَلْنَا عَلَى هَذَا النِّحْوِ وَأَصْبَحْنَا مَنفَتَحِينَ عَاطِفِيًّا عَلَى أَحَدِنَا الْآخَرَ، دَعِينِي أَسْأَلُكَ شَيْئًا: هَلْ سَتَدَهْشُكَ مَعْرِفَةُ أَنَّهُ فِي مَعْظَمِ أَرْجَاءِ الْعَالَمِ فَإِنَّ الشَّخْصَ الرَّاشِدَ قَدْ يُرْسَلُ إِلَى السِّجْنِ لِحَرَمَانِهِ طِفْلًا مِنْ الطَّعَامِ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ؟».

أَحَدِّقُ بِهِ. «لِمَاذَا؟».

- «الْأَرْجَحُ أَنْ تَكُونَ الْجَرِيمَةُ هِيَ إِهْمَالُ طِفْلٍ، أَوْ إِسَاءَةُ مَعَامَلَةِ طِفْلٍ، أَوْ شَيْءٌ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ»، يَقُولُ لِي. «هَلْ تَعْرِفِينَ مَا هُوَ الْإِهْمَالُ؟».

أَهْزُ رَأْسِي بِالنَّفْيِ. هَذِهِ الْكَلِمَةُ لَا تَعْنِي لِي شَيْئًا.

- «الْإِهْمَالُ هُوَ عِنْدَمَا يَفْشَلُ شَخْصٌ فِي الْإِعْتِنَاءِ عَلَى نَحْوِ مَقْبُولٍ بِفَرْدٍ يَقَعُ ضَمْنِ نِطَاقِ مَسْئُولِيَّتِهِ. إِذَا نَظَرْنَا هُنَا لِأَحَدِ الْوَالِدَيْنِ أَوْ الْوَصِيِّ، قَدْ يَعْنِي ذَلِكَ عَدَمُ التَّأَكُّدِ مِنْ أَنَّ الطِّفْلَ يَرْتَدِي ثِيَابًا نَظِيفَةً، أَوْ أَنَّهُ يَذْهَبُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ بِنِظَامٍ. إِنَّ عَدَمَ إِطْعَامِهِ لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ سَيَكُونُ بِكُلِّ تَأَكُّدٍ سَبَبًا يَسْتَوْجِبُ السِّجْنَ».

- «لَقَدْ كَانَتْ عَقُوبَةٌ»، أَقُولُ، لِأَنَّهُمَا كَانَتْ كَذَلِكَ. لَقَدْ خَرَقْتُ الْقَوَاعِدَ، فَعُوقِبْتُ. هَكَذَا تَجْرِي الْأُمُورُ.

أَنْتِ لَا تَصَدِّقِينَ ذَلِكَ، يَقُولُ الصَّوْتُ فِي مُؤَخَّرَةِ رَأْسِي. رَبِّمَا صَدَّقْتِهِ ذَاتَ يَوْمٍ، لَكِنِ لَيْسَ الْآنَ. لَيْسَ بَعْدَ الْآنَ.

- «آخِرْسَ»، أَهْمَسُ بِصَوْتٍ غَيْرِ مَسْمُوعٍ.

يَتَجَهَّمُ وَجْهَ الدَّكْتُورِ هِيرْنَانْدِيزَ. «مُونِيمُ؟».

أهزُّ رأسي. «كانت أمي هناك، حين أعلن الأب جون أنه ينبغي بي الصيام. لقد اتفقت مع حكمه».

لا يقول أيُّ من الرجلين شيئاً. هما يحدّقان بي فحسب.

- «هل يمكننا أن نتوقّف؟»، أسأل وأنا أشعر بالخجل من نبرة التوسّل في صوتي. «رجاء».

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه. «بالطبع يمكننا ذلك. أعتقد أنّها فكرة جيّدة».

تبتسم لي الممرّضة هارو قبل أن تغلق باب غرفتي خلفها وتقفله. أحاول أن أردّ لها الابتسامة، لكن لا أظنّ أنني نجحت في ذلك.

أقف وسط الغرفة لثانية أو ثانيتين، ثمّ أستلقي على سريري وأحدّق في السقف، أحاول أن أطرد من رأسي ذكرى التعبير على وجه شانتي حين سُمح له أخيراً بالخروج من الصندوق، نظرة من ارتياح مخيفٍ ويائس.

لا أريد أن أراها. ولا أريد أن أرى أيّ شيءٍ مروّعٍ آخر اليوم. أنا حقاً لا أعتقد أنّه يمكنني تحمّل المزيد.

بدلاً من ذلك، أحاول أن أرسم في مخيلتي صورةً لوالدي.

لقد مات حين كنتُ بالكاد في الثالثة من عمري، لذا ينبغي ألا يكون لديّ أيّة ذكريات عنه على الإطلاق. لكن من الغريب أنّه لديّ. يمكنني رؤيته بوضوحٍ شديد من زوايا تجعلني أعتقد أنني كنتُ جالسةً في حضنه أو ألعب عند قدميه بينما أنظر إليه. أعلم أنّه لا يمكن لهذه الذكريات أن تكون حقيقةً، لأنني كنتُ في الثالثة من عمري فقط - فلا بدّ أنني خلقتُ هذه الصور في السنوات التي تلت وفاته؛

اخترعتها ودفنتها عميقاً جداً بحيث لم يعد دماغى قادراً على التمييز بينها وبين ما هو حقيقيّ .

إنّه لشيءٌ مزعجٌ ألا تكون قادراً على الثقة بعقلك ثقةً تامةً .
كانت هناك أوقات - وهي ليست أوقاتاً قليلة - حيث تساءلتُ حقاً
إن كان والدي ذات يوم موجوداً بالفعل ، أم أنّه كان مجرد خيالٍ
مُواسٍ من اختلاق أمي . لكنني لا أصدّق - لا أستطيع ذلك - أنّها
قد تكذب عليّ بشأن شيءٍ جوهريّ كهذا ، شيءٍ يتعلّق حتّى بكيف
جنّت إلى الوجود . الصورة الوحيدة له التي كانت لديّ تحوّلت إلى
رماد مع كلّ شيءٍ آخر داخل القاعدة تقريباً ، لكنني ما زلتُ أملك
ساعته ، وكانت لديّ سكاكينه ، حتّى لو أنّي لا أعرف أين هي الآن ،
إنّها أشياء حقيقية ، أشياء ماديّة فعليّة كانت تعود إلى شخصٍ ماديّ
فعليّ .

الأصعب هو أن تتقبّل واقع أنّه كان موجوداً بالفعل ومن ثمّ
مات في عمرٍ أصغر بكثيرٍ من العمر المفترض أن يموت فيه .
هذا أصعبُ وأكثر إيلاماً .
لكنّ إنّها الحقيقة ببساطة .

قبل

- «أنتِ تفعلين ذلك على نحوٍ خاطئ»، تقول أمي. «أعطني هذا».

أناولها الخيط وعلبة الخرز، وأراقبها إذ تبدأ في نظم الحَبَّات داخل الخيط بالتناوب بين الأزرق والأبيض والأصفر، ثم تتركها لتتقطع إذ ترتطم ببعضها حيث لَقَّت الخيط حول إبهامها. لم أكن بارعةً أبداً في صنع الأشياء. قبل التطهير، حين كنتُ طفلةً صغيرة، صنعتُ أليس وبعض الفتيات الأساور والقلائد لبيعها في البلدة، أشياء صغيرة ذات لمعانٍ وبريق جعلتُ نساء لايفيلد يتأوَّهنَ إعجاباً ويُطرينَ على إخوتي لذكائهنَّ.

اعتدتُ على الشعور بالغيرة وأنا أراقبهنَّ يجمعنَ دولاراً تلو الآخر مقابل حُلِيِّهنَّ بينما أذرع الرصيف جيئةً وذهاباً وفي يدي كدسةٌ من المنشورات المبلَّلة بالعرق، وأنا أحاول العثور على أحد يودُّ التحدُّثَ معي حول كلمة الربِّ. معظم الناس لم يرغبوا في ذلك - لكنهم لم يكونوا فظَّين في العادة، لأننا كنَّا مجرد أطفال، والبالغون يميلون لبذل جهد أكبر ليكونوا لطيفين عندما يتعاملون مع الأطفال، لكن الغالبية تمتموا بكلمتين فحسب «لا، شكراً»، ومضوا في طريقهم دون أن يتكبَّدوا عناء النظر إليَّ.

كانت القصة مختلفةً تماماً في تلك المناسبات النادرة التي

توقّف فيها أحدٌ ما للتحديث إليّ. قد لا أكون بارعةً في نظم الخرز
وتجفيف الزهور، لكنني كنتُ بارعةً في التحديث إلى الناس.
معظمهم تحدّث إليّ بدافع الملل، أو لأنهم رأوا في ربح مناظرة أمام
فتاة صغيرة نوعاً من الرياضة، لكن وبمجرد أن أتمكّن من لفت
انتباههم، فإنّ المحادثة لم تسر كما كانوا يتوقّعون.

لطالما بدأتُ بسؤالٍ ملغوم، سؤالٌ كنتُ أعرف أنّهم سيجيبون
عليه بنعم. لطالما أدتُ أسئلةً من قبيل «هل أنت قلقٌ بشأن الجحيم؟»
أو «هل تؤمن بقوة الرب؟» الغرض المطلوب، لأنّ كلّ شخصٍ تقريباً
في لايفيلد كان يدّعي أنّه يؤمن بالربّ، حتّى لو كان معظمهم بعيدين
عن طريق الحقّ. وبمجرّد أن يجيبوا بنعم على سؤالٍ الافتتاحي،
كنتُ أتحديث إليهم فحسب.

أخبرتهم عن الشيطان وخدمته، وعن نهاية الزمان والمعركة
الأخيرة، ودسستُ منشوراً تلو الآخر بأيديهم وأنا أدعوهم أن يخرجوا
قاصدين القاعدة ويتّخذوا قرارهم بأنفسهم. يبدو الأمر الآن ضرباً من
الجنون بعد أن حظر الإعلان الأوّل الذي أصدره الأب جون جميع
أنواع التواصل تقريباً بين فيلق الربّ والخارج. في عهد الأب
باتريك، لم يكن قدّاس الأحد الصباحي في الكنيسة الوحيد الذي
كان مفتوحاً لكلّ من يرغب في القدوم، بل كان الناس من البلدات
المحلّية يأتون إلى القاعدة بشكلٍ منتظم تقريباً. قام البعض بالرحلة
بدافع من الفضول الحقيقيّ، وجاء البعض الآخر لأنّه لم يكن لديهم
شيءٌ أفضل لفعله، لكن في معظم الأسابيع كان يمكن رؤية بعض
الوجوه غير المألوفة تحتل الصفوف الخلفيّة من المقاعد. وفي أغلب
الأحيان، كانوا أشخاصاً سبق لي أن تحدّثت إليهم.

اعتاد الأب باتريك على مناداتي بمبشّرتة الصغيرة، وكنتُ حين
أسمع تلك العبارة أبتسم من الأذن للأذن.

تضع أمي آخر حبة خرز، وتركبُ المشبكين، ثمّ تمدُّ يدها بالقلادة إليّ. «هاك»، تقول لي. «الأمر ليس صعباً، يا مونييم. إنه يتطلب القليل من الممارسة فحسب».

أومئُ برأسي، إذ ما من شيءٍ يمكنكُ حقاً قوله لشخصٍ لا يفهم لمَ لا تستطيع فعل شيءٍ يجده سهلاً للغاية؛ أضع القلادة حول رقبتني. أشعر بالخزات ملساء وثقيلة فوق رقبتني، وأبتسم.

- «إنّها رائعة، يا أمي. شكراً لك»، أقول لها.

- «لا بأس»، تقول لي، وهي ما أود أن أعتقد أنّها طريقتها في قول «أنتِ على الرحب والسعة» دون أن تقول ذلك فعلياً.

نحن جالستان على مقعدٍ بالقرب من طرف القاعدة الغربي تحت شجرة الدردار التي ضربتها الصاعقة قبل فصلّي صيف. أغصانها تشير إلى السماء مثل أصابع متكسّرة، وحول قاعدة جذعها ثمة حلقة من التراب حيث لم ينمو أيّ شيء منذ ذلك الحين، ليس حتّى أعشابٌ ضارّة. السماء زرقاء لامعة وهائلة الاتّساع دون سحابةٍ واحدة، والشمس شديدة السطوع تتسبّب بوخزٍ خفيف في بشرتي. انتهى الغداء منذ ساعة، في العادة يجب أن نكون قد عدنا إلى العمل بالفعل، لكن اليوم هو الأحد، ونحن لا نعمل يوم الأحد. يحبُّ لنا الأب جون أن نرتاح، وأن نتأمّل في أسبوعٍ آخر قضيناه على طريق الحقّ، ونشكر الرب على نعمه التي أغدقها علينا.

أنظرُ إلى أمي. هي تحدّق بعيداً وفي عينيها خواءٌ مألوف، وأشعرُ بشيءٍ من الانزعاج الذي يلقّه الذنب في قاع معدتي.

لا تفهموني خطأً، أنا أحبُّ أمي.

أنا أحبّها بصدق.

أنا أحبّها لأنّها ذكيّة وجميلة، وهي تعتني بي وتحاول جاهدةً إبقائي على طريق الحق. لكن الحقيقة هي - وإنّه لشيءٌ فظيع أن

أعترف بهذا حتّى لنفسي - أنّها في الواقع لا تروقني في كثيرٍ من الأحيان. وفي الغالب الأعمّ، بدا كما لو أنّ هذا الشعور متبادل.

هي ليست قاسيةً معي أبداً؛ ليس عن قصدٍ على الأقلّ. إنّ بعض إخوتنا وأخواتنا يعاملون أطفالهم بصورةٍ فظيعةٍ لدرجة أنّني أجد صعوبةً في فهم سبب إنجابهم لهم في المقام الأوّل؛ هم يصرخون عليهم ويوجّهون لهم الإهانات - وبمجرّد حصولهم على إذنٍ من قادة السرايا - يعاقبونهم بقسوةٍ على أبسط خطأ يرتكبونه.

أمّي ليست كذلك على الإطلاق، وأنا ممتنةٌ لهذا.

إنّ شرح ما هي عليه أمرٌ صعبٌ نوعاً ما. أعتقد أنّ أقرب ما يمكنني الوصول إليه للتعبير عن الأمر هو أنّه يبدو في بعض الأحيان - في كثير منها بكلّ صدق - وكأنّها ليست موجودةً حقّاً. يبدو وكأنّ ما أراه كلّ يوم أشبه بالصدى أكثر من كونه شخصاً حقيقياً، كما لو أنّها جُرّدت من كلّ الحياة والطاقة وكلّ ما تبقى منها هو مجرد شيءٍ يمشي ويتكلّم ويضحك، لكن لا يبدو أنّه في الواقع يشعر بأيّ شيء.

هذا ليس بتطوّر حديث العهد. اعتقدتُ لوقتٍ طويل أنّ بعدها كان شيئاً له علاقةٌ بالحزن على والدي، لكن لقد مضى على موته أكثر من عقدٍ الآن ويبدو أنّه ينبغي أن يكون هناك حدٌّ للمدّة التي يُسمَح فيها لأيّ شيءٍ أن يجعلك تشعر بالحزن، إذ كيف للناس أن يعيشوا حياتهم بخلاف ذلك؟ يجب بكل تأكيد أن يحلّ يوم حيث تستيقظ ولا تعود متألّماً، كما حين كنتُ في السابعة وسقطتُ عن ظهر إحدى السيّارات وكسرتُ ذراعي. إذا لم يكن الأمر كذلك، فأنا بصراحةٍ لا أفهم لمَ قد يقعُ أيُّ شخصٍ في الحبّ أو يتزوَّج أو ينجب أطفالاً، لأنّ كلّ هذه الأفعال ليست سوى ضمانات أكيدة أنّك في يوم من الأيام سوف تتأذى بشدّةٍ لدرجة أنّك لن تتعافى أبداً، وهذه لا تبدو صفقةً رابحةً في الواقع.

- «بِمَ أَنْتِ شاردة؟»، أسألها .
 تلتفتُ إليّ . «ماذا؟» .
 - «بِمَ تفكرين، يا أمي؟» .
 - «أوه»، تقول وتمنحني ابتسامةً صغيرة . «آسفة . كنتُ في مكانٍ بعيدٍ جداً» .
 كما العادة . كحالكِ دائماً .
 - «لا بأس»، أقول لها . «ما الذي كنتِ تفكرين به؟» .
 - «والدكِ»، تقول لي، وأشعر أنني تيبّستُ بالكامل . هي نادراً ما تتحدّثُ عنه حتّى عندما أطلب منها ذلك . «كنتُ أفكر كم كان يحبُّ هذا المكان» .
 - «لماذا أحبّه؟» .
 - «لأنّه كان غيباً» . ثمّ ترى التكبشيرة التي ارتسمتُ على جبينني فتقول: «أنا آسفة، لم أقصد ذلك . عنيتُ فقط أنّه كان سريع التأثير» .
 - «بماذا؟»، أسألها .
 تهزُّ كتفيها . «بكلّ شيء . البشر، الفنّ، الموسيقى، الكتب، الأماكن؛ الأماكن على وجه الخصوص . لقد ترعرع في شيكاغو، ابن مدينة بحقّ، وعندما انتقلنا إلى سانتا كروز، كان يعيد على مسامعي مرّةً في اليوم على الأقلّ كم أنّ المحيط الهادئ مدهش، كما لو أنّه في كلّ صباح كان يراه لأول مرة . لكنّ ما شعر به حيال المحيط لم يكن شيئاً مقارنةً بمدى حبّه لهذه الصحراء . اعتاد أن يخبرني أنّها دليلٌ دامغ على وجود الله، وأنّ الرب وحده القادر على خلق شيءٍ عصيّ على التصديق تماماً وأن يجعل أدمغتنا جبّارةً بما يكفي للتعامل مع شيءٍ كهذا على أنّه أمرٌ مسلمٌ به . كان يقول إنّ هذه الصحراء هي أقدس مكانٍ رآه على الإطلاق» .
 - «وأنتِ ماذا تعتقدين، يا أمي؟» .

تهزُّ كتفها مجدداً. «إنها صحراء؛ حارّة وخاوية مثل أيّ صحراءٍ أخرى. إنها جميلةٌ بما يكفي في الصباحات والأمسيات، وأظنُّ أنّ ثمة ما يقال عن السلام والهدوء في ربوعها، لكنّها مجرد صحراء في النهاية. الأماكن هي أماكن فحسب، يا مونيم. الناس يعلون من شأنها أكثر ممّا يجب».

- «ألم تودّي المجيء إلى هنا؟»، أسألها. لم أطرح عليها هذا السؤال من قبل أبداً - أو أيّ سؤال آخر مماثل - لكن يبدو أنّها في مزاج غير اعتيادي، كما لو أنّها ترغب حقّاً في التحدّث إليّ، ولن أريد لهذا أن يضيع سدىً.

تعبس في وجهي. «هذا سؤال خطيرٌ جداً يا صغيرتي، هل تلمّحين إلى هرطقةٍ من جانبي؟ هل تقترحين أنّي لم أرحب بالدعوة إلى طريق الحق؟».

تهوي معدتي مثل حجر. «لا، يا أمّي. أنا آسفة. لم أكن —».

يختفي عبوسها وتحل محلّه ابتسامةٌ لطيفة. «أنا أمازحك فحسب»، تقول لي. «رغم أنّي أريد منك وعداً الآن بالآ تطرحني هذا السؤال على أيّ أحدٍ آخر».

أهزُّ برأسي. «لن أفعل».

- «عديني، يا مون».

- «أعدك، يا أمّي».

- «فتاةٌ مطيعة»، تقول لي. «وفي الحقيقة، لا، أنا لم أرغب في المجيء إلى هنا. كنتُ أحبُّ منزلنا في سانتا كروز، وأحببتُ المحيط أيضاً، حتى لو لم آتِ على ذكره طوال الوقت مثل والدك. كان عمرك آنذاك ثمانية عشر شهراً ولم تكوني طفلةً سهلة، لذا لم أكن مع والدك حين سمع هورايزون يتحدّث في قاعة التبشير قرب

الممشى الخشبيّ. كنتُ قد وضعتكِ في الفراش للتوّ حين عاد إلى المنزل وأعلنَ أنّه التقى برسولٍ حقيقيٍّ للرّب، وأنّ علينا الذهاب إلى تكساس».

- «ماذا قلتَ له؟».

تضحكُ. يا له من صوتٍ جميل لا أسمعه إلّا نادراً. «قلتُ له إلّا يكون سخيّاً، وأنني لن أقتلع عائلتي من جذورها وأنتقل إلى وسط اللامكان لأنّ واعظاً جوّالاً ما قال ذلك».

- «كيف انتهى بكِ المطاف هنا إذا؟».

تغشى عيناها للحظة. «يمكن لوالدكِ أن يكون... مقنعاً جدّاً»، تقول لي. «كان يعلم هذه المرّة أنّه لن يصل إلى أيّ مكان وهو يحاول إقناعي أن أغيّر رأيي، لذا جعل الأمر يبدو كما لو أنّه غصّ النظر عن المسألة. لكنّه ظلّ يذكر الأشياء التي قالها هورايزون، أشياء ينبغي بي الاعتراف أنّها بدت منطقيةً إلى حدٍّ بعيد، لذا وافقتُ عندما اقترح أخيراً أن نأتي إلى هنا لقضاء عطلة نهاية الأسبوع، فقط كي نرى كيف هو الحال، وبلا ضغوطات».

- «ماذا حدث؟».

- «لقد جننا، ولم نغادر قطّ. انتقلتُ بعد ظهر يوم الأحد ونقلتكِ معي إلى المبنى رقم تسعة، بينما انطلق والدكِ في رحلة العودة إلى سانتا كروز كي يحزم أمتعتنا».

- «ما الذي غيّر رأيكِ إذا؟».

- «استمعتُ إلى الأب باتريك وآخرين يتكلّمون، وتحدّثتُ إلى بعض الإخوة والأخوات. وكما أخبرتكِ: يمكن لوالدكِ أن يكون مقنعاً جدّاً».

بعد

يتشكّل سقف غرفتي من ألواح رمادية مربّعة الشكل ، طول ضلع كلّ منها قدمين ربّما .

أربعةٌ من هذه الألواح تلتقي فوقِي مباشرة في نقطةٍ لا أعرف لكم من الوقت كنتُ أحدّقُ فيها . ثمة بقعة عند زاويتيّ اثنتين منهما ؛ لطخةٌ برتقاليّة باهتة اللون . أخمّنُ أنّه يجب أن يكون هناك تسريبٌ فوق السقف ، شيءٌ ما يقطر وينتشر بقدرٍ قليل أكثر فأكثر كلّ يوم .

إنّهُ شعورٌ غريب أن يكون مسموحاً لي التفكير بوالدتي دون القلق من أن يختلس أحدُ النظر بطريقة ما داخل رأسي ويبلّغ عني إلى قادة السرايا . لقد انضمتُ بعد رحيلها إلى قائمةٍ طويلة من الأشخاص الذين لن تُنطق أسماءُهم بصوتٍ مسموع ، الذين أنزلوا إلى مرتبة لا - إنسان كما لو أنّهم لم يكونوا موجودين يوماً . لكنّها - أمّي - كانت موجودةً بالفعل ، وليس هناك مَنْ يمنعني عن التفكير بها الآن .

أحدّقُ في النافذة الصغيرة لغرفتي ، وأتساءل ما إذا كانت هناك في مكانٍ ما في الخارج ، تعيشُ حياةٌ لا تشملني . أتساءل ما إذا كان جانبٌ منها قد شعر بالارتياح عندما تمّ نفيها ؛ وإن كان ذلك قد أعطاهَا فرصةً للابتعاد عن كلّ شيء بما في ذلك ابنتها وشبح زوجها . كنتُ لأطول وقتٍ أصدّقُ من كلّ قلبي أنّها سترجع من أجلي ؛ سأسمّعُها في ذلك اليوم تنادي باسمي ، وسأنظر حولي وأراها

واقفةً خارج البوابة الأمامية، التي سأتسلّقها وأركض إلى أمي التي ستأخذني بعيداً ولن ننظر خلفنا مطلقاً.
لكنّ هذا لم يحدث.

كثيراً ما فكّرتُ في ظلام غرفتي داخل المبنى رقم تسعة بعد إقفال الباب وإطفاء الأضواء - فكّرتُ ما الذي كان يعنيه عدم عودتها أبداً. هل يعني ذلك أنها كانت خائفةً من الأب. جون، ممّا قد يفعله بها أو بي؟ أو - وهو ما سيكون أسوأ بكثير - هل يعني أنّها ببساطة لم تحبّني يوماً، وأنّ أسوأ مخاوفي، تلك التي كانت تتسلّل إلى رأسي في أسوأ لحظات ضعفي، كانت في الواقع صحيحة طوال الوقت؟

كان أسوأ جزء تقريباً هو أنّه لم يكن هناك مَنْ يمكن أن أسأله عنها، وما من أحدٍ يمكنني التحدّث إليه - فحتّى الإخوة والأخوات الذين شعرتُ أنّي أقرب إليهم كانوا سيبلّغون عني على الفور. ربّما ما كانوا ليستمتعوا بفعل ذلك، لكنّهم كانوا سيفعلونه دون التفكير مرّتين.

لكن الآن؟ الآن هناك شخصٌ يمكنني التحدّث إليه. لكنّني ما زلتُ لا أعرف إن كان يمكنني الوثوق بالدكتور هيرنانديز أم لا. ربّما هو يقول الحقيقة إذ يخبرني أنّه لا يعرف شيئاً عن أمي أو عن مكانها أو ما إذا كانت لا تزال على قيد الحياة. لربّما سأل أيضاً زملاءه إن كانوا يعرفون شيئاً، وإن كانوا كذلك، فلربّما سيخبرني كما سبق أن وعدني. أو...

ربّما هو يعرف مكانها، لكنّه لا يخبرني به لأنّ الأرجح أنني سأعاون طالما ثمة شيءٌ أريده.

ربّما تكون قد ماتت، وهو يعرف ذلك، لكنّه لا يريد أن يحبطني نظراً لحالتي بالغة الهشاشة.

ربّما .

تتدفّق الدموع من زوايا عينيّ بينما أسمع وقع خطواتٍ تتباطأ
لتتوقّف خارج غرفتي . أمسح دموعي ، لأنني حقّاً لا أريد أن تراني
الممرّضة هارو وأنا أبكي حين تُدخّل لي الغداء ، لكنّ الدموع لا
تنفكّ تتدفق - كما لو أنّ تسربّاً لا يمكن إيقافه قد انبثق بداخلي .

إذ إنّ فكرةً واحدة تملأ رأسي بينما أنزل قدميّ عن السرير ؛
فكرةٌ شديدة العمق والوضوح في آنٍ معاً ، فكرةٌ نادراً جداً ما سمحتُ
لنفسي بالاعتراف بها .

أنا أفقد أمّي .

أنا أفقدها حقّاً .

أدخلُ بعد ساعتين غرفة العلاج الجماعيّ ، وأبدأ في البحث عن
لوك حتّى قبل أن يُغلق الباب خلفي .

إنّ جانباً منّي - نفس الجانب الذي قضى الأشهر الأخيرة قبل
الحريق متوجّساً - مقتنِعٌ أنّه سيقفز ويهاجمني . أعلم أنّه من الغباء
التفكير على هذا النحو ، على الأقل لأنني يجب أن أصدّق أنّ
الدكتور هيرنانديز وزملاءه المراقبين لن يسمحوا للوك بإيذائي ، لكنني
لا أستطيع طرد الفكرة من رأسي تماماً . أنظر بسرعة ذات اليمين
وذات الشمال مثل طفلٍ على وشك عبور الطريق ، لكنني لا أرى أثراً
له ، فأشعر بالارتياح ، قليلاً فحسب .

- «مرحباً ، مونبيم» ، تقول رينبو . هي تجلس متربّعة وسط
الغرفة بجوار لوسي ووينتر ؛ الثلاثة تخربشن على ورقةٍ كبيرة بتركيزٍ
وجديّة بأقلام التلوين السميكة . لا فكرة لديّ ماذا يفترض برسمهم
أن يكون - يبدو من حيث أقف وكأنه أخطبوط شيطاني عملاق -

لكن من الجيد رؤيتهم يلعبن معاً، رغم أن منظر وجه لوسي المليء بالكدمات يدمي قلبي.

- «مرحباً رينبو»، أقول لها. «مرحباً جميعاً».

ينظر معظم إخوتي وأخواتي إليّ ويتسمون أو يقولون مرحباً أو يفعلون الأمرين معاً. أبتسم لهم أفضل ابتساماتي رغم أنني ما زلتُ أبحث في أرجاء الغرفة عن لوك. أبدأ في الاعتقاد بأنه ليس هنا، لكن جيرمايا ينهض ويركض عبر الغرفة حاملاً طائرة ورقية، مصدراً قرقرة أحسب أنه يعتبرها مثل صوت المحرك، وإذ ذاك أرى لوك.

هو جالس على الأرض في زاوية الغرفة البعيدة، رجلاه مضمومتان إلى صدره وذراعه ملفوفتان حول ركبتيه. أتجمّد إذ أرى رأسه مرفوعاً كما لو أنه يحدّق بي مباشرة، لكنني أنظر بعدئذٍ عن كذب ولا أرى أن عيناه تركّزان على أي شيء في الحقيقة. إنهما جوفوان وغارقتان عميقاً في محجريه، كما لو أنه لم ينم منذ أيام.

- «إنه على هذه الحال منذ أن دخلتُ إلى هنا».

أنظر حولي لأجد هوني تقف بجانبني، وعيناها شاخصتان إلى لوك.

- «هل قال أي شيء؟»، أسألها.

تهزّ رأسها. «ولا كلمة».

تتجهّم ملامحي. الغرفة تعجّ بالضحك والأصوات الحماسية بينما تطارد أورورا جيرمايا بشيء يشبه الثعبان، وتجلس سانسييت وفوليت إلى إحدى الطاولات وتغنيان أغنية تبدو مألوفة نوعاً ما لكن لا أستطيع أن أتبيّن ما هي. ثم تتوقّفان عن الغناء وتكتب سانسييت شيئاً بسرعة على قطعة من الورق فأدرك أنهن يخلقونها أثناء مضيّهم قدماً.

لا أحد منهم يولي لوك أي اهتمام، الأمر الذي أربكني بعض

الشيء. فمن ناحية، يسعدني أن أراهم منخرطين في اللعب والغناء والتصرف على نحو قريب من الأطفال العاديين؛ لكن من ناحية أخرى، فقد شعرتُ بعدم ارتياح لحقيقة كونهم يبدون غير مهتمين بشخص عرفوه طيلة حياتهم، بينما هذا الشخص يعاني بوضوح.

هم مجرد أطفال، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. هم لا يعرفون ما هو جدّي وما هو ليس كذلك. كوني سعيدةً فحسب لأنهم بخير.

- «هل أنتِ على ما يرام؟»، تسأل هوني كما لو أنها تستطيع قراءة أفكاري.

- «أنا بخير، لماذا؟».

- «تبدين وكأنكِ كنتِ تبكين».

كانت الدموع توقفت أخيراً قبل خمس عشرة دقيقة من وصول الممرضة هارو لاصطحابي إلى جلسة التفاعل الاجتماعي، لكن لم يكن هناك ما يمكنني فعله بشأن عينيّ الحمرأوين المنتفختين، والجافتين كالصحراء.

- «أنا بخير»، أكرّر.

تومئ برأسها. تبدو وكأنّها تريد أن تقول شيئاً آخر، لكنّها لا تفعل.

أشير برأسي باتجاه لوك. «سأتحدّثُ إليه».

تعبس هوني. «لماذا؟».

- «على أحدٍ ما أن يفعل ذلك».

- «هناك مَنْ يتحدّثُ إليه بالفعل»، تقول هوني. «في العاشرة من صباح كلّ يوم، مثلك تماماً، ومثلي ومثل الجميع. هذه ليست مسؤوليتك».

أريد أن أقول لها إنّها مخطئة، لأنّه ما كان ليكون هنا لولاى -

ما كان أحد ليكون هنا لولاي - لكنني لا أستطيع أن أقول ذلك.

لا يمكنني إخبار أحد.

- «سوف أحاول»، أقول لها.

تهزُّ كتفيها. «افعلي ما تشائين».

أومئ برأسي، لكنني أظلُّ في مكاني لبرهةٍ طويلة. أنا لا أرغبُ في التحدُّث إلى لوك، الحقيقة أنَّ هذا يكاد يكون آخر شيءٍ أريد فعله. لكن لا يمكنني الوقوف مكتوفة الأيدي، لا يمكنني تركه يحدِّق هكذا في الفراغ في زاوية الغرفة.

أخذُ نفساً عميقاً، وأجبر نفسي على السير نحوه ببطء. إن كان لوك يراني قادمةً إليه، فهو لا يظهر أية علامةٍ على ذلك؛ هو لا يحرك عضلةً واحدة، وعيناه لا ترمشان. أبقى عينيَّ مسلَّطتين عليه بينما أدير ظهري إلى الحائط وأنزلق ببطءٍ نزولاً لأجلس بقربه.

- «مرحباً»، أقول له.

لا جواب.

- «لوك؟ هل أنت بخير؟».

لا شيء.

- «سوف أجلس هنا قليلاً فقط، اتفقنا؟»، أقول له. «ليس

عليك التحدُّث إليَّ إن كنتَ لا ترغبُ في ذلك».

لا يدير رأسه، لكن ثمة أثرٌ لا يكاد يُرى لحركةٍ في عينيه. أبقى ساكنةً وهادئةً تماماً، إلى أن يتمتم أخيراً بشيءٍ غير مسموع.

أميلُ رأسي في اتجاهه. «أعد ما قلته، يا لوك. لم أسمعك».

- «لَمْ لا نزال هنا؟»، يقول بصوتٍ أشبه بنقيقٍ خافت. «لَمْ لَمْ

يرجع النبيُّ من أجلنا؟».

- «لا أعرف، يا لوك»، أقول له، لأنَّ الإجابة الوحيدة التي

لديَّ هي إجابةٌ أعرف حقَّ المعرفة أنَّه لن يرغب في سماعها.

- «أنا لم أستحق الارتقاء»، يقول همساً. «هذا هو التفسير الوحيد. لم يكن إيماني قوياً بما يكفي».

- «لوك...».

- «لم أكن جيداً بما يكفي».

- «لا تفعل هذا، يا لوك»، أقول له. «أرجوك، لا تفكر بهذه الطريقة».

يدير رأسه نحوي ببطء شديد. «لقد جئنا عن طريق الحق»، يقول وهو ينظر مباشرة في عيني. «لا أعرف كيف، لكن لا بد أننا جئنا عنه. لقد تهنا في مكان ما على طول الطريق».

أحدق فيه عاجزة. رغم كل ما فعله، رغم كل ما لدي من أسباب وجيهة لكرهه، إلا أن قلبي يؤلمني، فما أنظر إليه الآن ليس الشخص الذي كان يمكن أن يصبح لوك عليه، الشخص الذي كان لديه الإمكانيات لذلك. ما أنظر إليه الآن هو أعظم إبداعات الأب جون - شيء محطم متخضم بالكاذب والخوف.

- «صلي معي»، يهمس لي. «صلي معي، يا مونييم. لربما لم يفت الأوان بعد».

أهز رأسي. «لن أفعل ذلك، يا لوك».

ترتسم على فمه أكثر ابتسامة باعثة على القلق رأيتها في حياتي. «أنت لم تكوني يوماً واحدة منا حقاً، أليس كذلك؟ لم يكن لديك الإيمان قط. لم تكوني صادقة أبداً».

- «أنت مخطئ»، أقول له. «كان لدي الإيمان. كان لدي وقت طويل جداً».

- «والآن؟».

لا أردُ بشيء. فليستخلص من صمتي الاستنتاج الذي يعجبه.

نحدّق في أحدنا الآخر لشوانٍ جوفاء طويلة. ثمّ تضيقُ عيناه
فجأة، وتختفي ابتسامته. «هذه فعلتك»، يهمس لي.
تنزلق قشعريرة على طول عمودي الفقريّ.
هل يعرفُ ماذا فعلت؟ هل يُحتملُ أنّه يعرف؟
هو لا يعرف أيّ شيء. يقول الصوت في مؤخّرة رأسي على
الفور. لكن عليك أن تكوني حذرة. عليك أن تكوني حذرةً جداً.
فجأة أصبح واعية تماماً إلى ضيق المسافة التي تفصلنا، وأنّه ما
من طريقةٍ يمكنني من خلالها الابتعاد عنه دون أن أفصح نواياي.
- «لم أفعل أيّ شيء، يا لوك»، أقول بصوتٍ لا يزال ثابتاً
تقريباً.

تتسع عيناه ببطء، كما لو أنّه ينظر إلى شيءٍ عجيب. «إنّه أنت،
كيف لم أر ذلك حتى الآن؟».
- «حسنٌ، سوف أذهب من هنا الآن»، أقول وأنا أحاول البقاء
هادئة. «أردتُ فقط أن أطمئنّ عليك».
يمدُّ يده ويقبض على ذراعي.

اهدئي. اهدئي.

- «أفْلَتَنِي»، أقول له.

يحكم لوك قبضته أكثر.

- «لوك، أفلت ذراعي».

هو لا يتحرّك. إنّهُ يحدّقُ بي فحسب، وأرى لمعة الجنون
الوحشي تعود إلى عينيه، فأعجز عن النظر إليه بعد ذلك. أنتزعُ
ذراعي وأنتفضُ واقفةً على قدمي بينما هو ينفتح ويتمدّد مثل أفعى
كانت ملتفةً حول نفسها وقد استحال وجهه أحمرَ بلون الغضب.

- «أنتِ!»، يصرخ بأعلى صوته.

يخيّم الصمتُ على الغرفة إذ يتوقّف جميع إخوتنا وأخواتنا عن

فعل ما يفعلونه وابدؤون في النظر حولهم. أرى بطرف عيني هوني تتقدّم باتجاهي وعلى وجهها تكشيرةٌ كبيرة.

- «لم أفعل شيئاً، يا لوك»، أقول له. «ما مِن سببٍ للانزعاج على هذا النحو».

يبدو أنّ كلماتي تربكه لبضع لحظات، وكأنّه لا يستطيع تصديق ما سمعه تماماً - فبالطبع هناك كلّ الأسباب للانزعاج - لكنّه يستجمع نفسه سريعاً.

- «والدتكِ كانت مهرطقة!»، يجأّر بصوتٍ مخيف، وتضربني الكلمات مثل لكمةٍ في المعدة. «لقد كانت مهرطقة، وأعزُّ أصدقائكِ كان جاسوساً من الخارج وهذا يجعلك من خدمة الشيطان! ولهذا هم لن يعودوا لأجلنا! لأنك هنا! هذا خطؤك! أنتِ من فعل هذا بنا!».

أتراجع خطوة بعيداً عن حرارة غضبه المستعر لكنني لا أحتجّ على كلماته، لا أحاول الجدل، فما الذي يسعني قوله؟ هو يقول الحقيقة.

فُتِحَ الباب ودخلتُ ممرّضتان لم أرهما من قبل.
- «لوك»، تقول إحداهما. «نريد منك أن تهدأ».

يستدير لوك بسرعة، وعينه تشتعلان غضباً. «فلتذهبي إلى الجحيم!»، يصرخ بأعلى صوته. «ألسِ ترين أيتها الغريبة؟ ألسِ ترين الشيطان ماثلاً أمامك؟».

- «يمكنني رؤية أنّك مستاء»، تقول الممرّضة. «هل تعتقد أنّه يمكنك أن تهدأ وتواصل هذه الجلسة، أم تريد منا أن نعيدك إلى غرفتك؟».

يحدّق لوك في الممرّضة؛ وجهه مصطبغٌ بكراهيةٍ قرمزية اللون،

ثمَّ يبصق على الأرض. «لا أريد أن أكون في أيِّ مكان بالقرب منها. إنَّ رائحتها الكريهة تدفعني للتقيؤ».

يمشي عبر الغرفة ويخرج إلى الرواق دون أن ينظر إلى الخلف. تلحق الممرّضتان به، وينغلقُ الباب خلفهما.

أنا أقف وسط الغرفة بمفردي. إخوتي وأخواتي جميعهم يحدّقون بي، لكنّني عاجزةٌ عن النظر في أعينهم. أودُّ أن أخبرهم أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام، وأنّ كلّ شيءٍ بخير، لكنّني لا أستطيع، لأنّه ليس كذلك.

لا شيء على ما يرام، ولا شيء بخير. ولا أعرف ما إذا كان سيصبح كذلك يوماً.

بعد

العميل كارلايل هنا مجدّداً. لحقّ بالطبيب هيرنانديز إلى غرفة المقابلات رقم 1 عندما كانت الساعة فوق الباب تشير إلى العاشرة، وابتسم لي وهو يهمّ بالجلوس.

لم أنم جيّداً الليلة الماضية، رغم أنّه لا يمكنني أن أدّعي بأنّي متفاجئة. كان وجهه لوك معلقاً في الظلام فوقّي والغضب يتآكل ملامحه إذ أدرك - أو أقنع نفسه - أنّني السبب في عدم ارتقائه للجلوس إلى يمين الربّ. لذا أنا متعبة، وأشعر بدماعي بليدٌ وخامل، ولا يمكنني أن أحدّد ما إذا كنتُ سعيدةً بوجود العميل كارلايل أم لا.

بالنظر إلى جلسة الأمس، يبدو أنّه يريد إجابات مباشرة ومحدّدة أكثر ممّا يطلبه منّي الدكتور هيرنانديز، هو يريد المزيد من ما الذي حدث ومن الذي فعل هذا أو ذاك ومتى، والقليل جدّاً ممّا أشعر أو أفكر به. لكن بإجابات مباشرة أو بدونها، فإنّ الحقيقة البسيطة بشأن هويّته الحقيقيّة تصيبني بالتوتر. الدكتور هيرنانديز يعمل في مستشفى ولديه زوجة ويبدو مثل شخصٍ عاديّ. مهما تكن الأشياء الأخرى التي قد يتّصف بها العميل كارلايل، فهو لا يزال جزءاً من الحكومة. أعلم أنّه لا ينبغي بذلك أن يكون مهمّاً بعد الآن. أو على الأقل، لا ينبغي أن يهمّ بالقدر الذي لطالما نبّهنا إليه الأب جون.

لكنّ بعض الأشياء تقبع في أغوارٍ أكثر عمقاً من العقلانية؛ أشياء حيكت في نسيج روحي، بعيداً عن تناول الدكتور هيرنانديز وزملائه وعمليته.

لا أعرف ما إذا كانت هناك آية فرصة حقيقية لخروجي من هذا المكان. أودُّ أن أصدّق أنّ ثمة فرصة، وأنّ الدكتور هيرنانديز قال الحقيقة وأنني سأخرج ذات يوم لأشعر بالشمس تلفح وجهي، وسأمضي لأبدأ حياةً جديدة في مكانٍ ما بعيداً عن هنا. لكن حتّى لو كان هذا الاحتمال قائماً، فأنا لا أعرف كم قد يستغرق الأمر حتّى يتحقّق، ولا أعرف من الذي يتخذ قرار السماح لي بالرحيل. بدأت أشكّ أنّه سيكون للعمل كارلايل رأيٍ وازن في هذه المسألة.

عليك أن تتحرّكي بحذر، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. أنت لست الوحيدة التي تعرفين أكثر ممّا تقولين. إنه ذكيّ، وهو قادرٌ على قراءة تلك أكثر ممّا تعتقدين. كلاهما كذلك.

- «صباح الخير، يا مونييم»، يقول الدكتور هيرنانديز وهو يرتّب أفلامه ودفاته. «كيف —».

- «لا أريد أن أتحدّث عن قادة السرايا»، أقاطعه، فأنا متعبة، ويدي تؤلمني، وكنت منذ أن استيقظت أفكر فيما أريد قوله. «ولا أريد التحدّث عن نيت، أو عن أمي، أو أيّ شيء مزعج آخر. لذا فأنا بصراحة لا أعرف ما إذا كان هناك جدوى من محاولة القيام بهذا اليوم».

- «لا بأس بهذا»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هذا مفهوم تماماً. وآسفٌ إن كانت جلستا الأمس قد أشعرتاك بعدم الارتياح».

- «لا بأس»، أقول له. «كيف حال لوك؟».

- «نحن نعمل معه، أنا واثقٌ من الخروج بنتائج إيجابية».

أمل أن تكون محقّقاً.

- «جيد»، أقول له. «هل سأعود إلى غرفتي إذا؟».

يسترق العميل كارلايل النظر إلى الدكتور هيرنانديز الذي يبغي عينيه مركزتين عليّ. «لَمْ لا نتحدّث فحسب؟»، يقول لي. «ما مِنْ أسئلة يجب أن تجيبي عليها، ما مِنْ نقاط أو جدول أعمال، أو عمليّة. إنّها مجردّ محادثة».

أنظر إليه بعينين ضيّقتين. «حول ماذا؟».

- «أعلم أنّك تعتقد أن آراءنا وأفكارنا حول فيلق الرّب قد تشكّلت بالفعل، وأنّ كلّ شيءٍ بشأنه كان سيّئاً في نظرنا. لَمْ إذاً لا تخبرنا عن الوجه الآخر له؟».

- «ماذا تقصد؟»، أسأله.

- «أخبرنا عن وقتٍ كنت سعيدةً فيه، عن يومٍ عاديّ، أو مجردّ ذكرى تجعلك تبسمين. احكي لنا عن شيءٍ جيّد».

- «لماذا؟»، أسأله. «هذه ليست الأمور التي تهّمك».

يهزّ الدكتور هيرنانديز رأسه. «هذا ليس صحيحاً. العميل كارلايل يمثّل جانب التحقيق الجنائي الذي تشكّلين جزءاً منه، رغم معرفتي بأنك تتمنين لو أنّك لست كذلك، لكنني أعدك بأن كلّ جانبٍ من حياتك يهمني سواء كان جيّداً أم سيّئاً».

- «لا يمكنني التفكير بأيّ شيءٍ جيّد»، أقول له. وهي ليست حتّى بكذبة.

- «لا أريد أن أصدّق ذلك، يا مونييم. هل أنت متأكّدة؟».

أعود بالزمن إلى الوراء، أنبش في ذاكرتي بحثاً عمّا يطلبه، لكنّ هذا ليس بالأمر السهل.

ليس سهلاً على الإطلاق.

إنّ الكيفية التي انتهى بها كلّ شيءٍ شوّهت كلّ ما حدث قبل ذلك، وكأنّ النار نفسها قد انتشرت في ذكرياتي وأتت على الأخضر

واليابس فلم تترك وراءها سوى الظلام الدامس. الأمر كما لو أنَّ الحاضر قد سَمَّ الماضي.

يمكنني التفكير في لحظات سعيدة، لكنَّ معظمها عابر ولا يهمُّ أحداً سواي: مزحةٌ تشاركناها مع هوني؛ بعد ظهر يوم الجمعة حين كان آموس يجلب الفطائر المقلية الساخنة من البلدة؛ وجه نيت وقد التقطته شمس الغروب بزاويةٍ معيَّنة. لا شيء يستحقُّ أن أخبره لأيِّ شخصٍ آخر.

ماذا عن ما قبل التطهير؟ يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. قبل أن يتولَّى الأب جون قيادة الفيلق؟

أعود أكثر بالزمن إلى الوراء، وأحفر عميقاً في ذكرياتي، إلى أن يظهر شيءٌ من العدم فأبتسم؛ سواءً بسبب الذكرى نفسها أو لكونها شيئاً يمكنني أن أقدمه بأمان للدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل؛ شيءٌ يمكنهما أن يغرزا أسنانهما فيه دون أن يقتربا كثيراً من الأشياء التي لا أريد أن أخبرهما بها.

وهو ما يبدو صفقةً عادلة.

بالنسبة لي، على الأقل.

قبل

تتألاً أضواء حبال الزينة التي تتدلى من الأشجار ومن بين زوايا المباني بالألوان الحمراء والبيضاء والزرقاء فيما يورجح الأب باتريك ذراعه ويقذف كرة اليبسول.

يقطب هورايزون جبينه بينما تطير الكرة باتجاهه، ثم يلوح بمضربه بقوة كبيرة لدرجة أنه كاد يدور على أطراف أصابعه ويرتفع طافياً في الهواء. ترتطم الكرة بجدار الكنيسة خلفه، ويطلق الجميع الهتافات وصيحات الاستهجان بينما يلتقطها ويعيد رميها من حيث جاءت وعلى وجهه ابتسامة عريضة.

- «رمية جيدة»، يقول للأب باتريك.

ينقر هذا الأخير بإصبعه طرف قبة خيالية، ويلمع شعره الأحمر تحت بريق أضواء زينة الرابع من يوليو. أنا أجلس مترتبة فوق أسفلت الفناء الدافئ، أمي على أحد جانبي، وهوني وأليس على الجانب الآخر. هوني في الرابعة من عمرها فحسب، وهي ليست مهتمة باليبسول، لكن أليس تراقبها جيداً وهي تلحق بإحدى الكرات الاحتياطية جيئة وذهاباً وتبدو سعيدة كفاية بذلك. لا أعرف أين هي والدته هوني - على الأرجح في غرفتها تعاني إحدى نوبات الصداغ التي تصيبها كثيراً.

تنهي أمي إحدى آخر شطائر البرغر التي خرجت من الشواية قبل

أن تبدأ المباراة؛ لديها لطخة من الخردل على شفتها العليا، وبعض الكاتشب أسفل أنفها، لكنني لم أخبرها بذلك لأنها تبدو مضحكة كما أنني أتساءل كم ستستغرق من الوقت حتى تلاحظ.

أكلتُ شطيرتي برغر، ولا أعرف حتى كم أكلتُ من أجنحة الدجاج، وبعضاً من سلطة البطاطس، والأرز، وملعقة من الغموس الأخضر الذي أعدّه بير. كان طعمه غريباً وكأنّه نوعٌ من الطحالب، لكنني أكلتُ منه على أية حال لأنني أحبُّ بير ولا أريده أن يشعر بالسوء إذا لم يأكل أحدٌ من غموسه. يشرب البالغون من إختوتي وأختاتي الكولا وعصير الليمون. لا يُسمح لي بشرب الكولا لكنّ بيلاً كانت قد سمحت لي بالفعل بأخذ رشفة من زجاجتها. لا أظنُّ أنّ أحداً انتبه لذلك.

- «ضربتان!»، تصرخ أمي وترفع إصبعين. «هو يعرف كلَّ حيلك، يا هورايزون».

الفناء ممتلئٌ عن آخره تقريباً. حين تنتهي المباراة، سيذهب البعض للنوم كي ينفضوا عنهم آثار حفل الشواء، وسيذهب آخرون إلى قاعة جنود الفيلق لمشاهدة مباراة بيسبول حقيقية على التلفاز، وسيستمع آخرون في الحدائق إلى الموسيقى عبر الراديو، لكن في الوقت الحالي، فإنّ الجميع تقريباً مجتمعون معاً في نفس المكان. أنظر حولي إلى الرجال والنساء والأطفال المنتشرين في ما يشبه المستطيل الفضفاض، إلى أولئك الذين ينتظرون بصبرٍ دورهم في ضرب الكرة أو رميها؛ أنظر هنا وهناك وأبتسم، فالجو دافئٌ والشمس مشرقة وأنا هنا مع عائلتي.

يهزّ هورايزون رأسه باتجاه أمي ويقول لها: «سنرى». تلوّح له بإصبعيها لكن مع ابتسامةٍ عريضة على وجهها، وإنّه لمن الجيد حقاً رؤيتها تبتسم لأنها لا تبتسم بالقدر الذي أتمناه. هي لا تبدو سعيدة

في معظم الأوقات، لكنني لم أعد أسألها إذا ما كانت على ما يرام لأنها غضبت كثيراً في آخر مرة فعلتُ فيها ذلك، وقالت لي إنني سأكون أول مَنْ يعرف إن لم تكن على ما يرام. لا أعتقد أنَّ ما قالته حقيقي. أظنُّ أنها أرادت منِّي أن أتوقف عن السؤال فحسب.

يبدأ الأب باتريك في أرجحة ذراعه مجدداً بينما يقف هورايون متأهباً ويرفع مضربه. لكن وإذ يؤرجح ذراعه للأمام، ينفجر عبر الفناء صوتٌ تجشؤٍ هائل ويتردّد صدهاء بعيداً في الصحراء. يخرج الأب باتريك خارج الملعب ويكاد يفقد توازنه فيما يستدير هورايون والجميع نحو مصدر الضجيج.

لم يبذل لوك أيّ جهد لمحاولة التظاهر بأنه لم يكن هو؛ ابتسامته عريضة، وجهه متورّد، وعيناه تلمعان سعادة. تمرُّ لحظةٌ من الصمت الذاهل قبل أن ينفجر هورايون ضاحكاً ثم يتبع ذلك جلبةٌ كبيرة تعمّ الفناء بأكمله. لا يتحرّك لوك من مكانه بل ينضمُّ الجميع إليه - هو يجلس في مكانه فحسب، ووجهه يضيء بالفخر بينما يرتّب إخوته وأخواته على ظهره ويكشكشون شعره، فيما الأطفال يحدّقون به بعيون واسعة ملؤها الإعجاب.

- «سأفترضُ أنّك تناولتَ ما يكفي من الشواء، يا لوك»، يقول الأب باتريك وابتسامةٌ عريضة تعلو وجهه المنمّش. «هل لي أن أهزم هورايون الآن برمية أخيرة دون مزيدٍ من الإلهاءات؟».

- «بالتأكيد، يا أبت»، يقول لوك وابتسامته تتسع أكثر من ذي قبل.

- «شكراً لك، هذا لطفٌ كبيرٌ منك»، يقول الأب باتريك. تتلاشى آخر الضحكات إذ يبدأ في أرجحة ذراعه من جديد. هذه المرة لا أحد يتجشأ ولا أحد يصدر ضجيجاً، ويأخذ الأب باتريك خطوة كبيرة للأمام ويقذف الكرة نحو هورايون الذي يتحرّك

بسرعة كبيرة لدرجة تكاد عيني لا تستطيع مواكبتها.

صوت ارتطام.

تنطلق الكرة مرتدة عن المضرب مثل الصاروخ وتحلق عالياً في السماء الصافية. يقفز نحو عشرة من إخوتي وأخواتي الصغار، ويشرعون في مطاردتها وهم يصرخون متحمسين بينما تعود الكرة لترتطم بالأرض قريباً من حظائر الصيانة وتتدحرج باتجاه السياج. يظل هورايزون ثابتاً في مكانه لبرهة طويلة وعلى وجهه ابتسامة عريضة، ثم يرمي المضرب بلا مبالاة إلى بير بينما نحن نحياه ونصفق له ونهتف باسمه.

يهزُّ الأب باتريك رأسه وقد أصبحت ابتسامته أوسع من أي وقت مضى. «يا لك من وحش! ظننتُ لثانية أنها اجتازت السياج هناك».

يبتسم هورايزون. «الربُّ طيبٌ، يا أبت».

ثمة جلبة من جهة الحظائر حيث حُدِّدَ موقع الكرة وبدأ صراعٌ من أجلها. ينجح آجا في وضع أصابعه الصغيرة عليها والانطلاق مسرعاً في العدو؛ هو يمسك بالكرة فوق رأسه بينما تلحق به عشرات الأشكال الصغيرة المغطاة بالغبار. يندفع عائداً إلى الفناء وهو يضحك على نحوٍ هستيري، ثم يقذف الكرة بكلِّ ما أوتي من قوة. بالكاد تصل إلى الإسفلت، لكنها ترتد عن الأرض وتتدحرجُ وصولاً إلى قدمي هورايزون مباشرةً. ترتطم الكرة بكعب حذائه، لكن يبدو أنه لا يلاحظ ذلك. أرفع عيني وأنظر إليه، فأراه يحدق في اتجاه البوابة الأمامية.

- «سيارة»، يقول هورايزون.

يقف معظم الحشد بمن فيهم أنا على أقدامهم، ويتطلعون جهة الجنوب.

تعطي البوابة الأمامية إحياء بالضخامة، لكنّها في الحقيقة عبارة عن ثلاثة ألواح خشبية على شكل حرف Z مع سياج شبكيّ يمتدّ بعيداً على كلا الجانبين مثبتّ على أعمدة خشبيّة. يُفترض بهذا السياج أن يقي حيوانات القیوط والمخلوقات الأخرى في الخارج، لكنني رأيتُ عدداً كافياً منها يتجوّل في القاعدة بعد حلول الظلام لأعرف أنّ السياج لا يؤدّي الغرض منه بالشكل المطلوب.

تقف على الطريق الترابية خلف البوابة سيّارة بيضاء محاطة بسحابة من الغبار. يبدأ الجميع في السير باتجاهها كما لو أنّهم تلقّوا أمراً غير مسموع؛ بير وهورايون، والأب باتريك في المقدّمة. حسنٌ. يبدأ الجميع (تقريباً) في السير.

أنظر حولي سريعاً بينما يتحرّك الحشد، وأرى جون بارسون وآموس أندروز يقفان أمام الكنيسة بمفردهما. هما يتحدّثان بصوتٍ منخفض، وأدرك فجأة أنّي سأقع في ورطة إذا ضبطاني أختلس النظر إليهما، لذا أستدير مبتعدة. أنجح في السير بضع خطوات قبل أن يغلبني الفضول وألتفت نحو الكنيسة للمرّة الثانية.

لقد اختفى جون وآموس. لا يمكنني رؤيتهما في أيّ مكان. أعبس. ليس من شأنني حقّاً ما يفعله جون وآموس، لكنني لا أعرف لماذا لم يأتوا مع بقيّتنا، كما كان ثمة شيءٌ مريبٌ في نظراتهما وهما يتحدّثان، وكنتُ على وشك أن أقول شيئاً لأُمّي حين فُتح باب السيارة البيضاء وخرج رجلٌ منها.

لم أرتح له على الفور. إنّه بدين، أحمر الوجه، يتصبّب عرقاً، وأنفه مدبّب كأنف الجرذ. يبتسم للأب باتريك وقادة السرايا إذ يصلون إلى البوابة الأمامية.

- «عمتم مساءً»، يقول ويدسّ يده في الجيب الخلفي لسرواله

الجينز، ويخرج إحدى المنشورات التي كنتُ أوزّعها أنا وإخوتي وأخواتي في البلدة كلّ صباح، ذاك الممهور بعبارة: هل سمعتَ الأخبار الطيّبة؟ «وصل هذا إليّ قبل أسبوعين، ولم أستطع أن أخرجهُ من رأسي منذ ذلك الحين. لذا قرّرتُ أنّه ينبغي بي التحدّث إلى الرجل الذي كتبه».

- «أنا مَنْ كتبته»، يقول الأب باتريك. «وسأكون أكثر من سعيد بمناقشة محتوياته معك. ما اسمك أيّها الصديق؟».

- «أنا جاكوب رينولدز»، يقول الرجل. «إنّه لمن دواعي سروري أن ألتقي بكم جميعاً».

بعد

يُسند الدكتور هيرنانديز ظهره إلى كرسيه ويقول: «أنا آسف، لكنني مرتبكُ بعض الشيء».

- «أنا أيضاً»، يقول العميل كارلايل.

- «حسنٌ. ما هو الشيء المربك؟»، أقول لهما.

- «هل حقاً هذه ذكرى سعيدة؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

«وصول جاكوب رينولدز؟».

- «اليوم هو الذكرى السعيدة»، أقول لهما. «إنَّ كلَّ شيءٍ بعد

تولي الأب جون قيادة الفيلق فاسدٌ وملوثٌ، لذا فإنَّ ذكرى الرابع من يوليو تلك هي آخر يوم سعيدٍ حقاً يمكنني أن أفكر فيه».

ينظر الرجلان إلى أحدهما الآخر.

- «ما زلتُ أعاني هنا»، يقول العميل كارلايل. «أشعر أننا

نفقنا لسياقٍ منطقيّ».

أدركُ فجأةً ما مشكلتهما، وتغمرني الحماسة إذ أفهم أنهما في

الحقيقة لا يعرفان كل شيءٍ عن كل شيءٍ.

- «لقد نفذ الأب جون حركته بعد يومٍ من وصول جاكوب»،

أقول لهما.

- «أنتِ تتحدّثين عن التطهير؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أومئ برأسي. «كانا يعرفان جاكوب بالفعل؛ أقصد الأب جون

وأموس. لا أعرف كيف أو من أين، لكنَّ كلَّ ذلك كان مخطَّطاً له. كان فتحاً. لم يدرك أحدُ الأمر في ذلك الوقت، لكن بالنظر إلى الوراء الآن، فإنَّه يبدو بديهياً».

- «هل كان جاكوب رينولدز موضع ترحيب؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «بالطبع»، أقول له. «كان الأب باتريك يرحِّبُ بالجميع».

- «ما الذي فعله الأب جون حقاً؟»، يسأل العميل كارلايل.

«أعني في اليوم التالي. كيف تولَّى زمام السيطرة على فيلق الربِّ؟».

- «لم يكن الأمر دراماتيكياً بالشكل الذي تفكَّر به على الأرجح»، أقول له. «لم يكن هناك قتال أو إطلاق نار أو أيُّ شيء من هذا القبيل. كلُّ ما حدث أنَّ الأب صعد درجات الكنيسة، وأعلن أنَّ الربَّ تحدَّث إليه ليلاً، أنَّ الرب أتى إليه في الظلام وأعطاه رسالة».

- «سأخاطر بالقول إنَّها لم تكن تحتوي أخباراً سارة للأب باتريك»، يقول العميل كارلايل.

أبتسم. «صحيح. قالت رسالة الربِّ أنَّ الفيلق يحتاج أن يقوده الأب جون. وقف أمام الجميع وقال إنَّ الأب باتريك كان خادماً مخلصاً للربِّ؛ رجلٌ طيِّب ولطيف، لكنَّ الرجال الطيِّبين واللفطاء لم ينتصروا في الحروب، لا سيَّما في المعركة النهائية مع الشيطان والتي كنَّا نعرف جميعاً أنَّها قادمةٌ لا محالة. سأل الجميع أن يبحثوا داخل قلوبهم، وأن يقفوا معه إذا اعتقدوا أنَّه يقول الحقيقة. خمَّن مَنْ كان أول شخصين تقدَّما إلى الأمام».

- «أموس وجاكوب»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أومئى موافقة. «تقدَّما للأمام مباشرة ووقفنا إلى جانبي الأب جون. لم يقولوا أيُّ شيء، ليس كلمةً واحدة، لكن —».

- «كان كلاهما مسلّحاً»، يقول العميل كارلايل. «أليس كذلك؟».

أومئ برأسي.

- «ألم تقولي إنّ المسدّسات كانت مسموحة أيّام الأب باتريك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أومئ برأسي مجدّداً. «لقد كانت كذلك. لكن الناس لم يحملوها في أحزمتهم مثل رعاة البقر. الأسلحة كانت داخل الأقبية والمهاجع».

- «ماذا فعل قادة السرايا؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «بير وأنجل ولونستار هم أوّل من وقف مع الأب جون بعد أموس وجاكوب، بينما ظلّ هورايزون في مكانه لبضع ثوانٍ، ثمّ التحقّ بهم هو الآخر».

- «وأين كان الأب باتريك بينما كان يحدث كلّ ذلك؟».

- «كان موجوداً هناك بالضبط»، أقول له. يمكنني أن أرى النظرة على وجهه إذ أدار قادة السرايا ظهورهم له ووقفوا مع الأب جون؛ يمكنني رؤيتها بكلّ وضوح. لم تكن نظرة تنمّ عن الغضب، أو حتّى خيبة الأمل؛ بل بدت كنظرة حزن، كما لو أنّ قلبه كان ينفطر داخل صدره.

- «ألم يفعل أيّ شيء؟»، يسأل العميل كارلايل.

أهزّ رأسي.

- «ولم يقل أيّ شيء؟».

- «ولا كلمة واحدة، كان قد فات الأوان على ذلك بالفعل.

رأى الكثيرون في أيّ اتّجاه كانت الرياح تهبّ فأحنوا رؤوسهم لها، لكنّ عدداً جيّداً منهم ذهبوا ليقفوا إلى جانب الأب جون مع

ابتساماتٍ على وجوههم لأنهم صدّقوا حقاً أنّه كان ما ادّعاه بالفعل».

- «وما ذاك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «قناةٌ توصِلُ إلى الربِّ»، أقول له. «رسوله المقدّس على الأرض».

صمْتُ طويل بينما يستوعب الرجلان العبارة الأخيرة.

- «كيف جعل الأب جون الناس يوافقون على ذلك؟»، يسأل العميل كارلايل بعد لحظة. «كيف أقنعهم أن يصدّقوه؟».

أنا لم أقنعهم بشيء! يردد صوت الأب جون في رأسي. لقد رأوا الحقيقة بأنّ أعينهم! الربُّ لا يخطئ!

أهزُّ كتفيّ بلا مبالاةٍ قدر الإمكان. «يصعب شرح الأمر ما لم تكن قد رأيته بعينيك»، أقول له. «لقد أحبّ الجميع الأب باتريك، بمن فيهم أنا. لطالما اعتقدتُ أنّه رجلٌ طيّب، وبالنظر إلى الوراء الآن فأنا أعتقد ذلك أكثر من أيّ وقت. كان لطيفاً ومحترماً، ويهتمُّ بالآخرين أكثر من اهتمامه بنفسه. لقد كرّس حياته لخدمة الربِّ».

- «والأب جون؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

فكرْتُ بهذا لبرهةٍ قبل أن أجيب.

- «مرّت أوقاتٌ بالكاد كان يبدو فيها رجلاً في الأساس، بل كان أشبه بقوةٍ من قوى الطبيعة، جامحاً وغير قابلٍ للتنبؤ. عليك أن تفهم أنّه كان عضواً مخلصاً في الفيلق لثلاثة أعوام قبل أن ينقذ حركته، وقد أحبّه إخوتي وأخواتي. كان ساحراً وذكياً، ويعرف الكتاب المقدّس حتّى أفضل من الأب باتريك. كان مسموحاً لكلِّ من أراد التحدّث في الكنيسة أن يفعل ذلك، وكثيراً ما تحدّث الأب جون، وكان ذلك جيّداً بالنسبة للجميع، لأنّه لم يكن شخصاً لا

يستحق الاستماع إليه. كان يصعد إلى المنبر بقميصه القطني المغربي، وشعره الطويل وعينيه الخضراوين والابتسامة اللطيفة على وجهه، ومن ثم يشرع بالصراخ والبصاق والزعيق والضرب على منضدة القراءة أمامه حتى تدمى براجمه. تحدّث عن الربّ كما يتحدّث معظم الناس عن أصدقائهم الأكبر سنّاً، كما لو أنّهما قد أنّهما حرفياً محادثةً بينهما قبل صعوده إلى المنبر مباشرةً. علا صراخه بشأن المعارك، والحرب، والوقت الآخذ بالنفاد، وتحدّث عن الغرباء مراراً وتكراراً. أخبرنا أنّنا كنّا كلّ ما يقف حائلاً بين الشيطان والنصر النهائي».

- «هل كان ذلك منسجماً مع تعاليم الأب باتريك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «إلى حدّ ما»، أقول له. «آمنَ الأب باتريك بسفر الرؤيا ويوم الدينونة. كان هذا ما دفعه إلى تأسيس الفيلق في المقام الأوّل. كنّا نعلّم أنّ النهاية قادمة، وأنّ المؤمنين يجب أن يكونوا مستعدين لها. لكنّ رؤية الأب جون كانت أكثر...»، أبحث عن الكلمة الصحيحة. «تطرفاً».

- «ألم يدرك الأب باتريك ما كان يحدث؟»، يسأل العميل كارلايل. «طالما أنّ الأب جون كان متحدّثاً جيّداً، وشخصاً محبوباً جدّاً، ويعطّ بمقاربة أكثر عدوانيةً لتعاليم الفيلق، ألم يرَ مع كلّ هذا التهديد المحتمل لسلطته؟».

- «لا أعرف. اعتقد أنّ بعض الآخرين قد رأوا ذلك، لأنّ عدداً قليلاً من الأشخاص غادروا الفيلق في الأشهر التي سبقت التطهير. لكن بحلول الوقت الذي اتّخذ فيه الأب جون خطوته كان قد أصبح بالفعل الشخص الذي قصده الناس إذا كانت لديهم اسئلةٌ أو شكوك، وكانت إجاباته هي التي وجدت عندهم آذاناً مصغية.

لطالما كان في العلن مذعناً للأب باتريك، ولطالما نجح في إظهار نفسه كجنديٍّ مخلص في الفيلق».

- «هل كان هناك عنف حين تولّى القيادة؟»، يسأل العميل كارلايل.

أهزُّ رأسي.

- «ألم يأخذ أحدٌ سلاحه وقال إنّه لن يسمح بحدوث ذلك؟».

أهزُّ رأسي مجدداً.

- «ماذا حلَّ بأولئك الذين ظلّوا موالين للأب باتريك بعد أن حلَّ الأب جون محلّه؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لا شيء»، أقول له. «حدث كلُّ شيء بسرعة كبيرة. كان هناك الكثير من الصراخ، وبعض الشدّ والجذب والتدافع بينما كان الناس يحمّلون سيّاراتهم كي يغادروا، لكن لم يحدث شيء أكثر خطورة من ذلك».

- «لَمْ كان هناك صراخ؟».

أهزُّ كتفيّ. «لقد توسّل الأب باتريك للجميع أن يبقوا هادئين، لكنّ البعض كانوا يغادرون تاركين أفراد عائلاتهم وراءهم، لذا فقد كانت الأجواء مشحونة حقّاً. أناسٌ يبكون، وينعتون بعضهم البعض بالزنادقة والكفار، وأناسٌ يصلّون، ويتوسّلون أولئك الذين يهّمون بالرحيل أن يغيّروا رأيهم».

- «هل غادر الأب باتريك أيضاً آنذاك؟»، يسأل العميل كارلايل.

أومئُ موافقة. «لقد قاد موكب المغادرين».

- «هل تساءلت يوماً ما الذي حلَّ به وبالأخريين؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لا. كان من غير المسموح التفكيرُ بهم»، أقول له.

- «والآن؟».

أستذكرُ وجه الأب باتريك الجادّ المنمّش حين كان الناس يحملون السيارات وينتحبون ويصرخون ويتجادلون بعد أن انهار كلّ ما بناه خلال لحظات.

- «إن كان هناك ما أشعر به، فأظنّ أنّي أشعر بالأسف تجاهه.

لقد خسر ما كان يعتقد أنّه إنجاز حياته. لا أعتقد أنّي فهمتُ كم كان ذلك صعباً آنذاك»، أقول له.

- «أعلم أنّ مقابلةً قد أُجريت معه كجزءٍ من تحقيقنا»، يقول العميل كارلايل. «يمكنني على الأرجح أن أحصل على معلومات حول ما حدث بعد مغادرته للفيلق، إن كنتِ تودّين ذلك؟».

أهزُّ رأسي. «لا يهّم».

يومئ برأسه. «أعلميني إذا غيّرتِ رأيك».

- «سأفعل. شكراً لك».

يومئ ثانية. «حسنٌ. إذاً، ماذا عن جون بارسون؟ ماذا فعل بينما كان الناس يغادرون؟».

- «جلس على شرفة البيت الكبير فحسب، وراقبهم يقودون مبتعدين. لم يقل كلمةً واحدة».

- «لَمْ كان ذلك برأيك؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «لأنّه عرِفَ أنّه قد ربح وانتهى الأمر».

يعطيني ابتسامةً صغيرة. «هل اتّضح هذا لك آنذاك؟».

- «لستُ متأكّدة»، أقول له. «الأرجح في وقتٍ لاحق».

- «أنتِ ذكيّة».

أهزُّ كتفي. «لديّ قوّة ملاحظة فحسب. معظم الناس ليس لديهم ذلك».

- «هذا صحيح تماماً»، يقول العميل كارلايل. «هل تحدّث الناس عن التطهير بعد حدوثه؟».
- «الجميع تحدّثوا عنه. أصرَّ الأب جون على ذلك. اجتمع الفيلق بأكمله في الكنيسة صباح اليوم التالي لمغادرة الأب باتريك والآخرين، وتحدّث الجميع عن الأمر. طُلب من كلِّ شخصٍ أن يقول كلَّ ما يجول بخاطرهِ، بغضِّ النظر عن ماهيّته».
- «وبعد ذلك؟».
- أهزُّ رأسي. «أصبح هذا الموضوع محرّماً».
- «إذاً أنتِ لم تتحدّثي بالأمر مع أمكِ أبداً؟ أو مع نيت تشايلدرس بعد وصوله؟»، يسأل العميل كارلايل.
- أحدّقُ به. «ماذا قلْتُ سابقاً؟».
- «أيّها العميل كارلايل»، يقول الدكتور هيرنانديز بصوت منخفض. «كانت مونييم واضحةً تماماً بشأن الأشياء التي لا تريد أن تتحدّث عنها اليوم. فلتحترمي خياراتها رجاءً».
- لا يرفع العميل كارلايل عينيه عني، لكنّه يومئ برأسه. «أنتِ محقّة. أنا آسف».
- أذهب للجحيم.
- «لا بأس»، أقول بصوتٍ مسموع.
- «أودُّ التحدّث أكثر قليلاً عن الفترة التي سبقت التطهير، إن كنتِ توافقين على ذلك؟»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «حسنٌ»، أقول له.
- «في ظلِّ قيادة الأب باتريك، كان مسموحاً لأعضاء فيلق الربِّ بمشاهدة التلفزيون، والاستماع إلى الراديو وممارسة الألعاب وقراءة الكتب وتناول الأطعمة التي يرغبون بها. هل هذا صحيح؟».
- أومئُ برأسي موافقة.

- «وبعد التطهير، هل توقّف كل ذلك؟» .
أومئُ مجدّداً .

- «وهذا لم يدفع الناس لإعادة النظر في ولائهم للأب جون؟» .

- «لا يبدو الأمر كذلك، ولا يسعني القول على وجه اليقين ما كان يفكر فيه أيُّ شخصٍ آخر، لكنّ الأب جون أخبرنا جميعاً بأنّنا كنّا قد أصبحنا مسترخين للغاية، كسولين، ومتسامحين. أخبرنا أنّنا نحتاج أن نكون أقوى، وقد اتَّفقتُ الغالبية معه في ذلك» .

- «أقوى لأجل المعركة النهائية؟»، يسأل العميل كارلايل .
- «بالطبع» .

- «إذاً لا بدّ أن أملكِ كانت موافقةً على ذلك آنئذٍ؟ نظراً لأنكما كتما لا تزالان هناك» .

- «حسنٌ، هذا يكفي»، يقول الدكتور هيرنانديز . «إنّه لمن غير الملائم من قبلك أن تحاول إدارة هذه الجلسة كيفما تشاء، أيّها العميل كارلايل . لن أسمح بذلك» .

يبتسم لي ابتسامةً ينبغي أنّها تُظهر كامل الدعم في اعتقاده؛ ابتسامةٌ تقول «أنا في صفّك»، لكنني لا ألقى لها بالاً . إنّ الغضب يغلي بداخلي، فأنا لا أحبُّ أولئك الذين يحاولون التلاعب بي، وبالأخص عندما يعتقدون أنّني لا أعرف أنّ هذا ما يفعلونه . أنا لا أحبُّ أولئك الذين يعتقدون أنّني غبيّة .

- «أحسب أنّها كانت كذلك بالفعل»، أقول وعيناي مرّكّزتان على العميل كارلايل . «رغم أنّها ربّما لم تكن كذلك، نظراً لأنّها غادرت في النهاية» .

تضيق عيناه . «غادرت؟ أم نُفيت؟» .

تخترقني الكلمة مثل سكين وأشعر أنني بنفسي أدخل في حالة من السكون التام. «ماذا قلت؟».

- «قبل ثلاث سنوات»، يقول العميل كارلايل وكأنه لم يسمع سؤالي، «في الثاني والعشرين من هذا الشهر. ألا يبدو هذا مألوفاً؟».

- «أيها العميل كارلايل»، يقول الدكتور هيرنانديز بنبرة أعلى قليلاً. «لن أنبهك مجدداً».

- «أنت لا تعرف أي شيء عن أمي». أتساءل مع من تحدثوا، من قد يكون أخبرهم عن أسوأ شيء - قبل الحريق - حدث لي على الإطلاق، ويمكنني سماع ارتجاف الغضب في صوتي. «لا تعرف شيئاً لعيناً واحداً».

لا يبدي العميل كارلايل أية استجابة؛ فقط يرمق الرجل الجالس بجانبه بنظرة حادة جداً.

- «أنا آسف»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لقد أوضحت أنك لا تريد الحديث عن والدتك اليوم، وأعتقد أنه خيارٌ صحيحٌ تماماً». الدم يغلي في عروقي. «ماذا لو غيّرت رأبي؟».

- «هذه ليست البيئة المناسبة لتلك المحادثة»، يقول لي.
- «لماذا؟»، أسأل وأشير برأسي في اتجاه العميل كارلايل.
«لأنه هنا؟».

يومي الدكتور هيرنانديز موافقاً. «هذا أحد الأسباب، وهناك أسبابٌ أخرى. ما يجدر بك أن تتذكره هو أن هذه —».

- «أرجوك لا تقل عملية. سأكون سعيدة جداً إن لم أسمع هذه الكلمة ثانية. أنا هنا منذ أسبوع تقريباً، والشيء الوحيد الذي أعرفه يقيناً أنه لا يُسمح لي بالمغادرة. إذاً ما الوضع هنا؟ هل أنا سجين؟ هل ستتهمونني بارتكاب جريمة؟».

- «على رسلك»، يقول العميل كارلايل. «لا أحد يتهمك بأي شيء. اهدئي».

لكن لا يمكنني أن أهدأ.

لا أريد أن أهدأ.

- «كن صريحاً معي فحسب»، أقول له. «أخبرني ما الذي أفعله هنا، وما الذي سيحدث. ألا يمكنك أن تفعل ذلك لأجلي؟ من فضلك».

- «سأنهي هذه الجلسة»، يقول الدكتور هيرنانديز. «آسف لأنك مستاءة، يا مونييم، لكن أرجو أن تفهمي أنني أضع مصلحتك كأولوية قصوى. حاولي أن تثقي بي في هذه النقطة».

- «لقد قلت ذلك من قبل»، أقول له. اختفى الغضب بالسرعة التي وصل بها، وأشعر بالدموع تتجمع في زوايا عيني. أجبرها بكل ما أوتيت من قوة على العودة من حيث جاءت لأنني لن أبكي أمامه، ليس ثانيةً.

لن

يحدث

ذلك

فحسب

- «وقد عنيث ما قلت»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لقد اختبرت تجربة أليمة وصادمة يا مونييم، ناهيك عن كل السنوات التي سبقتها، وأنا معجب جداً بالقوة والمرونة التي ما زلت قادرة على إظهارهما. ربما كان يجدر بي أن أخبرك بهذا أكثر مما فعلت حقاً، وأنا أعترض على ذلك. لكن يجب أن تفهمي أن هناك قواعد، وجداول زمنية، وإنها جميعاً لمصلحتك حقاً، رغم معرفتي بأنك تجدين صعوبة في تصديق ذلك».

أضحك. لا أستطيع منع نفسي.

- «لمصلحتي»، أقول له. «هل تعرف كم مرّة سمعتُ هذه الكلمة؟».

- «لا»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لا أعرف. لكنني أريد منك أن تخبريني، أريد ذلك حقاً. نحن بحاجة إلى توخي الحذر فحسب. نحن بحاجة إلى أخذ الأمور برويّة».

- «فلنكتفِ بهذا القدر اليوم»، يقول العميل كارلايل. «سيكون من الجيد للجميع أن يهدؤوا قليلاً». ينهض، ويرتدي سترته، ثمّ ينظر إليّ. «أنتِ لستِ واقعةً في آية ورطة، اتّفقنا يا فتاة؟ خذي قسطاً من الراحة وسوف نتحدّث غداً».

- «ماذا لو لم أرد ذلك؟»، أسأل رغم معرفتي بأنّه سؤالٌ غبيّ، لأنّ ما أريده ليس ضمن اعتبارات أحد. لم يكن كذلك يوماً.

- «ستحدّث غداً»، يكرّر العميل كارلايل.

يحدّق الدكتور هيرنانديز بي بينما يرتّب أقلامه ودفاتره في الحقيبة. ثمّة شيءٌ في عينيه، شيءٌ وكأنّه يريد منّي أن أفهمه لكنني لا أستطيع أن أتبيّن ما هو بالضبط.

شفقة؟ تعاطف؟ قلق؟

أياً يكن، إنّه يغضبني لدرجةٍ تجعل جلدي يستحكني.

ينهض ويلحق بالعميل كارلايل خارج الغرفة، فأغمضُ عينيّ وأخذُ نفساً عميقاً بينما أنتظر أن أعود إلى غرفتي.

لا بأس، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لقد أبليتِ حسناً.

سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام.

تبتسمُ لي الممرّضة هارو وهي تغلقُ باب غرفتي. حالما أسمع

صوت دوران القفل، أجلس إلى طاولة المكتب، وألتقط ورقةً وأبدأ بالرسم.

المياه. الجُرف. المنزل ذو الجدران الزرقاء.

أنا.

أمّي.

الإعلان الأول لكنيسة فيلق الرب المقدسة مكتوباً بإخلاص بيد رسول الرب الأكثر تواضعاً الأب جون بارسون

لقد أظهر الربُّ عبر حكمته الكاملة واللانهاية طريق الحقِّ لأولئك الرجال والنساء أصحاب الإيمان القويِّ، وذوي القلوب النقيّة والصادقة. لقد أظهر لنا أنَّ طريق الحقِّ صعبٌ وطويل، وأنَّ الظلمة كامنةٌ على جانبيه كليهما.

لقد كُشِفَتْ بصيرتي كي تتسنى لي رؤية أشياء محدّدة، أشياء تُمكن إخوتي وأخواتي من خدمة مجد الربِّ بصورةٍ أفضل.

أولئك الذين رحلوا يجب نسيانهم تماماً. لا يمكن أن يكون في قلوب المؤمنين حيّزٌ مخصّصٌ للكفّار. يجب أن لا يكونوا موضوع حديث، ولا أن يُسمح لهم بالتسلّل إلى أذهان المؤمنين.

الخارج عبارةٌ عن فسادٍ، وإلحادٍ كفيل بإفساد حتّى أولئك الذين يحملون في قلوبهم أقوى إيمان. لن يكون هناك مزيدٌ من التعامل مع عالم الشيطان، باستثناء المسائل الضرورية جدّاً بينما نحن هنا ننتظرُ الارتقاء. لا يجوز لأيِّ عضوٍ في الفيلق أن يخاطر بروحه الأبديّة في الخارج حيث تتجول الوحوش والشياطين، وتُرفض كلمة الربِّ الحقيقية من أولئك الذين عميت قلوبهم وأبصارهم.

على المؤمنين الصادقين أن يضعوا هموم الدنيا جانبا. كلُّ ما
هو فانٍ كافر، كلُّ ما هو بشريٌّ معيب.

الربُّ طيّب.

قبل

إنه يومٌ حارٌّ حتّى بمعايير تكساس، حيث يعود آموس أخيراً إلى لايفيلد.

ثمّة ارتياحٌ ملموس يسود بين رجال ونساء فيلق الربّ. نحن نعرفُ أنّ كلّ شخصٍ خارج أسوار القاعدة يكرهنا ويريد أن يلحق بنا الأذى - ليس هذا بشيءٍ يسمح لنا الأب جون بنسيانه - لكنّ العيش مع هذه المعرفة ليس دائماً بالأمر السهل، وإنّ الفكرة التي مفادها أنّ نوعاً من الهجوم من الخارج قد يكون وشيكاً بالفعل تُثقل كاهل الناس أثناء الإغلاق.

كنتيجةً لذلك، وإذ يركب آموس في الشاحنة الحمراء ويخرج عبر البوابة الأمامية، كانت ثمّة هتافات حقيقية من بعض إخوتي وأخواتي الذين تجمّعوا في الفناء لمشاهدته وهو يغادر. لكن ومع تطاول فترة ما بعد الظهر، واقتراب الموعد المتوقّع عادةً لعودته، يبدأ القلق والتوتر يحلّان محلّ الخفة والحيوية.

الشمس غاصت لتوها خلف سقف الكنيسة المائل، حين أسمعُ صوت محرّكٍ يقترب من بعيد. أنا أعمل في حقل الرماية خلف البيت الكبير، أكنس أغلفة الرصاص الفارغة، وأزيل الأحجار والأوراق المتساقطة. أرمي أدواتي في الحال وأتّجه صوب الفناء. لم أصدّق

أبدأ أن شيئاً سيئاً قد يحدث لآموس، لكنني مذهولة من حجم ارتياحي لرؤيته يصل إلى الديار سالماً.

كان معظم إخوتي وأخواتي قد تجمّعوا على الإسفلت لدى وصوله، وعيونهم شاخصة إلى البوابة الأمامية. تتصاعد سحابة غبار أسفل التل الذي يحجب انعطافة الطريق الترابية، ويرتفع هدير المحرك شيئاً فشيئاً. إذ أدقق النظر عبر وهج الشمس الغاربة، تظهر الشاحنة من بعيد فأتنفس الصعداء ويزول من صدري الغم الذي لم أكن أعلم حتى بوجوده.

يفتح لوك وبير البوابة، ويدخل آموس عبرها ويوقف الشاحنة الصغيرة وسط الفناء. تعلق موجة جديدة من الهتافات لمنظر جبل الصناديق والأكياس والحقائب في صندوق الشاحنة، وخلال ثوانٍ يتجمّع إخوتي وأخواتي حول الشاحنة؛ بعضهم يربّت على ظهر آموس ويرحبُ بعودته سالماً، والبعض الآخر يبحث في الأكياس عن رقائق البطاطس والحلوى التي افتقدت بشدة مؤخراً.

- «انتهازيون»، يقول أحدهم ما بجانبني، بصوتٍ خافتٍ لكن لا أثر للخبث فيه. أبتسم وأنا أستدير نحو صاحبه.

- «كُن لطيفاً»، أقول له. «الجميع سعداء لرؤيته يعود سالماً». يبتسم نيت ويقلب عينيه. «بالتأكيد. أراهن أن هذه هي الحال بالضبط». أقابله بأكثر تكشيرة مقنعة تدبّرتُ رسمها على ملامحي، تكشيرة من النوع الذي تقوّضه الابتسامة العريضة القابضة تحتها. «آمل أنك لن تقترح أن إخوتنا وأخواتنا يهتمّون برقائق البطاطس والحلوى أكثر من كون آموس بخير».

غني عن القول أن نيت هو الشخص الوحيد في الفيلق بأكمله الذي قد أقول له شيئاً كهذا. الشخص الوحيد الذي يمكن حتى أن أفكر في قوله له.

يشخر ضاحكاً. «بالطبع لا. سيكون هذا خطأ فادحاً مني».

- «سيكون كذلك حقاً». تتسع ابتسامتي أكثر من ذي قبل. «إذ سيتوجّب عليّ عندئذٍ إبلاغ قادة السرايا، وسيحزنني أن أراك تُحبس في الصندوق المعدني».

- «إذاً إنّه من حسن حظّ كلينا أنّي لم أقل ذلك». يلقي بذراعه حولي. «أليس كذلك؟».

وهكذا أصبح فجأة عاجزة تماماً عن التنفّس.

تجمّد كلُّ شيءٍ بداخلي واستحال صلباً من الإحساس بأصابه الخشنة على بشرتي المكشوفة عند كتفي، ومن دفع ذراعه على ظهري. أحاول أن أقول شيئاً ما، أيّ شيء، لكن عبثاً، لأنّ دماغي توقّف عن العمل تماماً وحبالي الصوتيّة لا تستجيب. لكن إن لاحظت ذلك فهو لم يعلّق عليه، إنّه يسير إلى الأمام فحسب، باتّجاه الشاحنة الصغيرة.

طبعاً لم يلاحظ ذلك، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لم قد يلاحظ؟ أنتِ مثل أخته الصغيرة، ولا أحد تأخذه الأفكار إذا وضع ذراعه حول أخته.

أقول للصوت أن يخرس، رغم معرفتي أنّه محقّ. أعرف أنّ نيت يراني هكذا، وهكذا يفكرُ بي، ولا بأس بذلك في معظم الأوقات. لكنني أعجز في بعض الأحيان عن منع نفسي من الشطح بأفكاري، أفكارٌ تحرق وجهي بحرارتها وتجعل معدتي تقفز مثل بهلوان.

- «هيا بنا»، يقول لي. «لنرَ إذا ما تبقى شيءٌ يستحقّ أن نأخذه».

لكن حين وصلنا إلى الشاحنة، كان كل ما تبقى هو كومة من الطرود البريدية المرسلة إلى جيمس كارميل. وبينما نحن نحدّق بها،

يظهر آموس بجانبنا ووجهه المتغضن يتوهج بالفخر المشوب بالتواضع لبطلٍ عائد، كما لو أنه قد قاتل لتوه الشيطان بيد واحدة، ولم يكن كل ما فعله هو مجرد قيادة الشاحنة إلى البلدة والعودة منها. - «هذه كلها للبيت الكبير»، يقول لي. «احملي أحدها إلى هناك يا فتاة».

أقلبُ عينيّ بانزعاج وأنزع أقرب صندوق، لكنه ثقيلٌ وبالكاد أستطيع رفعه. يعرض نيت المساعدة على الفور، لكنني أهزُّ له رأسي بإيماءة «أنا أتولى الأمر» بينما أكافح لأتمكّن من الصندوق بين ذراعيّ، وأنطلق عبر الفناء متشبّثاً به. أسمع آموس خلفي وقد بدأ يخبر نيت قصّة رحلته إلى الخارج؛ مسعاه الملحميّ المحفوف بالمخاطر إلى سوبر ماركت وولمارت في مقاطعة لايتون.

أنجح في تجاوز الفناء وصولاً إلى شرفة البيت الكبير، وأركل الباب بطرف حذائي. أسمع أصواتاً ووقع خطي في الداخل، وأنتظر والصندوق بين ذراعيّ المرتجفتين أكثر فأكثر إلى أن يُفتح الباب وتبتسم بيلاً لي.

- «مونيم، هل عاد آموس؟»، تقول لي.

أومئ برأسي. «منذ بضع دقائق».

تسّع ابتسامتي بيلاً. «الربُّ طيّب»، تقول وتذهب بعينيها إلى الصندوق. «ماذا لديك هنا؟».

- «طرّد للأب جون»، أقول، كما لو أن هذا ليس واضحاً

كالشمس.

- «كم هو لطفٌ منك أن تقومي بإحضاره. ماذا يفعل إخوتنا

الأقوياء بترك مخلوقٍ صغيرٍ مثلك يحمل شيءٍ ثقيلٍ كهذا؟».

- «أردتُ المساعدة». في الحقيقة، أنا لم أرد المساعدة، بل

أردتُ العثور على فطيرة طازجة أو قطعة حلوى، وحين لم أصب

نجاحاً في ذلك أردتُ إثارة إعجاب نيت. لكن الكذبة بدت حلاً أفضل.

- «بالطبع هذا ما أردته»، تقول وتتنحى جانباً. «تفضلي بالدخول، يا أختاه».

أشكرها وأدخل مترنحةً عبر الباب. الطابق السفلي من البيت الكبير عبارة عن غرفة واحدة كبيرة مفتوحة، بها مدفأة وأرائك وكراسي في أحد جانبيها والمطبخ في جانبها الآخر - وكحالتها دائماً، هي مكتظة بالناس. تحييني إيزمي ولينا وستار بأصوات عالية، ونصف دزينة من الأطفال الذين كانوا يتراكمضون ويصرخون ويضحكون؛ يتوقفون للحظة عما يفعلونه وينظرون إليّ قبل أن يقرّروا أنني لست مثيرةً للاهتمام ويعودوا إلى حالتهم الأولى.

عُلِّقَتْ على جدران الغرفة رسومات ملونة بألوان زاهية للعديد من الأطفال الذين يسمّون البيت الكبير بيتهم، كما عُلِّقَتْ صورٌ فوتوغرافية بالأبيض والأسود للصحراء والقاعدة، ومقتطفات مؤطرة من الكتاب المقدس، ونسخ الإعلانات الأصلية المكتوبة بخط اليد، تلك التي دوّنت بواسطة جاكوب رينولدز. الأرضية مغطاة بسجاد من كل شكل ولون، والكثير منه بالٍ لدرجة أنه من الممكن رؤية ألواح الأرضية من خلاله. الألعاب مبعثرة في كل مكان، سيارات وألعاب تركيبية وكتب وكرات وطائرات - يوجد في هذه الغرفة لوحدها أشياء يمكن اللعب بها أكثر ممّا هو موجود في القاعدة بأكملها.

من الجيد أن تكون أحد أطفال الأب جون، حتّى لو لم تكن كذلك حقاً، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي.

تحملني أعلى درجات هرطقتي للشهيق بصوت عالٍ تقريباً. أبتلع الهواء بصعوبة، فيسلك بعضه الاتجاه الخاطئ، وأنفجر بالسعال.

تَقْطَب بِيلاً حَاجِبِيهَا . «مُونِيم؟ هل أنتِ بخير؟» .

- «أنا بخير»، أتنحُجُ بصعوبة بينما أحاول شفط الهواء إلى رثتي . «أين تريديني أن أضع هذا؟» .

- «قلتِ إنه للأب جون»، تقول بيلاً .
هذا واضح جداً .

t.me/soramnqraa

أومئ برأسي .

- «تعرفين أين يقع مكتبه . اصعدي للأعلى . سيكون سعيداً برؤيتك»، تقول لي .

أومئ مجدداً، وأشقُ طريقي بحذرٍ نحو السلالم . لا فكرة لديّ ما إذا كنتُ سأقدر على الوصول بهذا الصندوق الغنيّ للأعلى دون أن أسقط للخلف وأكسر رقبتني، لكنني أعرف أن بيلاً والأخريات يراقبني، لذا آخذُ نفساً عميقاً، وأصعد أولى الدرجات .

بعد خمس درجات، أي أقل من نصف المسافة حتّى أعلى السلالم، ترتجفُ ساقي تحتي بشدّة حتّى إنني لا أعرف ما إذا كانتا ستحملانني أكثر من ذلك . أشعرُ بعد ستّ درجات أخرى أنني على وشك أن انفجر بالبكاء جرّاء الألم والإحباط . ثمّ إذ أضع قدمي المرتعشة على أعلى درجات السلم؛ أشعرُ كما لو أن قضباناً معدنية حارّة جداً مغروزة داخل ذراعيّ .

أجرجرُ نفسي بما يشبه المعجزة وصولاً إلى طاولةٍ جانبيةٍ صغيرة، أضعُ الصندوق عليها، وأكاد أبكي ارتياحاً . أشعرُ على الفور بإبرٍ ودبابيس تنغرُ في لحمي، لكنّها تبدو رائعة مقارنةً بالألم الذي حلّث محلّه . أتركُ ذراعيّ تتدلّيان إلى جانبيّ، وأنظر حولي بينما أنتظر أن تدبّ الحياة بهما مجدداً .

يحتوي الطابق العلويّ من البيت الكبير على غرفة نوم الأب جون ومكتبه، وغرف النوم التي تشغلها زوجاته . هناك ستّ منهنّ -

في الوقت الحالي - ومن السهل تبين حظوتهنّ لدى الأب جون من خلال مكان نومهنّ. فإحداهنّ تشاركه السرير، وإحداهنّ تشغل الغرفة التي بجوار غرفته، والأربعة الأخريات يشغلن الغرفتين الأبعد في آخر الرواق. هذه الترتيبات ليست بشيء يُفترض مناقشته أو الحديث عنه، لكن يُعتقد على نطاقٍ واسع أنّ النساء الستّ يتنقلن بين الغرف أسبوعياً - وفي بعض الأحيان يومياً - بحسب رغبات زوجهنّ.

ستعرفين ذلك بصورة مؤكّدة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي، عندما ستعيشين أنتِ أيضاً هنا. ليس ذلك بعيداً الآن... أطرّد الصوت من رأسي. إنه يصيب نجاحاً كبيراً اليوم في التذكير بالحقائق المؤلمة، لكنني لا أرغب حقّاً في سماعها. ثمّة سقيفة أعلى مجموعة أخرى من السلالم، هناك ينام أطفال الأب جون. لم يسبق لي أن رأيْتُها، لكن قيل لي إنّها مقسومةٌ إلى غرفتين، في كليهما أسرةٌ بطابقين: غرفةٌ كبيرةٌ للأولاد، وأخرى أصغر للفتيات. هناك أحد عشر طفلاً يعيشون هناك، رغم أنّ الأمر ليس بسيطاً كما يبدو.

لقد وُلدوا جميعاً بعد وصول النبيّ إلى القاعدة، والرواية الرسميّة تقول إنّهم جميعاً أطفاله، حتّى أولئك الذين جاؤوا إلى الدنيا قبل أن يتزوَّج من أمّهاتهم. تلك هي الرواية الرسميّة. لكن ثمّة شائعات، فالناس لا يزالون بشراً رغم قدسيّة الإعلان الثالث.

شائعاتٌ بشأن زيارة بعضٍ من إخوتي للبيت الكبير بعد موعد إغلاق جميع الأبواب، وهو ما يُفترض أنّه يحدث بإذنٍ من الأب جون.

شائعاتٌ عن نفس الرجال الذين يزورون أليس ولينا وبعض

أخواتي الأصغر سنّاً بعد إطفاء الأنوار، حيث يسمح لهم قادة السرايا بالدخول إلى غرفهنّ المظلمة.

شائعاتٌ عن أشياء لا يُفترض حدوثها.

أكاد أستعيد الشعور بذراعيّ مجدّداً - لا أزال أشعر بالخوخ فيهما، لكنني واثقةٌ أنّهما هناك - لذا آخذ نفساً عميقاً وألتقط الصندوق. تصرخ عضلاتي على الفور احتجاجاً، لكنني أكرّ على أسناني وأحمله وصولاً إلى مكتب النبيّ. أركل الباب ركلةً ألطف بكثير من تلك التي قمتُ بها في الطابق السفلي.

- «ادخل»، ينادي الأب جون، وأذهلٌ - أكثر من أيّ وقت - برخامة صوته الذي يخترق كلّ الضوضاء ويعلو فوقها، ويأمرُ فعليّاً بالإصغاء إليه.

بإطاعته.

أحني ركبتيّ وأحاول الوصول إلى مقبض الباب. أتلّمّسه بأطراف أصابعي، لكنني لا أستطيع شدّه بحالٍ من الأحوال دون أن أفلت الصندوق المحشور بيني وبين الباب، ثمّ أدرك فجأةً أنّ ساقاي لن تعاودا الانتصاب - يبدو وكأنّهما علقتا في وضعية الانحناء.

- «قلّت ادخل»، يصيح الأب جون.

أتجمّد في مكاني.

لا يمكنني أن أدير مقبض الباب، ولا يمكنني أن أترك الصندوق، وليس لديّ أدنى فكرة كيف سأفسّر هذا الموقف السخيف للنبيّ. أجنو في مكاني، كتفي يستند على إطار، وساقاي ترتجفان تحتني إلى أن أسمع أخيراً حركةً من داخل المكتب - صوت سحب الكرسي فوق ألواح الأرضيّة، متبوعاً بوقع خطيّ ثقيلة.

يملاً الأب جون إطار الباب بعد أن يفتحه بعصبية، ويحدّق بي بوجهٍ محمّر. ثمّ يختفي انزعاجه حين يدرك مأزقي، ويبتسم لي

ابتسامه ملؤها الخير والإحسان؛ شيءٌ ما بداخلي يهتزُّ بعنفٍ إذ أدركُ
كم أنَّ جزءاً منِّي لا يزال يريد يائساً نيل استحسانه، رغم ما حدث
لأمِّي، ورغم كلِّ شيءٍ آخر.

مشيرةً للشفقة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. أنتِ مشيرةٌ
للشفقة تماماً.

- «مونيم!»، يهتف الأب جون وينتزع الصندوق من بين ذراعيّ
بسهولة وكأنَّ بداخله ريش. «مَن قال لك أن تجلبي هذا لي؟ مَن كان
كسولاً لدرجة ألا يفعل هذا بنفسه؟ أخبريني».

أهزُّ رأسي. «لا أحد، يا أبت. أردتُ أن أحضره».
- «أنتِ فتاةٌ طيّبة»، يقول وابتسامته آخذةٌ في الاتساع. «فتاةٌ
طيّبة ولطيفة. هيّا، ادخلي».

- «شكراً لك، يا أبت»، أقول له. ينضمُّ ألمٌ حادٌّ في أسفل
ظهري، وضغطٌ نابضٌ في رأسي إلى أوجاع ذراعيّ، لكنني أتدبّر مع
ذلك بصعوبة أن أسير عبر الباب دون أن أكثّر محاولةً التقاط أنفاسي
عندما أغلقه النبيّ بسرعةٍ خلفي.

يمشي إلى مكتبه، ويضع الصندوق فوقه بجانب الكتاب المقدس
ذي الغلاف الجلديّ السميك الذي يقرأ منه صبيحة يوم الأحد، ثمَّ
يقطّب حاجبيه. «هل أنتِ بخير، يا مونيم؟ هل تحتاجين إلى
الاستلقاء؟».

أهزُّ رأسي. «أنا بخير، يا أبت»، أقول له، واثقةً من أنني
بدوّ مقلقةً على نحوٍ ضبابيٍّ على الأقلّ. «سأكون على ما يرام
خلال دقيقة».

- «هل عاد هذا الصندوق مع أموس؟»، يسأل مشيراً إلى
الصندوق.

- «نعم، يا أبت»، أقول له. «هناك عددٌ منها».

يومئ برأسه. «الربُّ طيّب».

- «الربُّ طيّب»، أكرّرُ على الفور.

يبتسم الأب جون ويجلس على كرسيّ جلديّ بذراعين خلف مكتبه. «هل رأيتِ الاسم على ملصقات الشحن؟».

أتردّد، فأنا لست متأكّدة ما هي الإجابة الصحيحة هنا؛ إنّ أحد الأشياء التي تتعلّمها سريعاً من التحدّث مع الأب جون، حتّى لو لمرةً أو اثنتين، أنّها في الغالب لا تكون الإجابة التي تفكّر فيها. تتّسع ابتسامته أكثر.

- «لا تقلقي»، يقول لي. «لن تكوني في ورطة. لقد رأيتِ الاسم المدوّن على الطرد، أليس كذلك؟».

أومئ برأسي.

- «وما هو؟».

- «جيمس كارمل».

- «هل هذا اسمي؟».

- «لا، يا أبت».

- «صحيح. هل يمكنك أن تخمّني لماذا كُتب على الملصق

اسمٌ مزيف؟».

أنا واثقةٌ جدّاً أنّي أعرف الجواب على هذا السؤال.

- «لأنّ هذا لن يكون آمناً».

يضيقُ عيناه. «ما الذي لن يكون آمناً؟».

- «إذا رأى الغرباء اسمك على الطرد فربّما يسرقونه، أو قد

يضعون فيه شيئاً سيئاً قبل أن يستلمه أموس».

يرمقني لبرهةٍ طويلة، وعيناه الخضراوان اللامعتان تقبضان على

عينيّ بنظرةٍ شديدة الثبات. وفي اللحظة التي بدأتُ أتساءل فيها إن

كنتُ قد قلتُ شيئاً خاطئاً بطريقة ما، يومئ برأسه ويبتسم ابتسامةً

تملاً قلبي بفرحٍ آثم - على وقع احتجاجات الصوت في مؤخرة رأسي.

- «هذا صحيح، يا مونييم»، يقول لي. «هذه بالضبط هي الأشياء التي قد يفعلها خدمة الشيطان. أحسنت. أحسنت صنعاً». أتورّد خجلاً. «شكراً لك، يا أبت».

- «أنت فتاة ذكية. ذكية جداً. كم هو مؤسف أن الرب لا يدعو النساء ليكنّ قائدات سرايا. أظن أن عائلتنا لن تبلي على نحو أفضل ممّا لو كنتِ تعتنين بأفرادها».

لا أتفوّه بكلمة واحدة، فبالنسبة إليّ، إنّ مجرد التسليم بفكرة قائدة سرية افتراضية سيكون بحدّ ذاته هرطقة.

- «أنت لستِ بمهرطقة، يا مونييم»، يقول الأب جون كما لو أنه يستطيع قراءة أفكاره. «رغم ما قد يعتقد بعض إخوتنا وأخواتنا الأقلّ لطفاً. أنت لستِ بمهرطقة، وأنا لستُ كذلك. ليس لي أن أفسّر رغبات الربّ أو أن أبحث عن طرقٍ للالتفاف حول وصاياه. أنا أنقلها وحسب، أنقلها كاملة كما هي، لأنّ الربّ لا يخطئ أبداً. أنتِ تفهمين ذلك، صحيح؟».

- «أفهم ذلك، يا أبت».

- «سيكون هناك قائد سرية جديد مع ذلك»، يقول مستنداً في كرسيّه. «تمّ توضيح ذلك تماماً لي. سوف ينهي الربّ قريباً معاناة أحد إخوتنا على الأرض ويدعوه ليرتقي إلى جانبه، وحين سيسعده أن يفعل ذلك، سيخبرني أيضاً مَنْ يجب أن يحلّ محله. مَنْ سيسمّي الربّ برأيك؟».

أهزّ رأسي. «لا يمكنني تخمين شيء كهذا، يا أبت».

يبسم النبيّ مجدّداً، لكنّ عينيه ضاقتا، وبات دفء ملامحه أقلّ

بكثيرٍ من ذي قبل. أشعرُ بانقباضٍ في معدتي، وأجبرُ نفسي على عدم الإشاحة بنظري.

- «بل يمكنكِ ذلك»، يقول لي. «لأنني أطلب منك ذلك. هذا ليس اختباراً يا مونبيم، فما من إجابات صحيحة أو خاطئة. أنا أسألكِ أن تعطي تخميناً، وما تقولينه لن يغادر هذه الغرفة. لذا فلتُجِبي عن سؤالي، ولتخبريني مَنْ تعتقدين أنَّ الربَّ سيختاره ليكون قائد السريّة الجديد لدينا».

أمعنُ التفكير، فهناك دائماً إجابةً صحيحةً حتّى حين يقول لك أحدهم أنها غير موجودة؛ بل بالأخص حين يكون هذا ما يقوله لك. - «لوك؟»، أقترح متسائلة.

يومئ الأب جون برأسه. «مثيرٌ للاهتمام. إنَّ لوك رجلٌ ذو إيمانٍ عميق، وولاؤه ليس محلّ شكّ. هو يفتقر للحكمة التي تأتي من تراكم الخبرة والتجربة، لكنّه يملك قدراً عظيماً من حيوية الشباب. إذا اختاره الربّ، فلن أتفاجأ كثيراً».

أتنفّس الصعداء بصمت، وأومئ برأسي.

- «ماذا عن نيت تشايلدرس؟»، يسألني.

تنقبض معدتي أكثر من قبل. «ماذا عنه، يا أبي؟».

- «هل تعتقدين أنّه سيكون قائد سريّة جيّداً؟».

أبتلع ريقِي بصعوبة. «ما كنتُ لأجرؤ على افتراض —».

- «أنتِ فتاةٌ طيّبة يا مونبيم»، يقاطعني بنبرة أصبحت حادةً بصورة مفاجئة. «لقد أثبتّ اليوم بالذات أنّك لطيفةٌ ومخلصة. أرجوكِ لا تخيّبي أُملي الآن عبر إجباري على طرح السؤال عليكِ أكثر من مرّة».

حاذري، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. كوني حذرةً جدّاً

الآن.

- «آسفةً، يا أبتِ. سامحني».

- «أسامحك على الدوام»، يقول لي. «والآن أجيبي عن السؤال من فضلك».

- «أظنُّ أنَّ نيت سيكون جيِّداً»، أقولُ بحذر. «لا بدَّ أنَّ إختوتي وأختاتي الأكبر سنّاً يعرفون أكثر مِنِّي، لكن أعتقد أنَّه سيكون مقبولاً، وأنا واثقةٌ من أنَّ إيمانه صادق».

يتسم الأب جون. «أنتِ تحبِّينه كثيراً، أليس كذلك؟».

- «إنَّه أخي. أنا أحبه من كلِّ قلبي»، أقول له.

تنقلبُ ابتسامته إلى شيءٍ لا أعتقد أنَّه يعجبني؛ شيء في الوسط بين الابتسامة والتكشيرة. «بالطبع أنتِ كذلك، وهذا بالضبط ما ينبغي أن يكون عليه الحال. لكن ألا تعتقدين أنَّ الربَّ قد يرى أنَّ نيت انضمَّ إلى الفيلق مؤخراً فقط، بحيث لا يمكن الثقة به لدرجة أن يُعهد إليه بمثل هذه المسؤولية؟».

تنقبض معدتي ثانيةً. أشعر وكأنَّ ألواح الأرضية تحت قدميَّ تحوَّلت إلى رمالٍ متحرِّكة.

- «ليس في وسعي أن أتخيَّل وجهة نظر الربِّ، يا أبتِ»، أقول له. يبدأ عبوسٌ في الظهور على جبهته التي تتجعَّد شيئاً فشيئاً، لذا أتابع بسرعة قائلة: «لكنَّك لطالما علَّمتني أنَّ الربَّ يكافئ أولئك الذين يستحقُّون المكافأة، بغض النظر عن ظروفهم. لطالما علَّمتني أنَّه لا يكلف نفساً إلا وسعها».

يتحوَّل نصف العبوس على وجه الأب جون بسرعةٍ وسلاسةٍ إلى ابتسامةٍ عريضة ملؤها الفخر. «لكنَّكم أنتِ محقَّة»، يقول لي. «لكنَّكم أنتِ محقَّة، يا مونييم».

أطرقُ برأسي إلى الأرض، وأعطي ما آمل أن يبدو كإيماءة

امتنانٍ متواضع، لأنَّ كلَّ ما أتمناه في العالم هو أن يُسمح لي بمغادرة هذه الغرفة والعودة إلى الخارج كي أعثر على مكانٍ هادئٍ حيث لن أشعر وكأنني أتأرجح طوال الوقت فوق كلابتي فحَّ تلهفان للإطباق عليّ.

يضع الأب جون يده على الطرد البريدي الذي أحضرته إليه. «هل تريدان أن تعرفي ماذا يوجد بداخله يا مونيم؟»
لا. نعم.

- «إن كنتَ ترغب في إخباري، يا أبتِ».

تتلاشى ابتسامته. «ربّما لا»، يقول لي، ثمَّ بعد لحظاتٍ من الصمت. «قد لا تكونين بعدُ مستعدّة لهذه الحقيقة بالذات».

- «أنا واثقةٌ أنّك على حقٍّ، يا أبتِ»، أقول له، فأنا لستُ غبيّة لدرجة أن أتوسّل إليه كي يخبرني بشيءٍ سرّي، شيءٍ يستطيع أن يمسكه عني طوال الوقت الذي يراه مناسباً.
لستُ على الإطلاق غبيّة لهذه الدرجة.

- «لستِ مستعدّة»، يكرّر لنفسه على ما يبدو. تشرق عيناه، كما لو أنّه ينظر إلى شيءٍ بعيدٍ جدّاً، شيءٍ لا يراه أحد سواه. ثمَّ تصفو عيناه، وابتسم لي ابتسامةً صغيرة. «شكراً لإحضارك هذا الطرد يا مونيم. كان هذا لطفاً منك، كما استمتعتُ بالحديث إليك. يمكنكِ الذهاب الآن».

أومئُ له. «شكراً لك، يا أبتِ».

يلوّح بيده، ثمَّ يفتح الكتاب المقدّس ويبدأ في القراءة. أنتظر ثانيةً أو اثنتين، فقط كي أتأكد أنّه لن يغيّر رأيه بشأن صرفي، لكنّه لا ينظر في اتجاهي. الأمر كما لو أنّني ذهبْتُ بالفعل، رغم أنّني ما زلتُ واقفةً أمامه.

آخذُ نفساً عميقاً وأتراجع ببطءٍ نحو الباب، وشعورٌ بالارتياح
يتغلغل بداخلي. أبقيه تحت السيطرة إذ أشقُّ طريقي نزولاً على
الدرج وعبر غرفة المعيشة ثمَّ خارجاً إلى الشرفة، لكنّه انفلت ويندفع
عبري مثل سيلٍ جارف بينما أعبّر الفناء جرياً إلى الغرفة الصغيرة التي
أدعوها بيتي.

لا بأس، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. تنفّسي فحسب.
أنتِ بأمان. سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام.

بعد

الدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل يحدّقان بي وكأنّني مخلوق فضائيّ ما، لكنّ تعابير وجهيهما لم تعد تزعجني بعد الآن؛ لقد تعودتُ عليها.

كنتُ قد بدأتُ أتحدّثُ قبل أن يجلسا، حتّى قبل أن يفرغ الدكتور هيرنانديز من إلقاء التحيّة عليّ. كنتُ أعلم أنّه سيودّ مناقشة جلسة الأمس لكن لم تكن لديّ أيّة رغبة في فعل ذلك، لأنّ نومي كان سيئاً للغاية، واستيقظتُ غارقةً بعرقٍ ورأسيّ ثقيلٌ بالقلق على كلّ شيءٍ وكلّ أحد.

لم يكن لوك متواجداً في جلسة التفاعل الاجتماعي بعد ظهر أمس. هوني ولوسي كانتا مسرورتين لذلك بصورة واضحة، وهو أمرٌ مفهوماً تماماً، وأظنّ أنّه ليس بوسعي لوم الآخرين لعدم اكتراثهم لغيابه. هو ليس بمسؤوليّتهم - مثل البقية، هو مسؤوليتي أنا بسبب ما فعلته. ونتيجة لذلك، أريد - وأحتاج - أن أعرف ما الذي يحدث معه. ممّا يعني أنّه كان عليّ أن أعطيها شيئاً.

خذْ وأعطي، همس الصوتُ في مؤخرة رأسي بينما رافقتني الممرضة هارو عبر الرواق وصولاً إلى غرفة المقابلات رقم 1. العدل هو العدل.

- «شكراً لثقتك بنا بما يكفي لتحدّثني عن الأب جون. لا شكّ لديّ أنّ هذا كان صعباً عليك»، يقول الدكتور هيرنانديز.
أهزّ كتفيّ. كان صعباً بالفعل، لكن هناك أشياء أخرى ستكون أكثر صعوبة. أكثر صعوبة بكثير. «لا بأس»، أقول له. «هل يمكنني أن أسألك شيئاً؟».

- «بالتأكيد. أيّ شيءٍ ترغبين به».

- «كيف حال لوك؟».

يومئ برأسه. «نحن نعتني به».

أنتظر أن يقول أكثر من ذلك، لكن بعد مرور ثانيةٍ أو اثنتين أصبح واضحاً أنّه لن يفعل. «هل هذا كلُّ شيء؟»، أسأله.
- «هذا كلُّ ما يمكنني إخبارك به في الوقت الراهن»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «هو لم يكن حاضراً في جلسة التفاعل بالأمس».

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه مجدّداً. «أعرف ذلك».

- «لكنّه بخير؟»، أسأله، وأسمع شيئاً أقرب لليأس في صوتي.

- «نحن نعتني به»، يقول مجدّداً. «هل تمانعين لو عدنا إلى ما

أخبرتنا به للتوّ؟».

لَمْ لا تريد التحدّث عن لوك؟ ما الذي لا تخبرني به؟

لا أقول شيئاً.

يميل الدكتور هيرنانديز في كرسيّه إلى الأمام. «مونبيم؟ هل

يسعدك أن تواصل الحديث، أم تريدان التوقّف؟».

وكأنّ للأمر أهميّة. إذا توقّفنا الآن، فسوف نعود إلى هنا في

الغد وحسب، ثمّ في اليوم التالي، واليوم الذي يليه. إلى أن تنتهي منّي.

- «لا يهمني. فلتتابع»، أقول له.

- يرمقني بنظرة طويلة، كما لو أنه لا يعرف ما إذا كان يصدقني أم لا، ثمَّ يعتدل في كرسيه ويهزُّ رأسه.
- «حسنٌ إذا»، يقول العميل كارلايل. «إذا كنا سنتابع، فلنبداً بذلك. قلتُ إنه كان للأب جون ستُّ زوجات في ذلك الوقت؟».
- أومئ موافقة.
- «ألا يبدو ذلك غريباً بالنسبة إليك؟».
- «ليس حقاً. أعلم أنَّكَ سوف تخبرني أنه كذلك، لأنني أفهم الآن كيف تسير هذه الأمور. لكن لا، لقد بدا الأمر طبيعياً»، أقول له.
- «هل كان لدى أيِّ شخصٍ آخر أكثر من زوجة واحدة؟ أو أكثر من زوج واحد؟».
- «لا».
- «هل كان للأب باتريك أكثر من زوجة؟».
- «الأب باتريك لم يكن متزوجاً»، أقول له.
- «هل كان الأب جون متزوجاً؟ أقصد قبل التطهير».
- أهزُّ رأسي.
- «متى تغيّر ذلك؟».
- أعبس إذ تطرق تلك الذكرى الباب. «لا أريد الحديث أكثر عن هذا الأمر».
- يميل العميل كارلايل رأسه قليلاً. «لمَ لا؟».
- «لأنني لا أريد فحسب»، أقول له. «هل أحتاج إلى سببٍ لكلِّ شيء؟».
- «سيساعدني لو أنَّكَ تفعلين ذلك».
- «أيُّها العميل كارلايل»، يقول الدكتور هيرنانديز، «أنت لا تجري تحقيقاً مع مشتبهٍ به. سأطلب منك أن تُلطفِ نبرتك».

- «أنا واثقٌ أنك ستفعل»، يردُّ عميل مكتب التحقيقات الفيدرالي. «لكنني لا أتحدّث إليك الآن. أنا أتحدّثُ إلى مونييم. وأودُّ أن أعرفَ لمَ لا تريدُ التحدّث عن زوجات الأب جون».

إيّاك، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. إيّاك أن —
- «لَمْ أَنْتَ متلهّفٌ لتعرف؟»، أقول وقد اشتعل صوتي غضباً فجأة. «هل تغار منه؟ هل ترغب في ستّ زوجات لنفسك؟».

ينكص العميل كارلايل مجفلاً، كما لو أنّني مددتُ يدي من فوق الطاولة وشفعتُهُ على وجهه. نحدّقُ في أحدا الآخر لبرهةٍ طويلة. وأرى الدكتور هيرنانديز بطرف عيني يراقب ما يحدث بوجهٍ شاحب.

مع أبهت بريقٍ لابتسامة، يقول العميل كارلايل: «إنّه لسانٌ حادٌ هذا الذي تملكينه. يجب أن تحذري كيلا تجرحي نفسك به».
أشعر بغليان غضبي يهدأ شيئاً فشيئاً. «لا يوجد شيءٌ اسمه لسانٌ حادّ»، أقول له. «من الناحية التقنية، لأكون واضحة».
تتّسعُ ابتسامته. «من الناحية التقنية»، يقول لي. «حسنٌ، فهمتك».

- «لَمْ كان ذلك مضحكاً؟»، أسأله.
يتجهّم وجه الدكتور هيرنانديز، ويقول: «لم يكن كذلك. بل كان —».

- «معظم مَن هم في السابعة عشرة لا يستخدمون مصطلحات من قبيل "من الناحية التقنية" لتلطيف الأشياء التي يقولونها».
- «قد لا يكون أولئك الذين تعرفهم ممّن هم في السابعة عشرة أذكاء جدّاً»، أقول له.

يشخر ضاحكاً. «قد يكون هذا هو الحال. في الواقع من الأرجح أنّه كذلك».

ينقل الدكتور هيرنانديز عينيه جيئةً وذهاباً بيني وبين العميل كارلايل، وتزداد ملامحه تجهماً. «أعتقد أنه ينبغي بنا أن نحاول —». يقاطعه طرقٌ على الباب. يدور المقبض وتطلُّ برأسها ممرضة لا أعرف من تكون.

— «أنا آسفةٌ جداً للمقاطعة. دكتور هيرنانديز، ثمة مكالمة هاتفية لك من أوستن».

— «خذي رسالة»، يقول لها.
— «لقد جرّبتُ ذلك بالفعل»، تقول الممرضة. «يبدو أنها مسألة ملحة».

يقلب الطبيب النفسي عينيه بتذمر، وينهض واقفاً. «حسنٌ»، يقول، ثم ينظر إليّ. «سأعود خلال دقيقتين».

— «اعتقدتُ أنني لن أضطر أبداً للتحدّث إلى أيّ شخصٍ ما لم تكن موجوداً كي تحرص على أن أكون بخير»، أقول له.
هذا لثيم، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي ضاحكاً. هذا لثيم حقاً.

يتوقّف الدكتور هيرنانديز في منتصف المسافة إلى الباب، عابساً، مكبلاً بوعده.

— «سأخرج أيضاً»، يقول العميل كارلايل ويدفع كرسيه بعيداً عن طاولة المكتب.

— «كنتُ أمزح»، أقول له. «لا بأس بذلك».
— «هل أنت متأكّدة؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز. «لكِ كامل الحق في الاعتراض إذا كنتِ تشعرين بحاجةٍ إلى ذلك».
— «لا بأس»، أقول مجدداً.

يعود العميل كارلايل بكرسيه قريباً من الطاولة، ونصف ابتسامة تعلو وجهه.

- «حسنٌ»، يقول الدكتور هيرنانديز. «ليبقَ كلاكما هنا. أيّها العميل كارلايل، أودُّ أن أذكرك أنّ رعاية مونبيم هي مسؤوليتي، وأطلب منك بكل وضوح ألا تطرح عليها أسئلةً في غيابي».

- «فهمت. لا أسئلة»، يقول العميل كارلايل.

- «حسنٌ»، يردّد الدكتور هيرنانديز؛ يبدو وكأنّه يحاول إقناع نفسه. «سأعود في غضون دقيقتين».

يحثّ الخطى خارجاً من الغرفة، وتغلق الممرضة الباب خلفه. يبتسم لي العميل كارلايل ابتسامةً أثق أنّها تهدف إلى طمأنتي، لكنّها ترتسم بصورة تنم عن عدم الارتياح، كما لو أنّه متوتّر من تركه معي بمفرده.

- «أظنُّ إذاً أنّنا سنجلس صامتين»، يقول لي.

- «لقد طلب منك الدكتور هيرنانديز ألا تطرح أسئلةً عليّ. لكنّه لم يقل شيئاً عن الحالة المعاكسة».

تضيّق عيناه، لكنّ ابتسامته تتحوّل إلى شيء يبدو أقلّ زيفاً. «هل ثمة سؤالٌ تودّين طرحه عليّ؟».

- «هل سأذهب إلى السجن؟».

تتلاشى ابتسامته. «سبق أن أجبتُ على هذا السؤال».

- «لقد أجبتَ بـ ”لا“»، أقول له.

يوميء موافقاً. «لَمْ إذاً تسأليني مجدّداً؟».

- «لأنّني لا أصدّقك».

يحدّق بي طويلاً، ثمّ يميل إلى الأمام. «سأقول هذا بكلّ صراحة وبقدر ما أملك من جرأة. يجب أن أكون حذراً للغاية، لأنّ الدكتور هيرنانديز محقٌّ تماماً بشأن مدى أهميّة العمل الذي تقومون به معاً، ولا أريد أن أكون سبباً في فشله بأيّ شكلٍ من الأشكال. بعد

قولي هذا، ثمة ما أعتقد حقاً أنّه آن الأوان لتفهميه. أنتِ لست مجرمةً، يا مونبيم. أنتِ ضحيّة جريمة. أنتِ ضحيّة مئاةٍ من الجرائم. هل هذا واضح؟».

نعم.

أهزّ رأسي.

- «إنّه ليس واضحاً بالطبع»، يقول، ويطلق تنهيدة عميقة. «وهذا أسوأ ما في الأمر. أنتِ حتّى لا تعرفين». أنا أعرف أكثر بكثير ممّا تعتقد. - «أعرف ماذا؟».

- «الأمر ليس منوطاً بي ل... أقصد أنّي لا أستطيع...»، يميل أكثر إلى الأمام جاعلاً مرفقيه يستريحان على الطاولة. «اسمعي، أنتِ لستِ ذاهبةً إلى السجن، اتفقنا؟ لستِ ذاهبةً إلى السجن لأنّك لم ترتكبي أيّ خطأ؛ بحسب ما أعرف على الأقل. أعلم أنّ هناك أشياء لا تخبريننا بها، ولا بأس بذلك حالياً. لكن حتّى لو كنتِ قد ارتكبتِ جرائم لا أعرف بأمرها، فإنّ أيّ محام عام (المحامي الذي تعينه الولاية للمتهم غير القادر على دفع أتعاب قانونيّة) بمؤهلاتٍ عاديّة وفي أوّل يوم بعد تخرّجه من كليّة الحقوق سيحرص ألاّ تقضي يوماً واحداً في السجن. خاصّةً وأنّك قاصر».

- «قاصر؟».

- «طفلة».

- «أنا لستُ طفلة».

- «أنتِ بالذات؟ كشخص بدماغك وقلبك؟ اتفقّ معك بشدّة أنّك لستِ بطفلة. لكن قانونياً؟ بلى، أنتِ كذلك. أنتِ كذلك حتّى تبلغِ الثامنة عشرة».

- «ماذا يحدث عندئذٍ؟»، أسأله. «هل أتحوّل بطريقةٍ ما إلى

شخص مختلف عن ذاك الذي كنتُ عليه في اليوم السابق، حين كنتُ لا أزال في السابعة عشرة؟».

يقطّبُ العميل كارلايل حاجبيه . «لا طبعاً، إنّه وحسب العمر الذي يعتبركُ عنده القانون بالغة».

- «ألا يبدو ذلك عشوائياً بعض الشيء؟»، أسأله.

- «لا . أقصد... بلى، أظنُّ ذلك . لكن ينبغي أن يكون ثمة فاصلٌ في مرحلةٍ ما».

- «لماذا؟».

- «لأنَّ القانون يتعامل مع الأطفال والبالغين بصورةٍ مختلفة»، يقول لي.

- «هي إذاً قاعدةٌ لأنّه يجب أن يكون ثمة قاعدة؟».

- «إذا أردتِ أن تضعي الأمر في هذا الإطار».

- «لا يختلف الحال إذاً عن إعلانات الأب جون؟».

ينظر إليّ لبرهةٍ طويلة، ثم يرجع للخلف مستنداً إلى كرسيّه، ويبتسم قائلاً: «بالنسبة إليّ أنتِ شديدة الذكاء . كلّ مرة نتحدّث فيها، أشعر بعدها أنّني بحاجة للاستلقاء في غرفة مظلمة لبعض الوقت».

- «أنا آسفة»، أقول له .

يهزُّ رأسه ويقول: «لا تأسفي . أنا أعمل لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي منذ ثمانية عشر عاماً، يا مونيم . هل كنتِ تعرفين ذلك؟».

كنتُ أعرف، لأنني سمعتهُ يخبر الدكتور هيرنانديز بذلك حين اعتقدنا أنّ باب غرفة المقابلات رقم 1 كان مغلقاً . لكنني لا أريده أن يعرف ذلك .

- «لا»، أقول له .

- «ثمانية عشر عاماً»، يكرّر . «جلستُ خلالها مع مغتصبين

وَقَتْلَهُ وَإِرْهَابِيَّيْنِ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مَنْ أَيْضاً؛ رَجُلًا وَنِسَاءً عَرَفُوا أَنَّهُمْ
يُواجِهونَ خَطَرَ أَنْ يَقْضُوا مَا تَبَقَّى مِنْ حَيَاتِهِمْ فِي السَّجْنِ، وَالْأَسْوَ
مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُعْدَمُوا. وَاتَّعَرَفِينَ شَيْئاً؟».
أَهْزُ رَأْسِي.

- «إِنَّ قِرَاءَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ كَانَتْ أَسْهَلَ مِنْ قِرَاءَتِكَ»، يَقُولُ
وَتَعُودُ ابْتِسَامَتُهُ لَتَرْتَسِمَ عَلَى مَحْيَاهُ. «أَعْرِفُ أَنَّ وَقْعَ ذَلِكَ قَدْ لَا يُوحِي
بِالْإِطْرَاءِ كَثِيراً، لَكِنَّ الْقَصْدَ هُوَ الْإِطْرَاءُ بِصِرَاحَةٍ».
- «شُكْرًا لَكَ»، أَقُولُ لَهُ، رَغْمَ كَوْنِهِ مُحَقِّقًا بِشَأْنِ أَنَّ مَا قَالَهُ لَمْ
يَبْدُ نَوْعًا مِنَ الْإِطْرَاءِ.

فُتِحَ الْبَابُ وَعَادَ الطَّبِيبُ هِيرْنَانْدِيزُ إِلَى الْغُرْفَةِ. يَنْظُرُ إِلَى الْعَمِيلِ
كَارْلَايِلِ ثُمَّ إِلَيَّ بِاهْتِمَامٍ. «كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يَرَامُ هُنَا؟».
- «كُلُّ شَيْءٍ بِخَيْرٍ»، أَقُولُ لَهُ.

يَغْمُضُ عَيْنَيْهِ نَصْفَ إِغْمَاضَةٍ لِحِزْءٍ مِنَ الثَّانِيَةِ، ثُمَّ يَهْزُ رَأْسَهُ
وَيَجْلِسُ فِي كُرْسِيِّهِ. «حَسَنٌ إِذَا، أَيْنَ كُنَّا؟».

- «كَانَتْ مُونِبِيمُ تَرْفُضُ التَّحَدُّثَ عَنْ زَوْجَاتِ الْأَبِ جُونِ»،
يَقُولُ الْعَمِيلُ كَارْلَايِلِ، وَيَغْمِزُ لِي بَعِينَهُ. هِيَ بِالْكَادِ أَكْثَرَ مِنْ رَقَّةٍ فِي
جَفْنِهِ الْأَيْسَرِ، لَكِنِّي رَأَيْتُهَا، وَهِيَ أَنَا أَمْنَعُ نَفْسِي مِنَ الْابْتِسَامِ.

- «صَحِيحٌ»، يَقُولُ الدَّكْتُورُ هِيرْنَانْدِيزُ. «هَذَا صَحِيحٌ. وَإِنَّهُ خِيَارٌ
صَائِبٌ تَمَامًا، لِنَمُضِ قَدَمًا. أَوْدُ التَّحَدُّثَ عَنْ كَيْفِيَّةِ مِمَارَسَةِ الْأَبِ
جُونِ لِسُلْطَتِهِ عَلَى فِيلِقِ الرَّبِّ. هَلْ يَنَاسِبُكَ هَذَا، يَا مُونِبِيمُ؟».
- «بِالتَّأَكِيدِ».

- «عَظِيمٌ، شُكْرًا لَكَ. إِذَا فَقَدْ وَضَعَ الْأَبُ جُونُ جَمِيعَ الْقَوَاعِدِ
الَّتِي عَاشَ أَعْضَاءُ الْفِيلِقِ وَفَقًّا لَهَا؟».

أَهْزُ رَأْسِي. «لَيْسَ جَمِيعُهَا، الْكَثِيرُ مِنْهَا كَانَ مُطَبَّقًا قَبْلَ التَّطْهِيرِ».
- «مِثْلَ مَاذَا؟»، يَسْأَلُ الدَّكْتُورُ هِيرْنَانْدِيزُ.

- «كان ثمة روتين يوميّ محدّد حين كان الأب باتريك هو المسؤول. صلواتٌ قبل الإفطار، ثم دروسٌ حتّى وقت الغداء، ثم العمل والمهام المنزليّة في فترة بعد الظهر، ثمّ العشاء ودراسة الكتاب المقدّس، وإطفاء الأنوار عند الساعة العاشرة. معظم هذه الأشياء لم تتغيّر».

- «لكنّ بعضها تغيّر؟»، يسألني.

أومئ موافقة. «الدروس ألغيث. بدأنا بعد التطهير نعمل في الصباح وفي فترة بعد الظهر».

- «لماذا؟».

- «قال الأب جون أنّ كل ما يستحقّ التعلّم كان موجوداً في الكتاب المقدّس».

يدوّن الدكتور هيرنانديز ملحوظةً في دفتره. «ما الذي اختلف أيضاً؟».

- «صودرت أجهزة التلفزيون والراديو وجميع الكتب».

- «لم يعد مسموحاً للناس بقراءة الكتب؟».

أهزّ رأسي.

- «ولم لا؟».

- «لأنّها تأتي من الخارج»، أقول له. «حالتها كحال برامج في التلفزيون، والأغاني في الراديو. الإعلان الأوّل حظرها جميعاً».

- «حظرها بالتحديد؟».

- «لا. لكنّ الأمر أصبح واضحاً بسرعة كبيرة».

- «الإعلان الأوّل هو أيضاً ما منع الجميع باستثناء أموس أندروز من مغادرة المجمع، أليس كذلك؟».

أعبس. هو يعلم أنّي أكره تلك الكلمة. «نعم».

- «وكانت تلك أيضاً نهاية نشاط التجنيد في فيلق الربّ؟».

- «ماذا تعني؟».

- «أعني ذهابك مع إخوتك إلى لايفيلد لتوزيع المنشورات.

وأولئك النساء والرجال الذين يخرجون للتبشير، مثل حين رأى والدك هورايزون يفعل ذلك».

- «أجل. كلُّ هذا توقّف»، أقول له.

- «هل كان الأمر شائعاً قبل التطهير؟»، يسألني.

أومئ برأسي. «الغالبية كانت تخرج للتبشير. الأب باتريك نفسه كان يخرج مرتين في السنة على الأقل. الأب جون فعل ذلك كثيراً بعد وصوله».

- «هل كان بارعاً في ذلك؟».

- «أخبرتكَ كيف كان عندما يتحدّث. لم أذهب معه أبداً، لكن اعتقدُ أنه كان يصيب نجاحاً مع الغرباء، فداثماً ما وصل الناس في الأسابيع التي تلي خروجه للتبشير».

- «هل هكذا التقى بجاكوب رينولدز؟»، يسأل العميل

كارلايل. «أقصد بينما كان ينشر كلمة الرب؟».

أهزُّ كتفي. «أظنُّ ذلك».

- «إذاً لم يكن هناك من أعضاء جدد ينضمّون إلى الفيلق بعد

التطهير؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «كان لا يزال هناك القليل. أخبرنا الأب جون أنّ الربّ

سيُظهر طريق الحقّ لكلِّ مَنْ يستحقّ، وسيأتي به إلى القاعدة».

- «وهل فعل ذلك؟».

أومئ برأسي. «شقَّ الناس طريقهم وصولاً إلى البوابة الأمامية، بعد أن تحدّثوا إلى أحدٍ ما أو سمعوا شيئاً في مكانٍ ما؛ مثلما حدث مع نيت. لكنّ عددهم لم يكن كبيراً. وقد استبعد الأب جون معظمهم».

- «البوابة نفسها باتت أكبر، صحيح؟ قلت إنها كانت مجرد بضعة ألواح خشبية أيام الأب باتريك».
- «لقد أعيد بناؤها بعد التطهير. قال الأب جون إنها لم تكن قوية بما فيه الكفاية. أعطى أوامره لقادة السرايا للبدء بتدعيمها على الفور بالأسلاك المعدنية والشائكة».
- «إذا لم يُسمح لأحدٍ بالخروج، ولم يُشجّع أحدٌ على الدخول؟».
- أهزُّ رأسي مجدداً.
- «لذا فإن إخوتك وأخواتك الذين وُلدوا بعد التطهير —».
- «هم لا يعرفون أي شيء عن بقية العالم»، أقول له. «لم يروا الخارج بأنفسهم قط، وكل ما يعرفونه هو ما أخبروهم به. أنا أستطيع أن أتذكر، وأظن أن لوك واثنين آخرين أيضاً يستطيعون ذلك. أما الأطفال الأصغر فلا».
- ينظر الرجلان إلى بعضهما. أراقبهما بينما يحاولان استيعاب المعلومات التي أدلي بها، وأتساءل ما الذي قيل للدكتور هيرنانديز حين رنَّ هاتفه في أوستن وطلبَ منه شخصٌ ما أن يأتي إلى هنا - ما إذا كان حقاً قد فهم هو وزملاؤه ما الذي سوف يتعاملون معه بالضبط. يدوّن ملاحظة طويلة في أحد دفاتره، ثم يأخذ نفساً عميقاً.
- «حسنٌ. ما الذي تغيّر أيضاً؟»، يقول لي.
- «صارت الأبواب تُقفل ليلاً. بدأ ذلك إيان تولي الأب جون زمام الأمور».
- «هل ورد هذا في أحد الإعلانات؟».
- أهزُّ كتفي. «أخبرني أنت. فمن الواضح أنك قرأتها».
- يوميء موافقاً. «لقد قرأتها بالفعل».

- «لَمَ إِذَا تَسْأَلْنِي مَا الَّذِي وَرَدَ فِيهَا؟».

- «لَأَنَّ الْحَقَائِقَ لَيْسَتْ الْأَشْيَاءَ الْوَحِيدَةَ الْمَهْمَّةَ»، يَقُولُ لِي.
«لَأَنِّي مَهْتَمٌّ بِالْأَجُوبَةِ الَّتِي تَقْدِّمِينَهَا، بِمَا تَشْعُرِينَ بِالرَّاحَةِ لِلتَّحَدُّثِ أَوْ
عَدَمِ التَّحَدُّثِ عَنْهُ؛ أَنَا مَهْتَمٌّ بِمَعْرِفَةِ أَيْنَ هِيَ حَدُودُكَ».

حُدُودِي؟

- «إِذَا أَنْتَ تَحَاوَلِ الْإِيقَاعَ بِي فَحَسْبُ؟»، أَسْأَلُهُ.

أَهْدِئِي، يَهْمَسُ الصَّوْتُ فِي مَوْخَرَةِ رَأْسِي. أَهْدِئِي.

تَتَسَّعُ عَيْنَا الدَّكْتُورِ هِيرْنَانْدِيزَ، وَيَرْتَسِمُ عَلَى وَجْهِهِ انْطِبَاعٌ
بِالْمُفَاجَأَةِ أَقْلُ مَا يَقَالُ عَنْهُ أَنَّهُ مَقْنَعٌ جَدًّا. «لَا، عَلَى الْإِطْلَاقِ»، يَقُولُ
لِي. «لَا تَفَكَّرِي فِي ذَلِكَ أَبَدًا مِنْ فَضْلِكَ. أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ جَوَانِبَ مِنْ
تَجْرِبَتِكَ لَا تُؤَدِّينَ التَّحَدُّثَ عَنْهَا، وَأَنَا أَحْتَرَمُ ذَلِكَ. إِنَّ وَضْعَ الْحُدُودِ
شَيْءٌ جَيِّدٌ. تَتَلَخَّصُ وَظِيفَتِي فِي مُحَاوَلَةِ الْوُصُولِ بِكَ إِلَى مَكَانٍ حَيْثُ
تَشْعُرِينَ أَنَّكَ قَادِرَةٌ عَلَى إِزَاحَةِ تِلْكَ الْحُدُودِ، وَتَتِمَكَّنِينَ مِنْ قَوْلِ
الْحَقِيقَةِ بِشَأْنِ تَجَارِبِكَ، حَتَّى تِلْكَ الَّتِي لَا تَرْغَبِينَ فِي مُوَاجَهَتِهَا
الْآنَ. سَيَكُونُ ذَلِكَ تَقْدِّمًا حَقِيقِيًّا».

أَنَا مَرْتَبَكَةٌ حَقًّا. فَالْأَمْرُ كَمَا لَوْ أَنَّهُ يَتَحَدَّثُ لُغَةً أُخْرَى لَا أَفْهَمُهَا.

- «أَنْتَ لَا تَهْتَمُّ إِذَا كَذَبْتُ عَلَيْكَ إِذَا؟»، أَسْأَلُهُ.

- «أَوَدُّ أَنْ تُخْبِرَنِي مِنَ الْحَقِيقَةِ الْقَدْرَ الَّذِي تَشْعُرِينَ أَنَّكَ قَادِرَةٌ
عَلَى إِخْبَارِي بِهِ»، يَقُولُ لِي. «وَهَذَا كُلُّ شَيْءٍ. أَوَدُّ أَنْ أَعْتَقِدَ أَنَّي
قَدَّمْتُ وَجْهَةً نَظَرِ مَتَمَاسَكَةٍ حَوْلَ كُلِّ هَذَا».

يَرْفَعُ الْعَمِيلُ كَارْلَايِلُ يَدَهُ، مِثْلَ طِفْلِ يَعْرِفُ إِجَابَةَ سُؤَالٍ. «أَنَا
أَوِيدُ بِشِدَّةٍ قَوْلِكَ الْحَقِيقَةَ. سَيَجْعَلُ هَذَا حَيَاتِي أَسْهَلَ بِكَثِيرٍ»، يَقُولُ
مَبْتَسِمًا.

يَحَاوَلُ الدَّكْتُورُ هِيرْنَانْدِيزُ أَنْ يَرْمِقَهُ بِنَظَرٍ صَارِمَةٍ، لَكِنَّهُ يَعْجُزُ عَنْ

إخفاء ابتسامةٍ صغيرة. أمّا أنا فأهزُّ رأسي وحسب، على أمل أن ذلك أعطى إيحاءً بالرفض.

- «فلنستأنف جلستنا»، أقول لهما. «إذا كنّا قد اكتفينا من الفكاهة والكوميديا، ما رأيكما؟».

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه، وآثار الابتسامة لا تزال مرتسمة على محيّا. «حسنٌ. إذاً فقد كان الجميع يُحبسون في غرفهم ليلاً؟ أنا أسأل لأنّ هذا غير مذكورٍ صراحة في أيّ من الإعلانات بحسب ما أتذكّر».

- «ليس في كلّ ليلة»، أقول له. «كانت الأضواء تُطفأ في العاشرة، إلّا إذا قرّر الأب جون خلاف ذلك، وفي بعض الأحيان كان قادة السرايا يقفلون الأبواب، وفي أحيان أخرى لم يفعلوا. لكن إن أقفلوها فلن يفتحوها ثانيةً حتّى الصباح».

- «هل كان ثمة نمطٌ يحدّد إقفال الأبواب من عدمه؟».

- «ماذا تعني؟».

- «كأنّ تُقفّل في أسبوع ثمّ لا تُقفّل في الأسبوع الذي يليه. أو أن تُقفّل من الاثنين إلى الجمعة، وتُترك مفتوحة في عطلة نهاية الأسبوع».

أهزُّ رأسي بالنفي.

- «لم يعرف أحدٌ إذاً من ليلةٍ لأخرى إن كانت أبواب غرفهم ستُقفّل؟».

أهزُّ رأسي ثانيةً.

- «طريقةٌ رائعة لإبقاء الجميع منصاعين»، يتممّ العميل كارلايل. «اجعل الأمر يبدو كما لو أنّ عدم حبس الناس في غرفهم هو عملٌ في غاية اللطف».

- يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه ، ويدوّن ملاحظة سريعة . «إذا لم يُحبس قادة السرايا في غرفهم أبداً؟» ، يسألني .
- أبتسم وأقول : «لا» .
- «والأب جون؟» .
- أقاوم وحسب الرغبة الملحة في الضحك بصوت عالٍ . «بالطبع لا» .
- «ألم تسر القاعدةُ عليه؟» ، يسأل الدكتور هيرنانديز .
- أهزّ رأسي بالنفي .
- «مثل معظم الآخرين» ، يقول العميل كارلايل .
- أهزّ كتفي . «لا أعتقد ذلك» .
- «هل كانت القواعد مكتوبةً في مكانٍ ما؟ هل كان يمكن لأعضاء فيلق الربّ قراءتها؟» ، يسأل الدكتور هيرنانديز .
- «الإعلانات كانت مكتوبة» .
- «وماذا عن المسائل الأصغر؟ الأمور اليومية؟» .
- «لم يكن هناك من حاجةٍ لكتابتها» ، أقول لها . «كان الكلّ يعرفها عن ظهر قلب» .
- «كيف كان يتمّ وضع القواعد الجديدة إذا؟» .
- «كان الأب جون يعلنها» .
- «صباح أيّام الأحد؟ أثناء إلقاء عِظاته؟» .
- «ليس دائماً . كان يدعو لاجتماع أحياناً» .
- «وكان يعلنُ أنّه بصدد إضافة قاعدةٍ جديدة؟» .
- «نعم» .
- «لأنّ الربّ أمره بذلك؟» .
- «أجل» .
- «هل صدّقته؟» .

أحدقُ به . تتمدّد الثواني ، طويلةً وخاوية .

أخبريه بالحقيقة ، يهمس الصوتُ في مؤخرة رأسي . كوني شجاعة .

ينظر الدكتور هيرنانديز إليّ . «مونيم؟» .

- «نعم ، صدّقته» .

- «ماذا عن الآن؟» .

تسابقُ الصور في رأسي ...

... أمّي في غرفة المعيشة في البيت الكبير ، والدماء تسيلُ من وجهها ...

... هوني واقفةً في ظلّ حظيرة الصيانة ، وقد جحظت عيناها خوفاً ...

... نيت في ظلام غرفتي وهو يحمل أشياء ممنوعة في يديه ...

كوني شجاعة ، يلحُ الصوت في مؤخرة رأسي .

لكنني لا أستطيع .

أنا لستُ شجاعة .

كنتُ أعرف - لطالما كنتُ أعرف - أن مسألة إيماني الشخصي بالأب جون وبالفيلق وبكلّ شيءٍ آخر سوف تُثار في النهاية . لكن الآن ، في هذه الغرفة ، وفي هذه اللحظة ، وأمام هذين الرجلين ، يبدو الأمر أشبه بأن أنتزع قلبي وأريه لهما .

- «أعتقد أنني انتهيتُ من الكلام لهذا اليوم» ، أقول لهما .

أستلقي على سريرِي إذ أنتظر وصول الممرضة هارو ، وأحاول التفكير في الوضع الذي وجدتُ نفسي فيه .

كنتُ منذ أن استيقظتُ في المستشفى ، ويدي ملفوفة بالضماد وعقلي يترنّح بفعل الذعر ، كنتُ مذ ذاك أتحرّكُ وفقاً لمشاعري

الغريزية على نحوٍ شبه كامل، محاولةً اجتياز كلِّ لحظة على حدة، تاركةً للعواطف أن تجتاحني دون عقبات ...

... الاضطراب بشأن المكان الذي وجدتُ نفسي فيه ...

... الخوف ممّا سيحدث لي ...

... الارتباب حول مَنْ يمكنني الوثوق به ...

... الشعور بالذنب حيال ما فعلته ...

يقول الصوت في مؤخرة رأسي: عليك أن تظلي هادئة. أنتِ أقوى ممّا تعتقدين. يجب أن تمضي قدماً.

لكنَّ الأمر ليس بهذه السهولة. أعلمُ أنَّ الصوتَ محقٌّ، لكنني كنتُ مستمرةً بطاقة الأدرينالين، ويبدو أنَّ احتياطيّاتي منه أوشكتُ على النفاذ.

لا أظنُّ أنَّه يمكنني الاستمرار على هذه الشاكلة لوقتٍ أطول. ففكري. ففكري فحسب.

أكره حين يحاول الدكتور هيرنانديز أن يناور، حين يحاول أن يقودني إلى مكانٍ ما دون أن يخبرني أين ولماذا، لكنني أعتقد حقاً رغم ذلك أنَّه يريد صادقاً أن يساعدني على أن أخرج من هذا المكان، وأن أحظى بحياة من نوع ما.

لا بدَّ لي أن أصدّق هذا، لأنَّه بخلاف ذلك لربّما يجدر بي إخبارهم بأنّي لن أقول شيئاً آخر، وأبدأ عندئذٍ في تقبّل فكرة أنّي سأقضي بقية أيّامي أحّدق في هذه الجدران الرمادية الأربعة.

ليست لديّ فكرة عمّا ستكون عليه الحياة في الخارج بالنسبة إليّ، وأشكُّ أن يكون لدى الطبيب هيرنانديز فكرة هو الآخر. لكنّه يتحدّث عن عمليّة وعن تقدّم، ولا أعرف إن كان هذا بسببه أم لا، لكن ثمة شيءٌ رئيسيّ قد تغيّر منذ الحريق، شيءٌ لم أتوقّعه حقاً: إنّ فكرة كوني في الخارج بمفردي لم تعد تشكّل لي رهاباً حقيقياً كما

كانت من قبل . ليس كما حدث بعد نفي والدتي ، ورأسي المتخم
بالأكاذيب والخوف يسيطر عليّ طيلة الوقت . عندما بدا الخارج سيئاً
تقريباً بقدر المكان الذي كنتُ قد توصّلتُ أن أفهم أنّي عالقةٌ فيه .
يهمس الصوت في مؤخرة رأسي : لا بأس . هذا جيّد . هذا
شيءٌ جدير بالاهتمام .

أحملق في السقف ، وأدفع بالدكتور هيرنانديز خارج رأسي ،
وأصبُّ تركيزي على الرجل الذي يجلس الآن بجواره كلّ صباح .
أعرف أنّ لديّ معلومات يريد العميل كارلايل الحصول عليها ،
معلومات ينبغي أنّه أدرك بحلول هذا الوقت أنّني الوحيدة التي
أستطيع إخباره بها ، وأعرف أنّها السبب الرئيسيّ لتحدّثه معي . لكنني
لا أعتقد أنّها السبب الوحيد .
ليس بعد الآن .

قد يكون هذا التفكير مجرد أمنيات ، لكنّ غمزتهُ لي بعد حديثنا
عندما كان الدكتور هيرنانديز خارج الغرفة ، والابتسامات والإيماءات
الصغيرة حين أكشف عن شيءٍ يعرف أنّه من الصعب عليّ الكشف
عنه ، كلّ هذا يجعلني أعرف أنّه في صفّي . أو يجعلني أصدّق ذلك
على الأقل . لكن لا طائل من هذا التفكير ، لأنّه لا يمكنني أن
أسأله ، ولأنّه لن يخبرني الحقيقة حتّى لو فعلتُ .

في الحاليتين ، هناك شيّتان لم يتغيّرا . الشيّتان اللذان لا أستطيع
قولهما لأيّ من الرجلين : ما حدث في البيت الكبير أثناء الحريق ،
وما حدث في اليوم السابق له .

وماذا عن كلّ شيءٍ آخر؟ يسأل الصوت في مؤخرة رأسي .
لقد قلتُ لنفسِي إنّني لن أتحدّث عن الأب جون . لقد قلتُ لهم
إنّني لن أفعل . لكنني فعلتُ ، ولم أمت . ما زلتُ هنا ، وما زلتُ
أتنفّسُ .

لذا ربّما . . .

ربّما يكون الدكتور هيرنانديز محقّقاً. ربّما سيفيدني أن أتحدّث عن بقيّة الأمر، أن أكشف من الحقيقة القدر الذي يمكنني تحمّل كشفه - عن لوك، ونيت، وأمّي، وكلّ شيءٍ آخر. ربّما.

أعلم أنّه سيكون عليّ التحدّث عن الحريق في النهاية. أعلم أنّ هذا ما يريد العميل كارلايل سماعه، ورغم أنّي بدأتُ أوّمن - أمل - أنّه ربّما يمكنني الوثوق به، فأنا لا أصدّق للحظة أنّه ما من حدودٍ لصبره. لكن ما زال يمكنني الشعور بحرارة النار، وسماع دويّ الرصاص، ولا أريد العودة إلى هناك. أنا حقّاً لا أريد ذلك. لذا لربّما أستطيع تأجيل ذلك لبعض الوقت.

ثمّة حدٌّ فاصل بين الحقيقة والأكاذيب، حدٌّ لطالما وصفه الأب جون بأنّه خطّ أسود ثخين، صلبٌ وثابت. لكنني بدأتُ أعتقد أنّه كان مخطئاً، شأنه في ذلك شأن العديد من المسائل الأخرى. أعتقد أنّ الخطّ ضبابيٍّ لدرجة أنّك لا تعرف حتّى في أيّ جانب أنت؛ مثلاً ذلك كيف تستطيع أن تقول الحقيقة لكنّك تغفل ذكر تفصيلٍ هام، أو كيف يمكنك إخبار كذبة لكنّها مطرّزةٌ بشيءٍ من الحقيقة.

على سبيل المثال، لقد أخبرتُ الدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل أنّه كان هناك دائماً أربعةٌ من قادة السرايا، وهذه كانت الحقيقة. لكن على مدار عام أو نحو ذلك قبل الحريق، لم يكن هناك سوى ثلاثة منهم حقّاً، لأنّ واحداً منهم كان يموت ببطءٍ شديد.

سوف أخبرهما عنه في الغد.

قبل

أنا وهوني نقف في الفناء والبيت الكبير وراءنا، ننصتُ إلى الحشرة المخضلة لموتٍ يقترب.

- «لن يطول الأمر، أليس كذلك؟»، تقول هوني.
أهزُّ رأسي. «لا أعتقد ذلك».

- «جيد. ثمَّ لن يشعر بالألم بعدها».

- «فلنأمل ذلك»، أقول، وأكاد أفاجأ بكم كنتُ أعني ما قلت.
لقد عنيْتُ ذلك حقاً، عنيته من كلِّ قلبي.

كان هورايزون عضواً في فيلق الربِّ منذ بداياته، وذلك قبل وقتٍ طويل من وصول الأب جون ومن التطهير وكلِّ ما حدث بعده.
لقد عرفته طيلة حياتي تقريباً، ولطالما بدا لي مثل عملاقٍ، عملاقٌ في الجسد والروح على حدٍّ سواء: طولٌ فارع مع ظهرٍ عريض وكتفين هائلين، وشعرٍ بنيّ ينسدل في بعض الأحيان نزولاً حتّى حزامه، ولحية كثيفة تحيط بفمٍ قادر على إطلاق العنان لأعلى وأكثر ضحكةٍ معدية سمعتها في حياتي. لطالما بدا أكبر من الحياة، كما لو أنّه لم يكن حقيقياً بالكامل - بدا أشبه بشيءٍ هاربٍ من قصّة خرافية؛ شيءٌ يكتنز دفناً وحكمة ولطفاً لا نهاية له.

لطالما عشقه الأطفال الذين ترعرعوا داخل الفيلق، وأنا لم أكن استثناءً. حين كنتُ صغيرة، اعتدتُ وإخوتي وأخواتي أن نلحق به

لساعاتٍ في أرجاء القاعدة، وتشتبّث كأصداف البطلينوس بساقيه
الأشبه بجذوع الأشجار طالبين منه أن يرفعنا على كتفيه، مصرّين أنّه
يستطيع بسهولة أن يحملنا جميعاً في نفس الوقت، متوسّلين إليه أن
يحاول.

كان متساهلاً معنا، لا يتذمّر ولا يشتكي، لأنّه كان رجلاً
محترماً، رجلاً طيباً. لقد كان كذلك حقّاً. واحدٌ من قادة السرايا
الأصليين الذين دعاهم الأب باتريك، وأحد الرجال الذين حبسوا
شانتى في الصندوق المعدنيّ لعشرة أيّام، لكن فقط لأنّ هذا كان
واجبه؛ فأعلم تماماً أنّه لم يسعد بتأديته. بعد أن رفضتُ لينا عرض
الرحمة لزوجها الذي قدّمه الأب جون، أخبرتني أليس أنّها رأت
هورايزون يصليّ بمفرده في الكنيسة والدموع تنهمر فوق خديّه. بعد
ذلك، اعتنت جوليا وبيكي بشانتى إلى أن تعافى، لكنّ هورايزون
قضى معه وقتاً أكثر من أيّ شخصٍ آخر؛ قضى الساعات بجانب
سرير شانتى وهو يسكب له الحساء في فمه، ويقرأ له من الكتاب
المقدّس.

منذ ثمانية عشر شهراً، بدأ يسعل.

في البداية، تجاهل هورايزون الأمر حين سأله الناس إن كان
على ما يرام. «إنّه مجردّ سعال. سوف ينتهي وحسب». لكنّه لم يكن مجردّ سعال، ولم ينته.

ساء الوضع أكثر فأكثر، إلى أن وصل لمرحلة أن تبقى نصف
القاعدة مستيقظة بسبب صرخات الألم التي يتردّد صداها من مهاجع
قادة السرايا عند الطرف الغربيّ للفناء، مع كيس قمامة مليء
بالمناديل المبلّلة بالدم يتمّ إخراجه من هناك كلّ صباح.

كان الناس أيّام الأب باتريك يذهبون إلى المركز الطّبيّ في
لايتون لأيّ سببٍ أكثر جدّية ممّا يمكن لجوليا وبيكي أن تتعاملوا معه

- فقد جُبرِّث ذراعي المكسورة هناك - لكن هذا كان أحد الأشياء التي تغيّرت مع التطهير، بعد أن أُعلن بوضوح أنّ جميع الأطباء هم خدّمة الشيطان، وأنّ جميع الأدوية الموصوفة هي أسلحة حكومية مصمّمة لإفساد عقول المؤمنين. رغم ذلك، فقد توسّل إخوتي وأخواتي إلى الأب جون أن يسمح لآموس بأخذ هورايزون إلى الطبيب، وبعد ليلتين من الصلاة، وافق النبيّ أخيراً. قاد آموس الشاحنة الحمراء بهورايزون عبر البوابة الأمامية، ثمّ بعد ثماني وأربعين ساعة وبعد أن عرّج سريعاً على المستشفى الكبير في ميدلاند، عاد بأخبارٍ فطرت قلب كلّ مَنْ سمعها.

سرطان رئة في المرحلة الرابعة.

مع علاج مكثّف سيعيش لسنتين على أبعد تقدير. سنة واحدة بدون العلاج، إذا كان محظوظاً جداً.

صلى الناس، وانتحبوا، ولطموا صدورهم، ثمّ صلّوا مجدّداً وتضرّعوا للأب جون أن يفعل أيّ شيءٍ لمساعدته، لكنّ هورايزون ابتسم ببساطة، وشكرهم على اهتمامهم، وقال لهم إنّّه كان جاهزاً متى ما رأى الرب الوقت مناسباً لدعوته إلى بيته. قال إنّّه ليس لديه ما يندم عليه؛ لقد وجد طريق الحقّ قبل فوات الأوان، وعاش حياة يفخر بها أيّما فخر. وحين تأزف الساعة، سيرتقي مع ابتسامةٍ على وجهه.

ولفترةٍ من الوقت، عاد كلّ شيءٍ إلى طبيعته نوعاً ما.

أصبح سعال هورايزون الهادر مجردّ سمةٍ أخرى من سمات الحياة داخل القاعدة، منتظمٌ وثابت مثل قعقة المولّدات حتّى أنّه إلى حدٍّ بعيد لم يعد مسموعاً إلّا إذا توقّفت عن فعل ما تفعله وأصخّت السمع إليه. كانت بشرته شاحبة كالشبح، حتّى حين يكون في الخارج وتحت أشعة الشمس، وربّما أصبحت حركته أبطأ قليلاً

عن ذي قبل، لكنّه ما زال يحتضن كل يوم بحماسة المؤلف،
وابتسامته الواسعة الدافئة.

كان يحتضر رغم ذلك. والكلّ كان يعرف ذلك.

أعلن الأب جون - بناءً على طلب من هورايزون نفسه - منع
مناقشة مرض قائد السرية على مسمع منه، وأمر الجميع بمعاملة
أخيهم كما عاملوه دائماً دون أيّ اختلاف. لكنّ السرطان كان جائماً
فوق كلّ شيء مثل سحابة كالحبة، ومع مرور الأشهر وإذ بدأ
هورايزون يذوي أمام أعيننا، أخذ العديد من إخوتي وأخواتي
يتجنّبونه. قالوا إنّّه كان من الصعب والمؤلم جداً مشاهدته وهو
يتلاشى على هذا النحو.

بالنسبة إليّ، كان هذا أسوأ جزء في الحالة الفظيعة برمتها. لم
يشتك هورايزون مطلقاً، لم يقل كلمة واحدة لأيّ كان، لكن كان ثمة
أذى يمكن رؤيته في عينيه إن كنت شجاعاً بما يكفي للنظر فيهما؛
الأذى الذي يحدث حين يدير أولئك الذين تحبّهم ظهورهم لك،
حتّى إذا ادّعوا أنّهم يفعلون ذلك لأنّهم يحبّونك لدرجة أنّهم لا
يقدرون على مشاهدتك وأنّك تعاني.

يقعقع صوت السعال قادماً من مهاجع قادة السرايا؛ سميكاً
ورطباً وثقيلاً. ثمّ يهدأ، وتهدأ القاعدة بأكملها.

- «هل انتهى الأمر؟»، تسأل هوني. «هل رحل؟».

لا أجيب بشيء. لا تكون القاعدة هادئة تماماً، ليس حتى في
منتصف الليل، لكن لثوانٍ طويلة كلّ ما أمكنني سماعه هو أزيز
صراخير الليل وحفيف الريح عبر الأشجار. بعدها، ومثل محرّك
عند عاود الإقلاع أخيراً، يبدأ السعال المتقطّع الرهيب من جديد.

تمسكّ هوني بيدي، وتقول لي: «هيا بنا، دعينا نذهب».

- «إلى أين؟».

تهزُّ كتفيها. «إلى مكانٍ ما غير هذا».

أبتسم لها أكثر ابتسامةٍ مقنعة أستطيع تدبّرها، وأتركها تقتادني نحو الحقائق. الشمس في طور الغروب، بشرتي خدرة، وعقلي مشغولٌ بالسؤال الذي طرحه عليّ الأب جون في مكتبه: حين يرتقي هورايزون، مَنْ سيحلُّ محله كقائد سرّيّة؟

يبدو بحسب ما سمعته أنّ معظم الناس يعتقدون أنّ ثمة ثلاثة مرشّحين محتمّلين. أظنّ أنّ سؤال الأب جون لي عن نيت يجعل منه خياراً رابعاً محتملاً، لكنني لا أعلم ما إذا كان النبيّ يفكر حقاً في هذا الاحتمال، أو أنّه كان فقط مهتماً برؤية ردّ فعلي حيال الفكرة.

كان جو نيلسون، وهو أوّل الأسماء الثلاثة التي يتردّد ذكرها باستمرار، كان عضواً في طائفة المورمون قبل أن ينضمّ إلى فيلق الربّ، لكننا لم نحكم أبداً على أيّ شخص بحسب الطريقة التي عاش بها حياته قبل أن يتلقّى دعوته ويهتدي إلى طريق الحقّ. امتلك في السابق مزرعةً شمال ولاية يوتاه، وهو مرتبط بذكرة الجميع في القاعدة كمسؤول عن زراعة الطعام ورعاية الأراضي. لقد تولّى هذه المسؤوليّة بعد فترةٍ وجيزة من وصوله، وفي غضون عام واحد كان قد وسّع الرقعة المزروعة بالخضراوات والتي كانت في أغلبها أحجاراً وأعشاباً ضارّة إلى شبكةٍ أنيقة من ستّ حدائق، وأعاد إحياء البستان شبه الميت، وبنى أربع حظائر للدجاج، وعازم القطيع الصغير من الأبقار الهزيلة إلى منتجٍ ممتاز للحليب.

يعمل جو بجِدٍّ على نحوٍ لا يصدّق، دون كلمةٍ واحدة تنمُّ عن شكوى أو تذمّر، وقد صنع لنفسه سمعةً بكونه واسع الحيلة ومهوساً بالإنجاز؛ رجلٌ يفعل كلّ شيء بإخلاصٍ واضعاً مصلحة إخوته وأخواته في الاعتبار. يتمّ في معظم أوقات السنة إعفاؤه من إغلاق الساعة العاشرة، وعادة ما يكون أوّل مَنْ يستيقظ في الفيلق بأكمله،

مغادراً مقصودته قرب حظائر الصيانة قبل بزوغ الفجر بوقتٍ طويل ولا يعود إلّا بعد غروب الشمس بوقتٍ طويل . ونتيجةً لكلّ هذا وذاك، لطالما كان جو يتمتّع بشعبيةٍ كبيرة.

لا يمكن حقّاً قول الشيء نفسه بالنسبة لجاكوب رينولدز، والذي يبدو أنّ معظم الناس - أولئك الذين يودّون مناقشة الموضوع علناً - يعتقدون أنّه البديل الأكثر ترجيحاً لهورايزون. لطالما كان يُنظر إلى توافق وصوله مع اليوم الذي سبق بداية التطهير على أنّه أمرٌ مثيرٌ للريبة، حتّى لأولئك الذين غمرتهم السعادة لرؤية الأب جون يتولّى السيطرة على فيلق الرّب؛ فلطالما ساد شعورٌ بأنّه كان من بين آخر الواصلين ولم يستحقّ أبداً ذاك القرب الذي يتمتّع به الآن من النّبى، رغم أنّ هذا القرب الشديد يعني أنّ أحداً لن يجرؤ على قول ذلك.

هو بدينٌ على نحوٍ هائل، يكاد عرضه يكون بقدر طوله، بشعير رقيق ووجهٍ أحمر فاقع ومزاجٍ حاد وحساسيةٍ مفرطة حيال بعض أعضاء الفيلق الذين يعتبرهم تافهين. هكذا يقولها مع التشديد على مخارج الحروف. هو يعيش بمفرده في كوخ مهلهل على الطرف الغربيّ للمجمّع، بعيداً قدر الإمكان عن أيّ شخصٍ آخر، وسيكون من الصعب أن تجد بين إخوتي وأخواتي مَنْ يعتبره صديقاً. مع ذلك، هو مؤمنٌ صادق، ورجلٌ ذو ولاءٍ مطلق للنّبى.

كان جاكوب هو مَنْ دوّن إعلانات الأب جون، وقضى الأيام والليالي الطوال إلى جانبه بينما كان الرّب يتحدث إليه ومن خلاله، وجاكوب هو الذي يجهّز الكنيسة صباح يوم الأحد من أجل العظة الأسبوعية. وقد عُرف عن الأب جون في مناسباتٍ قليلة حين كان مشغولاً على نحوٍ خاصّ تحويل مَنْ يأتي إليه طالباً مشورةً روحيةً إلى جاكوب - وهو ما يجعله مرشحاً جدياً ليتحمّل مسؤوليات قائد

سريّة، وهو دورٌ يتمحور في المقام الأوّل حول حفاظ كلّ عضوٍ في
فيلق الربّ على المعايير المتوقّعة منه .
إذاً .

جو نيلسون، وجاكوب رينولدز .
يتبقّى مرشّحٌ واحد فقط؛ نفس المرشّح الذي اقترحتُه على الأب
جون حين طرح السؤال عليّ .

بعد

- «هل كان واضحاً على لوك أنه يرغب في أن يكون قائد سرية؟»، يسأل العميل كارلايل.
أومئ برأسي موافقة.
- «كيف؟».

أهزُّ كتفيّ، وأحكُّ الضمادات الجديدة التي تغطّي يدي اليسرى. بدّلت الممرضة هارو الضماد حين جاءت لتستعيد صينية الإفطار من غرفتي؛ ابتسمت حينئذٍ وأومأت برأسها وأخبرتني أنها كانت تبدو بحالٍ أفضل بكثير. كان عليّ أن آخذ بكلامها، إذ لم أكن أريد أن أنظر بنفسي.

- «كان ذلك بديهياً»، أقول للعميل كارلايل. «لم يكن يستطيع أن يخرج ويعلن ذلك بصورة مباشرة، لأنه... حسنٌ، أنت تعرف لماذا لم يكن يستطيع أن يفعل ذلك».

- «لأنّ الربّ هو الذي يختار قادة السرايا»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لذا سيكون ترشيحه لنفسه بمثابة البدعة».

- «صحيح»، أقول له. «ولوك ليس بغبيّ، لذا هو لم يفعل شيئاً كهذا قطّ. بدلاً من ذلك، أخذ يتحدث عن تحمّل المسؤولية، وكيف أنّ الوقت قد حان للجيل القادم من فيلق الربّ أن يصعد درجةً على

سَلِّمِ التَّقَدِّمَ، وكيف أَنَّهُ كَانَ هُوَ طَلِيعَةُ ذَلِكَ الْجِيلِ. وَقَدْ عَرَفَ
الْجَمِيعَ بِالطَّبْعِ مَا الَّذِي كَانَ يَعْنِيهِ حَقًّا». .
يَبْتَسِمُ الْعَمِيلُ كَارَلَايِلَ. «هَلْ هَذَا وَضْفُهُ لِلْأَمْرِ أَمْ وَضْفُكَ
أَنْتِ؟».

- «وَضْفُهُ هُوَ. سَمِعْتُهُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ يَعْبِّرُ عَنْهُ عَلَى هَذَا النَحْوِ». .
- «طَلِيعَةُ الْجِيلِ»، يَقُولُ الْعَمِيلُ كَارَلَايِلَ. «كَلَامٌ مَنْمَقٌ لِلْغَايَةِ
بِالنِّسْبَةِ لَصَبِيٍّ يَدْفَعُ الْفَتَيَاتِ إِلَى الْجُدْرَانِ وَيَصِفُهُنَّ بِالْعَاهِرَاتِ. لَمْ
أَرَادَ أَنْ يَصْبِحَ قَائِدٌ سَرِيَّةً؟».

أَكْثَرُ، وَأَقُولُ: «هَذَا لَيْسَ مَنْصَفًا». .
يَعْبَسُ، وَيَقُولُ: «مَا الَّذِي لَيْسَ كَذَلِكَ؟». .
- «أَسْتَخْدِمُ أُمُورَ تَحْدِثُ فِي جُلُوسَاتِ التَّفَاعُلِ الْاجْتِمَاعِيِّ»،
أَقُولُ لَهُ. «أَعْرِفُ أَتَّكِمُ تَرَاقِبُونَ وَتَصْغُونَ، وَهُونِي تَعْرِفُ ذَلِكَ أَيْضًا،
لَكِنَّ مَعْظَمَ الْآخَرِينَ لَا يَعْرِفُونَ. بِالنِّسْبَةِ لَهُمْ هُمْ يَعِيشُونَ فِي وَهْمٍ أَنَّنَا
نَتَدَبَّرُ أُمُورَنَا وَنَحْلُ مَا كُنَّا بِنَفْسِنَا».

يَرْمُقُ الدَّكْتُورُ هِيرْنَانْدِيزَ الرَّجُلَ الْجَالِسَ بِجَانِبِهِ. .
- «أَنْتِ عَلَى حَقٍّ»، يَقُولُ الْعَمِيلُ كَارَلَايِلَ. «لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ
مَنْصَفًا، وَأَنَا أَعْتَذِرُ. لَكُنِّي أَحْتَاجُ مِنْكَ أَنْ تَجِيبِي عَنِ السُّؤَالِ». .
- «نَسِيتُ مَاذَا كَانَ».

- «لَمْ أَرَادَ لَوْكَ أَنْ يَكُونَ قَائِدَ سَرِيَّةٍ؟»، يَقُولُ الْعَمِيلُ كَارَلَايِلَ. .
كَيْ يَتَسَنَّى لَهُ أَنْ يَمْلِي عَلَى النَّاسِ مَا عَلَيْهِمْ فَعْلُهُ. كَيْ تَتَسَنَّى لَهُ
مُعَاقِبَتُهُمْ إِذَا لَمْ يَمْتَثِلُوا. كَيْ يَتَسَنَّى لَهُ إِذَاؤُهُمْ. .
- «كَانَ طَمُوحًا»، أَقُولُ لِلْعَمِيلِ كَارَلَايِلَ.

- «فِيلِقُ الرَّبِّ مَوْجُودٌ مِنْ أَجْلِ خِدْمَةِ الرَّبِّ. لَيْسَ مِنْ أَجْلِ
أَمْجَادٍ شَخْصِيَّةٍ. أَلَيْسَ هَذَا صَحِيحًا؟»، يَقُولُ الدَّكْتُورُ هِيرْنَانْدِيزَ.

- «بلى، هذا صحيح. لكنّ البشر يظّلون بشراً. هم يريدون أن يكونوا محور كلّ شيء»، أقول له.
- «هل كان لك أحد هؤلاء؟».
- «لقد رأيته في جلسة التفاعل. ماذا تعتقد؟»، أقول له.
- «أعتقد أنّه شابّ مضطربّ للغاية»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «أعتقد أنّه يتمنى حقّاً لو أنّه لم ينبُج من الحريق».
- يخيّم على الغرفة صمتٌ ثقيل. يرمق العميل كارلايل الدكتور هيرنانديز بنظرةٍ من زاوية عينه، كما لو أنّه لم يتوقّع منه أن يجيب على سؤاله. أنا أيضاً لم أتوقّع ذلك، وجزءٌ مني يتساءل ما إذا قصد أن يجيب بالفعل، لأنّ بقعاً ورديةً باهتة قد ظهرت الآن أعلى وجنتيه.
- «هل تساعده؟»، أسأله.
- يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه. «نحن نفعل كلّ ما بوسعنا».
- «لماذا لم يكن موجوداً في جلسات التفاعل الاجتماعي خلال الأيّام الماضية؟».
- يتردّد لبرهةٍ طويلة، إذ يحاول بوضوح أن يقرّر إن كان سيخبرني أم لا. «لقد كان مهتماً إلى أبعد الحدود بعد أن تناقشنا بمسألة الارتقاء. كُنّا مجبرين على تهدئته، الأمر الذي يتناسب تماماً مع تحذيرات الأب جون بشأن العالم الخارجي - أثق أنّه يمكنك بسهولة تخيل ذلك. كان الوصول إليه بعد ذلك بمثابة... تحدّ».
- «هل سيكون على ما يرام؟»، أسأله.
- «نأمل في الوصول إلى نتيجةٍ إيجابية».
- أعبسُ. «لقد قلتَ ذلك من قبل».
- «أعلم ذلك. ما زلتُ متفائلاً. النية هي أن يعاود الانضمام إلى الجلسات ابتداءً من بعد ظهر اليوم»، يقول لي.

- «لكن ليس بوسعك أن تقول على وجه اليقين إنه سيكون على ما يرام؟».

يهزُّ الدكتور هيرنانديز رأسه. «لا. ليس بوسعي قول ذلك».

تملاً ذهني صورة لوك وهو يركل ويصرخ بينما كان رجال الحكومة يحملونه خارج القاعدة وهي تحترق من حوله. وتسري قشعريرة في كامل جسدي.

- «شكراً لإخباري»، أقول له.

- «ربّما ما كان يجدر بي أن أفعل. ومن المهمّ جدّاً ألا تناقشي هذا مع الآخرين، أو أن تخبري لوك به. يؤسفني أن أضعك في هذا الموقف، لكنّ هذا لمصلحة الجميع».

عليّ الآن إذاً أن أحفظ أسراركَ، جنباً إلى جنب مع أسراري؟
عظيم. شكراً جزيلاً.

- «لن أقول شيئاً».

يومئ برأسه، ويحاول رسم ابتسامة صغيرة. «شكراً لك».

- «لَمْ تكذّبين على لوك حين يسألك بشأن التحدّث إلينا؟»، يسأل العميل كارلايل. «لَمْ لا تقولي له الحقيقة؟».

- «لأنّ هذا ليس من شأنه».

- «هل يخيفك؟».

نعم.

- «ليس بعد الآن»، أقول له. «إن كان ثمة شيء، فأنا أشعر بالأسف عليه. لكنني كنتُ خائفةً منه لوقتٍ طويل».

- «لَمْ كنتِ تخافين منه؟»، يسأب العميل كارلايل.

- «كنتُ أخشى أن يؤدي أحداً ما».

- «هل كان عنيفاً؟».

نعم.

- «أحياناً» .
- «معك؟» .
- أومئ برأسي .
- «ماذا عن إخوتك وأخواتك؟ هل كان عنيفاً معهم؟» ، يسأل
- الدكتور هيرنانديز .
- «أجل» .
- «لكنّه لم يكن قائد سرّيّة» ، يقول العميل كارلايل .
- «لا» .
- «لذا لم تكن لديه الصلاحيّة» .
- «لا» .
- «هل عاقبه جون بارسون لكونه عنيفاً؟» .
- «أحياناً» .
- «لكن ليس دائماً؟» .
- «لا» .
- ملاً الدكتور هيرنانديز نحو نصف صفحة من أحد دفاتره بينما كنتُ والعميل كارلايل نترشق بالأسئلة والأجوبة . ثمّ يضع قلمه وينظرُ إليّ . «كيف كان يُنظرُ إليه من قبل أعضاء الفيلق الأصغر سنّاً؟» .
- «لوك؟» ، أسأله .
- «نعم، لوك» .
- «ماذا تعني بكيف كان يُنظرُ إليه؟» .
- «هل كان يحظى بشعبية؟ هل أحبّوه؟ هل كانوا يخشونه؟» .
- «اختلف الوضع من وقتٍ لآخر» ، أقول له . «أحبّه الناس في بعض الأيام، وكرهه نفس الناس في أيّام أخرى، كما يحدث مع أيّ شخص . الناس هم الناس فحسب» .

- «الناس هم الناس فحسب»، يقول العميل كارلايل.

- «هذا صحيح».

- «ماذا عنك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «ماذا عني؟».

- «هل كان لك يروق لك؟».

- «الآن؟ أنا أشعر بالأسف عليه، كما قلت».

- «ليس الآن. بل داخل الفيلق، قبل الحريق».

أهزّ كتفي. «كان أخي. لقد أحبيته».

يبتسم الدكتور هيرنانديز. «لكنّه لم يكن يروق لك؟».

كنت أكرهه، كنت أخشاه، لقد كرهته كثيراً.

-«لا»، أقول له. «لم يكن يروق لي».

خائنة! يجأر الأب جون، ويهدر صوته في رأسي دون سابق إنذار. مهرطقة! أنت لم تحبي إخوانك وأخواتك يوماً! لطالما كنت زائفة! ولطالما كان إيمانك بغرض التفاخر فحسب!

أجفل، لأنني لم أكن قد سمعتُ صوت النبيّ الفظيع الهادر منذ بعض الوقت. كان جزءٌ صغير منّي قد بدأ يتساءل - وكلّه أمل - ما إذا كان قد رحل للأبد.

- «لم يكن يروق لك؟».

- «لا. وصدّقني إذ أقول إنّ الشعور كان متبادلاً. ولأكون صادقة تماماً، فإنّ القول بأنني لم أكن أروق له لا يفي الأمر حقّه. كانت هناك الكثير من الأوقات حيث كنت واثقة تماماً أنّه يكرهني».

- «هل كرهته بالمقابل؟».

- «لا»، أكذب عليه.

- «لم تعتقدين أنّه كان يكرهك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أهزّ كتفي. «لم يكره الناس بعضهم البعض عادة؟».

- «يمكن أن يكون هناك عددٌ من الأسباب. قد يكون ذلك نتيجةً لشيء حقيقي، كأن يؤذيهم أحدٌ ما أو يؤذي مَنْ يهتمون لأمره. أو قد تستند تلك الكراهية على أشياء غير عقلانية كلون بشرة الشخص أو ميوله الجنسيّة. وفي بعض الأحيان يكون ذلك دون أيّ سبب واضح على الإطلاق».

- «أعتقد أنّها في حالتنا كانت مزيجاً من الثلاثة».

- «ما الذي يجعلك تقولين ذلك؟».

أتردّد في الإجابة، إذ إنّ سلوك هذا المسار سيقود إلى أماكن لست واثقةً من أنّني أريد الذهاب إليها. لكنّ الصوت في مؤخرة رأسي يحضر في الحال، ويذكّرني بما قلته لنفسي الليلة الماضية حين كنتُ أحدّق في السقف داخل غرفتي.

ربّما سيفيدني أن أكشف من الحقيقة القدر الذي يمكنني تحمّل كشفه.

يقطّب الدكتور هيرنانديز حاجبيه. «مونيم؟ هل أنت بخير؟».

- «كان لوك أول طفلٍ في الفيلق»، أقول متجاهلةً سؤاله. «وُلد داخل القاعدة، بالكاد بعد مرور عام من تأسيس الأب باتريك للفيلق، حتّى قبل أن توضع أولى أساسات الكنيسة في الأرض. ما يجب أن تفهمه هو أنّه قبل الإعلان الثالث كانت الأمور مختلفةً جدّاً. كان الناس...».

يخفت صوتي شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي. لا أملك أدنى فكرة كيف سأحدّث عن هذا معهما.

- «كانت القيود على النشاط الجنسيّ أخفّ وطأة؟»، يقترح

الدكتور هيرنانديز.

أهزّ رأسي بإيماءةٍ ملؤها الامتنان. «شكراً لك. هذا صحيح تماماً. كانت القيود أخفّ وطأة، ونتيجةً لذلك لا أعلم إن كان هناك

أحدٌ يعرف مَنْ هو والد لوك، حتّى في ذلك الوقت. لا بدّ أنّ الكثيرين يعرفون مَنْ كانت والدته، لأنّها أنجبته داخل القاعدة، لكنّ أحداً لم يقل شيئاً عن الأمر، بما في ذلك والدته نفسها».

- «إذاً هي تخلّت عنه فحسب بعد ولادته؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «لا أعرف. هي لم تعترف به قطّ. هذا ما يمكنني قوله. أعرف أنّ لوك قد سأل عنها، سأل عن كليهما، حتّى بعد أن حُظِر الحديث عن الأوقات التي سبقت التطهير، لكنّه لم يحصل على أيّ إجابات».

- «ماذا قال الناس حين كان يسألهم؟».

- «قالوا له إنّهُ كان طفل الربّ، وقد ربّي على يد إخوته وأخواته، وإنّهم كانوا عائلته. لكنني كنت أسمع الشائعات على مرّ السنين. شائعاتٌ حول الأسماء؛ أسماء بعض النساء اللاتي كنّ قد رحلن، وأخريات كنّ لا زلن داخل القاعدة، وكان لوك يتحدّث إليهنّ معظم الأيام».

- «لمّ برأيك لم يخبره أحدٌ بالحقيقة؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز. «لا بدّ أنّه كان هناك أشخاص يستطيعون تحديد هويّة والدته كما قلت».

أهزّ كتفيّ. «أظنّ أنّها طلبت منهم ألا يفعلوا».

- «تخيّلني رؤية ابنك يتألّم كلّ يوم»، يقول العميل كارلايل. «تخيّلني رؤيته هكذا وأنّ تعرفين أنّ بوسعك مساعدته لكنك لا تفعلين شيئاً، ليس حتّى مجرد الاعتراف به. أيّ نوع من البشر يفعل ذلك؟».

- «لا تحكم عليها، كائناتٌ من كانت»، يقول الدكتور هيرنانديز. «نحن لا نعرف ما الذي اختبرته، وكم كانت خياراتها صعبة».

تتجهّم ملامح العميل كارلايل استهجاناً، لكنّه لا يقول شيئاً.
- «لمَ تعتقدِين أنَّ نشأة لوك أثّرَتْ سلباً في طريقة تفكيره
بك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لا أعرف يقيناً أنّها أثّرت»، أقول له. «أنا أفكّر بصوتٍ عالٍ
وحسب. لكنّك تعلم أنّي لم أُولد داخل الفيلق، وهذا جعلنا
مختلفين منذ البداية».

- «لا تشعري بأنّك مضطّرةٌ للتحدّث عن والدتك».
أهزّ كتفيّ. «لا بأس بذلك»، أقول، وأتفاجأ قليلاً إذ أجد أنّه
لا بأس بذلك حقّاً - حالياً على الأقلّ. «لقد أخبرتني أمّي عن
حياتهما قبل أن ننتقل إلى القاعدة. كانت معلّمة مدرسة إلى أن
أنجبتني، وعمل والدي في جمعية خيرية تعنى بالأطفال. كنت ستحبّه
على الأرجح».

يبتسم الدكتور هيرنانديز.
- «كانا متزوجين لثمانِي سنوات قبل أن أُولد. اعتادت أمّي أن
تنادينِي بالمعجزة الصغيرة، لأنّ أطباءها كانوا قد بدأوا يعتقدون أنّها
لا تستطيع الإنجاب».

تتلاشى ابتسامته. أتذكّر ما أخبرني به حول زوجته، ويعتصر
قلبي تعاطفاً معه؛ مع كليهما.

- «هل تظنّين أنّ هذا ما جعل والدك منفتحاً على ما قاله
هورايون في سانِتا كروز؟»، يسأل الوكيل كارلايل. «هل هو وأمّك
يعتقدان أنّك هديّةٌ من الرّب؟».

- «لا أعرف. لم تتح لي الفرصة مطلقاً لأسأله».
يقطّب كارلايل حاجبيه ويومئ برأسه.
- «أحسبُ أنّك لا تستطيعين تذكّر انتقالكم إلى القاعدة أوّل
مرّة؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أهزُّ رأسي، فرغم أنَّ ثَمَّةَ صورة في ذهني لليوم الذي وصلنا فيه، صورة واضحة لدرجة أنَّه يمكن لهذا اليوم أن يكون البارحة؛ إذ يمكنني رؤية الهيكل الخارجي للكنيسة يرتفع تحت سماء زرقاء لامعة؛ ووجوه الغرباء المبتسمة وهم يرحّبون بأمي وأبي، ويحومون فوقِي ويمسكون بلطفِ يديّ الصغيرتين؛ ويمكنني الشعور بحرارة وجفاف هذا العالم الذي يبدو غريباً بالكامل. رغم أنَّها تبدو كذكرى حقيقية، لكنني أعلم أنَّها لا يمكن أن تكون كذلك لأنني كنتُ أبلغ من العمر ثمانية عشر شهراً فقط. لكنّها ذكرى سعيدة وإن لم تكن حقيقية، وفيها والدي، وهذا ما يجعلني أتشبّثُ بها.

- «إذاً كان لك الأوّل. وأنتِ الثانية»، يقول العميل كارلايل.
- «كان هناك أطفالٌ في الفيلق حين تمّ تشكيله. أطفالُ الأعضاء الأصليين. لكننا أوّل اثنين وصلاً بعد أن أصبح الفيلق موجوداً. بعد أن أصبح حقيقة».

- «أوّل اثنين من بين الكثير؟».
- «الكثير جداً»، أقول له. «أتذكّر في السنوات الأولى أنَّ الناس كانوا يصلون كلّ شهر. لم يبقَ جميعهم، لكن بدا أنَّه كانت هناك وجوه جديدة في كلّ مرّةٍ تدير رأسك. هل تتذكّر ليزي التي أخبرتك عنها؛ صديقتي التي كانت والدتها تعمل في لايفيلد؟».
- «لقد غادروا بعد التطهير»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أومئ موافقة. «هذا صحيح. كانت في الخامسة أو السادسة حين وصلوا. هوني كانت في الثالثة، وكانت أليس في السابعة، وكان إسحاق في الرابعة عشرة من عمره تقريباً. كان البعض الآخر أكبر سنّاً، وآخرون كانوا أصغر سنّاً. لكن بلى، أنا ولوك كنّا في المركزين الأوّل والثاني».

- «وَأَنْتِ كُنْتِ مَعَ الْوَالِدِيكَ، أَمَّا هُوَ فَلَا»، يَقُولُ الدُّكْتُور هِيرْنَانْدِيز.

أَوْمِئُ مُوَافَقَةً.

- «هَلْ عَوَمَلْتُمَا بِطَرِيقَةٍ مُخْتَلَفَةٍ؟ أَقْصَدُ مِنْ بَقِيَّةِ أَعْضَاءِ الْفِيلِقِ». أَعُودُ بِذَاكَرْتِي إِلَى تِلْكَ الْأَيَّامِ حِينَ كُنَّا أَنَا وَلَوْكَ صَغِيرَيْنِ، وَحِينَ كَانَ الْأَبُ بِاتْرِيكَ لَا يَزَالُ فِي السَّلْطَةِ، وَحِينَ كَانَ فِيلِقُ الرَّبِّ مُخْتَلَفًا. حِينَ كَانَ أَخْفَتْ وَطَاءَةً. الْطَفُفُ. أَفْضَلُ.

يَهْمَسُ الصَّوْتُ فِي مُؤَخَّرَةِ رَأْسِي: هَلْ كَانَ كَذَلِكَ حَقًّا؟ مَجْرَدُ رَغْبَتِكَ فِي تَصْدِيقِ شَيْءٍ مَا لَا تَجْعَلُ مِنْهُ حَقِيقَةً. أَنْتِ أَذْكَى مِنْ ذَلِكَ.

- «أُظَنُّ ذَلِكَ»، أَقُولُ مُتَجَاهِلَةً الصَّوْتُ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ. «لَكِنْ لَيْسَ عَلَى النَّحْوِ الَّذِي تَقْصِدُهُ، كَمَا لَوْ أَنِّي عَوَمَلْتُ بِشَكْلِ جَيِّدٍ وَعَوَمَلُ هُوَ بِشَكْلِ سَيِّئٍ. يُمْكِنُ الْقَوْلُ إِلَى حَدٍّ كَبِيرٍ أَنَّ الْفِيلِقَ بِأَكْمَلِهِ رَبِّي لَوْكَ، وَرِعَاهُ، وَاهْتَمَّ بِهِ. لَقَدْ فَعَلُوا ذَاتَ الشَّيْءِ لِي، لَكِنِّي كُنْتُ أَعْرِفُ دَائِمًا أَنَّهُ يُمْكِنُنِي الذَّهَابُ إِلَى أُمِّي. لَا بَدَّ أَنَّ الْوَضْعَ كَانَ مُرَبِّكَ بِالنِّسْبَةِ لِلَوْكَ، خَاصَّةً بَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ كَبِيرًا بِمَا يَكْفِي لِفَهْمِ وَيَطْرَحُ الْأَسْئَلَةَ. لَا بَدَّ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الشَّاقِّ حَقًّا التَّسَاوُلُ مَا إِذَا كَانَ وَالِدَاهُ مُوجُودَيْنِ هُنَاكَ كُلَّ يَوْمٍ، دُونَ أَنْ يَعْتَرِفَا بِهِ حَتَّى، وَأَنْ —».

- «وَأَنْ يَرَفُضَاهُ مَرَارًا وَتَكَرَّرًا؟»، يَقُولُ الدُّكْتُور هِيرْنَانْدِيز.

أَحَاوَلُ أَنْ أَتَخَيَّلَ خَلِيطَ الْمَشَاعِرِ فِي ذَلِكَ: الْإِحْبَاطُ، الْعَجْزُ، وَخَيْبَةُ الْأَمَلِ الَّتِي لَا نَهَايَةَ لَهَا. كَمْ سَيَكُونُ مِنَ السَّهْلِ افْتِرَاضُ أَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ ثَمَّةُ سَبَبٍ لِعَدَمِ رَغْبَةِ الْوَالِدِيكَ بِكَ، وَأَنَّ هَذَا لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ خَطَأً. وَكَيْفَ أَنَّ ذَلِكَ لَا مُحَالَةَ سَيَتَحَوَّلُ إِلَى غَضَبٍ مَعَ مَرُورِ الْوَقْتِ.

- «أُظَنُّ ذَلِكَ»، أَقُولُ لَهُ. «عِنْدَمَا كُنْتُ صَغِيرَةً حَسَبْتُ أَنَّهُ لَيْئِمٌّ

فحسب، وأنه يمقتني لسببٍ أو لآخر. لكن إذ أنظر إلى الوراء، أتساءل إلى أيّ حدٍّ يفترض أنه كان يشعر بالغيرة منّي ومن الأطفال الآخرين، إلى أيّ حدٍّ كان يشعر بالوحدة. يجعلني هذا أشعر أنه كان ينبغي بي أن أكون صديقةً أفضل له. أن أكون أختاً أفضل».

- «لقد كنتِ مجرد طفلة»، يقول الدكتور هيرنانديز. «تنشئة لوك لم تكن خطأك».

أهزّ كتفي. «لا أعتقد ذلك».

- «قلتِ أنه كانت هناك أوقات حيث كنتِ واثقةً من أنه يكرهك»، يقول العميل كارلايل. «هل هذا بسبب موقفه العام الذي كان يأخذ منحىً مختلفاً حيالك، أم أنكِ تشيرين إلى حوادث معينة بعينها؟».

تمرّ بي الذكريات مثل سكين، باردةٌ وحادةٌ.

- «كانت هناك... حادثة»، أقول له.

- «هل توّدين إخبارنا عنها؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

هذا سؤال جيّد. سؤالٌ جيّدٌ جدّاً. هل أوّدُ إخبارهما عن المرأة

- قبل الحريق على الأقل - التي اعتقدتُ فيها بصدقٍ أنني سأموت؟

يهمس الصوت في مؤخرة رأسي: أخبريهما. كوني شجاعة.

- «لا، أنا لا أوّدُ أن أخبركما عنها. لكنني سأفعل».

يومئ برأسه. «لا بأس. خذي الأمر برويّة، وظلّي واعية

لأحاسيسك. يمكننا التوقّف متى احتجّيتِ إلى ذلك».

أخذ نفساً عميقاً، وأزفره، وأخذ نفساً آخر.

تضيق عينا الدكتور هيرنانديز. «مونيم؟ هل أنتِ بخير؟».

أومئ برأسي. «كان ذلك يوم الأحد...».

قبل

لا تزال عظة الأب جون - حول شرور الإدمان، وكيف أنَّ الحكومة تستخدم المخدرات والكحول لإبعاد الناس عن طريق الحق - ترنُّ في أذنيّ وأنا ألحق بنيت إلى الحداثق.

كثيراً ما ألحقُ به. أعرِفُ أنَّي أفعل ذلك كثيراً بما يكفي لجعل بعض إخوتي يضحكن ويهمسن أشياء بينما يحجبن أفواههنَّ بأيديهنَّ. مع ذلك، أنا لا أهتمّ، لأنَّ نيت صديقي وهو أكبر منِّي بكثير وأعلم أنَّه لن ينظر إليّ بالطريقة التي أوْدُ أن ينظر إليّ بها، لذا ليس ثمة خطأ في الأمر برمّته، ويمكن لأخواتي أن يضحكن كما يردن.

يعطينا جو نيلسون كيساً من بذور الخس، وأشرعُ في مساعدة نيت على زراعتها، لكنّه لا يبدو في مزاج طيّب اليوم، ثمَّ بعد حوالي خمس عشرة دقيقة من محاولتي فتح حديثٍ معه يطلب منِّي التوقّف عن إزعاجه، فقط لبعض الوقت. يظهر عليه شعورٌ بالذنب إذ يقول ذلك، لكنّه يبدو متعباً حقّاً، وأشعر بالسوء تجاهه حتّى مع احمرار وجهي جرّاء الإحراج وانفطار قلبي داخل صدري. أتدبّر رسم ابتسامةٍ صغيرة، وأقول له لا مشكلة، ثم أخرج من الحداثق وأشقُّ طريقتي عائدةً عبر الفناء.

الشمس في كبد السماء، الجوُّ حارٌّ حقّاً وأشعر بقطرات العرق تسيل على ظهري، وأدركُ إذ أسيرُ فوق الإسفلت الملتهب أنَّه لا

فكرة لديّ ماذا سأفعل الآن. لا يوجد شيء في فيلق الربّ مؤداه أن تجد نفسك في نهاية مفتوحة - فإذا انتهيت من العمل الموكل إليك، فستظهر كالسحر دائماً قائمة جديدة تماماً من المهام التي يجب إنجازها. أعلم أنّه ينبغي بي العثور على أحد قادة السرايا وأسأله عما يجب عليّ القيام به، لكنّ الساحة خالية، وحارّة جداً وهادئة، ويبدو كما لو أنّ القاعدة بأكملها تغطّ في النوم.

أمشي مجتازة الكنيسة، وعبر الصف الشرقيّ من المهاجع الشرقية لأخرج إلى الصحراء، حيث الأرض برتقالية داكنة وخالية من الحياة، ما من شيء سوى الغبار والأتربة والأوراق الميتة. بعيداً إلى الأمام، يلمع السياج تحت أشعة الشمس الحارقة، ويمتدّ شمالاً وجنوباً، وتلتفّ الأسلاك الشائكة فوق قسمه العلويّ على نحوٍ غير منتظم، وتتدلّى على امتداده وبمسافاتٍ غير متساوية لافتات ملكية خاصّة. بيني وبين السياج، هناك صفّ من الأكواخ والسقائف مجمّعة من ألواح خشبية، هناك حيث يُحتفظ بمعظم الأدوات والآلات المستخدمة في حداثق وحقول جو نيلسون: جزازات العشب، المناشير، المناجل، الفؤوس، المعاول، وعشرات الأشياء الأخرى. أتجه إلى هناك، ولا تزال في رأسي النظرة على وجه نيت وهو يطلب منّي أن أعطيه استراحة.

أنا لست غيبّة، اتفقنا؟ لست فتاة صغيرة ساذجة تؤمن بالحبّ الحقيقي والسعادة الأبدية. أعلم أنّ نيت منذ وصوله لا يراني إلّا كأختٍ صغيرة، أختٍ صغيرة لا يمكنها إخفاء إعجابها به، وأعلم يقيناً أنّه ما من شيء على الإطلاق سوف يحدث بيننا.

لا يفوّت الصوت في مؤخرة رأسي أبداً فرصة تذكيري بأنّ نيت لا يكرّ لي ذاك النوع من المشاعر، لكن حتّى لو كان ذلك خاطئاً - وهو ليس خاطئاً، لكن إذا افترضنا جدلاً - فإنّ الإعلان

الثالث سيظلّ يحرم عليه قطعياً التصرف حيال تلك المشاعر. وحتى إن كان يميل إلى كسر قاعدة جوهرية كهذه - إن كان واقعاً في الحب لدرجة أنه على استعداد لرمي كلّ التحذيرات خلف ظهره - فستكون المخاطرة التي سيخوضها عبر كسر هذه القاعدة معي أكبر بكثير من كسرها مع أيّ شخص، لأنه تمّ اختياري - كما يذكّرني نيت نفسه يومياً - لأكون زوجة النبيّ المستقبلية حين كنتُ في العاشرة من عمري.

هناك خمسة منّا نحن الزوجات المستقبليات: زارا، وليلي، وهانا، وهامينغبيرد، وأنا. أنا أكبرهنّ، وليلي الأصغر. هي في العاشرة من عمرها، إلّا أنّ الربّ اختارها عندما كانت في السادسة. إنه لشرف عظيم أن تكون الفتاة زوجة النبيّ المستقبلية، وهي مرتبة لا تعلوها مرتبة سوى أن يكون المرء قائد سرية، رغم أنّها لا تغيّر شيئاً على أرض الواقع. نحن لا نذهب للعيش في البيت الكبير حتّى نتزوّج، وهذا لا يحدث حتّى نبلغ الثامنة عشرة من العمر، لذا فهي مجرد صفةٍ لشيءٍ سيحدث في المستقبل ولم أكن أعرف حقاً كيف أشعر حياله.

يمكنني بوضوح أن أتذكّر أمّي وهي تقول للأب جون مراراً وتكراراً إنّني سأكون زوجةً جيّدة ذات يوم. نيت أيضاً يثير الموضوع طوال الوقت، حتّى عندما لا يكون له علاقة بأيّ شيءٍ يتحدثون عنه - الأمر كما لو أنّه يحاول أن يحرص على ألاّ ينسى أحدٌ وضعي الخاصّ.

لكن أنا؟ أنا أفهم أنّ هذا ما يريده الربُّ لي، لكنّ ذلك لا يجعل الأمر يبدو وكأنّه شيءٌ سوف يحدث حقاً ويصبح أمراً واقعاً. لأنّه وبشكل رئيسيّ لا يزال هناك ثلاث سنوات قبل أن أبلغ الثامنة عشرة، وكلّ إخوتي وأخواتي، بما في ذلك الأب جون نفسه،

واثقون تمام الثقة من أنَّ المعركة النهائية مع خَدَمَة الشيطان سوف تندلع قبل ذلك بوقتٍ طويل .

يهمس الصوت في مؤخِّرة رأسي : ماذا لو لم تندلع؟ ماذا لو كان عليك أن تتزوَّج مني منه، وتنتقلي إلى البيت الكبير، وإلى غرفته، وسريره، و—

أدفع الصوت بعيداً بأقصى ما أستطيع وأتابع السير، فأنا لا أريد أن أفكِّر في أيِّ من ذلك الآن. أوشك على الوصول إلى الكوخ الأوَّل الذي لا يعدو كونه صفيحةً من المعدن الصدئ تجثم بتوازن قلبي فوق إطارٍ من أغصان الأشجار، فأسمع عندئذٍ جلبةً من مكانٍ ما خلف الصف الخارجي للمباني. لدينا في القاعدة الأفعى ذات الجرس، يبدو أحياناً أنَّ أعدادها بالعشرات، ممَّا يجعلك تتعلَّم سريعاً أن تعود أدراجك ببطءٍ من حيث أتيت حين تسمع جلجلتها، رغم أنَّك في الواقع لا ترى تلك الأفعى أبداً.

لا تبدو هذه كجلجلة، إنَّه أقرب لصوت النخير، كما لو أنَّه نفسٌ عميق يُزفر دفعةً واحدة. أقف ساكنة، وأصيحخ السمع، وأنتظر. بعد بضع ثوانٍ، أسمع الصوت مجدداً.

هذه المرَّة الصوت أعلى، ومن المؤكَّد أنَّه قادمٌ من الجهة الأخرى للكوخ الكبير على يساري. أمشي ببطءٍ إلى الأمام حريصةً ألا ينكسر غصنٌ جافٌ تحت قدمي أو تصدر الأوراق الميتة حفيفاً، وأشقُّ طريقي على طول الجهة الجانبية للمبنى المتداعي، وأختلس النظر من زاويته.

تتورَّد وجنتاي على الفور إحراجاً وخجلاً، لأنَّ لوك يقف في ظلِّ الكوخ الكبير، سرواله مسدلٌ وعضوه في يده. مقطَّبُ الجبين، وكأنَّه يركِّز بشدَّة، بينما يحرك يده للأمام والخلف بسرعة ويطلق صوت النخير الذي سمعته.

هذا ليس مسلياً، إنه ليس كذلك حقاً. أعرف تماماً أنّ لوك سيغضبُ جداً إذا ضبطني وأنا ألتصصُ عليه. لكن رغم معرفتي هذه، ما زلتُ أقاوم بشدّة رغبةً جامحة في الانفجار ضاحكة. هو يبدو سخيفاً للغاية، جادٌ ومصمّمٌ جداً، ورغم فهمي أنّ ما يفعله هو شيءٌ شديد الخصوصية إلّا أنّه لا يمكنني إجبار نفسي على النظر بعيداً. لا يمكنني ذلك وحسب.

بعدها كانت ثمة حركة على الجانب الآخر من لوك، وكلّ التسلية التي كنتُ أحظى بها تختفي دفعةً واحدة إذ تخرج هوني من الظلّ. تبدو مرتبكة، والتعبير على وجهها يقول بوضوح أنّها لا تريد أن تكون هنا.

- «المسيه»، يقول لوك.

تنظر هوني إليه بعينين واسعتين، ولا تأتي بحركة.

- «هيا»، يهمس لها. «المسيه. يُفترض بك أن تلمسيه».

تحدّق به لبرهةٍ طويلة، ثمّ تنظر إلى الأرض. وإذ تمد يدها المرتعشة، أجدُ نفسي أتحرك بسرعة، دون قرار واعٍ للقيام بذلك على ما يبدو.

- «عودي إلى الفناء، يا هوني»، أقول، وأخرج إلى حيث يمكنهما رؤيتي.

يطلق لوك من هول المفاجأة صرخةً أشبه بعواءٍ مذعور، ويلتفتُ في مكانه بعيداً عني وهو يزرّر بنطاله بانفعالٍ شديد. «أخرجني من هنا!»، يصرخ بي. «نحن لا نرتكب أيّ خطأ!».

تحدّق هوني بي بارتياح يشعّ من عينيها، كما لو أنّها لا تصدّق أنّي هنا بالفعل، وأنني أقف حقاً أمامها.

- «هيا، اذهبي»، أقول لها. «لا تقلقي، أنتِ لستِ في ورطة».

لا تضيقُ ثانيةً إضافية؛ هي تركض وحسب، ووقع خطواتها

يفرق على الأرض بينما تبتعد باتجاه الفناء . يستدير لوك نحوي ،
وأدرك بعد فوات الأوان ربّما بثانيةٍ واحدة فقط أنّه كان عليّ أن
أركض أيضاً ، فالنظرة على وجه لوك لم تكن نظرة الغضب والإحراج
التي كنتُ أتوقّعها .

النظرة على وجهه نظرة قتلٍ صرفة .

يندفع بضراوةٍ نحوي ، ويمسكُ بكتفيّ ، ويدفع بي إلى جدار
الكوخ . كعباي يفركان التربة تحتهما ، ورأسي يلامس اللوح المعدنيّ
الصدئ ، وأرى نجوماً ، مجرّات كاملة منها ، إلى أن ترتطم كفّ لوك
بجانب وجهي ، أسفل عيني مباشرةً ، فينفجر الألم ويذهب بقدرتي
على الرؤية . أذوق طعم الدم في فمي ، وأطلق صرخة لكن يداً تطبق
على فمي وتخنقها ، بينما يضغط لوك بجسده عليّ ، وعيناه تشتعلان
كراهية .

- «مَن تظنّين نفسك بحقّ الربّ؟ تتجسّسين على الناس ،
وتحشرين أنفك في أشياء ليست من شأنك؟» .

أبحث في عينيه عن شيءٍ كي أقنع نفسي أنّ هذا سينتهي على
خير ، وأنّه يحاول إخافتي فحسب . لكنني لا أجد شيئاً .
لا شيء مطلقاً .

- «الإعلان . . . الثالث . . .» ، أقول بشقّ الأنفس رغم يده
المطبقة بقوة على فمي .

يضحك ويرخي قبضته قليلاً . «هل ستحدّثيني أنا عن
الإعلانات؟ هل هذا ما يحدث هنا؟ أنا أعرفها أكثر من أي شخص ،
عدا النبيّ نفسه» .

- «لَمْ كُنْتَ إِذَاً على وشكٍ مخالفة أحدها؟» . لستُ مهتمةً
بإجابته ، لكنني أحاول كسب الوقت ريثما تمتلئ رثيّ بالهواء وأفكر
في طريقة للخروج من كلّ هذا .

- «لم أكن أخالف أيّ شيء. يُفترض بها أن تفعل ما أمليه عليها. هل تفهمين؟ إنّ وظيفتها هي إرضائي. ووظيفتك أنتِ أيضاً». تنزلق يده الأخرى فوق فخذي. أحاول الصراخ مجدّداً، لكنّه يتوقّع ذلك لذا يطبق على فمي بقوة أكثر من ذي قبل.

- «أعلم أنّك منذورة للأب جون»، يهمس، وعينه تتقدان بالكراهية. «أعلم أنّه ينبغي الحفاظ على عقّتك حتى ذلك الحين. لكن بعد أن ينتهي منك، سأتي لأراك ذات ليلة، وسنحظى ببعض المرح. الكثير من المرح. سوف —».

فجأة تختفي اليد التي تطبق على فمي واليد التي تقبض على فخذي، ويتراجع لوك إلى الراء متعثراً وقد جحظت عيناه. تتشابك قدماه ويسقط على الأرض بينما تنهار ساقي تحتي وأنا أنزلق نزولاً على الجدار، والدموع تنسكب مدرارةً من عيني. أمسحها في الوقت المناسب لأرى نيت يتقدّم للأمام ويدقّ بعنفٍ أضلاع لوك بمقدّمة حذائه مصدراً صوتاً أشبه بصوت ساطور الجزّار وهو يضرب أضلاع عجل. يعوي لوك من الألم ويحاول الزحف مبتعداً فيما نيت يعاود ركله مرّة بعد مرّة إلى أن يتوقّف لوك أخيراً عن الحركة ويستلقي فحسب بعينين يملؤهما الألم والذهول المروّع الرهيب. يرفع نيت قدمه مجدّداً، وأتدبّر أن أعثر على صوتي أخيراً.

- «لا تفعل!»، أصرخ. «نيت، لا تفعل!».

يتوقّف حذاؤه حيث كان في الهواء، وينظر إليّ بوجه لا يحمل سوى تعبير الغضب في حالته المجرّدة، فأجمّد بالكامل. ثمّ تلين ملامحه، ويُنزّل قدمه بهدوء.

- «مونيم، هل أنتِ بخير؟»، يقول لي. «هل آذاك؟».

يشهق لوك على الأرض بصخب بينما أهزّ رأسي بالنفي.

- «هل أنتِ متأكّدة؟».

- «أنا بخير»، أقول، رغم أنَّ هذا ليس صحيحاً تماماً. «أنا كذلك حقاً، يا نيت».

- «حسنٌ، عودي إلى الفناء»، يقول لي.

- «ماذا ستفعل؟».

يلقي نيت نظرةً على لوك الذي جحظت عيناه بالرعب في وجهه الذي استحال أحمر قانياً لدرجة يكاد يكون بنفسجياً. «سأهتمُّ بالأمر»، يقول لي. «اذهبي الآن. ولا تتحدّثي مع أحدٍ حتّى آتي وأجدك».

أنهض واقفة على قدميّ، وأمضي نصف مهرولة ونصف مترنّحة نحو زاوية الكوخ. أشقُّ طريقي إلى طرف الفناء قبل أن تخذلني ساقيّ، وأهوي على ركبتيّ فوق الإسفلت، وأجهش في البكاء حتّى تنقطع أنفاسي.

بعد

- «يا يسوع»، يتنفس العميل كارلايل بصعوبة. «يا يسوع المسيح».
- كانت عيناه تتسعان بوتيرة ثابتة بينما كنتُ أتحدّث، وكان يحدّق بي بوجهٍ يغمره التعاطف لدرجة أنّني لا أجرؤ على النظر إليه لثقتي أنّني سأبدأ في البكاء عندئذٍ.
- «كم كان عمر هوني؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.
- «أنّذ؟».
- يومئ موافقاً.
- «كانت في الحادية عشرة».
- لا أحد يقول شيئاً لبعض الوقت. لا تزال كلماتي عالقةً في الهواء بينما مثل غازٍ سامّ. في النهاية، كان العميل كارلايل هو مَنْ استعاد رباطة جأشه أولاً.
- «ماذا حدث للوك؟»، يسألني.
- «لا شيء». لا أعرف ماذا قال له نيت، أو ماذا فعل به بعد أن ركضتُ مبتعدة، لكنّ لوك لم يأتِ على ذكر الأمر مطلقاً. هوني أيضاً لم تفعل».
- «هل ذهبْتُ وعثرْتُ على نيت؟ ألهذا السبب جاء وساعدك؟».

أومئ برأسي موافقة .

ترتسم على وجهه ابتسامة صغيرة . «فتاة شجاعة» .
لا يسعلك حتى أن تتخيل .

- «إنها كذلك حقاً» ، أقول له .

يفرك الدكتور هيرنانديز عينيه ويأخذ نفساً عميقاً . هو يبدو شاحباً أكثر من المعتاد ، وقد تغصن وجهه بالكامل حتى أصبح عبارة عن تكشيرة واحدة كبيرة ، كما لو أنّ القصة التي حكيتها قد سببت له ألماً جسدياً حقيقياً . يغمض عينيه لثانية أو اثنتين ، ثم يخرج من حقيبته ملفاً ويفتحه على المكتب .

- «لديّ هنا نسخة من الإعلان الثالث» ، يقول لي . «أفترض أنّه

كُتب بيد جاكوب رينولدز؟» .

أومئ برأسي . يمكنني أن أتذكر بوضوح ليلة الصيف الطويلة الحارة تلك ، حين تلقى الأب جون من الربّ الرسالة التي أصبحت الإعلان الثالث ، وأتذكر انقلاب عينيه وارتعاش أطرافه وفمه الذي يزد كفم كلب . كان جاكوب رينولدز إلى جانبه طوال الوقت ، وقلمه جاهزٌ فوق قطعة من الورق .

- «لقد رُفع عني الحجاب ، وكُشف لي كلّ شيء» ، يقرأ

الدكتور هيرنانديز . «الربّ هو المستقبل ، والمستقبل بداخلي ، وكل شيء بات أوضح من أيّ وقتٍ مضى . لا يمكن أن يكون هناك من بذورٍ مهدورة ، أو رحمٍ مبدّد ، فعيدنا قليلٌ جدّاً وأعداؤنا كثر . هناك حاجةٌ لجيلٍ جديدٍ من جنود الفيلق ، محاربون مخلصون يولدون وأقدامهم على طريق الحقّ . فقط المؤمن يمكن أن يُسمَح له بدخول هذا العالم المهجور ، فقط أولئك الذين يحملون بقلوبهم نور الربّ ، أولئك الذين تسلّموه من خلالي ، أنا رسوله الأكثر إخلاصاً . كلّ ما عدا ذلك بدعة وهرطقة» .

تسري قشعريرةٌ عبري. اجتمع الفيلق بأكمله أمام البيت الكبير مع شروق شمس اليوم التالي لحديث الأب جون مع الرب، وأنصتوا في صمتٍ إذ وقف على الشرفة وقرأ هذه السطور لأول مرة بصوت عالٍ. بدا النبي مرهقاً مثل رجلٍ لم ينم منذ سنوات، لكنّ صوته الهادر كان كحاله دائماً مشحوناً بيقينٍ أكثر صلابة من الحديد.

- «ماذا عنى لك هذا الإعلان؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «ماذا تعني؟».

- «كيف فهمته؟».

أهزّ كتفيّ. «اعتقدتُ أنّه كان واضحاً جداً. لقد عنى أنّه كان على كلّ رجلٍ في القاعدة - باستثناء الأب جون - أن ينذر العقّة. قال الإعلان إنّ الفيلق يحتاج إلى جيلٍ جديد من الإخوة والأخوات الذين يتحدّرون من الأب جون فقط».

- «ماذا عن المتزوّجين؟ ماذا عن الرجال والنساء الذين كانوا في علاقاتٍ ملتزمة لا تعدّد فيها؟».

- «الإعلان ينطبق عليهم أيضاً»، أقول له.

- «لأنّ جون بارسون قال ذلك؟»، يسأل العميل كارلايل.

لقد جئتُ بكلمة الربّ العظيم إلى آذان الفانين! يزمجر الأب جون داخل رأسي بصوتٍ مثل عواء فجائعيّ. لقد أعطيتُ الحكمة لأولئك الصادقين بما يكفي ليتمكّنوا من سماعها! لقد وجّهتُ دقّة أرواحهم بعيداً عن درب الشيطان!

أتجاهله، وأومئ برأسي.

بالطبع لأنّه قال ذلك. كان هذا كلّ ما تطلّبه الأمر.

- «إذاً فقد أمر رجال الفيلق بالعزوبية»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «ماذا عن النساء؟».

- «قيل لنا أن نرفض تقرب أيّ شخصٍ منّا عدا الأب جون».

- «وتقرّبه؟» .

- «قيل لنا أن نخضع له على الفور، من أجل مصلحة الفيلق»،
أقول له .

يشدُّ العميل كارلايل قبضتيه ويشيح بوجهه . وحين عاد لينظر
إليّ لم يكن قد نجح تماماً في ضبط انفعالاته، وأجفلني الغضب
الشديد في نظرتة .

- «أنا آسفة . أنا أقول الحقيقة، صدّقني»، أقول له .
يبتسم لي أصغر ابتسامة في العالم . «أعلم أنّك كذلك . أنتِ
تبلين حسناً جداً . أنا فخورٌ بك» .

أحدّق فيه . لا أعرف كيف أقول له شكراً دون أن أنطق الكلمة،
وهذا غير ممكن لأنّ كتلة قفزت فجأةً إلى حلقي واستقرت هناك .

- «ماذا كان ردُّ الفعل على الإعلان الثالث داخل الفيلق؟»،
يسأل الدكتور هيرنانديز .

أبعد ناظريّ عن العميل كارلايل، وأبتلع ريتي بصعوبة . لكن لا
جدوى، لذا أبتلعه مرّةً ثانية، وثالثة، إلى أن تصفو حنجرتي وأتمكّن
من الكلام مجدّداً .

- «البعض لم يكونوا سعداء»، أقول له . «خاصّةً بالنظر إلى ما
كانت عليه الحال في الأيام الأولى» .

- «فهمنا أنّ الناس غادروا، هل هذا صحيح؟»، يسأل الدكتور
هيرنانديز .

أومئ برأسي موافقة . «هذا صحيح» .
- «كم عدد الذين غادروا؟»، يسأل العميل كارلايل .

أعود بالذاكرة إلى اليوم الذي صدر فيه الإعلان الثالث، حيث
حمّل الرجال سيّاراتهم ووضعوا نساءهم فيها، وخرجوا عبر البوابة
الأمامية وقد ادلهمت وجوههم غضباً .

- «ثلاثون؟ خمسة وثلاثون ربّما؟»، أقول له .

- «سمح لهم جون بارسون بالرحيل وحسب؟»، يسأل العميل كارلايل .

- «قال الأب جون إنّ الرب كان يختبرنا . وإنّ الإعلان الثالث قد كشف إخوتنا وأخواتنا الزائفين، أولئك الذين كان إيمانهم تمثيلاً . قال إنّ الفيلق سيكون أقوى بدونهم» .

- «بالتأكيد، إن كنتِ تقصدين بأقوى: أكثر طاعة»، يقول العميل كارلايل متجهماً .

- «هل تعتقدين أنّ هذا ما كان الأمر عليه، يا مونييم؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز . «لقد أخبرتنا أنّ الأب جون لم يبدِ أيّ ردّ فعلٍ حيال أولئك الذين غادروا بعد التطهير لأنّه كان يعرف أنّه وُطد سلطته، وأنّه "انتصر"، بحسب تعبيرك . هل كان هذا الشيء نفسه؟» .

- «لا أعرف»، أقول له . «لا أعتقد أنّه أراد خسارة أفرادٍ من الفيلق، لكنني أظنّ أنّ الأكثر أهميّة هو أن يكون مليئاً بأشخاصٍ يَعتقد أنّ ولاءهم مطلق» .

- «له؟ أم للربّ؟»، يسأل العميل كارلايل .

أهزُّ كتفيّ . «لم يكن هناك فرق» .

- «هل تعتقدين بذلك حقاً؟» .

لا . نعم .

- «ما أعتقدّه لا يهّم»، أقول له . «ما يهم هو ما اعتقده إخوتي وأخواتي . أخبرتك سابقاً؛ لقد آمنَ معظمهم أنّ الأب جون هو رسول الرب على الأرض . لم يكن الأمر تمثيلاً أو نوعاً من الهزل . لقد صدّقوا ذلك من كلّ قلوبهم» .

- «لكن ماذا لو —» .

أقاطعه قائلة: «لا أعرف ماذا تريد منّي أن أقول لك. أنا لا أعلم ماذا كان بداخل رأس الأب جون. أنا لا أعرف ما إذا كان سعيداً بمغادرة الناس لأنّ ذلك أثبت أنّ إيمانهم لم يكن قوياً بما يكفي، أو لأنّه أراد التخلّص من أولئك الذين لا يفعلون ما يؤمّرون به، أو للسبيين معاً. لا أعرف ما إذا كان سعيداً برؤيتهم يرحلون أم حزيناً أم غاضباً. كلّ ما أعرفه هو أنّ الناس غادروا. لم يكونوا سجناء».

- «هذا صحيح»، يقول العميل كارلايل. «رغم أنّ آموس كان الرجل الوحيد الذي سُمح له بمغادرة المجمع، ولم يكن مسموحاً لأحدٍ باستخدام الهاتف أو مشاهدة التلفزيون أو قراءة كتاب، كما أنّ أربعة رجالٍ مسلّحين كانوا يستجيبون مباشرةً لرجلٍ يعتقد أنّه يتحدثُ إلى الرب ويُنزّل بالناس عقوباتٍ تستغرق أشهراً للتعافي منها».

- «أكره أن تدعو القاعدة بالمجمع»، أقول له.

يومئ العميل كارلايل برأسه. «أعرف ذلك».

- «الناس غادروا»، أقول له. «لم يمنعهم الأب جون أبداً.

كان بإمكانني أن أغادر».

- «هل تصدّقين ذلك حقّاً، يا مونبيم؟»، يسأل الدكتور

هيرنانديز.

لا أجيب في الحال. ليس لأنّني لا أريد ذلك، بل لأنّني لستُ حقّاً متأكّدة من كيفية القيام بذلك.

كوني شجاعة، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي. كوني صادقةً مع نفسك على الأقلّ. كوني قويّة وواجهي الحقائق، وليس الأكاذيب التي قلت لك.

أفعلُ ما يطلبه الصوت منّي: أعود بالذاكرة إلى الوراء، وأفكّر، وأحاول أن أكون قويّة. هذا مؤلم، فقد كان هناك وقت؛ وقتٌ

طويل، حيث صدقت كل كلمة قالها الأب جون. قبل أن يتم نفي أمي، كنت أؤمن به وبالفيلق من كل قلبي، وإن جزءاً مني يفتقد - وسيفتقد دائماً - اليقين الذي رافق كل ذلك، والقوة والفخر الناجمين عن كون المرء جزءاً من شيء محق وصادق.

لكنني بعد ذلك أفكر في أمي، وفي نيت، وفي الصناديق، وفي الباب المغلق في قبو البيت الكبير. أفكر في أخواتي يركضن نحو رجال الحكومة والبنادق بأيديهن، وفي الطلقات الخمس، وفي ما وجدته، وفي ما فعلته.

أفكر في الدم وفي النار، وتنقبض معدتي. - «لا أعرف»، أقول في النهاية. «لم أحاول المغادرة أبداً. لذا أعتقد أنني لا أعرف على وجه اليقين».

يدون الدكتور هيرنانديز ملاحظة طويلة في أحد دفاتره لكن هذا - ولأول مرة على الإطلاق - لم يشعرني بالغضب. بدلاً من ذلك، ينتابني إحساس غريب بالارتياح، لأن الحديث عن كل هذا؛ عن لوك ونيت وهوني والإعلان الثالث، جعل كل شيء يبدو غير مستقر، كما لو أن الأرض تتحرك تحت قدمي - وإن رؤية الدكتور هيرنانديز يدون ملاحظاته عني رغم أنني جالسة أمامه تبدو مألوفة، مثل شيء يمكنني أن أفهمه.

- «ماذا حدث بعد مغادرة الناس؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «كان هناك احتفال»، أقول له.

- «بماذا؟».

- «احتفال بمناسبة الزواج. اتخذ الأب جون زوجته الثانية والثالثة في تلك الليلة».

- «تلك الليلة؟ في اليوم الذي أصدر فيه الإعلان الثالث؟»،

يسأل العميل كارلايل.

أومئ موافقة .

- «مَن كانت المرأتان المحظوظتان؟» .

- «بيلا وأغافي» .

- «هل كانت أيُّ منهما متزوَّجةً بالفعل؟» .

- «كانت كلتاها كذلك» .

- «وزوجاهما كانا لا يزالان هناك؟» .

أومئ برأسي مجدداً .

- «كيف استجابا لزواج الأب جون من زوجتيهما؟»، يسأل

الدكتور هيرنانديز . «ماذا فعلاً؟» .

ماذا تعتقد؟

- «لقد احتفلا معنا»، أقول له . «اصطحب الأب جون بيلا

وأغافي من الكنيسة إلى البيت الكبير، وأضاء الجميع الشموع ولحقوا بهم» .

- «هل تتخيلين بَمَ كان الزوجان يفكران في تلك اللحظة؟» .

- «أعرف تماماً بَمَ كانا يفكران»، أقول هذا لأنني أعرف حقاً،

دون أدنى شك . «كانا يصلّيان أن تخدم زوجتاها الأب جون على أفضل وجه» .

تغرق الغرفة في صمتٍ طويل فيما كان الواقع الذي أصفه يتغلغلُ داخل رأسيهما . وكالعادة، العميل كارلايل هو أوّل مَنْ يعثر على صوته مجدداً .

- «سيستغرق الأمر بعض الوقت كي يتمكّن رأسي من الإحاطة

بكل هذا . لذا إن كنتِ لا تمانعين، أودُّ أن نعود إلى لك . هل هذا مناسب؟» .

أومئ موافقة .

- «قلتِ أنه لم يكن هناك أيّ تداعيات من أيّ نوع لما حدث معكِ ومعه وهوني ونيت».

- «هذا صحيح».

- «أجد هذا صعب التصديق قليلاً، يا مونيم».

أعبس. «أنا لا أكذب عليك».

يرفع يديه بإيماءة «اهدئي»، فتتملكني رغبة مفاجئة في غرز أحد أقلام الدكتور هيرنانديز في عينه. «لم أقل إنك تكذبين. أنا لا أتهمك بأيّ شيء. أنا أتساءل فحسب إن كان قد حدث المزيد، إن كنتِ قد أغفلتِ شيئاً ما؟».

- «نيت لم يخبر أحداً، بحسب ما أعرف على الأقل. لوك أيضاً لم يفعل، وهوني كذلك الأمر. لذا لم يتدخل قادة السرايا في الأمر قط، ولم يتخذ أي إجراء رسمي».

يهزّ العميل كارلايل رأسه. «أنا لا أشكك في ذلك. ونيت، ألم يفعل شيئاً بنفسه؟».

- «لا».

- «وأنتِ؟».

أتردد.

يغمض عينيه نصف إغماضة. «مونيم؟ هل فعلتِ شيئاً؟».

أخبريهما، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. كوني شجاعة. أخبريهما ماذا فعلتِ...

مكتبة

t.me/soramnqraa

قبل

أنتظر حوالي أسبوع .

أنا لستُ غبيّة لدرجة تصديق أنّ لوك سيكون قد نسي ما حدث - أشكُّ أنّه سينساه يوماً، وأنا واثقةٌ تماماً من أنّه لن يغفر لي أبداً - لكنّ الظروف كانت أقوى منّي، لذا سيكون عليّ فقط أن آمل أنّ الأسبوع فترةً طويلة بما يكفي كي لا يكون ما حدث لا يزال يحتلُّ موقع المقدمة في رأسه .

فترةً طويلة بما يكفي كي يهدأ ولا يظل متأهباً .

كنّا نعيش في القاعدة منذ ثمانية عشر شهراً فقط حين توفي والدي . كان يعمل على ترميم جزء من السياج في الجهة الشمالية الغربية حين سقط أرضاً وحسب . هرعوا به إلى المركز الطبيّ في لايفيلد، لكنّه كان قد رحل . فحص الأطباء جسده وأخبروا أمّي والأب باتريك أنّه كانت ثمة مشكلةٌ في قلبه من النوع الذي ما كان يمكن لأحدٍ أن يعرف بأمرها . قالوا إنّ الأمر حدث بصورة فوريّة، والأرجح أنّه حتّى لم يشعر بشيء .

آمل أنّ تلك كانت الحقيقة .

حين صرثُ أكبر سنّاً، في السادسة أو السابعة ربّما، أعطتني أمّي صندوقاً من أشياء كانت تخصّه، أشياء اعتقدتُ أنّه كان ليريدني

أن أحصل عليها. جعلتني قبل أن تسلمني إياه أقطع وعداً بالآ أخبر أحداً أنني حصلت عليه. وعدتها بذلك، رغم أنني لم أفهم لم كان علي فعل ذلك.

كان في الصندوق زوج من السكاكين، وأصداف من الشاطئ في سانتا كروز، وما يبدو أنها صفحة عشوائية من يومياته، وصورة بالأسود والأبيض لوالديه، وساعة يد كان قد أوقفها على التاريخ والوقت اللذين وُلِدَتْ فيهما بالضبط. قرأت الصفحة من يومياته مئات المرات وتمعنْتُ كثيراً في الصورة لأتني لم أقابل يوماً أياً من أجدادي. لا أعرف حتى إن كانوا على قيد الحياة.

كان لزوج السكاكين نصلين قابلين للطّي، ومقبضين خشبيين كان أبي قد نقش عليهما رسمين لغروب الشمس ولونهما بالأصفر والأرجواني. إنهما سكينان صغيران، ونصلاهما قصيران وليسا حادّين جداً، لكنّ أحبُّ شعور الإمساك بهما في يدي. لا بدّ أنهما كانتا في يديّ والدي لساعات، وأنّه عمل بتؤدة على المقابض مستخدماً الأزاميل والفُرَش، لذا لطالما كان الإمساك بهما وسيلةً لأكون قريبةً منه.

أحاول أن أصفّي ذهني بينما أزلق السكّينين في جيب بنطالي وأتسلّل من غرفتي إلى الرواق الصغير وسط المبنى رقم 9. إنّه - الرواق - خاوٍ باستثناء ستّة أبوابٍ خشبيّةٍ بسيطة تفضي إلى ستّ غرف نوم متطابقة وصليبٍ بلاستيكيّ من النوع الذي يتوهّج في الظلام معلقاً على الحائط في نهايته. أمّي أيضاً عاشت هنا، في الغرفة المجاورة لغرفتي، وأشعر بغياها بينما أتجه نحو الباب الأمامي في نهاية الرواق - أشعر بغياها كما لو أنّه شيءٌ مادّي، شيءٌ ذو ثقلٍ وعمق. لا يفترض بي التفكير فيها لأنّ ذلك يعدُّ هرطقة، لكنّ قادة السرايا لا يستطيعون رؤية ما بداخل رأسي،

والأب جون لا يستطيع ذلك أيضاً. وهو أمرٌ جيّد لأنني لا أعتقد أنّه سيحبُّ الكثير ممّا يراه.

أعلم أنّ قادة السرايا لم يقفلوا الأبواب علينا هذه الليلة، لأنني كنتُ أستلقي مستيقظة لثلاث ساعات منذ إطفاء الأنوار، وكنتُ سأسمع صوت طقطقة الأقفال لو تمَّ إغلاقها. جاء أحدٌ ما لرؤية أليس منذ حوالي ساعة، ولففتُ رأسي بالوسادة إلى أن انتهيا. في بعض الأحيان يبذلان جهداً كي يكونا هادئين، وفي أحيان أخرى لا يتكبدان العناء.

يدور مقبض الباب في يدي، وأخرجُ بحذرٍ إلى أرض الصحراء. ما من قمرٍ هذه الليلة، وعندما لا يكون هناك قمرٌ في الصحراء، يكون الليل حالكاً حقاً، حالكاً لدرجة أنّه لا يمكنني رؤية شيء سوى الحدود الخارجية للفناء أمامي. أحتفظُ مثل معظم إخوتي وأخواتي بمصباح يدويٍّ صغير في حزامي، لكنني قرّرتُ إذ أقف في العتمة قرب المبنى رقم 9 وأرتجفُ برداً ألاّ أستخدمه. إنّه سيسهل الأمور بلا شكّ، لكنّه سيزيد أيضاً من احتمال أن يراني أحد ما. وأنا لا أريد أن تتمَّ رؤيتي.

أتجّه ببطءٍ شديد صوب زاوية الفناء الجنوبيّة الغربيّة، مسترشدة بضوء النجوم الخافت وببوصلتي الداخلية. المبنى الذي يهمني هو جزءٌ من صفٍّ يضمُّ أربعة مباني متطابقة، وإذا انتهى بي الأمر داخل المبنى الخطأ، فسوف أقضي الصباح في الاستجواب من قِبل قادة السرايا، وبعد الظهر داخل الصندوق.

أتسلّلُ حول الفناء، أبقى بعيدةً عن الإسفلت، وأركّزُ على ما يخبرنا به الأب جون دائماً حول المعركة النهائية: سوف تكونون هادئين، وسوف تكونون حذرين، وستضعون ثقتكم في الربّ، وسوف تكونون الغالبين.

هادئة. حذرة. غالبة.

ما خَطَطْتُ ليس قريباً بالحدِّ الأدنى ممَّا كان يقصده بنصيحته،
لكنني سأستغلُّ في الوقت الراهن أيَّ شيءٍ من شأنه أن يمنع قلبي
الخافق بشدَّة من القفز خارج صدري.

اهدئي. اهدئي. اهدئي.

أصلُّ إلى واجهة ما أعتقد - آمل - أنَّه المبنى رقم 12، وأقفُ
في الظلام الدامس بجانب الباب. آخذُ بضع لحظات وأنا أحاول
استعادة هدوئي رغم معرفتي أنَّ هذا قد يكون مضيعةً للوقت: إذا
أخطأتُ في هذا، فسأعرف في غضون بضع ثوانٍ، عندها لن يكون
مهمًّا على الإطلاق كم أنا هادئة.

آخذُ نفساً عميقاً، أحبسهُ، ثمَّ أزفُّره. أخرجُ سَكِّينِي أبي من
جيبِي، وأفتح نعليهما، وأديرُ ببطءٍ شديد مقبض الباب. أضع في
حسباني أن يكون الباب مقفلاً، أو أن يصدر صريراً يوقظ القاعدة
بأكملها، لكنَّه يفتح بهدوءٍ وسلاسة كما لو أنَّ المفصَّلات قد زُيِّتَتْ
للتو. أغمضُ عينيَّ للحظةٍ قصيرةٍ جدًّا، ثمَّ أخطو في الظلام.

المباني من 11 إلى 14 هي عبارةٌ عن مهاجع؛ مبانٍ طويلة من
غرفةٍ واحدة يضمُّ كلُّ منها ثلاثة من إخوتي، وهي متطابقةٌ تماماً من
الداخل والخارج، لذا ورغم أنَّني أستطيع رؤية صورٍ شبحية سوداء
لثلاثة أسرَّة مصطَفَّة عند الجدار الخلفي، فما زلتُ غير واثقة أنَّني في
المكان الصحيح. أحدِّقُ في الأسرَّة الضيقة محاولةً التنفُّس بصمتٍ،
وأنا أنتظر حتَّى تتكيَّف عيناَي، وبعد لحظةٍ بدت بلا نهاية، أرى ما
أبحثُ عنه.

واحدٌ من الأسرَّة الثلاثة خالٍ.

ليو، الصبي البالغ من العمر عشر سنوات، والذي يُفترض أن
يكون نائماً في ذلك السرير، أُصيب بالحمى صباح الأمس ونُقِلَ إلى

منزل جوليا وبيكي المجاور للكنيسة كي تتمكنّا من مراقبته. كانت جوليا طبيبة، وكانت بيكي طالبة طب حين تلقّتا دعوتهما إلى طريق الحقّ، وقد أنقذتا ما لا يقلُّ عن اثنتي عشرة حياة خلال عقدٍ من انضمامهما إلى فيلق الربّ.

سرير ليو خالٍ، وحيث يجب أن يكون تماماً.
هذا هو المكان.

أمشي على رؤوس أصابعي بمحاذاة الحائط، وأتوقّف بجانب السرير الأبعد عن الباب. يمكنني رؤية رأس لوك مستريحاً على الوسادة، وسماع قرقرة شخير الخفيضة. أحملق به، وأستجمع قواي لما أنا على وشك القيام به. ثمّ أجلس القرفصاء، وأضغط السكين في يدي اليسرى بقوة على حجرة لوك.

يرفرف جفناه، وتبدأ عيناه تفتّحان ببطء، ثم تنفتحان على اتساعهما جنباً إلى جنب مع فمه، لكنني أهرس في أذنه قبل أن يتمكن من قول شيء.

- «لا تصدر صوتاً، ولا تأتِ بحركة. سأقطع حنجرتك إن فعلت».

يحدّق في وجهي بذهول وانعدام فهم مطلقين، وأتساءل إن كان جزءٌ منه يفترض أنّه يحلم، فبالتأكيد ما من فتاةٍ ستجرؤ على التسلّل في منتصف الليل إلى غرفته كي تهدّده بسكين. ببساطة، أشياء من هذا القبيل لا تحدث لأولادٍ مثله.

- «سوف تُرسلين إلى الصندوق بسبب هذا، أيّتها العاهرة»، يقول هامساً. «سوف —».

أزلق السكين الأخرى تحت الأغطية وأضعها بين ساقيه. تجحظ عيناه في محجريهما، ويهدأ؛ يهدأ تماماً.

- «فقط إن عرف أحدٌ بالأمر»، أقول همساً. «وهذا لن يحدث أبداً، أليس كذلك؟».

هو يحدّق بي فحسب، وجسده متصلّب كالفولاذ.
- «أليس كذلك؟»، أسأله مجدّداً.

- «لن يحدث ذلك»، ينبع بصوتٍ يكاد لا يُسمع. «لن أخبر أحداً. فقط لا... أرجوك...».

- «إذا اقتربت من هوني ثانية، إذا نظرت إليها أو إلى أيّ من أخواتنا بطريقةٍ لا تعجبني، فسأتي إليك مجدّداً. وفي المرّة القادمة سأتركك تنزف مثل ثورٍ مخصيّ. هل تسمعي؟ هل أنا واضحةٌ معك تماماً؟».

تتجمّع الدموع في زوايا عينيه. ثمّ يومئ برأسه ببطءٍ ويحذرٍ شديد، وجلد رقبته يحتكُّ بنصل سكينٍ والذي.

- «جيد»، أهمس له. «أحلام سعيدة، يا لوك. الربّ طيّب».
أسحبُ السكّينين على نحوٍ متزامن، وأذرّعُ نصف المسافة عبر الغرفة قبل أن يدرك أنّهما لم تعودا هناك. أسمعُ حشرجةً بين التقيؤ والنحيب، لكنني أمضي قدماً عبر الباب وأتّجه عائدةً إلى الفناء من حيث أتيت، مجبرةً نفسي على تجاهل الأدرينالين الذي يتدفّق بقوةٍ عبر جسدي كي أتحرّك ببطءٍ وهدوء، ولا أفسد العمل الجيّد الذي قمتُ به.

بعد

- «التزمَ لوك بكلمته . لم يقل شيئاً لأحد، ولم يقترب من هوني ثانية»، أقول لهما .

- «هل كنتِ قلقة من أنه قد يسعى للنيل منك؟ من أنه سيريد الانتقام منك لما فعلته؟»، يسأل العميل كارلايل وهو ينظر إليّ بتعبير ينم عن فخرٍ شديد لا يسعني أمامه إلا أن أبتسم .

أهزُّ كتفي . «لقد فُكِّرْتُ في الأمر . لذا لم أذهب منذ اليوم إلى أي مكان دون السكّين في جيبي . فُكِّرْتُ أنه من الأفضل أن أكون آمنة بدلاً من أكون آسفة» .

- «هذا صحيح، هذا صحيح إلى أبعد حدّ»، يقول العميل كارلايل .

- «ماذا كان سيفعل قادة السرايا بك لو أخبرهم لوك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز .

- «لستُ متأكّدة»، أقول له . «أعلم أنّنا نحن الاثنين كنّا سنقع في ورطة، هو لأنه حاول خرق الإعلان الثالث مع هوني، وأنا لتهديد أحد أخوتي . لكنني لا أعرف كم كان الوضع ليكون سيئاً، أو على من سيقع الضرر الأكبر» .

- «هذا ما كنتِ تراهنين عليه؟»، يسأل العميل كارلايل . «أنه سيكون خائفاً جداً ممّا قد يحدث له إذا قام بالتبليغ عنك؟» .

أومئ موافقة. «كنت أعلم أنه لن يخبر أحداً».

- «المتنّمرون جناء. هل أخبرك أحدٌ بذلك؟».

أومئ ثانية.

- «من؟».

- «نيت»، أقول للعميل كارلايل.

تضيّق عينا الدكتور هيرنانديز بشكلٍ طفيفٍ جداً. «أعتقد أنه سيكون من الأفضل تجنّب الكثير من التعميمات. دعونا نلتزم بما يمكننا قوله بنوع من اليقين، هلاً فعلنا ذلك؟».

- «أنت الخبير»، يقول العميل كارلايل، لكنه يغمزني مجدداً، وأحاول جاهدة ألا أسمح لابتسامتي الصغيرة أن تتسع.

- «إذاً فقد اتخذت احتياطاتك في حال سعى لوك للنيل منك»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هل حاول فعل أي شيء؟».

أهزّ رأسي بالنفي.

- «ما سبب ذلك في رأيك؟».

- «لأنه كان مجرد حثالة متنمّر تبوّل في سرواله حين وقف أحدٌ

ما في وجهه أخيراً»، يقول العميل كارلايل.

يقطّب الدكتور هيرنانديز حاجبيه. «من فضلك، هذا لا يساعد مطلقاً».

- «آسف»، يقول العميل كارلايل، لكنّه ليس آسفاً على

الإطلاق. ملامحه تقول ذلك صراحة.

يتحقّق الدكتور هيرنانديز من ساعته. «لقد أخذنا الوقت. لا أريد أن أجعل من قول هذا عادة، لكنني أعتقد أنها كانت جلسة مثمرة للغاية. أمل أنك توافقيني الرأي، يا مونييم؟».

أعبسُ وأنظر إلى الساعة فوق الباب.

.11:47

لقد تحدّثت لساعتين تقريباً.

اللعنة.

- «آسفة. لم أنتبه للوقت»، أقول له.

- «لا تعتذري»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لقد أحرزنا تقدماً كبيراً هذا الصباح. لقد أثبتت بعض القضايا التي أودُّ أن أستكشفها أكثر، لكن يمكن لذلك أن ينتظر للغد. أمّا الآن، فاستمتعي بغدائك وحاولي الحصول على قسط من الراحة قبل جلسة التفاعل الاجتماعي».

- «سأحاول بالتأكيد»، أقول له.

تبتسم لي الممرضة هارو وهي تضع صينيّة مليئة باللزانيا والبطاطس المقلية، وتساألني كيف حال يدي. أقول إنّها بخير، فتومئ برأسها قبل أن تغادر الغرفة وتغلق الباب من ورائها. أتناول الطعام على مكثبي، وأحاول أن أتبيّن ما إذا كنتُ أشعر حقاً بتحسنٍ بسبب الأشياء التي قُلْتُها في جلسة الصباح أم أنّ عقلي يتحايل عليّ، كما حين تخبر أحداً بما يرغب في سماعه حتى لو لم يكن صحيحاً. تعود الممرضة هارو بينما لا أزال غارقةً في التفكير، وتخبرني أنّه حان موعد جلسة التفاعل الاجتماعي.

أحاول إذ نسير في الممرّ أن أحضّر نفسي لما سأقوله وأفعله إن لم يكن لوك موجوداً، ولما سأقوله وأفعله إن كان كذلك. كنتُ صادقةً حين قلتُ للدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل إنّني أشعر بالأسف حقاً تجاهه، بسبب نوع الحياة المؤلمة التي فُرضت عليه داخل الفيلق. لكنّ هذا لا يعني أنّي أثق به، أو أنّي سأكون غبيّةً لدرجة أن أعطيه ظهري.

ليس حتّى لثانيةٍ واحدةٍ.

تمسك لي الممرضة هارو باب غرفة العلاج الجماعي وأدخل عبره. أرى على الفور لوك يقف بمفرده عند الحائط البعيد، ويتحتم عليّ أن أحبس شهقة، فهذا الذي هناك لا يشبه لوك في شيء. إنه أشبه بجثة جُعِلت واقفة قسراً.

بشرته رمادية، وعيناه غائرتان وذاهلتان. يمكنني حتى من الجهة المقابلة في الغرفة رؤية يديه ترتعشان. هو لا ينظر إليّ إذ أدخل، ولا يرسل أية إشارة أنّ ثمة حياة وراء تينك العينين الخاويتين.

- «هو ليس ميتاً. لقد تأكدت من ذلك، هو يبدو كذلك فحسب»، تقول هوني وكأنّها تستطيع قراءة أفكاره. أعبس. «هذا ليس مضحكاً».

ترمقني بنظرة تجعلني أشعر بأنني تحوّلت إلى قزمة. «أعرف ذلك يا مونيم. لا شيء من هذا مضحك. هل تعرفين ماذا يحدث معه؟».

- «لا». أكره أن أكذب عليها، لكنني أظنّ أنّ الدكتور هيرنانديز محقّ - لن يكون مفيداً لبقيتهم أن يعتقدوا أنّه يتمّ إخباري بأشياء لا يخبرونهم بها.

- «أياً يكن الأمر، فهو لا يبدو جيّداً»، تقول لي. «وأنّ، كيف تبلين؟».

- «أنا بخير. وأنّ؟»، أقول لها.

- «أنا بخير، رغم أنّ الدكتورة كيلى بدأت تفقد اهتمامها بي إذ لم يبقَ لديّ شيءٌ أخبرها به وهي لا تعرفه بالفعل. أعتقد أنّها محبّطة لأنني لستُ أكثر تضرّراً ممّا أنا عليه».

- «لا يمكنك أن تفكّري هكذا حقّاً».

تبتسم لي. «لستُ كذلك. لكنّها تتّهد باستمرار عندما أجيب على أسئلتها. أعتقد أنّها تشعر بالملل منّي».

- «قد يكون هذا شيئاً جيداً»، أقول لها. «إن كانت تعتقد أنك على ما يرام، فربما تكونين أقرب للخروج من هنا». تهزُّ كتفها. «ربما، أظنُّ ذلك».

- «هل فكّرتِ بالأمر؟».

- «في الخروج من هنا؟».

أومئ برأسي.

- «نعم. لا أعرف كيف سيكون الوضع، وأحياناً أصاب بالذعر حين أفكّر بالأمر. لكنّه لا بدّ أن يكون أفضل من هذا الذي نحن فيه. وأفضل بكثير من المكان الذي كنّا فيه».

أومئ مجدداً.

أنا أصاب بالذعر أيضاً.

نجلس على الأرض مسندتين ظهرينا إلى الحائط، وننظر حولنا في الغرفة. معظم إخوتنا وأخواتنا يجلسون في مجموعاتٍ صغيرة يلعبون ويضحكون ويتحدّثون إلى بعضهم بأصوات منخفضة. لا أحد منهم يعير لوك أيّ اهتمام. مكتبة سُر من قرأ جيرمايا ورينبو جاثيان على أيديهما ورُكبهما، يحركان سيّارات السباق الصغيرة جيئةً وذهاباً على الأرض. يركبُ آخرون مكعّبات الليغو ويرسمون ويلوّنون وينقرون بحماسٍ على ألواح إلكترونية صغيرة فضيئة وتصدر أصواتاً. أخبرتني هوني أنّ أياً منهم لم يقترب من أيّ من هذه الألعاب خلال الجلسات الأولى، تلك التي جرت حين كنّ لا أزال مستلقيةً على سرير المستشفى. قالت إنّ لوك حذّرهم جميعاً من لمس أيّ شيءٍ قد جاء من الخارج. لذا فإنّ ما يحدث الآن في الغرفة يبدو نوعاً من التقدّم الحقيقي. لدى جيرمايا سيّارة خضراء، ولدى رينبو شاحنة إطفاء حمراء زاهية، وهما يصدران أصوات محرّكات بينما يدحرجانهما، ثم يغرقان في

الضحك إذ تصطدم السيارتان بين الفينة والأخرى. وينزل صوت ضحكهما برداً وسلاماً على قلبي.

تغلق أوروأ كتاب التلوين، وتذهب للانضمام إليهما.
- «هل يمكنني اللعب؟»، تسألهما.

يومي جيرمايا ورينو برأسيهما. تبتسم أوروأ، ثم تنبش داخل أحد الصناديق البلاستيكية، وتختار سيارة إسعاف باللونين الأحمر والأبيض، وتجلس بالقرب منهما. تبدأ السيارات الثلاث في الانزلاق ذهاباً وإياباً، وعجلاتها تصرُّ فوق الأرض، وضوضاء المحركات المزعومة أشبه بأزيز النحل. أجلس بجانب هوني في صمت، أنفجُ على الأطفال الثلاثة مع ابتسامة على وجهي.

يتحرَّك جيرمايا بسيارته إلى وسط الدائرة. وتبدأ لوسي ووينتر وراءه في غناء أغنية «كلُّ الأشياء مشرقة جميلة» بصوتٍ منخفض ورقيقٍ ورائع، فيستدير في مكانه كي ينصت. تدفع أوروأ سيَّارتها الإسعاف عبر قوسٍ عريض وتضرب بها السيَّارة الخضراء، ممَّا يجعلها تنزلق مبتعدة وصولاً إلى الحائط قرب باب الغرفة.

يلتفُّ جيرمايا نحوها وقد احمرَّ وجهه. «لَمْ فعلتِ ذلك؟».

تجفل أوروأ وتتسع عيناها. «نحن نلعب. أنا آسفة».

يشبُّ جيرمايا واقفاً على قدميه. «اذهبي وأحضريها!».

ينسحب اللون من وجه أوروأ، وتبدو وكأنَّها على وشك أن تنفجر بالبكاء، لكنها تنهض واقفةً ببطء.

تمطُّ هوني نفسها للأمام. «جيرمايا»، تقول بوجهٍ متجهَّم. «لقد قالت إنَّها آسفة. اهدأ».

- «لقد فعلتِ ذلك عمداً»، يقول جيرمايا، وقد أصبحت وجنتاه ورديتي اللون. «يجب عليها أن تذهب وتحضرها!».

على الجانب الآخر من الغرفة، أرى رأس لوك يستدير باتجاه الدراما الصغيرة الدائرة على الأرض في وسط الغرفة.

- «اهدأ»، تكرر هوني. «سوف تحضرها. لا حاجة بك للصراخ عليها».

- «يجب أن تحضرها في الحال!»، يقول جيرمايا.

تنظر إلينا أورورا بوجهٍ مثل قناع من البؤس. أستعدُّ للوقوف ونزع فتيل التوتر، لكنَّ هوني تضع يدها على كتفي وتنهض واقفة.

- «لا بأس»، تقول هوني. «أنا سأحضرها».

- «لا»، يقول لوك بصوتٍ مثل نقيقٍ خافت. «أوروا، افعلي ما يقوله لك جيرمايا».

تحدِّق به هوني. «لَمْ عليها أن تفعل ذلك، يا لوك؟ وَلَمْ تَظُنَّ أَنَّ هذا من شأنك؟».

يستدير لوك كي يواجهها. يبدو كما لو أنَّ نسيماً قوياً بعض الشيء يمكن أن يعصف به، لكنَّ شيئاً ما قد عاد إلى عينيه، نسخة باهتة من البريق الذي كان يسبب لي الفزع. ساد الصمتُ في الغرفة، وتوترت ملامح معظم إخوتنا وأخواتنا.

- «لقد اقترفتُ خطأً»، يقول لوك. «ينبغي بها أن تصحَّحه».

- «اقترفتُ خطأً؟»، تسأل هوني. «كانا يلعبان، يا لوك. إنها ليست بمسألةٍ عظيمة».

- «كلُّ شيءٍ هو مسألةٌ عظيمة»، يهمس لوك. «الطاعة أمر جوهريّ. الانضباط. هي تحتاج أن تتذكَّر مكانها الحقيقي».

تضيقُ عينا هوني. «وأين يقع بالضبط؟».

يستحيلُ وجه لوك عابساً. «إنها فتاة، يجب أن تفعل ما يُطلَب منها»، يقول وكأنَّه أكثر الأشياء بدهاءةً في العالم.

- «لأنَّك تقول ذلك؟».

يهزُّ لوك رأسه ببطء. «لا. لأنَّ الأب جون قال ذلك».

- «الأب جون ميت»، تقول هوني.

- «انتبهي إلى ألفاظك»، يقول لوك بصوتٍ بدأ يعلو ويعود إلى سابق عهده. «انتبهي إلى ألفاظك فحسب. النبي ارتقى، تماماً كما وعدنا دائماً بأنه سيفعل».

تقلُّبُ هوني عينيها. «أنت مغفلٌ، يا لوك. أنت غبيٌّ لدرجة أنك لا تستطيع أن ترى الحقيقة حتَّى حين تكون أمام عينيك مباشرة، لا تستطيع أن تفهم متى تمَّ الكذب عليك».

يندفع لوك مبتعداً عن الحائط، ويقف منتصباً، لكن مترنحاً بعض الشيء. «وماذا يجعلك هذا؟»، يقول بصوتٍ هادر. «من خدَمَ الشيطان؟ أم مجرد عاهرةٍ مهرطقة يجب أن تعرف متى تغلق فمها؟».

- «لوك»، أقول له. «أرجوك —».

ينظر إليّ، فتجمدُ الكلمات في حنجرتي بفعل ملامحه المتخمة بالكراهية.

- «فلتخبرني أنت يا لوك أيُّهما أكون»، تقول هوني بصوتٍ ثابت وشبه ودود، كما لو أنَّهما كانا يخوضان محادثةً ممتعة. «في الحقيقة، لم لا تخبر الجميع بما حدث عندما حاولت أن تجعلني أَلْمَسُك».

يتلاشى اللون الباهت الذي كان قد عاد إلى وجه لوك.

«اخرسي».

- «أخبر الجميع عن اليوم الذي ضبطتكَ فيه مونييم وأنت تحاول خرق الإعلان الثالث مع طفلةٍ في الحادية عشرة. أخبرهم كيف ضربك نيت تشايلدرس ضرباً مبرحاً وترَكَكَ على الأرض تبكي مثل فتاةٍ صغيرة».

- «اخرسي!»، يجأر لوك. «فلتغلقي فمك القذر!».

يندفع لوك للأمام بقبضتين مشدودتين، فأقفز عن الأرض وأعرقله بالإمساك به من خصره وتحويل مساره ليذهب متعثراً نحو الجهة الأخرى من الغرفة بينما هوني منكمشة على نفسها عند الحائط. يسقط لوك مرتطماً بالأرض ويتدحرج حتى يستقرّ مستلقياً على ظهره، وقد اختفت طاقة الغضب التي كانت قد حفّزته فجأة. يحدّق في السقف، لا شيء في وجهه سوى بؤس رهيب لا يمكن إدراكه، ويبدأ في البكاء. الصوت مروع - اختناق بالعبرات ونشيج يبدو وكأنّه قادمٌ من مركز روحه، وإذ يضع يديه المرتعشتين على وجهه، يُفَتِّح الباب ويدخل اثنان من الممرّضين الذكور إلى الغرفة. أحبس أنفاسي بينما يجثمان بجانب لوك، وأحضر نفسي لانفجارٍ جديد. لكنّه لا يحدث. بدلاً من ذلك، يرفعه الرجلان برفق ويساعدانه في الوقوف على قدميه والسير باتجاه الباب. لا يزيح لوك يديه عن وجهه، ولا يتوقف عن النحيب فيما يقودانه عبر الرواق. إنه محظّم. يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لا أحد يقول شيئاً.

أنظر إلى هوني، لكنّها لا تنظر في عينيّ. يُترك الباب مفتوحاً إلى أن يدخل الدكتور هيرنانديز عبره مع مصنّف في يده، وينظر في أرجاء الغرفة إلينا جميعاً. - «سوف نوقف هذه الجلسة عند هذا الحدّ»، يقول لنا. «إذا شعر أيُّ منكم أنّه يحتاج للتحدّث عمّا حدث للتوّ فسأكون وزملائي متاحين لبقية اليوم. سيكون طاقم التمريض معكم خلال دقيقة لاصطحابكم إلى غرفكم».

أستلقي على سريري وأحدّق في السقف. يقول لي الصوت في رأسي ألاّ أبكي وأضيّع دموعي الغالية على

لوك، لكن ثمة كتلة في حلقي بعرض ميل، والمياه المالحة تتجمّع في زوايا عينيّ، ولا أعرف ما إذا كنت سأتمكّن من إطاعة الصوت. لأطول وقت، أيّ في الغالبية العظمى من حياتي، كانت الصلاة لتكون هي ردّ فعلي على شيء فظيع كالذي حدث للتوّ، وكنت سأطلب من الربّ أن يعتني بلوك ويساعده على حلّ مشاكله. لا يزال جزء منّي الآن يرغب في الركوع وشبك يديّ معاً وإغماض عينيّ، لأنني ما زلتُ أتذكّر كم كان ذلك يشعرني بتحسّن. لكنّ تلك الأيام قد ولّت.

أعرف أنّ الصلاة لن تساعد لوك، ولن تساعدني، ولن تساعد أيّ شخصٍ آخر. لن تنفع في أيّ شيءٍ لعين.

بعد

- «نحن نعتني به»، يقول الدكتور هيرنانديز. وجهه شاحب، وعينه حمراوان وكأنه لم ينم كفاية. «نحن نفعل كل ما بوسعنا».
- أهز رأسه. «ليس هناك ما يمكنكم فعله».
- «أنا لا أؤمن بذلك، يا مونييم. ما من أحد خارج نطاق المساعدة»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «لكنّ لوك كذلك»، أقول له. «هذا ليس خطأه، لكنّها الحقيقة».
- «خطأ من إذا؟».
- «الأب جون»، أقول الكلمتين كما لو أنني أبصق. «لقد كان ينفث السمّ في أذنيّ لوك، ويملأ رأسه بالكراهية والرعب والظلمة. ما الفرصة التي كانت لديه؟».
- كانت لديه الفرصة أن يرتقي إلى يمين الربّ! يصرخ الأب جون في رأسي. الفرصة أن —
- أطرد صوته البغيض بكلّ ما أملك من قوّة، وأشعرُ بلذّة عنيفة تجتاحني إذ يغرق في الصمت.
- «لقد تعلّمت الأشياء نفسها»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «وكذلك هوني، وكلّ الأطفال الآخرين في الفيلق».
- «أعرف ما الذي تعلّمناه، لقد كنّا هناك»، أقول له.

- «لا جدال في أنّ لوك قد عاش حياةً فوضويّة، لقد استفحلت المشاكل القابعة تحت السطح بفعل البيئة المحيطة وتأثيراتها. لكنني أوّمن أنّه من الممكن مساعدته عبر ما نحاول فعله. ينبغي بي الإيمان بذلك».

- «أتمنّى أن تكون محقّقاً. أتمنّى ذلك من كلّ قلبي»، أقول له.
- «لكنك لا تعتقدين أنّي كذلك؟».
- «لا»، أقول له. «أعتقد أنّه محطّم».

ينظر في عينيّ لبرهة طويلة فلا أزيح عينيّ كما لو أنّها مبارأة في التحديق. لن أراجع في هذه النقطة، لأنني أعرف تماماً أنّي على حقّ. أتمنّى لو لم أكن على حقّ، لكنني كذلك.
أعلم أنّي كذلك.

ينقلّ العميل كارلايل نظره جيئةً وذهاباً بيني وبين الدكتور هيرنانديز، ثمّ يقول: «حسنٌ إذاً، أنتَ تفعل كلّ ما بوسعك، يا دكتور هيرنانديز، وأنتِ لا تعتقدين أنّ ذلك سيُفيد في شيء، يا مونيم، والجميع يأمل أن يكون لوك بخير. ماذا لو تحدّثنا عن شيءٍ آخر؟».

- «هذا جيّد بالنسبة لي»، أقول له.
يومئٍ الدكتور هيرنانديز برأسه. «أعتقد أنّها فكرةٌ جيّدة. فلنفعل ذلك. بالأمس أنهينا الجلسة مع إخبارك لنا بأنّ لوك لم يحاول أبداً أن ينتقم منك لما فعلته به».

أومئُ موافقةً.
أتردّد، لأنني كنتُ قد قرّرتُ بالفعل ما سأقوله لهما هذا الصباح. أعتقد أنّه الشيء الصحيح لفعله، كما أنّي متأكّدة تماماً من حاجتي لفعله، لكنّ التفكير في الاحتمالات المستقبلية ما زال يثير توتّري.

كوني شجاعة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي .
- «مونيم؟»، يقول العميل كارلايل . «هل جرّب لوك القيام
بشيء ما؟» .
أهز رأسي . «لم يحظَ بفرصةٍ أبداً . لقد بدأت الأحداث تتسارع
حقاً منذ ذلك الحين» .

قبل

شاهدتُ الجنازات على شاشة التلفزيون حين كان لا يزال يُسمَح لنا بمشاهدته، وأخبرني بعض من إختوتي وأختواتي عن الجنازات التي حضروها قبل أن يتلقّوا دعوتهم إلى طريق الحقّ. تبدو حزينّة حقّاً، تملؤها الملابس السوداء والدموع والناس الذين يتحدّثون بأصوات خافتة.

الجنازات داخل فيلق الربّ لا تشبه تلك الجنازات في شيء. ربّما يمكنني تذكّر نصف دزينة منها. ليس بالعدد الكبير نظراً للمدّة التي عشتُها داخل القاعدة وعدد الذين أتوا ورحلوا خلال تلك الفترة، لكنّ الحقيقة أنّ ذلك ليس مستغرباً نظراً لأنّ معظم أتباع طريق الحقّ يعثرون عليه حين يكونون صغاراً وأصحاء. يقول الأب جون إنّ الربّ لا يدعو إليه إلّا كلّ ذي نفع - رجالٌ ونساء أقوياء، أولئك الذين سيعملون بجدّ في سبيل مجده.

حين كنتُ أصغر سنّاً، سألتُ ذات مرّة أموس عن الجنازات، حدث ذلك بعد أن قمنا بدفنِ مارسيلو - أكبر أعضاء الفيلق الأصليين، وأوضح لي أنّ جنازات الغرباء حزينّة لأنّ الغرباء أنانيّون. هم يعلمون أنّهم لن يروا الشخص الذي مات مجدّداً - إلّا إذا انتهى بهم الأمر إلى احتلال نفس الركن من الجحيم - لذا فهم يبكون وينتحبون لأنّ هذا يجعلهم يفكّرون في نهاية حياتهم هم،

وهكذا فإنّهم في الحقيقة يكون على أنفسهم وحسب.
لا أعتقد أنّ أمّي ستوافق الرأي. لن أعرف أبداً، فلم أسألها
قطّ عندما كانت لديّ الفرصة لذلك.
على أيّة حال.

في الفيلق، نحن نحتفل بموتِ الجسدِ الفاني لأنّنا نفهم ما
حدث حقّاً: لقد ارتقى أخونا أو ارتقت أختنا، كي ينعم أو تنعم في
حضرة الربّ إلى أبد الآبدين. وإذا كنتَ تؤمّن بذلك، إذا كنتَ تؤمّن
به حقّاً - كما اعتدتُ أن أكون - فكيف يمكن لك أن تكون حزيناً؟
كيف يمكن ألا تكون سعيداً لأنّ شخصاً تحبّه قد سما وعلا إلى
حيث الفرح أبديّ؟

هو يومٌ جميل هذا الذي ندفن فيه هورايزون أخيراً؛ الهواء
دافئ، والنسيم عليل، والسماء زرقاء مشرقة ومتألّقة، كما لو أنّ
الربّ ارتأى أنّه من اللائق أن يعترف بوصول خادمه الأمين عبر خلق
لحظةٍ من الكمال لأولئك الذين خلّفهم وراءه.

أقفلَ قاعة السرايا الأبواب الليلة الماضية، كنتُ قد اغتسلتُ
وارتديتُ ملابسِي بالفعل، وجلستُ أنتظر حين سمعتُ وقعَ خطيٍّ
تتوقّفُ خارج باب غرفتي. ثمّة صوت طقطقة معدنيّة قبل أن يفتح
الباب على وجه بير يحدّقُ بي، وبدا وجهه المتغضّن شاحباً في ضوء
الصباح الباكر.

- «لقد رحل الأخ هورايزون»، يقول لي. «هل سمعتِ
بالأمر؟».

بقينا نحن الستّة في المبنى رقم 9 مستيقظات معظم الليل،
نستمع لسعال هورايزون ونحنحته يضعفان شيئاً فشيئاً، مدركات أنّه
يقترّب بشكلٍ مؤكّد من نهاية دربه. أخيراً، وقبل الفجر بوقتٍ قصير،
لفّ القاعدة صمتٌ عميق، وعرفنا أنّه قُضي الأمر.

- «سمعته يرحل»، أقول لبير. «الرب طيب».

- «الرب طيب. هيا بنا. حان الوقت لنقول له وداعاً».

أتبعه إلى الخارج. نحن لا نضيع وقتاً في دفن إخوتنا وأخواتنا، فما الفائدة من الانتظار؟ رحل الشخص الذي أحببناه، روحه وذكرياته وكل شيء كان عليه؛ كل ما تبقى هو الجسد المادي الذي سكنته تلك الأشياء.

يقصدُ إخوتي وأخواتي الفناء من كل اتجاه ويتجمعون أمام الكنيسة حيث وُضعت طاولة خشبية أسفل السلالم.

يرقد هورايزون فوقها، ويداه مشبوكتان على صدره.

عيناه مغمضتان، بشرته رمادية شمعية، لكنه يبدو في سلام تام لدرجة أن قلبي يخفق بالسعادة لفكرة أن معاناته قد انتهت أخيراً.

يخرج الأب جون ويسير باتجاهنا. إن رؤية الأب جون للمرة الأولى كل صباح هي في العادة لحظة عصبية، حيث يحدّد مزاجه الإيقاع المتوقع لليوم - إن كان الرب قد أعطاه بُشراً سيئة خلال الليل، نتوقّع عندئذ ساعات عمل إضافية ووجبات بسيطة للغاية، أما إذا منّ عليه الرب بسبب الفرح، فسوف يضيء يومنا ويمهّد الطريق أمامنا بالسعادة. لكن في هذا الصباح، ليس هناك ريبة أو توتر. الجميع بمن فيهم الأب جون مستعدّون لتوديع صديقهم.

يقف القادة الثلاثة المتبقّون - بير وأنجل ولونستار - على التوالي خلف الطاولة الخشبية. كان هورايزون واحداً منهم لما يزيد عن عقد، والألم الذي يعلو ملامحهم واضح لا لبس فيه. فرغم أن أخاهم قد ارتقى ورغم أنهم يعلمون علم اليقين أنهم سيرونها مجدداً حين تحلّ نهاية الزمان، إلّا أن الحزن ليس خياراً يتّخذه الشخص، بصرف النظر عمّا قاله لي أموس: إنه لا إراديّ، يطفو على السطح دون إذن منك، قادماً من مكان لا سيطرة لك عليه.

يضع الأب جون يده على كتف كل قائد سرية بدوره، ثم يقف أمامهم ويجول بنظره على الجماهرة الصامته لفيلق الرب.

- «إخوتي وأخواتي»، يقول بصوتٍ خفيض يرتعش على نحوٍ مقنع. «عائلي؛ أكثر من أحب على هذه الأرض. نجتمع معاً في هذا الصباح الجميل، تحت العينين العطوفتين للرب العظيم، للاحتفال بارتقاء أخينا. أعلم أن ثمة ألماً في قلوبنا، فنحن جميعاً بشر وجميعنا معييون، لكن هذا ليس وقتاً للمرارة أو الحزن. إن هذا لهو الوقت المناسب للاحتفاء برفعة الحياة التي قضاها على طريق الحق، إنه الوقت المناسب كي نشكر بكل تواضع الرب لدعوته خادمه الأمين أن يلتحق به. بالنسبة إلى هورايزون، لن يكون هناك مزيد من الألم. بالنسبة إلى أخينا المرتقي، لن يكون هناك شيء سوى الفرح المطلق والأبدي. الرب طيب».

يردد الحشد من ورائه بصوتٍ واحد. أنظر حولي وأرى عيوناً تتلألأ بالدموع، أرى إخوتي وأخواتي ممسكين بأيدي بعضهم ويتكى أحدهم على الآخر.

- «لقد رحل هورايزون عن هذا العالم»، يتابع الأب جون. «لكننا نعلم أنه بمرور الوقت فإن الرب سيدعو كل واحد منا إلى المكان الذي ستسنى لنا فيه رؤيته مجدداً، حيث سيكون كل إخوتنا وأخواتنا الذين ارتقوا في انتظارنا للترحيب بنا في مجد الرب. لا يأذن الرب لأي شخص بمعرفة متى ستحل ساعته، لكن قلبي واثق من أنها ستحل قريباً بالنسبة لنا جميعاً. أدعو الرب أن هذا ما سيحدث. وحتى يأتي ذلك اليوم المجيد، حيث تحل نهاية الزمان ونهزم الشيطان وكل واحد من خدمته، فسوف نفتفي الأثر الطيب لأخينا هورايزون. سوف نبقي أقدامنا على طريق الحق، وقلوبنا

مضاءً بنور الربّ، وسوف نخدم عظمته بكلّ إخلاص. صلّوا معي يا إخوتي وأخواتي».

يخفض الأب جون رأسه ويغمض عينيه. ويفعل الجميع بمن فيهم أنا الشيء نفسه في الحال، لكنني أفعل ذلك فقط لأنني أخاف إن لم أفعل أن ينتبه أحدٌ ما. أسمع مهمة الصلاة الخافتة في كلّ مكانٍ من حولي؛ صوتٌ اعتدتُ أن أشعر بالراحة لسماعه، وكأنّه يربطني بإخوتي وأخواتي ويثبتُ لي أنني لست وحيدة.

لكن لم يعد ذلك الصوت يريحني. لقد بات يغضبني وحسب منذ أن حدث لأُمّي ما حدث.

الأمر هو أنني لم أعد أعتقدُ أنّ كلّ هؤلاء الرجال والنساء من حولي يصلّون لأنّهم يريدون التحدّث إلى الربّ حقّاً. ربّما البعض منهم يفعل، لكن ليس جميعهم. الآن أوّمنُ بيقين تامٍّ أنّ البعض منهم يصلّون لمجرّد أنّ النبيّ طلب منهم ذلك، ولأنّهم يرتعدون خوفاً من عصيان أوامره.

- «الربُّ طيّب»، يقول الأب جون. ويكرّر الحشد الكلمتين اللتين يثّ أكرهما أكثر من أيّ كلمات أخرى، ثمّ يرفعون رؤوسهم. يتابع الأب جون وهو يجول بنظره على رعيّته قائلاً: «ثمّة مسألة بالغة الأهمية يجب الاعتناء بها. إنّها تتمحور حول مَنْ سيأخذ مكان أخينا كقائد سرّيّة في فيلق الربّ، مَنْ سيتحمّل المسؤولية العظيمة لإنفاذ كلمة الربّ على الأرض. لقد صليتُ طويلاً كي يمنّ عليّ بالنصح، وقد حصلتُ عليه هذا الصباح، في لحظة ارتقاء هورايزون بالضبط. وهو الدليل أنّ الربّ يرى كلّ شيء - كما لو أنّ هناك حاجةً للمزيد من الأدلّة - ويسمع كلّ شيء، ولا يكلف نفساً إلّا وسعها. الربُّ طيّب».

- «الربُّ طيّب»، يردّد الحشد.

أُبقي فمي مطبقاً بإحكام.

- «لم أفترض يوماً أنني على علم بما يجول في ذهن الربّ القدير»، يقول الأب جون بصوتٍ هبطت نبرته لتصبح دمدمةً خاشعة. «لقد خدمتُ الربّ بأفضل ما أملك من طاقة وإمكانات، وفعلتُ ما طلبه منِّي بلا تردّدٍ أو سؤال. إنّه لا نهائيّ الحكمة، وإرادته غير قابلةٍ للجدل، وهو قطعاً لا يخطئ».

يسكّت للحظات، تاركاً للترقّب أن يتعاضم. تنقبض معدتي إذ يهمس لي الصوت في مؤخرة رأسي: أنتِ تعرفين مَنْ سيكون. أنتِ تعرفين.

الصوتُ مخطئ - أنا لا أعرف من يكون القائد الجديد. أنا فقط أعرف مَنْ لا أريده أن يكون.

- «الربُّ لا يخطئ أبداً»، يكرّر الأب جون. «لذا فقد فوّض الأمر لي كي أعلن أنّ الربّ اختار نيت تشايلدرس ليخدم كقائد سرّيّة في فيلقه، من الآن وحتى اليوم الذي يرتقي فيه. أين أنتِ يا نيت؟». تسري برودة جليدية في عظامي.

يهمس الصوت في مؤخرة رأسي: لقد أخبركِ. لقد أوضح لكِ أنّه يفكر في نيت. أنتِ لم تصدّقيه فحسب.

أهزّ رأسي بالفرض، لأنّه لا يمكن لنيت أن يكون قائد سرّيّة. لا يمكنه ذلك. هو لطيفٌ ودمث، وهو صديقي وهذا ليس عدلاً. هذا ليس عدلاً وحسب.

كان هورايزون لطيفاً ودمثاً أيضاً. هل تفضّلين أن يكون القائد الجديد قاسياً وشديداً؟

تخترقني الكلمات مثل سكاكين حادة. أعلم أنّ الصوت على حقّ، وأنّ نيت سيكون قائد سرّيّة جيّد - إن كان هناك شيء من هذا

القبيل - لكنني لا أهتمُّ أبداً. لأنَّ هذا سوف يغيّر كلَّ شيء، ورغم أنَّه سيظلُّ لديّ هوني وأليس ورينبو والأخريات، إلّا أنّني لن أحظى به بعد الآن.

أنتِ لم تحظي به يوماً. لم يحدث ذلك أبداً.

- «نيت؟ أظهر نفسك، يا أخي»، يقول الأب جون.

يخفق قلبي ذعراً لدى التفكير في الأب جون وهو يغرز مخالبه عميقاً في نيت، ويدفعه بعيداً نحو قلب الفيلق الذي تلقاه الظلمة. أراه يحبس الناس في الصناديق، ويضربهم بعصيّ التأديب، وينزل بهم ألوان العقاب، وأشعر أنّي سأتقيّاً.

أريد أن أصرخ له كي يهرب قبل فوات الأوان، لكنني لا أفعل. بالطبع لا أفعل، لأنني جبانة.

ثمة جلبة في الجهة الشرقية من الفناء فيما الحشد يتفرّق كي يكشف عن وجود نيت هناك، وهو واقفٌ بارتياح، وفكّه بارزٌ للأمام، وعيناه الخضراوان مثبّتان على النبيّ.

- «أيّها الأخ نيت، تعال وقف مع زملائك قادة السرايا. لا تكن خائفاً»، يقول الأب جون.

لا يُحرّك نيت ساكناً. أشيح بنظري عنه في اللحظة المناسبة لأرى أوّل لمحة عبوس على جبين الأب جون.

- «ألم تسمعني، يا أخي؟»، يسأل الأب جون. «لقد باركك الربّ بشرفٍ عظيم. أنتَ لن ترفضه بالتأكيد؟».

- «أنا آسفٌ، يا أبت. لكنّ هذا بالضبط ما ينبغي بي فعله»، يقول نيت.

تصاعد جوقَةٌ من الأصوات المستنكرة عبر الحشد بينما تجحظ العيون دهشةً وتضرب الأيدي على أفواهٍ انفتحت بفعل الصدمة.

يغدو جبين الأب جون أكثر تغصّناً. «أجد نفسي مرتبكاً هنا. ألسنتُ أخاً مخلصاً في فيلق الرب؟ ألا تسلك طريق الحق؟».

- «أنا كذلك، يا أبتِ»، يقول نيت. «لكنّ هناك رجالاً آخرين هنا يستحقّون هذا الشرف أكثر منّي. هناك —».

- «هذا ليس قرارك لتتخذه!»، يزعقُ الأب جون وقد اشتعلتُ عيناه بغضبٍ مفاجئ فيما يخيم على الحشد صمت الموتى. «إنّها إرادة الربّ العظيم! هذا ما يطلبه منك، وأنت لا تختار أن تقول نعم أو لا، أنت تجثو على ركبتيك فحسب، وتحمله فيما تسبح بمجده الأبدي!».

لا يجيب نيت بشيء. هو يحدّق صامتاً في النبيّ وحسب.

- «أو ربّما أنت لستَ بمؤمنٍ صادق؟»، يقول الأب جون وقد تلاشى الغضب المفاجئ الذي اجتاحه بالسرعة التي وصل بها. «لربّما أنتَ مهرطقٌ أرسله الشيطان لزرع الفتنة بين المؤمنين؟ هل هذه حقيقة الأمر؟ إن كانت كذلك، فاعترف بخيانتك الآن، إذ لا يمكنني أن أتخيّل سبباً آخر يجعلك بكلّ صفاقة تهين الربّ الذي كرّس هؤلاء الرجال والنساء حياتهم لخدمته».

- «أنا لستُ مهرطقاً، يا أبتِ»، يقول نيت. «وإيماني كإيمان أيّ رجلٍ أو امرأةٍ من المجتمعين هنا. لذا أطلبُ أن يُسمح لي بالصلاة في هذا الشأن. سوف يرشدني الربّ، كما كان يفعل دائماً».

- «لقد أعلمتك بما يطلبه الربّ منك»، يقول الأب جون بصوتٍ بارد مثقلٍ بالخطر. «ألم يكن ذلك واضحاً؟ أم أنّك تشكّك في حقيقة ما أقول؟».

- «لا، يا أبتِ، لكنني أفضل أن أسمع ذلك منه»، يقول نيت. أحدهم يضحك.

أستشعرُ حركةً من حولي إذ يستدير الناس ليتبينوا مَنْ كان ذلك،
لكنني لا أحرّك عضلة في جسدي، فانتباهي مرَكَّزٌ بالكامل على الأب
جون. كنتُ قد رأيتُ النبيّ غاضباً في مناسبات أكثر ممّا يمكن أن
أحصي، لكنني لم أر يوماً ما كان يضطّرم في عينيه وهو يحدّق في
نيت.

شكّ.

خوف.

وفي تلك اللحظة، شيءٌ ما كان فهمي له ضبابياً لفترة طويلة
أصبح فجأةً شديد الوضوح.

إنّ الأب جون متحدّثٌ قويّ بصورةٍ مخيفة، رجلٌ يتمتع بجاذبيّة
هائلة تكاد تكون منوّمة. هو قادرٌ على إظهار اللطف العظيم والغضب
المرعب - خلال نفسٍ واحد في الغالب - وإنّ معرفته بالكتاب
المقدّس لا مثيل لها. ولاء قادة السرايا له تامّ، وسلطته مطلقة،
وإخوتي وأخواتي يحبّونه ويخافونه بنفس القدر.

لكن لا شيء من كل هذا هو السبب في أنّهم يفعلون ما يقوله
لهم، ويطيعون أوامره دون سؤال.

إنّ سلطة الأب جون وقوّته تأتيان من اعتقادٍ جوهريّ يشكّل
قلب الفيلق النابض وهو: أنّ صوته معادِلٌ أساسيٌّ لصوت الربّ.
من دون هذا الاعتقاد، لن يكون هناك سببٌ لإطاعة أحكام
النبيّ.

من دون هذا الاعتقاد، لن يكون قادة السرايا أكثر من متنمّرين
يضربون ويعاقبون العصاة.

من دون هذا الاعتقاد، سينهار كلُّ شيء.

ونيت تحدّاه أمام الجميع.

- «لَكَ أَنْ تَصَلِّيَ بِهَذَا الشَّأْنِ لِيَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، يَقُولُ الْأَبُ جُونُ،
وَأَرَى فِي عَيْنِهِ أَنَّهُ يَفْهَمُ كَيْفَ أَصْبَحْتُ الْأُمُورَ مَتَزَعِزَعَةً وَغَيْرَ مُسْتَقَرَّةً
بِصُورَةٍ مَفَاجِئَةٍ. «خِلَالَ ذَلِكَ الْوَقْتِ، لَا شَكَّ لَدَيَّ فِي أَنَّكَ سَتَتَوَصَّلُ
لِرُؤْيَا الْحَقِيقَةِ الَّتِي أَخْبَرْتُكَ بِهَا. أَنَا وَأَنْتَ نَعْلَمُ أَنَّ الرَّبَّ لَا يَخْطِئُ
أَبَدًا، وَالْجَمِيعُ هُنَا يَعْلَمُونَ أَنَّ هَذِهِ هِيَ الْحَقِيقَةُ، وَلَسَوْفَ تَثْبُتَ
صَحَّتُهَا مَرَّةً أُخْرَى. لَكِنْ تَدْخُلِي فِي عِلَاقَةٍ أَخْ بِخَالِقِهِ لَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ
مِنْ أَنْ أُرْمِيَ بِهِ مِنْ فَوْقِ السِّيَاحِ كَيْ يَتَغَذَّى الْغُرَبَاءُ عَلَى لَحْمِهِ. إِذَا
كُنْتُ بِحَاجَةٍ إِلَى أَنْ تَحُوزَ الْمَعْرِفَةَ بِوَتِيرَةٍ أَبْطَأَ، فَهَذَا الْعَبءُ عَلَيْكَ،
وَعَلَيْكَ وَحْدَكَ. سَوْفَ نَسْمَعُ إِجَابَتَكَ فَجَرِ الْغَدِ، رَغْمَ أَنَّي لَا أَشْكُ
مَاذَا سَتَكُونُ. الرَّبُّ طَيِّبٌ».

- «الرَّبُّ طَيِّبٌ»، يُوَافِقُ الْحَشْدُ.

يَوْمَئِذٍ الْأَبُ جُونُ بِرَأْسِهِ. «إِلَى الْغَدِ إِذَا».

يَمْشِي بَضْعَ خُطَوَاتٍ إِلَى الْأَمَامِ، يَضَعُ يَدَهُ عَلَى صَدْرِ هُورَايزُونِ
وَيَغْمُضُ عَيْنَيْهِ. يَتِمَّتْ صَلَاةٌ قَصِيرَةٌ صَامِتَةً، ثُمَّ يَسْتَدِيرُ وَيَمْضِي عَائِدًا
إِلَى الْبَيْتِ الْكَبِيرِ دُونَ أَنْ يَنْبَسَ بَيْنَتْ شَفَةِ.

لَا يَحْرُكُ أَحَدٌ سَاكِنًا لِبَرْهَةٍ طَوِيلَةٍ. ثَمَّةُ حَالَةٍ غَرِيبَةٍ مِنَ التَّوَتَّرِ
الْجَمْعِيِّ تَمْلَأُ الْفَنَاءَ، كَمَا لَوْ أَنَّ الْجَمِيعَ يَحْبِسُونَ أَنْفَاسَهُمْ. يَنْظُرُ
الْقَادَةُ الثَّلَاثَةُ الْمَتَبَقُّونَ إِلَى بَعْضِهِمُ الْبَعْضَ، وَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُمْ لَيْسُوا
مُتَاكِّدِينَ مِمَّا يَفْتَرِضُ بِهِمْ فَعَلُهُ الْآنَ. ثُمَّ كَانَ آمُوسُ هُوَ الَّذِي كَسَرَ
حَاجِزَ الصَّمْتِ أَخِيرًا.

- «حَسَنٌ»، يَصْرُخُ آمُوسُ. «أَحْسَبُ أَنَّنَا وَقَفْنَا هُنَا لَوْقَتٍ أَكْثَرَ
مِنْ كَافٍ بِالنِّسْبَةِ لَصَبَاحٍ وَاحِدٍ. سَتَجْرِي مَرَّاسِمُ دَفْنِ هُورَايزُونِ قَبْلَ
الْغَدَاءِ، وَهَذَا يَعْطِي لِمَنْ يَرْغَبُ فِي اخْتِذَا لِحِظَةٍ كَيْ يُوَدِّعَهُ بِصُورَةٍ
شَخْصِيَّةٍ بَضْعَ سَاعَاتٍ لِلْقِيَامِ بِذَلِكَ. لَكِنْ حَالِيًّا، ادْخُلُوا الْقَاعَةَ لِتَنَاوُلِ
الْإِفْطَارِ، ثُمَّ لِيَذْهَبِ كُلُّ مَنْكُمُ إِلَى عَمَلِهِ».

يتفرَّق الحشد ويبدأ الجميع يتحرّكون في كلِّ اتّجاه. أرى بطرف عيني إخوتي وأخواتي وهم ينتشرون، لكنّني لا أنظر إليهم مباشرة. لم يتحرّك نيت قيد أنملة. هو يقف في مكانه قريباً من طرف الفناء، وجهه شاحب، وعينه شاخصتان إلى الأسفلت. كثيرون تحدّثوا إليه وهم يغذّون السير نحو قاعة جنود الفيلق، لكنّه لا يعطي أيّة إشارة تدلُّ على أنّه يسمعهم. يبدو غارقاً في التفكير - أو الصلاة ربّما - حتّى أنّه لا ينظر في اتّجاهي بينما أقترُب منه.

- «نيت؟».

لا شيء.

- «نيت؟»، أكرّر وأمسك بذراعه. يجفل ويتراجع وقد اتّسعت عيناه بنظرة تفتقر للتركيز، ثمّ يبدو بعد لحظة أنّه يتعرّف عليّ، ويرسم لي ابتسامة صغيرة.

- «مونيم»، يقول لي. «أذهبي لتناول الإفطار. لا تحتاجين أن يراك أحدٌ تتحدّثين إليّ الآن».

- «ماذا تفعل، يا نيت؟»، أسأل وأبقي صوتي منخفضاً. «لم قلت تلك الأشياء؟».

يهزُّ رأسه. «لا تريد أن تعرفي. فقط ثق بي إن كنتِ تستطيعين. كلُّ شيء سيكون على ما يرام».

- «متى؟»، أسأله. «لا شيء من هذا على ما يرام، يا نيت. لا شيء منه».

- «أعرف»، يقول لي، والألم الذي يعتري ملامحه يدفع قلبي للتحبّط بعنفٍ داخل صدري. «أعرف، وأنا آسفٌ لذلك. أذهبي لتناول الإفطار، وإذا تحدّث إليك أيُّ شخصٍ بشأن ما فعلته فأطلقني عليّ لقب المهرطق، أو أخبريهم أنّك تعتقدين أنّي ربّما أكون الشيطان بعينه. فقط لا تدافعي عني، يا مونيم. أرجوك لا تفعلي».

أشعرُ بالدموع تتجمّع في عينيّ، فأغمضهما معيدةً إيّاهما من حيث أتت. «ما الذي تتحدّثُ عنه؟ لمَ لا تخبرني بما يجري؟».

- «سأعثر عليكِ لاحقاً إذا استطعت»، يقول لي بصوتٍ أعلى من الهمس بقليل. «لكنّني أريد منك أن تخرجي كلّ هذا من رأسك وأن لا تفكرّي بأيّ منه، هذا لمصلحة كلينا».

- «كيف يُفترض بي أن أفعل ذلك؟».

- «حاولي. حاولي بأقصى ما تستطيعين. وإن لم تقدرِ على ذلك حقّاً، فاكذبي. فقط لا تُقدمي على ارتكاب أيّة حماقة، اتّفقنا؟ أرجوك، يا مونييم».

أفتحُ فمي لأقول شيئاً آخر، لكنّ نيت يستدير قبل أن أتمكّن من صياغة كلمةٍ واحدة وينطلق نحو المبنى رقم 7 حيث ينام. أقف على طرف الفناء الذي أصبح فارغاً فجأة، أراقبه يذهب، وأحاول تجاهل ما يقوله لي الصوت في مؤخّرة رأسي.

لن تربّنه ثانيةً قطّ.

بعد

- «أنا آسف»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أعبسُ. «لأجل ماذا؟».

- «لأجل هورايزون».

- «لماذا؟ أنتَ لم تعرفه قط».

- «أفهم ذلك»، يقول لي. «أنا آسفٌ لأجلِك يا مونييم. آسفٌ

لأنك خسرت شخصاً تهتمين لأمره».

- «أوه، شكراً لك»، أقول وأشعر بدفءٍ رقيق يغمر وجهي.

- «أنتِ على الرحب»، يقول لي. «كان ثمّة شيءٌ أردتُ أن

أسألك عنه بالأمس، بعد أن أخبرتنا عن مرض هورايزون. مَنْ دفع

تكاليف ذهابه إلى المستشفى؟».

- «ماذا تعني؟»، أسأله.

- «مقابلة الأطباء تكلفُ مالاً. وإنَّ جعلهم يجرون الاختبارات

التي تخبر شخصاً ما أنّه مصابٌ بالسرطان تكلفُ أموالاً أكثر بكثير».

- «لا أعرف»، أقول له. «لا بدّ أن الأب جون أعطى آموس

بعض المال قبل أن يغادر».

- «هل سبق أن رأيتِ المال داخل القاعدة يوماً؟ ربّما في البيت

الكبير؟».

أهزُّ رأسي بالنفي.

- «هل كان آموس يأخذ مالاً معه إلى لايفيلد بعد ظهر يوم الجمعة؟» .

- «لا بدّ أنّه فعل» .

- «لكنّك لم تري ذلك بأمّ عينك أبداً؟» .

- «لا» .

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه . «حسنٌ، فلنمضِ قدماً . أريد أن أسألك عن شيءٍ قد تجدينه مزعجاً . لا بأس في ذلك؟» .

وكان رأيي بهم في شيء .

- «هذا يعتمد على ماهيّة الشيء الذي ستسأل عنه» .

يومئ برأسه . «أخبرتنا بالأمس أنّ هورايزون كان رجلاً صالحاً . كنت مصرةً على ذلك . كما أنّك أشرتِ إليه للتوّ بكونه لطيفاً ورقيقاً» .

أعبس مجدّداً . «وماذا في ذلك؟» .

- «أتساءل لمّ بقي بعد أن تولّى الأب جون السيطرة على الفيلق، إن كان حقاً رجلاً صالحاً»، يقول الدكتور هيرنانديز .

- «لقد أحبّ الفيلق . أحبّ إخوته وأخواته، وقد بادلوه الحبّ»، أقول له .

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه . هو لا يقول شيئاً، وأعرف أنّه يأمل أن يدفعني بصمته للاستمرار في الحديث . لا أريد أن أمنحه ما يرغب به، وأن أقع في هذا الفخّ الواضح جدّاً، لكنّ الغضب بداخلي مثل بركانٍ تتصاعد حممه ويهدّد بالانفجار في أيّة لحظة، ولا أعتقد أنّي سأتمكّن من التحكّم بنفسي .

- «ماذا تريد منّي أن أقول؟»، أسأله . «أنّ بقاءه بعد التطهير يجعل منه شرّيراً، أو نوعاً من الوحوش؟ لن أقول هذا، لأنّ بقاءه لم يجعل منه شيئاً كهذا . إنّها الحقيقة آنذاك والآن» .

- «لَمْ أَخْبِرْكَ أَنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّوَابِ أَنْ تَتَصَوَّرِي جَوْعاً لثَلَاثَةِ أَيَّامٍ
بَعْدَ أَنْ غَادَرْتَ مَوْقِعَكَ فِي نُوبَةِ الْحِرَاسَةِ؟»، يَسْأَلُ الدُّكْتُور هِيرِنَانْدِيزُ .
- «تِلْكَ كَانَتْ وَظِيفَتُهُ» .

- «مِثْلَمَا كَانَتْ وَظِيفَتُهُ أَنْ يَحْبِسَ شَانْتِي فِي صَنْدُوقٍ مَعْدِنِيَّ حَتَّى
أَصْبَحَ شَبَهَ مَيِّتٍ؟» .
- «نَعَمْ» .
- «حَسَنٌ» .

يَتَحَوَّلُ الْغَضَبُ الَّذِي كَانَ يَتَصَاعَدُ بِدَاخِلِي إِلَى إِحْبَاطٍ رَهِيْبٍ
وَمُعْجَزٍ، فَأَوْشَكُ عَلَى الْبُكَاءِ فَجْأَةً . لَمْ يَكُنْ هُورَايزُونُ مِثَالِيًّا، لَمْ
يَكُنْ حَتَّى قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، لَكِنَّهُ كَانَ لَطِيفًا، وَكَانَ يَلْعَبُ مَعَنَا وَلَمْ
يَشْتَكِ أَبَدًا، وَكَانَ الْجَمِيعُ يَحِبُّهُ . أَنَا أَحْبَبْتُهُ . أَحْبَبْتُهُ حَقًّا .
- «لَمْ تَفْعَلْ هَذَا؟ لَمْ تَرِيدُ أَنْ تَجْعَلَ مِنْهُ شَخْصًا سَيِّئًا؟»، أَسْأَلُهُ .
يَجْفُلُ الدُّكْتُور هِيرِنَانْدِيزُ . «لَيْسَتْ هَذِهِ نِيَّتِي . أَنَا أَحَاوِلُ الْإِشْتِبَاكَ
مَعَ افْتِرَاضَاتِكَ كَيْ أَجْعَلَكَ تَنْظِرِينَ إِلَى أَشْيَاءٍ مَعِيْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مُخْتَلِفَةٍ .
لَا أَشْكُكَ فِي مُشَاعِرِكَ تَجَاهَ هُورَايزُونِ، وَلَا أَحَاوِلُ تَقْوِيضِهَا . أَنَا
أَحَاوِلُ أَنْ أُرِيكَ مَنْظُورًا آخَرَ لِلْأَمْرِ فَحَسْبُ» .
- «كُنْتُ أَحْبَبُهُ»، أَقُولُ لَهُ .
- «أَعْرِفُ أَنَّكَ كَذَلِكَ» .

أَهْزُ رَأْسِي . «لَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَعْرِفُ . لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ لَمَّا حَاوَلْتَ
إِفْسَادَ ذِكْرِيَّاتِي وَتَسْمِيْمَهَا . هَلْ كَانَ هُورَايزُونُ رَجُلًا طَيِّبًا فِي الْعَمَقِ؟
لَا أَعْرِفُ . وَهَذَا لَا يَهْمُ فِي شَيْءٍ الْآنَ . إِنَّهُ مَيِّتٌ، فَلَمْ لَا تَدْعُنِي
أَتَذَكَّرُهُ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي أُرِيدُ؟ كَيْفَ يُمْكِنُ لِهَذَا أَنْ يَضُرَّ أَحَدًا؟» .

يَمِيلُ الْعَمِيلُ كَارْلَايِلُ لِلْأَمَامِ فِي كُرْسِيِّهِ وَيَنْظُرُ إِلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ
بِقُرْبِهِ . يَحَدِّقُ الدُّكْتُور هِيرِنَانْدِيزُ بِي لِبْرَهَةٍ طَوِيلَةٍ، ثُمَّ يَطْرُقُ بِرَأْسِهِ .
- «أَنْتِ عَلَى حَقٍّ . أَنَا آسَفٌ»، يَقُولُ لِي .

يجدر بك أن تكون كذلك.

أخذ نفساً عميقاً. «لا بأس».

يهز رأسه. «كلّا. ليس لي أن أفرض آرائي حول فيلق الرب وأعضائه. سأحاول ألا أفعل ذلك مجدداً».

فلتحاول بجّد.

- «لا بأس»، أكرّر له. «هلاً تحدّثنا عن شيء آخر؟».

- «فكرة جيّدة»، يقول العميل كارلايل. «مثل ما رأيته على وجه جون بارسون حين قال له نيت تشايلدرس لا».

- «بالتأكيد».

- «لقد أخبرتنا عن أولئك الذين غادروا فيلق الرب بعد الإعلان الثالث على سبيل المثال»، يقول العميل كارلايل.

- «صحيح».

- «وقد تركهم بارسون يذهبون».

أومئ موافقة.

- «لم تعتقدين أنّ هذه كانت حالةً مختلفة؟ يمكن اعتبار مغادرة الناس لأنّهم لا يريدون اتّباع قواعده بمثابة رفضٍ لسلطته. لم إذاً تعتقدين أنّ رفض نيت تشايلدرس أن يكون قائد سرّيّة كان ليخيفه؟».

أمعن التفكير في هذا لوقتٍ طويل. «لم تكن الحالتان متشابهتين»، أقول له. «حين غادر الناس، أمكن للأب جون أن يخبرنا ببساطة أنّهم يغادرون لأنّ إيمانهم لم يكن قوياً بما يكفي، وأنّهم لم يكونوا صادقين ولا يستحقّون أن يكونوا جزءاً من الفيلق. هذا جعل أولئك الذين بقوا يشعرون أنّهم مميّزون، كما لو أنّهم كانوا أقوى من أولئك الذين رحلوا».

- «فلماذا كان ما فعله نيت مختلفاً؟».

- «لأنّه جعل الأب جون يبدو...»، أتوقّف بحثاً عن الكلمة الصحيحة. «... ضعيفاً. لا، ليس ضعيفاً. غير معصوم. جعله يبدو غير معصوم عن الخطأ».

- «كيف ذلك؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «معظم أعضاء الفيلق اعتقدوا أنّ الأب جون كان نبيّاً حقيقياً. لقد آمنوا أنّه كان حقّاً على اتّصالٍ مباشرٍ بالربّ، وأنّهما يتحدّثان بلسانٍ واحد. لذا حين أعلن أنّه وقع الاختيار على نيت ليكون قائد سرّيّة جديد ورفض هذا الأخير، لم يتبقَّ عندئذٍ سوى خيارين. إمّا أنّ الربّ كان على خطأ —».

- «أو أنّ الأب كان كذلك»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أومئ موافقةً بينما يتسم العميل كارلايل لي. «كان هناك البعض - أموس، جاكوب، لوك، وقلةٌ آخرون - ممّن اعتقدوا على الأرجح أنّ الربّ هو الذي أخطأ. لكن ليس الجميع بالتأكيد».

- «إذاً أنتِ تعتقدين أنّه رأى إمكانية أن يشكّك الناس به مستقبلاً؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «أظنّ ذلك»، أقول له. «كما أظنّ أنّ ما حدث جعله يدرك أنّ لديه مشكلةٌ في نيت نفسه».

- «ماذا تقصدين؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «لأنّ نيت إذا لم يقف في الصباح التالي ليقول إنّّه غيرَ رأيهِ وإنّ الأب جون كان على حقّ، وإنّه فخورٌ بقبول شرف أن يكون قائد سرّيّة، فإنّ الأمر كان سيبدو سيئاً حقّاً».

- «أعتقد أنّك محقّةٌ تماماً. ما الذي حصل إذا؟»، يقول العميل

كارلايل.

قبل

إذ أحلم بمياه زرقاء، دافئة، ومغرية، يهزّني شيءٌ ما ويوقظني. يتفتّت الحلم وينطفئ، وأفتح عينيّ فيما لا أزال مستلقيةً على سريري وشبح شخصٍ ينحني فوقني في الظلام، ويده ممسكةٌ بكتفي. - «أمي؟»، أقول لأنّ عقلي لا يزال في ذلك الفضاء المبهم بين النوم واليقظة.

- «هذا أنا، نيت»، يقول همساً. «أبقي صوتك منخفضاً».

- «نيت؟ ما الذي تفعله هنا؟».

- «ليس هناك وقتٌ للشرح»، يقول نيت. «سوف يأتون للنيل مني، ويجب أن أرحل قبل أن يتمكّنوا من ذلك».

أجلس في السرير، ويصفو ذهني على نحوٍ مباغت كما لو أُلقي عليّ دلوٌ من الماء. يمكنني رؤية هيئة نيت جاثمة عند حافة سريري تقريباً.

- «ترحل؟ إلى أين؟ ما الذي تتحدّث عنه؟».

يهزُّ رأسه. «هذا لا يهمّ. سوف تسمعين بعض الأشياء عني، يا مونيبيم. أشياء سيقولون إنني فعلتها. لكن عليك ألا تصدّقيها، اتّفقنا؟ هلاً فعلت هذا من أجلي؟».

تسري قشعريرة عبر ذراعيّ. «أيّ أشياء؟ ما هذا، يا نيت؟ ما الذي يحدث؟»، أسأل، وفي صوتي نبرة توسّلٍ يائس.

- «أنا لستُ مَنْ تعتقدين»، يقول بصوتٍ منخفض وبه شيءٌ من الاختناق، كما لو أنَّ الكلمات تسبَّب له الألم. «لكنني لم أكذب أبداً إلا بالحدِّ الضروري. تذكّري ذلك، اتّفقنا؟ عِديني أنكِ ستذكّرين ذلك».

أهزُّ رأسي. «أنا لا... ما الذي...».

يمسك كتفي بقوة أكبر. «أصغي إليّ. أنتِ فتاةٌ رائعة، يا مونيم، أنتِ قويّةٌ وذكيّةٌ وشجاعة، وأنا فخور بأنني كنتُ صديقك. لكنني لن أكون قادراً على حمايتكِ بعد الآن. لذا ابقِي دائماً على مقربةٍ من الأب جون. لا تدعيه ينسى أنكِ منذورةٌ له، لا تدعي أيّ أحدٍ ينسى ذلك. وابتعدي عن لوك، إنّه خطر».

أحملك في الظلمة. ماذا يعني بأنّه لن يكون قادراً على حمايتي بعد الآن؟ أنا لم أطلب منه يوماً أن يحميني من أيّ شيء.

- «أنتِ تخيفني، يا نيت»، أقول له.

- «أعرف. أعرف وأنا آسف لذلك. لكن أريد منك أن تصغي إليّ جيداً. ليس لدينا الكثير من الوقت».

تسارع نبضات قلبي كثيراً، لكنني أحاول إجبارها على الإبطاء حتّى لا يملّكني الذعر بالكامل. «أنا مصغية».

- «جيد»، يقول ويضع في يدي غرضين ويضغط عليهما بداخلها. «خذي هذين. أخفيهما في مكان لا يمكن لأحدٍ أن يجدهما فيه».

أمد يدي الأخرى نحو المصباح اليدوي على المنضدة قرب سريري، لكنّه يمسكُ بها ويشدّها بقوة.

- «لا ضوء»، يهمس لي. «لا أظنُّ أنّهم يعرفون بأمر مغادرتي لغرفتي، لكن لا يمكنني أن أكون متأكّداً من ذلك».

يُرخي نيت قبضته عن يدي، وأمرّرُ أصابعي فوق الغرضين.

أحدهما أملس وصغير ومستطيل الشكل، والآخر كأنه كيسٌ بلاستيكيّ وبداخله شيءٌ حادّ.

- «ماذا يكونان؟»، أسأله.

- «في الكيس يوجد مفتاح رئيسيّ. سوف يفتح أيّ بابٍ في القاعدة بأكملها. أيّ بابٍ، يا مونيم. هل تفهمين ما أقوله لك؟».

تملأ رأسي صورة الباب المعدنيّ في قبو البيت الكبير، هناك حيث يُحتفظ بالأسلحة.

- «نعم، أنا أفهم»، أقول له.

- «الشيء الآخر هو هاتفٌ خلويّ»، يقول نيت، وأشهق في الظلمة من هول الصدمة، فيسكتني نيت في الحال. لم أقصد ذلك بالطبع، لكنني لم أستطع منع نفسي لأنّ الهواتف ممنوعةً منعاً باتاً. الهواتف الوحيد في القاعدة - حسب ما أعرف على الأقلّ - داخل صندوقٍ مغلق في البيت الكبير، وقد تمّ استخدامه مرّتين فقط على ما أذكر: الأولى للاتّصال بسيّارة إسعاف بعد أن تعرّضتُ أمبر للدغ من الأفعى ذات الجرس، والمرّة الثانية لإعادة وصل التيّار الكهربائي بعد أن قطع أحد خدّمة الشيطان الأشرار سلك الكهرباء بالقرب من الطريق السريع.

- «نيت، لم أنتَ —».

- «اسمعي»، يقول نيت. «إنّه مطفأ، ويجب أن تبقى كذلك ما لم تصبح الأمور سيئة؛ أعني سيئةً حقّاً. لكن إذا حدث ذلك، فاضغطي على الزرّ الأخضر لتشغيله. ثمّة رقمٌ مخزّن في ذاكرته».

- «أيّ رقم؟»، أسأله.

يهزّ رأسه. «لا تستخدميه ما لم تكوني مضطرةً لذلك تماماً. ثمّة أشياء تحدث في الخارج ولا أريد تعريضها للخطر، لكنني لن أترككِ وحيدة دون أيّة وسيلة لطلب المساعدة. لا يمكنني ذلك».

- «نيت...» .

- «يجب أن أذهب»، يقول لي، ويمسك وجهي بيديه فجأة .
في ظروفٍ طبيعية، كان هذا ليجعلني أتجمّد مثل تمثالٍ حجريٍّ أو
كان ليحيلني إلى كتلةٍ صغيرةٍ من الهلام، لكنّها ليست ظروفًا طبيعية .
أرجوك لا تتركني . ليس أنتَ أيضاً . أرجوك .

- «أعلمُ أنّ لديكِ شكوكاً»، يهمسُ لي . «أنتِ تخفينها جيّداً،
لكنّني أعلم بوجودها . أصغي إليها، يا مونبيم . آمّني بنفسك،
وبعينيك، وب عقلك . لا تثقي بأحد» .

- «نيت...» .

يضمّني في عناقٍ قويٍّ، ويقول: «سيكون الأمر على ما يرام .
أعدكِ بذلك» .

يستريح رأسي على صدره؛ جسدي متيبّس، وذراعاي عديمتا
النفع مسدلّتان على جانبيّ . هناك مليون شيءٍ أرغب في قوله، لكن
في هذه اللحظة، في هذا الكابوس الذي أعلمُ أنّني لن أستيقظ منه،
يمكنني التفكير في شيءٍ واحد فقط .

- «لا تذهب»، أهمس لنيت .

يشدّني بقوةٍ أكبر، وتمسُّ شفتاه جبّهتي برفق . ثمّ تفلتني ذراعاها،
ويصبح رأسي فجأةً بلا شيءٍ يستريح عليه . أسمع صرير بابي خافتاً
وهو يُفتح ثمّ يُغلق، ثم أسمع صوت القفل المعدني، وألّفي نفسي
في الظلام مجدّداً .

وحيدة .

بعد

- «هل كان قد رحل في الصباح؟»، يسأل العميل كارلايل.
أومئاً موافقة. «كان قد رحل بالفعل. أيقظنا قادة السرايا وطلبوا
منا أن نتجمع في الفناء. كان الأب جون ينتظر عند درجات الكنيسة
لدى وصولنا إلى هناك. بدا أنه يستشيط غضباً».
- «ماذا قال؟».

- «أخبرنا أن نيت كان جاسوساً للخارج. وأنه كان يعمل ضدَّ
الفيلق منذ اليوم الذي وصل فيه. أخبرنا أننا كنّا جميعاً أغبياء، وأننا
ابتسمنا وضحكنا ومازحنا واحداً من خدمة الشيطان والذي كان
يخطط لقتلنا جميعاً في أسرّتنا ونحن نيام. قال إنّه رأى حقيقة نيت
على الفور وكان ينتظر منا أن نفعل الشيء نفسه، كان ينتظر أن يكون
لدى واحدٍ منا فقط العقل والإيمان اللذان يخولانه رؤية الحقيقة،
لكنّه اضطرَّ أن يأخذ زمام المبادرة بنفسه لأننا كنّا جميعاً عُميان
وضعفاء وأغبياء. قال إننا خذلنا الفيلق، وخذلنا الربّ نفسه، وأنه
يشعر بخيبة الأمل والاشمئزاز تجاه كلّ واحدٍ منا».

لي كلّ الحق! لم أقل شيئاً

أدفع صوت الأب جون خارج رأسي، فيحلّ الصمت. هناك
بعض المواضيع العميقة في داخلي تشعر بالعجب حيال كم أصبح
إسكاته سهلاً.

- «هل صدّقته؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لست متأكّدة»، أقول له. «من الواضح أنّه اشتبه في شيء ما عندما رفض نيت أن يكون قائد سرّيّة، لكنني لا أعرف ما إذا كانت لديه شكوك بشأنه قبل ذلك. لمّ قد يختار نيت ليكون قائد سرّيّة إن لم يكن يرى فيه مؤمناً صادقاً؟».

- «لربّما كان ذلك اختباراً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «طريقةً ليتبيّن حقيقة أمر نيت، شيء من هذا القبيل».

- «ربّما. لكنّ هذا وضعه في موقف سيّء حقّاً، أعني أن يعصي نيت أمره هكذا أمام الجميع. لا أعلم ما إذا كان التأكّد من كونه مخلصاً أم لا يستحقّ كلّ ذلك».

- «إذاً ما هي الحقيقة برأيك؟»، يسأل العميل كارلايل. «لمّ فعل نيت ما فعله برأيك؟».

أهزّ كتفيّ. «لا أعرف. لقد فكّرت في الأمر كثيراً في الأيام التي أعقبت اختفائه، ولفترة اعتقدت أنّ الفكرة بذاتها؛ فكرة أن يكون قائد سرّيّة هي التي أفرعته، وأتّه ببساطة لا يريد تحمّل المسؤولية. لكنني فكّرت بما قاله لي في غرفتي ليلة رحيله عن أشياء تحدث في الخارج ولا يريد تعريضها للخطر، وفكّرت في الهاتف المحمول والمفتاح، وانتهى بي الأمر بالاعتقاد أنّ الأب جون ربّما يكون على حقّ. كان عليه بالطبع أن يجعل نيت يبدو بمجرّد رحيله سيّئاً وزائفاً وخطيراً قدر الإمكان، ورغم أنّي لا أصدّق لثانيّة واحدة أنّ نيت كان يضمّر شراً لأحد، فإنّ هذا لا يعني أنّه لم يكن جاسوساً. لكن إن كان جاسوساً بالفعل، فلا أفهم لماذا لم يقبل ببساطة أن يكون قائد سرّيّة. كان من شأن ذلك أن يجعله أقرب للأب جون أكثر من أيّ شخص آخر».

- «ربّما فكّر أنّ هذا القرب كان سيزيد من فرصة أن يُكشَف

أمره»، يقول العميل كارلايل. «أو ربّما لم يكن قادراً على التعامل مع ما سيتوجّب عليه فعله إذا قال نعم؛ معاقبة الناس وإيذاؤهم وحبسهم في الصناديق. ربّما كان هذا كثيراً عليه».

- «لا أفترض أنّك تعرف من كان حقّاً؟»، أسأله.

يبتسم لي، ويهزّ رأسه. «لا أعرف أيّ شيء عن نيت تشايلدرس. أنا آسف».

- «هل كنت ستخبرني لو أنّك تعرف؟»، أسأل رغم أنّي أعرف الإجابة سلفاً.

- «لا. ليس إذا لم يكن مصرّحاً لي بذلك».

- «أظنّ أنّ هذه إجابة صادقة على الأقل»، أقول له. «هل معنى هذا أنّه لا ينبغي بي أن أصدّق أنّك لا تعرف شيئاً عن أمي؟».

تداعى ابتسامة العميل كارلايل. «هذا ليس ما —».

- «لا بأس. انس الأمر»، أقول له.

ينقلّ الدكتور هيرنانديز عينيه بيننا جيئةً وذهاباً، وعلى وجهه عبوسٌ ينمُّ عن القلق. ينظر إليّ العميل كارلايل مطوّلاً، ثمّ يومئ برأسه. لا أعرف ماذا يُفترض بتلك الإيماءة أن تعني؛ هل أنّي محقّة في عدم تصديق أيّ شيءٍ يقولونه لي؟ أم أنّي مخطئة، وهو يقول لي أنّ بإمكانني الوثوق به؟

- «إذا لم يكن هناك أيّ أثرٍ لنيت في صباح اليوم التالي؟»،

يسأل العميل كارلايل.

أهزّ رأسي. «لقد عثروا على قطاعة أسلاك معدنية عند الزاوية الجنوبيّة الغربيّة من السياج. كانت ثمة فتحة عبر الأسلاك. خرج أموس في الشاحنة بحثاً عن نيت في حال كان يتنقّل على الطريق السريع، لكنّ أحداً لم يُفاجأ حقّاً عندما رجع وأخبرنا أنّه لم يعثر على شيء. اعتقد أنّه من السهل جدّاً أن تختفي في الصحراء».

يومئ العميل كارلايل موافقاً. «بالفعل».

- «وهذا ما كان»، أقول له. «استُدعي الفيلق بأكمله إلى الكنيسة، ووقف الأب جون يصرخ علينا لساعات، قال إننا جِدنا عن طريق الحق، وإنَّ إيماننا كان مجرد هراءٍ لعين، وإننا ضعفاء وأغبياء ولا أحد منا يستحقُّ الارتقاء. كان الكثيرون غارقين في دموعهم حين انتهى».

- «لكن ليس أنت».

أبتسم، وأقول: «لا، ليس أنا. لقد فكَّرتُ في ما قاله لي نيت، وما قالته أمي عندما طردوها، وتفجَّرتُ على الأب جون وهو يصرخ ويرغي ويزبد، فرأيتُه على حقيقته. تلك التي كانت دائماً ماثلةً أمامنا».

- «وما هي؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «إنَّه رجل. ربَّما أذكى قليلاً من معظم الناس، مع موهبةٍ خاصَّةٍ في التعامل مع الكلمات. لكنَّه ليس الربِّ نفسه، ولا حتَّى رسوله. بل مجرد رجل مغرور وجشع وغازب مثل أيِّ رجل آخر». يبتسم الدكتور هيرنانديز لي. «لم أسمعك أبداً تتحدَّثين عنه على هذا النحو من قبل».

- «هذا صعب»، أقول له. «ويبدو إلى الآن خاطئاً. كنتُ لوقتٍ طويل على يقين من أنَّ مجرد التفكير به على نحوٍ سيِّء سيجعلني أقضي الأبدية في الجحيم».

- «لكنَّك لم تعودِ تؤمنين بذلك؟».

أهزُّ رأسي. «لم أعد أوَّمن بذلك».

ها أنتِ ذا، يقول الصوت في مؤخرة رأسي. أحسنت. هيّا، قولِي الحقيقة، وألحقي العار بالشيطان. الحقيقة.

كان من الغريب قول كل ذلك عن الأب جون بصوت عالٍ،
لكن تلك هي ببساطة:
الحقيقة.

وهكذا ببساطة، أشعر فجأة أنني أكثر خفة. كما لو أن ثقلًا قد
أزيج عن كاهلي، كما لو أن بعضًا من سم الأب جون على الأقل قد
سُحب من روحي، ما يجعلني أشعر بحالٍ أفضل ممّا أتذكر أنني كنتُ
يومًا.

- «هل توقّف إيمانك لدى مغادرة نيت؟»، يسأل الدكتور
هيرنانديز.

أهزّ رأسي. «كانت مغادرته القشة التي قصمت ظهر البعير. لكنّ
الامر يرجع إلى ما قبل ذلك بكثير».

- «إلى ما حدث مع أمك؟ أنا آسف، أعلم أنك لا تحبّين
أن —».

- «لا بأس»، أقول له. «لم يكن مسموحاً لي التحدّث عنها
لفترة طويلة. لم يكن يُفترض بي حتّى أن أفكّر بها. لذا، لا بأس
بذلك الآن. ونعم، إنّ ما حدث معها كان سبباً، بل وسبباً مهمّاً.
رغم أنّ الأشياء متداخلة وفوضويّة على نحوٍ كبير، إذ لم يكن الأب
جون هو مَنْ فقدتُ إيماني به في الحال عندما نُفيت أمي. أعلم أنّ
وقّع هذا سيبدو سيئاً، لكنني فقدتُ الإيمان بها؛ بأمي. جعلني ذلك
أدرك أنّه لا يمكنني أبداً أن أثق فحسب وبصورة تلقائية بما قاله أو
فعله أيُّ أحد، بصرف النظر عن هويّته أو كم كان يعني لي. جعلني
أدرك أنّه يمكن لكلِّ شخصٍ أن يكون مخادعاً، حتّى أولئك الذين
يزعمون أنّهم يحبّونك. جعلني أرى الجميع كاذبين».

- «هذا درسٌ قاسٍ»، يقول العميل كارلايل. «أنّ يكتشف المرء
أنّ والديه ليسا مثاليّين، بل ومعيان تماماً كأَيِّ شخصٍ آخر».

- «أَتَفَقُ معك. هذا ليس سهلاً أبداً»، يقول الدكتور هيرنانديز. أومئُ برأسي.

- «لأكون منصفاً، معظم الناس لا يتعلّمون هذا الدرس بالطريقة التي تعلّمته بها. في العادة، يتعلّم الناس هذا الدرس لأنّ الأم تقود تحت تأثير الكحول، أو لأنّ الأب على علاقة غرامية بسكرتيرته»، يقول العميل كارلايل.

- «العلاقة الغرامية هي عندما تمارس الجنس مع شخصٍ لا يفترض أن تمارس الجنس معه؟»، أسألُ عابسة.

ينقلب لون العميل كارلايل وردياً شاحباً، وأدرك أنّه ليس مرتاحاً للتحدّث معي عن هذا الأمر.

- «آسفة. لم أقصد أن أتسبّب لك بالإحراج»، أقول له.

- «لا بأس»، يقول لي.

- «لا بأس بذلك تماماً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «رغم أنّي

لا أعتقد بالضرورة أنّه موضوعٌ مناسبٌ للنقاش في هذه المرحلة».

- «لست متأكّداً من ذلك»، يقول العميل كارلايل. «إنّه سؤالٌ

وجيه، وعليها أن تبدأ في فهم العالم الحقيقي. وإلا فكيف سوف تتأقلم عندما تخرج من هنا؟».

- «ثمّة عمليّة —».

نهمهمُ أنا والعميل كارلايل في انسجام تامّ. ولأقصر جزءً من الثانية يبدو الدكتور هيرنانديز غاضباً جداً، لكنّه يبتسم بعد أن تنقضي تلك اللحظة بسرعة.

- «لا بأس. تفضل وأجب عن سؤالها. فقط كُن حذراً»، يقول

الدكتور هيرنانديز.

توقّف عن الحديث عني كما لو أنّي لستُ جالسةً هنا. ظننتُ أنّنا تجاوزنا هذا.

- «أنا لستُ دمية. أنا لن أنكسر»، أقول له.

- «حسنٌ»، يقول العميل كارلايل. «إنَّ ممارسة الجنس مع شخصٍ غير الذي كرّستِ نفسك له يسمّى زنى، رغم أنَّ معظم الناس يسمّونه غشاً. العلاقة الغرامية أمرٌ مختلف. هي تظلُّ خيانة، لكنّها تكون عندما يخوضُ الشخصُ علاقةً مستمرة مع شخصٍ غير الذي كرّس نفسه له، ويبقى الأمر سرّاً».

- «هل هي أسوأ؟»، أسأله.

- «يميل معظم الناس إلى اعتبارها كذلك»، يقول لي. «الكثيرون يغفرون لشركائهم ممارستهم الجنس مع شخصٍ آخر، لكنني لا أعرف أحداً قد غفر لشريكه خوضه علاقةً غرامية».

- «هل خضتَ واحدةً من قبل؟».

تتسّع حدقتا العميل كارلايل، ويدكن لون خديّه من الوردي الباهت إلى القرمزيّ. «هذا بالتأكيد ينقلنا إلى منطقةٍ غير مناسبة».

- «هل هذا صحيح؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز وعلى وجهه ابتسامةٌ شقية. «جيد. شكراً لإعلامنا أين يقع الخطُّ الفاصل. أنا ومونيم ممتنان للغاية».

هزُّ العميل كارلايل رأسه، لكن ثمة ابتسامةٌ عريضة على وجهه. «دعونا نعود إلى المسار الصحيح فحسب، هلاً فعلنا ذلك؟».

أقابلُ ابتسامتيهما بابتسامةٍ منّي وأقول: «بالتأكيد».

- «ماذا حدث في اليوم الذي تلا مغادرة نيت تشايلدرس، بعد أن تلقّيتُم جميعاً تلك المحاضرة في الكنيسة؟».

- «ذهب الجميع إلى العمل. أمر الأب جون بمضاعفة وقت النوبة، وحصلنا على حصص طعامٍ عقابيةٍ لمدة أسبوع».

- «ما معنى ذلك؟».

- «شريحتان من الخبز».

- «في الوجبة؟».

أهزُّ رأسي بالنفي. «في اليوم».

- «في اليوم؟».

أومئُ موافقة.

يحدِّقُ بي بعينين ضيّقتين، وكأنَّه يحاول أن يتبيَّن ما إذا كنتُ أتحدَّثُ بجديَّة. «هل أكل الأب جون مثلما أكلتم؟».

ماذا تعتقد؟ بعد كلِّ ما أخبرتك به عنه، هل ما زلتَ حقاً بحاجةٍ أن تسأل سؤالاً كهذا؟

-«الحصص العقابية لا تطبَّق عليه أو على قادة السرايا»، أقول

له.

- «ماذا عن زوجاته؟».

أومئُ برأسي.

- «والأطفال؟ أطفاله؟».

أومئُ برأسي مجدداً. ويأخذ العميل كارلايل نفساً عميقاً.

- «أنا آسفة. أنا لا أحاول أن أزعجك. أنا أجيب عن أسئلتك

فحسب»، أقول له.

يهزُّ رأسه. «لستِ أنتِ، يا مونييم. أنا فقط لا أستطيع...

أعني، أنا فقط... يا يسوع. حسنٌ، ماذا فعلتِ بالأشياء التي أعطاهَا لكَ نيت؟».

- «لقد أخفيتُها».

- «أين؟».

- «كان ثَمَّةُ لوحٍ رخو في الأرضية تحت سريري. وضعتُ

الهاتف والمفتاح تحته».

- «هل عثر أحدٌ عليهما يوماً؟».

- «لا».

- «هل استخدمتهما يوماً؟» .
 حذارٍ، يهمس الصوتُ في مؤخرة رأسي .
 - «لقد استخدمتهما مرّةً واحدة»، أقول له .
 - «هل تريدان إخبارنا عن ذلك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز .
 أهزّ رأسي . «ليس الآن، إن لم يكن لديك مانع» .
 - «لا بأس»، يقول لي . «يبدو أنّه يمكن للجميع الاستفادة من بعض الوقت لتحليل أحداث اليومين الماضيين، لذا فقد ألغينا جلسة التفاعل الاجتماعي بعد ظهر اليوم . استمتعي بغدائك، واحصلي على قسطٍ من الراحة» .
 - «أنا لا أحظى بنوم جيّد ليلاً، لربّما أصيب حظّاً أفضل بعد الظهر»، أقول له .
 يتسم الدكتور هيرنانديز . «كُلّي أملٌ بذلك» .

تبتسم لي الممرضة هارو ابتسامتها المعتادة قبل أن تغلق باب غرفتي وتُحکم إقفاله .
 يتوهّج شعاعٌ من شمس الصباح المتأخّرة عبر نافذة غرفتي . الشمسُ عاليةٌ جدّاً والنافذة صغيرةٌ جدّاً بحيث لا يمكن لذاك الشعاع أن يبلغ الأرض، لكن إذا وقفتُ على أطراف أصابعي قرب الباب، يمكنني رفع وجهي بزاويةٍ معينة بحيث يغمره دفءُ الشعاع . أقفُ هكذا لبعض الوقت إلى أن ينزاح الضوء مبتعداً عني . أحسب أنّه بوسعي الوقوف على الكرسيّ، لكنّ هذا يبدو جنونياً بعض الشيء .
 بدلاً من ذلك، أجلسُ إلى طاولة المكتب، أسحب ورقةً من الكدسة أمامي، والتقط قلم تلوين أزرق عريض .

الإعلان الثاني
لكنيّسة فيلق الربّ المقدّسة
مكتوباً بإخلاص بيد رسول الربّ الأكثر تواضعاً
الأب جون بارسون

حيثُ أنّها واقعةٌ لا محالة؛ عندما تحلُّ علينا نهاية الزمان ويدعو الربُّ عباده المخلصين إلى جواره، المعركة التي لم يشهد لها عالم البشر مثيلاً. سوف يكشف خَدَمَةُ الشيطان عن أنفسهم، وسوف يُدعى المؤمنون من رجالٍ ونساء الذين يسلكون طريق الحقِّ إلى إعلاء مجد الربّ.

هؤلاء المؤمنون الصادقون، الذين يقفون في وجه الشرِّ ويشتمّون عن أذرعهم نصرَةً للربّ، سوف يرتقون كي يجلسوا إلى يمين الربّ، ويسافروا عبر السماوات في مساراتٍ من النجوم المتوهّجة، ويَنعموا للأبد في خير الربّ العَميم.

أمّا أولئك الزائفون الذين إيمانهم ليس إلّا كذبة حقيرة، فسيلقى بهم في حُفر الجحيم، وسيزحفون على بطونهم فوق النار، فقد أثبتوا أنّهم زنادقة، ولا يستحقّون نعمة الربّ. لن نتحدّث عنهم ثانية، ولن نسمح لهم بالدخول إلى عقولنا والعبث بها. سوف يرحلون، ولا أسف عليهم.

في اليوم الأخير المجيد، ستُكشَف الحقيقة بالكامل، وسيُبرهن

جميع الرجال والنساء عن درجة إيمانهم . في ذلك اليوم الأخير
المجيد، سوف يترك أولئك المؤمنون الصادقون عالم الظلمات هذا
ويرتقون صعوداً إلى النور . في ذلك اليوم الأخير المجيد، أولئك
الذين يسلكون طريق الحق سوف يفرحون .

الربُّ طيّب .

بعد

تصل الممرضة هارو مع إفطاري في التاسعة تماماً - إنه عبارة عن رقائق الشوفان هذا الصباح، مع شراب القيقب والموز، وكوبٍ من عصير الجريب فروت وردّي اللون - وتخبرني أنّ جلستي مع الدكتور هيرنانديز قد تأجلت. أسألها عن السبب، فتقول إنّها لا تعرف. أسألها إلى متى تأجلت، فتقول إنّها لا تعرف أيضاً، لكنها ستأتي لتصطحبني عندما يحين الوقت.

لا تبسم إذ تغادر. هي تبسم دائماً.

أتناول إفطاري ببطءٍ أكثر من العادة، ثم أذرّع الغرفة جيئةً وذهاباً لأنني لا أعرف ما الذي يفترض بي فعله. يولي الدكتور هيرنانديز للروتين أهميّة قصوى، ممّا يجعلني أحمّن أنّ الأمر يتطلب حدوث شيءٍ خطير لجعله يغيّر الجداول والمواعيد.

ربّما الجلسات الأخرى تجري كالمعتاد، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. ربّما جلستك هي الوحيدة التي تمّ تأجيلها. يتسلّل القلق إلى صدري، وأبذل كلّ ما بوسعي كي أدفعه بعيداً. أيّاً كان ما يحدث فلا علاقة له بي على الإطلاق.

بل ربّما يكون كذلك. ربّما فحسب.

أتجهّم، وأواصل ذرع الغرفة. من الباب وحول المكتب باتجاه

الستارة المعلقة قرب المرحاض، ثمّ على طول الجدار أسفل النافذة مروراً بسريري ورجوعاً إلى الباب، أفعلُ كلّ هذا وأنا أحسب الوقت في رأسي. يستغرق الأمر اثنتي عشرة ثانية للتجوّل في أرجاء غرفتي. أنظر إلى الساعة فوق الباب.

9:48

أجلس إلى مكتبي وأحاول الرسم، لكن بلا فائدة. حتّى رسمي المعتاد، ذاك الذي يمكنني حرفياً أن أرسمه دون تفكير، يأبى الخروج إلى الورقة. أملأُ ورقتين بخليطٍ من الخطوط السميكة متعدّدة الألوان؛ شيءٌ أشبه بخربشات الأطفال، ثمّ أنهضُ وأبدأ المشي مجدّداً. أحاول بعثرة أفكارٍ عبر الدوران حول الغرفة، وأجبر نفسي على عدم إحصاء عدد الدورات، ثمّ بعد ما بدا لي أنّها ساعات، أنظر إلى الساعة مرّةً أخرى.

10:03

سألتُ قبل بضعة أيّام الممرّضة هارو عمّا إذا كان بإمكانني الحصول على جهاز تلفزيون في غرفتي، ليساعدني على ملء الساعات الطويلة بعد جلسة التفاعل الاجتماعيّ. قالت إنّها ستستفسر عن الأمر، لكنّها لم تأتِ على ذكره منذ ذلك الحين، لذا أعتقد أنّه غير وارد الحدوث. في العادة، إذا أخبرتها أنّني أرغب في الخروج، هي تأتي وتصطحبني في وقتٍ محدّد، وتقف مثل حارسٍ بينما أتجول عبر فناءٍ إسفلتيّ صغير. ما من أسلاك شائكة أعلى الجدران، لأنّهم لا يريدون على ما أظنّ أن يبدو المكان مثل سجن، لكنّ الجدران عالية وملساء تماماً، وليس ثمة شيءٌ في الفناء سوى مقعدٍ صغير في جهةٍ واحدة. أنا أخرج في بعض الأحيان، لكنني في معظم الأيّام أظلُّ في غرفتي - أرسم، وأكتب أشياء، وأفكر، وأمشي. الحالة الآن مختلفة. إنّ هذا الوقت مخصّصٌ لفعل شيءٍ ما،

لكنني لا أقضيه فيما خُصِّصَ له. يبدو الأمر برمته خاطئاً، كما لو أنَّ كلَّ شيءٍ قد أزيح ووُضِعَ جانباً.

أستلقي على سريري وأحاول العودة للنوم. أنا متعبٌ طوال الوقت، عظامي ثقيلة، ذهني مشوش وبطيء، لكنني لا أجدُ السلام حين أغلقُ عيني؛ بدلاً من ذلك، يقوم عقلي باستدعاء الصور التي يعرف أنني لا أريد رؤيتها.

جاكوب رينولدز جاث على ركبتيه، وبنطاله مبللٌ بالكامل.

لوك، المنشار في يده وتصميم رهيب في عينيه.

نيت وأمِّي والأب جون.

أفتحُ عيني وأتحقّق من الساعة.

10:11.

أتحقّق منها مجدداً.

10:11.

مجدداً.

10:12.

كنتُ أحدّقُ في الساعة لسبعٍ وثمانين دقيقة حين أسمع القفل يدور، فأجلس في السرير بينما تفتح الممرضة هارو الباب. ما زالت لا تبسم.

- «هم جاهزون من أجلك يا مونييم، هل يناسبك هذا؟»، تقول لي.

أقفزُ عن السرير. «أنا بخير. دعينا نذهب».

نسلِك المسار المعتاد نزولاً عبر الممرّ المؤدّي إلى غرفة المقابلات رقم 1. تفرع الممرضة هارو الباب قبل أن تفتحه، فأعبسُ لأنها عادةً ما تجعلني أدخل لأنظر الدكتور هيرنانديز والعميل

كارلايل. وإذا تُفسح لي الطريق، أرى الرجلين جالسين بالفعل على كرسيّهما المعتادين خلف طاولة المكتب.

يدير كلا الرجلين رأسيهما إذ أخطو داخل الغرفة، وأدرك على الفور أنّ ثمة خطبٌ ما. تعلو وجه العميل كارلايل ابتسامة أقرب لأن تكون مقنعة، لكنّ عينا الدكتور هيرنانديز حمراوان وغائرتان كما لو أنّه لم يذق طعم النوم، ووجهه رماديّ شاحب.

أتجمّد في مكاني. «ماذا يجري؟ ما الذي حدث؟»، أسألها. - «ادخلي، يا مونيم»، يقول العميل كارلايل. «شكراً أيتها الممرّضة».

يُصفّق الباب خلفي. لا أحوّل نظري عن وجهي الرجلين الجالسين أمامي.

- «اجلسي، يا مونيم»، يقول الدكتور هيرنانديز.

لا أتحرك من مكاني.

- «اجلسي»، يكرّر، وأشعر بسكينٍ من الخوف تنغرز في قلبي لأنّ الرجل يبدو على وشك البكاء.

أمشي عبر الغرفة ببطءٍ شديد، وأتخذُ مكاني المعتاد على طرف الأريكة الحمراء. «ماذا يحدث هنا؟».

ينظر الرجلان إلى بعضهما. تنكمش معدتي بشدّة.

- «أخبرني. أرجوك»، الرعشة في صوتي مسموعةٌ بوضوح.

ليس هي. أرجوك لا تدع مكروهاً يصيبها.

يومئ الدكتور هيرنانديز برأسه ويقول: «ثمة شيءٌ ينبغي بك معرفته، يا مونيم. سيكون من المزعج أن تسمعيه، وأنا —».

- «هل هي أمّي؟»، أسأله.

- «ليست أمّك»، يقول الدكتور هيرنانديز. «ليست لدينا أيّة

معلومات جديدة بشأنها. صدّقيني».

ترتخي معدتي قليلاً فحسب. «ما الأمرُ إذا؟»، أقول وأنا أحدقُ بهما.

- «كما قلتُ، سيكون مزعجاً أن تسمعي هذا. ناقشتُ الأمر مع زملائي، ونعتقد أنكِ قويّةٌ بما يكفي للتعامل معه. ماذا تعتقدين؟».

لا أقول شيئاً. كيف يفترض بي أن أجيب على ذلك؟
- «سأعتبرُ صمتكِ قبولاً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «حسنٌ، يا مونييم. أريد منك أن تأخذي نفساً عميقاً. وأريدُ منك أن تصغي بعناية لِمَا —».

- «لقد مات لوك»، يقول العميل كارلايل وهو ينظر مباشرةً في عينيّ. «مات ليلة أمس. أنا آسف».

يرمقه الدكتور هيرنانديز بنظرةٍ غاضبة، لكنّ العميل كارلايل لا يرفّ له جفن؛ هو فقط يحدّقُ بي بلامح ثابتة. أركّزُ عليه بينما يكافح عقلي لتشكيل فكرةٍ عقلانية.

- «أنا لا... أنا فقط... ماذا حدث؟».

- «لقد أقدم على الانتحار في غرفته»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «كيف؟»، أقول بصوتٍ مرتعش.

- «التفاصيل ليس».

- «أخبرني ماذا فعل»، أقول له.

- «لقد فتحَ شرايينه عبرَ عضٍّ كلا معصميه»، يقول العميل كارلايل ببطءٍ شديد. «تمّ نقله إلى المستوصف، لكنّه كان قد فقد الكثير من الدماء. لم يتمكّنوا من إنعاشه».

أحملقُ به. رأسي يدور، ومعدتي تتخبّط، وبشرتي تشتعل وتتسبّب لي بوخزٍ شديد.

يا يسوع.

يخطر ببالي ما قلتهُ لهما بالأمس، إذ لم أعتقد أنّ ثمة شيئاً

يمكن فعله لمساعدة لوك. كم رغبتُ في أن أكون مخطئة.

لكنني كنتُ أعرف أنني لستُ كذلك.

محطّم. يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. تلك هي الكلمة التي استخدمتها. محطّم.

يتورّم حلقي. كنتُ أخاف لوك، وقد كرهته لمدّة طويلة، لكنني ما كنتُ لأتمنّى له هذا أبداً، ليس هذا أو أيّ شيء قريب منه. تتزاحم الأفكار والصور في رأسي، وأستحضر في ذهني صورةً للوك غارقاً في ظلام غرفته، والدموع تنهمرُ على وجهه الملطّخ بالدماء وهو يغرز أسنانه داخل لحمه.

- «هل لي بكأسٍ من الماء؟»، أسألها.

ينحني العميل كارلايل للأمام في كرسيّه ويملأ كوباً بلاستيكيّاً من الإبريق الموجود على الطاولة أمامه. آخذُ الكوب بيدٍ مرتجفة، وأشرب الماء دفعةً واحدة.

- «أتفهّم أن يكون وقع هذا صعباً للغاية»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لكن عليك أن... مونيم؟ ما الأمر؟».

ما عدتُ أنظر إليه. أنا أنظر إلى العميل كارلايل، لأنّ ملامحه تغيّرت. انقلبتُ زاويتا فمه إلى الأسفل، وثمة وميضٌ حالك في عينيه.

- «هناك شيءٌ لم تخبراني به. أليس كذلك؟»، أقول لهما.

يهزُّ الدكتور هيرنانديز رأسه. «لا أعتقد —».

- «أخبرني. أريد أن أعرف»، أقول له.

- «لا أعتقد أنّه من المناسب —».

- «لقد كتب لوك شيئاً على الأرض قبل أن يفقد وعيه. كتبه

بدمائه»، يقول العميل كارلايل.

يدور رأسي. «ماذا كتب؟».

يتجهّم وجه العميل كارلايل ثمّ يقول: «أنا أرتقي. هذا ما كتبه؛ أنا أرتقي».

يخيّم السكون على الغرفة. الرجلان يحدّقان بي، والقلق يشعّ من وجهيهما، لكنني لم أعد أنظر إليهما حقّاً لأنني الآن في مكانٍ آخر.

يمكنني شمّ رائحة ملح، وطلاءٍ طازج، وعشبٍ مجزوز. يمكنني الشعور بنسيمٍ دافئٍ على وجهي. يمكنني سماعها تنادي اسمي.

ابقي معي، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي. ابقِ هنا، يمكنك ذلك.

أجبرُ نفسي على النظر في عينيّ الدكتور هيرنانديز. «هل أخبرتم إخوتي وأخواتي؟».

- «نعم. كان علينا نقل مواعيد الكثير من الجلسات، لكنهم جميعاً يعرفون ما حدث. أنا آسفٌ إذا كنتِ —».

- «كيف كان ردُّ فعلهم؟».

يصمّت للحظة. «رأينا نطاقاً متنوعاً من الاستجابات».

- «مثل ماذا؟».

- «صدمة. غمّ. حزن. استسلام»، يقول لي.

- «سعادة؟»، أسأله.

يعبس الدكتور هيرنانديز. «في حالةٍ أو حالتين. ألا يفاجئك هذا؟».

أهزّ رأسي بالنفي.

- «لَمْ لا؟».

- «لأنّ الكثيرين منهم كانوا يكرهونه، أو يخافون منه. أو كلاهما. ولأنّه...».

تضيق عينا الدكتور هيرنانديز. «ولأنّه؟».

- «لأنّه تحرّر».

- «إنّه ميت»، يقول العميل كارلايل.

أهزُّ رأسي مجدّداً. «لقد ارتقى. حاول أن ترى الأمر من منظورهم. لقد تحقّق كلُّ ما تنبأ به الأب جون - نهاية الزمان، المعركة النهائية مع الحكومة، النار والدم والموت. كلُّ ذلك. والآن هم محتجزون لدى ذات العدو الذي حذّرهم منه مراراً وتكراراً. لوك كان محتجزاً أيضاً، لكنّه تمكّن من الخروج. البعض منهم سيعتقد أنّه بطل».

يهزُّ العميل كارلايل رأسه. «هذا محض هراء».

أتمنّى لو كان كذلك.

أهزُّ كتفيّ. «صدّق ما تريد أن تصدّقه».

- «هم لا يعرفون تفاصيل موت لوك»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لدينا شعور أنّها ستكون مؤلمة جدّاً بالنسبة إليهم. وبكلّ صدق، كان لديّ نفسُ القلق حيال إخبارك».

- «أمّا أنا فلا»، يقول العميل كارلايل. «كنتُ أعرف أنّ

بوسعك التعامل مع الأمر».

يرميه الدكتور هيرنانديز بنظرةٍ حادة. «مع أخذ ذلك بعين الاعتبار، فأنا أطلب منك أن تكوني واعية تماماً لما تقولينه أمام الآخرين. الحذر الشديد هو وصفٌ أقلُّ من المطلوب للتعامل مع وضع كهذا».

أقرُّ بذلك.

- «هل ستلغي جلسة التفاعل الاجتماعي مجدّداً بعد ظهر

اليوم؟»، أسأله.

- «إنّها الخطّة الراهنة».

- «لا تفعل ذلك».

- «ألا تعتقدن أنه يجدر بنا إلغاؤها؟».

- «لا. إذا حبستهم في غرفهم، ومنعتهم من التحدث إلى بعضهم البعض حول ما حدث للوك، فكلُّ ما ستفعله هو تعزيز اعتقادهم بأنّه لا ينبغي بهم أن يثقوا بأحدٍ من الخارج. ستقدّم خدمةً للأب جون عبر قيامك بعمله»، أقول له.

- «لقد وضعنا في اعتبارنا هذه النتيجة»، يقول الدكتور هيرنانديز. «إنّه في الواقع شيءٌ أودُّ أن أتحدّث معكِ بشأنه. وهذا جزئياً سببُ قرارنا إخباركِ عن نهاية لوك».

- «حسنٌ»، أقول عابسة.

- «أنتِ الآن أكبر عضوٍ حيٍّ في فيلق الرّب. ولا أعرف ما إذا كنتِ على درايةٍ بهذا أم لا، لكن إخوتكِ وأخواتكِ يتطلّعون إليك. هم يثقون بكِ».

- «هل قالوا ذلك؟»، أسأله.

- «هل أنتِ متفاجئة؟».

- «نعم. فبحلول النهاية، كان معظم أعضاء الفيلق يحتفظون بمسافةٍ بينهم وبينني. فما كنتُ لأفكر أنّ الأطفال قد سمعوا كثيراً من الأشياء الجميلة تقال عني».

- «بسبب صداقتكِ مع نيت؟»، يسأل العميل كارلايل.

أومئُ برأسي. «وبسبب ما حدث مع أمّي. في الواقع، أنا لم أكن بالضبط العضو الأكثر شعبيّة في الفيلق».

- «أنا متأكّد من أنّ هذا كان شاقّاً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «رغم أنّي كنتُ لأجادل بأنّ لهذا ارتباطاً مباشراً بما نتحدّث عنه. أقترحُ أنّ العزلة التي شعرتِ بها في الأشهر الأخيرة قبل الحريق؛ ذاك الإحساس بالنبذ الناجم عن كونك شخصاً غير موثوق وليس

لديك أحدٌ لتحدّثني إليه، كل هذا سمح لك أن تنظري إلى ما يحدث داخل الفيلق بموضوعية لم يحظَ بها يوماً إخوتك وأخواتك، وبوجه خاص أولئك الأصغر سنّاً بينهم».

- «هل تقول إنني فهمتُ ما يحدث أكثر من الآخرين؟».

- «بطريقةٍ ما، نعم، هذا ما أحاول قوله».

- «لكنني لم أكن أعرف بحدوث الحريق مع ذلك».

- «ليس على وجه التحديد»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لكنك

كنتِ قد بدأتِ تفكرين بوجود حياة خارج القاعدة، خارج الفيلق نفسه. لقد تقدّمتِ إلى النقطة التي كنتِ مستعدّةً للتشكيك في كل ما أخبركِ به الأب جون، بل مستعدّةً للتشكيك في الرجل نفسه، رغم أنكِ كنتِ ذكيّةً بما يكفي كي تفعلي ذلك بصمتٍ مطبق. وسأزيدكِ من الشعر بيتاً. أعتقد أنّه كان يعرف ذلك».

- «ماذا؟».

- «أعتقد أنّ الأب جون رأى فيك تهديداً. لقد قلتِ بنفسكِ إنّ

نفي والدتك وصداقتك مع نيت جعلاً سهام الاتّهام مصوّبةً عليك طوال الوقت، وإنّك شككتِ أنّ إقرانكِ بلوسي في التدريب القتالي كان بمثابة اختبار، وطريقة لرؤية أين كانت ولاءاتكِ تتموضع حقّاً. تماماً كما حدث حين طُلب من نيت أن يكون قائد سرّيّة».

- «لكنّه لم يفعل بي شيئاً قط»، أقول للدكتور هيرنانديز. «لو

كنتُ أشكّلُ خطراً عليه، فلماذا لم يفعل شيئاً حيال ذلك؟».

- «لربّما كان يخطّط لذلك. ربّما لم تمنح له الفرصة أو لم

يسعفه الوقت أبداً».

- «بسبب الحريق».

يومئذٍ الدكتور هيرنانديز برأسه موافقاً.

- «لقد كنتُ نكرة. كنتُ مجرد عضوٍ عاديٍّ في الفيلق. لم يكن هناك ما يميّزني»، أقول له.

يبتسمُ لي. «لا أتفقُ معك على الإطلاق. لقد مررتِ بمحنةٍ ما كان معظم الناس سيتمكّنون من التعافي منها، وأعرف أنّ الأمر كان بمثابة صراعٍ مرير. بل إنّهُ لا يزال كذلك. لكنّكِ أظهرتِ مرونةً وشجاعةً لا تصدّقان، وعليك أن تثقي بي فحسبُ إذ أخبركِ أنّ إخوتكِ وأخواتكِ يؤمنون أنّ بوسعهم الاعتماد عليكِ، وبأنّكِ ستعتنين بهم. قالت رينبو لأحد زملائي إنّها تعرف تماماً بأنّكِ لن تسمحِي بأن يصيبها أيّ مكروه».

يملأ الفخر جنبات قلبي، وأكافح كي أحبس دموعاً مباغته.

- «هل قالت ذلك حقّاً؟»، أسأل.

- «لقد فعلتُ. رأيتُ التسجيل بنفسي»، يقول العميل كارلايل.

أحاول الابتسام، لكنّني في العمق في حالة هياج شديد وأبذل كلّ ما بوسعي كي أتماسك ولا أبدأ في البكاء على الأريكة، فيظهر ذلك على ملامحي أشبه بتكشيرة يسعدني أنّني لا أستطيع رؤيتها.

«هذا جيّد»، أقول بصوتٍ خافتٍ ومختنق. «لم أكن أعرف أبدأ... هذا جيّد حقّاً».

- «لقد عرفوا»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «لطالما حاولتُ أن —».

- «صدّقيني، لقد عرفوا»، يقول لي.

لا أعرف ماذا أقول. لطالما بذلتُ قصارى جهدي لرعاية إخوتي وأخواتي الصغار، ولطالما حاولتُ أن أظهر لهم القليل من اللطف والقليل من الحبّ غير الموجودين في قاموس الأب جون، لكنّني بصراحة لم أعرف أبدأ ما إذا كانوا حتّى قد لاحظوا ذلك.

يسعدني حقّاً أنّهم قد لاحظوه.

- «أريدُ أن أطلب منك المساعدة، يا مونييم»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لكن أريدُ أن أكون واضحاً تماماً بشأن ما أقصده، لأننا لا نريد بأيّ شكلٍ من الأشكال أن نتلاعب بك أو بأقرانك الناجين، ولا نيّة لدينا لإخبار أحدٍ كيف يجب أن يشعر أو يفكر».

- «لقد حصلوا جميعاً على قدرٍ أكثر من كافٍ من كلِّ ذلك»، يقول العميل كارلايل.

أومئُ موافقة. «إذاً، ماذا تطلب مني أن أفعل؟».

- «أطلبُ منك أن تعتني بهم، بإخوتك وأخواتك؛ أن تكوني نفسك، الشخص الذي يعرفونه ويثقون به؛ أن تساعدتهم على تجاوز هذه المحنة؛ أن تساعدتهم على النجاة. هل يمكنكِ فعل ذلك؟».

نعم، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. نعم يمكنكِ ذلك، بل وينبغي بكِ ذلك. لقد فات الأوان بالنسبة للوك، لكنكِ مدينةٌ للبقية بهذا القدر.

- «سوف أحاول»، أقول له.

- «شكراً لك. في العادة لن أطلب من أحدٍ في هذه المرحلة من عمليته تحمّل مثل هذه المسؤولية، لكنّ موت لوك أثبت أن هذا لا يزال وضعاً حرجاً ومتقلّباً جداً. لا أعتقد أن حالة أيٍّ من إخوتك وأخواتك على نفس درجة الخطورة التي كانت عليها حالة لوك، ولكن —».

- «الحذر الشديد هو وصفٌ أقلُّ من المطلوب للتعامل مع وضع كهذا»، أقول له.

يومئُ موافقاً.

- «ماذا يحدث الآن إذا؟ هل أعود إلى غرفتي وأنتظر جلسة التفاعل الاجتماعي؟»، أسأله.

- «الأمرُ متروكٌ لك»، يقول الدكتور هيرنانديز. «هل ترغبين في التحدّث هذا الصباح؟ أتفهّم تماماً ألا تكوني كذلك، لكن إن كانت بك رغبةٌ في الكلام، فنحن جاهزان تماماً للاستماع».

أفكرُ في هذا مليّاً. في الأيام الأولى بعد وصولي إلى هذا المكان، كنتُ سأغتنم دون تردّد فرصة العودة إلى غرفتي دون أن أضطرّ للتحدّث عن نفسي أو عن الفيلق أو عن أيّ شيءٍ آخر. لكنني لستُ واثقة أن هذا لا يزال شعوري حيال الأمر.

لم تكن هناك لحظةٌ إلهام أو كشفٍ عظيمة، أو على الأقل لم أنتبه لها. لم يكن الأمر كما لو أنّ هناك لحظة حيث كانت كلُّ مخاوفي وشكوكي معلّقةً حول رقبتني، تثقل كاهلي وتجرّني للأسفل، وتملاً أحلامي برعبٍ لا مثيل له، ثمّ هناك لحظةٌ أخرى حيث اختفت كلُّ تلك الأشياء فجأةً وبات كلُّ شيءٍ خفيفاً ورائقاً. تلك الأشياء لم تختفِ، لم يختفِ أيٌّ منها. لكن إن سألني أحداً ما، وكنتُ مضطّرةً لسببٍ ما أن أقول الحقيقة، فسوف أعتزف بأنّ التحدّث إلى الدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل عن حياتي قبل الحريق جعلني أشعر بتحسّن، ربّما قليلاً فحسب، وفي بعض الأيام حتّى أقلّ من القليل، لكنّه يسمّى تحسّناً رغم كل شيء. وهذا ليس شيئاً بلا قيمة. إنّه ليس كذلك حقّاً.

- «عمّ كنّا نتحدّث بالأمس؟»، أسألها. «لا أستطيع أن أتذكّر بكلّ صدق».

- «كنّا نتحدّث عن نيت، وعن رحيله»، يقول العميل كارلايل.
- «صحيح»، أقول بوجهٍ متجهّم. «إذاً فالجزء التالي سيكون بمعظمه عن لوك».

- «لا بأس»، يقول الدكتور هيرنانديز بسرعة. «ليس عليك أن —».

- «لا مشكلة. إنها آخر قصّة عنه سيتعيّن عليّ أن أرويها. أحسب أنّ هذا يبدو ملائماً»، أقول له.
- حسنٌ، إنها القصّة ما قبل الأخيرة. لكنّني ما زلتُ لم أقرّر إن كنتُ سأخبركما بتلك الأخيرة.
- «إن كنتِ واثقةً من ذلك. يمكننا التوقف في أيّة نقطة، كما هو الحال دائماً»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «لستُ واثقة، لكنّني سأحاول»، أقول له.

قبل مكتبة

t.me/soramnqraa

مرّ يومان منذ اختفاء نيت، وعِظة الأب جون ليوم الأحد تستعر بنيران الغضب.

لطالما تمحورت عظة الأحد حول نهاية الزمان، والمعركة النهائية، والمشاق والتضحيات التي سيتعيّن علينا بذلها كي نكون المنتصرين على خَدَمَة الشيطان، لكنّ هذه العظة بالذات تقطر دماً على نحوٍ لا يقبل الجدل. يخبرنا كيف يحافظ رجال الحكومة على قواهم الشيطانية عبر سحب الأجنّة من بطون المؤمنات وأكلها؛ كيف يستخدمون الكحول والمخدّرات لحرف الناس عن طريق الحقّ، ثمّ يحبسونهم في غرفٍ تحت الأرض ويضخّون البنزين في بطونهم إلى أن ينفجروا. يخبرنا أنّ هذه الأشياء - وأشياء أخرى أسوأ بكثير - هي ما سيحدث لكلّ منا إذا لم نخشَ عقاب الربّ الحقّ، ولم نكرّس أنفسنا بالكامل لعظمة مجده.

حين انتهى أخيراً، وفي الوقت الذي كان معظم إخوتي وأخواتي يحدّقون فيه بوجوه رمادية شاحبة ومعظم الأطفال يبكون بهدوء، يخبرنا أنّ الربّ قد زفّ إليه الأخبار السارّة: نيت تشايلدرس - المهرطق، جاسوس الخارج، خادم الشيطان الوضيع - قد مات. في الكنيسة أصوات شهقات، جنباً إلى جنب مع قليلٍ من التصفيق وعبارات الامتنان، فيما الأب جون من فوق المنبر يتبسّم لنا جميعاً.

إنَّه يبتسم.

وأقسم أنه ينظر إليَّ مباشرة أثناء ذلك.

لا أحرِّك ساكنًا. بل أحدِّق مباشرة في عينيْن اعتدْتُ أن أخاف النظر فيهما، اعتدْتُ أن أوْمَن أنَّهما رأتا طريق الحقِّ بوضوحٍ شديد.

أنا لم أعد أصدِّق ذلك.

وأنا لا أصدِّق أنَّ نيت قد مات، لا أصدق ذلك لثانيةٍ واحدة.

أنا أوْمَن - بل أعرف حق المعرفة - أنه هرب بعيداً، أنه خرج من القاعدة واختفى في العالم الخارجيِّ. وهو الشيء الذي لا يمكن للأب جون أن يعترف به إطلاقاً.

- «الآن وبعد أن تمَّ تطهير صفوف فيلقنا، وعادت العائلة لسلوك طريق الحقِّ، يمكنني أن أعلن أنَّ الربَّ رأى أنه من المناسب الكشف عن الهوية الحقيقية لقائد السرية الجديد، وهو رجلٌ ذو إيمانٍ وتفانٍ لا لبس فيهما، رجلٌ سيخدم بإخلاصٍ وصدق. إنَّه لمن دواعي سروري أن أسمِّي جاكوب رينولدز قائد السرية الرابع لكنيسة فيلق الربِّ المقدَّسة. الربُّ طيّب».

- «الربُّ طيّب»، تعلو أصوات إخوتي وأخواتي وهم يقفزون على أقدامهم ويصفقون ويهتفون ويهللون. يقف جاكوب، تنهمر الدموع على وجنتيه المنتفختين دائماً، ويحني رأسه باتجاه المنبر حيث يرُدُّ له الأب جون التحيَّة بمثلها.

- «شكراً لك، يا أبت. سأخدم الفيلق حتَّى أَلْفِظ أنفاسي الأخيرة»، يقول بصوتٍ متقطَّع.

- «لا تشكرني»، يقول النبيُّ. «اشكر الربَّ، فهو الذي دعاكَ إلى خدمته. الرب لا يخطئ».

يشبك جاكوب يديه معاً ويغمضُ عينيه بإحكام بينما يندفع إخوته

وأخواته عبر الممرّ وعلى طول المقاعد لمعانفته وتهنئته والترتيب على ظهره.

أراقبُ ذلك، ولا أشعر بشيء.
لا شيء على الإطلاق.

أعمل في فترة ما بعد الظهر في الحدائق، أعزقُ الخنادق الصغيرة بتربتها شديدة الجفاف والتي سيملؤها جو نيلسون بالبذور. عادةً ما تكون فترة ما بعد ظهر يوم الأحد وقتاً للراحة، لكن الفيلق بأكمله لا يزال معاقباً لأنّه لم يرَ حقيقة نيت قبل فوات الأوان. إلى الأمام منّي، تسقي أليس الصفوف التي زُرعت بالأمس. هي تنظر إليّ كل بضع دقائق مع تعبيرٍ على وجهها أودُّ أن أعتقد أنّه ينمُّ عن القلق، لكنّه يمكن بسهولة أن يكون نوعاً من اللوم. في كلّ الأحوال، أنا لا أنظر في عينيها.

تمرُّ الساعات كحالتها دائماً تحت الشمس الحارقة. أشرب زجاجة ماء، ثمّ أعيد ملأها من الصنبور خلف البيت الكبير، وأشربها أيضاً، إذ أحاول أن أبقى جسمي بارداً لكنني أيضاً أحاول أن أملاً معدتي التي تفرقر من الجوع. كنتُ قد أكلتُ إحدى شريحتي الخبز على الإفطار وأحتفظ بالأخرى من أجل العشاء الذي لا يزال على بُعد ساعاتٍ طويلة من الآن كما لو أنّه بعد أسبوع.

أركّزُ في رتابة المهمة التي بين يديّ، في الصوت الإيقاعي لرأس المعزقة المعدنية يرتطم بالأرض القاسية. ينتقل ذهني في مرحلةٍ ما إلى الوضع المحايد، ولأوّل مرّة منذ أيّام لا أفكر في نيت، أو أمّي، أو لوك، أو الأب جون. لا أفكرُ في أيّ شيء على الإطلاق.

إذ يُقَرَّع جرس الكنيسة إيداناً بانتهاء يوم العمل، أحمل المعزقة إلى الصنبور وأفرك رأسها المعدني حتى يلمع. إنَّ إعادة الأدوات متسخة هي إساءة تستوجب العقوبة حتى حين تكون الأحوال على أحسن ما يرام؛ وفي الأجواء المسمومة التي تخيم على القاعدة، قد يكون هذا على الأرجح كافياً لحبسي ليلةً أو ليلتين في الصندوق.

أتجه عبر الفناء إلى حظيرة المعدات حيث ينبغي تعليق المعزقة مجدداً على الخطاف المحدد بدقة. تتبني أليس مع نصف كيس من البذور بين ذراعيها، لكنها لا تبذل أيَّ جهدٍ لجسر المسافة بيننا والسير بقربي. سيكون من اللطيف أن أصدّق أنها متعبةٌ جداً ولا يمكنها الإسراع، أو أنها غارقةٌ في أفكارها، لكنني لا أستطيع إجبار نفسي على تصديق ذلك؛ أعلمُ أنها تتجنّبني فحسب. الجميع يتجنّبوني لأنني كنتُ مقربةً من نيت الذي تبين أنه مهرطق، تماماً مثل أمي.

جزءٌ مني يرغب في أن أستدير وأصرخ في وجه أليس إلى أن تفهم أنه ليس من العدل أن تلومني على ما فعله الآخرون، ليس من العدل أن يلومني أحدٌ بما في ذلك الأب جون نفسه. لكنني لا أنصاع لتلك الرغبة. بالطبع لا أنصاع.

يتردّد صدى صوتٍ من مكانٍ ما إلى الأمام، صوتٌ عالٍ وثقيل بما يكفي ليتسبّب في اهتزاز جدران وسقوف المباني الخارجية المتداعية. يتبع الصوت صرخةً مخنوقة تُكتم على نحوٍ مفاجئ، كما لو أن لسان صاحبها قد اقتُلع - وبدأتُ عندئذٍ أنا وأليس وكلُّ مَنْ كان يغدُّ السير باتجاه الحظائر في الركض، وأقدامنا تثير سحباً من الغبار حتى نصل إلى المبنى الكبير في المنتصف، المبنى حيث يُحتَفَظ بجرار الحراثة، وهناك يتجمّد كلُّ واحدٍ منّا واقفاً في مكانه.

جاكوب رينولدز جاٲ على ركبتيه وسط الحظيرة، وقد جحظت عيناه رعباً، ومنفرجه مبلّلاً بالكامل. لوك واقف خلفه، يضغط بمنشار على اللحم المترهل أمام حنجرتة. بالكاد استطعت التعرف عليه: وجهه قرمزي اللون، وفمه يتمم في صمت - كما لو أنه يتحدث إلى نفسه، أو يصلي، أو كلا الأمرين معاً - وعيناه مسعورتان وتقذحان شرراً. يرانا نصل ونقف أمامه فيدفع بالمنشار أعماق داخل رقبة جاكوب إذ يأخذ نصف خطوة إلى الوراء. يزفر جاكوب تنهيدة بدت وكأنها آخر أنفاس رجل يغرق.

- «لا تقربوا!»، يزعق لوك، وعيناه تنتقلان يمنةً ويسرةً مثل حيوانٍ محاصر. «سأقطع حنجرتة، أقسم أنني سأفعل!». - «لوك»، تقول أليس بصوتٍ هاديٍّ ومطمئن. «لا بأس، يا لوك. كلُّ شيءٍ على ما يرام. ضع المنشار فحسب». أكاد أضحكُ بصوتٍ عالٍ، لأنَّ نظرةً واحدةً على وجه لوك كفيلةٌ بجعلي أدرك أنَّ المناشذات العقلانية له كي يحكِّم عقله لن تجدي نفعاً؛ يمكنني من نظرةٍ واحدة أن أعرف أنه في الوقت الحالي على أقلِّ تقدير فاقدٌ لعقله تماماً.

- «اخرسي»، يجأر بصوتٍ رهيب. «اخرسي، اخرسي، اخرسي، اخرسي، اخرسي! هذا ليس عدلاً، هل تسمعينني؟ هذا ليس عدلاً!». -

- «حسنٌ، يا لوك»، تقول أليس وترفع يديها الفارغتين أمامه. «تكلم إليَّ وحسب. ما الذي ليس عدلاً؟ يمكنك أن تخبرني». يتغصَّن وجه لوك بينما تنهمر الدموع من عينيه. «أنا من يجب أن يكون قائد السرية الرابع»، يقول وقد أصبح صوته فجأةً أشبه بهمسٍ أجشٍّ. «يجب أن أكون أنا. لا أحد أكثر إخلاصاً مني للفيلق، ولا أحد مكرسٌ نفسه للربِّ أكثر مني. لكن هل يرى النبي ذلك؟ لا. هو

ينظر إليّ ولا يرى شيئاً، بل ويختار بدلاً منّي كيس القمامة هذا».

يثنّ جاكوب، وأناشده بصمت أن يلتزم الصمت. فأنا أصدّق في
لوك وأبحث عن أيّ شيء يجعلني أصدّق أن كلّ هذا للعرض فقط،
مجرّد خدعة مأكرة ترتدي لبوس العنف ما كان ليقدّم على تنفيذها
حقاً. لكنّ كلّ ما أراه هو قناعة، ولمعانٍ متألّئ في عينيه.

كلّ ما أراه هو الإيمان.

- «ليس الأب جون من عيّن جاكوب. الربّ هو الذي استدعاه
للخدمة. أم أنّك لا تصدق ذلك؟»، تقول أليس.

- «لا تحاولي استجوابي!»، يزمجر لوك. «لا تجريئي على
ذلك! أنتِ تعرفين عما أتحدّث!».

- «أنا لا أعرف عما تتحدّث، يا لوك»، يردد صوت الأب
جون مثل زلزالٍ وهو يخطو داخل الحظيرة، فترتجّ الجدران المتداعية
ويخيم الصمت على الحشد الصغير المتجمّع هناك. «لم لا تخبرني
إذا؟ هل تشكّ في إرادة الربّ أم تشكّ في أنّي رسوله؟».

يشحب وجه لوك، لكنّ المنشار يظلّ ثابتاً في مكانه. «أبت،
كيف أمكنك أن تفعل هذا؟ كيف أمكنك أن تتخلّى عنيّ؟»، يقول
بصوتٍ قوامه البؤس.

يخطو الأب جون ببطءٍ بين الحشد، شعره الطويل يرفرف في
الهواء، ونظّرتّه ثابتة كالنسر.

- «هنا الخطأ خطوؤك، يا لوك. لقد وضعت طموحك الشخصي
فوق إرادة الربّ، وهو ما يثبتُ حكمته في عدم اختيارك لتكون قائد
سريّة في فيلقه. إنّ خيبة الأمل هي ضعفٌ بشريّ يا أخي، تماماً مثل
الغيرة. ونحن جميعاً بشر، أنتَ وأنا والجميع هنا، نحن بشرٌ
وحسب، لا أكثر ولا أقلّ. يمكن تفهّم مشاعرك، يمكن حتّى أن
تُغفّر لك، لكن هذه ليست الدرب الصحيحة. هذه ليست عدالة

الرَّبِّ، وهذا ليس طريق الحقِّ. إذا بحثت صادقاً في قلبك، ستري أنني أقول الحقيقة».

يحدِّقُ لوك في الأب جون بعينين ممتلئتين بالدموع، ثمَّ يزفرُ تنهيدةً هائلة ومخيفة ترجُّ جسده بالكامل. يبعد المنشار عن حنجرة لوك، ويأخذ خطوة مترددة ومترنحة إلى الوراء، ثمَّ يسقط على ركبتيه مطرق الرأس.

يندفع جاكوب فوق الأرض على يديه وركبتيه وصولاً إلى قدمي النبيِّ. «شكراً لك، يا أبتِ»، يقول لاهثاً. «أوه، شكراً لك. الربُّ طيب».

ينظر الأب جون للأسفل نحو جاكوب، وأرى في وجهه علامات الاشمئزاز. «لا بأس، يا أخي. كلُّ شيء سيكون على ما يرام».

- «أريده أن يُوضع في الصندوق»، يقول جاكوب بوجهٍ محمرّ. «أريده أن يُحبَس إلى أن ينسى كيف هو ضوء النهار».

يخيّم سكون رهيب على الأب جون. «أنتَ تريد؟»، يهسهس باستهجان. «أنتَ قائد سريةٍ في فيلق الربِّ تبوّل على نفسه للتوّ، والآن تخبرني عن الأشياء التي تريدها؟ اغرب عن ناظريّ، وصلّ للربِّ أن يرحمك. صلّ كما لم تصلّ في حياتك، فلربّما يغفر لك هذا الفشل الذريع».

يحملق جاكوب في الأب جون وقد اتّسعت عيناه من هول الصدمة. «أبتِ، أنا —».

- «اذهب! اذهب الآن بينما لا تزال قادراً على المشي!»، يزأر الأب جون.

يترنّح جاكوب وهو يحاول النهوض واقفاً، ثمَّ يندفع عبر الحشد ويخرج من الحظيرة. يستدير بعض إخوتي وأخواتي ليتفرّجوا عليه

وهو يغادر، لكنني أبقي عينيّ على الأب جون. وجهه أشبه بالرعد،
قاسٍ ومظلم ومليء بالمخاطر.

- «لوك. قف وواجهني»، يقول الأب جون.

ينهض لوك، ووجهه عبارة عن فوضى كبيرة من الدموع
والمخاط. يترك المنشار يفلت من أصابعه ويظلّ محدّقاً في الأرض.

- «الرّب طيّب»، يقول الأب جون. «نظّف نفسك وانتظرنني في
الكنيسة. سوف نتحدّث عن هذا الليلة».

يرفع لوك رأسه، وذاك التوقيع المتخّم بالامتنان على وجهه
يجعلني أرغب في التقيّؤ.

- «شكراً لك، يا أبت»، يهمس لوك. «الرّب طيّب».

بعد

- العميل كارلايل والدكتور هيرنانديز يحدّقان بي في صمت.
- «مكث لوك في الكنيسة ليومين»، أقول لهما. «أمضى الأب جون معظم الوقت معه في الداخل. حين خرج أخيراً، عادت الأمور إلى طبيعتها نوعاً ما. لكن ليس حقّاً، وليس لوقتٍ طويل».
- «يا للصبي المسكين»، يقول الدكتور هيرنانديز. أومئ برأسي.
- «ماذا فعل جاكوب رينولدز؟»، يسأل العميل كارلايل.
- «حاول التظاهر بأن شيئاً لم يحدث. انخرط في عمله كقائد سرّيّة، وأخذ يتجوّل في أرجاء القاعدة ويصدر الأوامر ويُنزل العقوبات بالمخالفين. لكنّ الجميع كانوا يعرفون ما فعله به لوك، ولم ينسَ أحد ذلك قط».
- «هل تعتقدين أنّه لهذا السبب حاول أن يجعل منكِ عبرة في الحصّة التدريبية الأخيرة؟ أي أنّها كانت محاولة لاستعادة بعض الاحترام الذي فقده؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.
- أهزّ كتفيّ. «ربّما. لكنّه كان هكذا حتّى قبل أن يهاجمه لوك».
- «كيف كان؟».
- «متنّمّر. قطعة روث قدرة».
- يعبس الدكتور هيرنانديز بينما يكاد العميل كارلايل يضحك

بصوت عالٍ. يحمّر وجهي إذ ليس من عادتي أن أنعت الناس بصفات كهذه. ليس بصوت عالٍ على الأقل.

- «فلتطلق عليهم ما تشائين»، يقول العميل كارلايل.
أبتسم له، وأومئ برأسي.

- «إذاً فقد وقف الأب جون في صفّ لوك، وأذّلّ جاكوب أيّما إذلال، لكنّه أبقاه مع ذلك كقائد سرّيّة. لم يحدث ذلك باعتقادك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز بعد أن رمق الرجل الجالس بقربه بنظرة سريعة.

أهزّ كتفيّ. «لقد عيّنت نيت، ورأى الجميع كيف سار الأمر على نحوٍ خاطئ. لم يكن ليتحمّل تكرار ذلك، لذا كان عليه أن يلتزم بالإبقاء على جاكوب، رغم أنني متأكّدة أنه كان قد ندم بالفعل على اختياره».

- «أنتِ تقولين إنّ الأب جون هو الذي اختاره وليس الرب؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «الأب جون هو الذي اختاره».

- «هل أنتِ متأكّدة من ذلك؟».

أومئ برأسي. «أنا متأكّدة».

يبتسم ويدوّن ملاحظة سريعة في أحد دفاتره.

- «قلتِ إنّ كلّ شيء عاد إلى طبيعته بعد ذلك؟»، يقول العميل كارلايل.

- «قلتُ إنّ كلّ شيء عاد نوعاً ما إلى طبيعته. لكنني لا أظنّ أنّ هذا حدث فعلاً. فالأشياء لم تكن كسابق عهدها».

- «بأيّ معنى؟».

- «كان ثمة توتر»، أقول له. «كان الناس مضطربين. لم يقل أحدٌ شيئاً بصوت عالٍ، لأنّ أحداً لم يفعل ذلك يوماً، لكن كان

يمكنك الإحساس بذلك بمجرد أن تتجول في القاعدة. بدا أن الناس يتلفتون حولهم طوال الوقت كما لو كانوا مذعورين». - «من ماذا؟».

أهزكتني. «من كل شيء». ظللنا نعمل لوقت مضاعف ونتلقى حصص الطعام العقابية لشهر آخر، مع أنه كان من المفترض أن الفيلق قد عاد إلى طريق الحق. كان قادة السرايا متأهبين وغازبين، ينزلون العقاب بالناس لأسباب بالكاد كان يمكن ملاحظتها قبل أن يهرب نيت ويفعل لك ما فعله بجاكوب. كما أن العقوبات أصبحت أسوأ؛ أسوأ بكثير. كان الناس يتعرضون للضرب والجلد في الفناء معظم الأيام، وبالكاد كان ثمة سبب».

- «أين كان جون بارسون بينما كان يحدث كل هذا؟»، يسأل العميل كارلايل.

- «جالساً يتفرج من على شرفة البيت الكبير. لم يجرؤ أحد على النظر في عينيه، ليس حتى أموس».

- «ماذا عن لوك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «أمضى كل وقته تقريباً في الكنيسة».

- «هل كان ذلك شيئاً غير اعتيادي؟».

- «لم يعرف الناس كيف يفهمون ذلك. كان لا يتحدث لأحد باستثناء الأب جون. وإذا حاولت التحدث إليه، فسينظر عبرك فحسب كما لو أنك غير موجود. رغم مضاعفة أوقات العمل والعقوبة، إلا أنه توقف عن العمل، لكن أحداً لم يقل شيئاً بشأن ذلك، وبدا أن قادة السرايا يتجاهلون الأمر».

- «هل تظن أنهم كانوا يخشونه بعد ما حدث لجاكوب؟».

- «ربما»، أقول له. «أو ربّما لم يكونوا متأكّدين ممّا قد يفعله الأب جون إذا حاولوا معاقبة لوك. في كلتا الحالتين، فقد حبس

نفسه في الكنيسة، وصلى لساعات طويلة، ثم بعد يومٍ أو يومين تركه الجميع وشأنه».

- «هل تعتقدن أن هذا هو ما سبّب تلك السلوكيات التي شهدناها في جلسات التفاعل الاجتماعي؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز. «هل رأى لوك في نفسه وريثاً للأب جون؟».

- «إنّ عدم تعيينه كقائد سرّيّة آذاه بالتأكيد. كان ولاؤه للفيلق حقيقياً، وكذلك حبّه للأب جون. لكنني لا أعرف كيف كانت ستجري الأمور لو لم يحدث الحريق. لا أعرف كيف رأى لوك مستقبله».

- «هل تعتقدن —».

- «يجب أن نتوقّف الآن إذا كنت ستعيد عقد جلسة التفاعل الاجتماعي، وتريد أن يتسنى لمونيم بعض الوقت كي تأكل شيئاً قبل أن تبدأ»، يقول العميل كارلايل وهو ينظر إلى ساعته. أنظر إلى الساعة فوق الباب. إنّها تشير إلى 12:56.

- «بالأكيد»، يقول الدكتور هيرنانديز. «مونيم، هل أنتِ —».

- «أنا بخير»، أقول مستبقةً سؤاله. «ستكون الأمور على ما

يرام».

ثمّة انزعاجٌ بسيط في معدتي لأنني تناولتُ غداًتي بسرعةٍ كبيرة، لكنّ هذا ليس السبب في كوني آخر الواصلين إلى جلسة التفاعل الاجتماعي.

سألتُ الممرّضة هارو لدى وصولنا إلى الباب إن كان يمكننا التوقّف في الرواق للحظة. عبستُ وسألتنِي إن كنتُ بخير، فقلتُ لها إنّني لستُ كذلك، إذ لم أرغب في الكذب عليها، لكنني هزرتُ رأسي بالنفي عندما سألتني إن كنتُ أريد منها أن تحضر لي أيّ

شيء. كنتُ فقط بحاجةٍ إلى بضعِ ثوانٍ كي أستجمع أفكاري، وأحاول الإحاطة بهذا الوضع المتغيّر وموقعي فيه.

أعرف ما الذي سيكون بانتظاري داخل غرفة العلاج الجماعي، وما الذي يريد جيرمايا ورينبو التحدّث عنه. أخذتُ ثانيةً للتفكير في لوك قبل أن أدخل إلى هناك، وقبل أن أقول أيّ شيءٍ يجب أن أقوله كي أفعل ما طلب منّي العميل كارلايل والدكتور هيرنانديز فعله. لا يمكنني أن أسمح لنفسي بالحزن عليه، ليس الآن على الأقل؛ أحتاج الآن إلى الاحتفاظ بما تبقى لديّ من قوّة لما أنا مقدّمٌ عليه. لكن ما حدث له ليس عدلاً، ولم يكن يستحقّه.

لقد كان في السابعة عشرة من عمره، والآن هو ميت. يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي: مثل أليس، وأغافي، وجو نيلسون، وكل الآخرين. لقد مات الجميع. يتجهّم وجه الممرّضة بينما أهرّ برأسي. أقول للصوت: أنا لا أزال حيّة. وكذلك هوني ولوسي ورينبو والآخرين. ويجب أن أحرص على أن يبقوا كذلك.

أعلم أنّ طلب المساعدة منّي كان إبداءً هائلاً للثقة بي من قبل العميل كارلايل والدكتور هيرنانديز، وأعلم أنّهما لم يتخذا قراراً كهذا بسهولة. أنا ممتنّة لذلك، إذ يجب أن أصدّق أنّهما يعتقدان أنّني أحقّق تقدّماً ملموساً في عمليّة الدكتور هيرنانديز. هو لطالما قال لي أشياء لطيفة، وغالباً ما أخبرني أنّي أبلّي حسناً حين أريد منّي أن أستمّر في الكلام، لكنني لم أعرف أبداً إن كان يجدر بي تصديقه.

لكنّ هذا الوضع محسوسٌ أكثر. هذا الوضع يبدو حقيقياً. لكنّه يسبّب لي الذعر أيضاً. ما أعطني لي هو فرصةٌ للتكفير عن الذنب. إنّ خطي أنّ إخوتي

وأخواتي ينتظرونني داخل غرفة العلاج الجماعي بدلاً من أن يكونوا في القاعدة مع عائلاتهم، ولسوف أفعل كلَّ ما بوسعي لمساعدتهم. كلَّ ما بوسعي. لكن ليس هذا ما يخيفني، ما يخيفني هو احتمال أن نكتشف أنَّه ما من شيءٍ يمكنني فعله، ما من شيءٍ يمكن لأحدٍ فعله؛ أن نكتشف أنَّه لا توجد أية إمكانية لمساعدتهم، وكلُّ ذلك بسببي.

أومئُ برأسي للممرضة هارو، فتبتسم لي ابتسامةً أصغر وأكثر حزناً من ابتسامتها المعتادة ثمَّ تفتح الباب. أعبرُ إلى الداخل ويلتفتُ نحوي سبعة عشر زوجاً من العيون في نفس الوقت.

- «مرحباً»، أقول وأنا آمل أن أتمكن من إظهار الهدوء دون أن أشعر به في الواقع. «كيف حال الجميع اليوم؟».

- «لوك ارتقى»، يقول جيرمايا وعلى وجهه ابتسامةٌ كبيرة. «دعاه النبيّ إلى حضرة الرب. سيحلُّ الدور علينا قريباً».

تنقبضُ معدتي. «حسنٌ، هل تريد التحدّث عن ذلك؟».

يومئُ جيرمايا برأسه بلهفة، كحال معظم إخوتنا وأخواتنا. هناك في الجهة الخلفية من الغرفة، هوني مع رينبو واثنين آخرين لا يحركون ساكناً، ونظرات الاشمئزاز تعلو وجوههم.

- «كان لوك أفضلنا، وأكثرنا صدقاً وإيماناً. لهذا السبب ذهب أولاً»، يقول جيرمايا.

أجلس القرفصاء وسط الغرفة، وأومئُ لبقيتهم أن ينضمّوا إليّ. يأتون بطيب خاطر، حتّى هوني ورينبو، ويشكّلون دائرةً حولي، وعيون الجميع شاخصةٌ إليّ. وعلى نحوٍ تلقائيّ، يمسكُ الكثير منهم بيد الشخص الموجود إلى جانبهم.

- «هل هذا ما تعتقدونه جميعاً؟»، أسألهم.

يومئُ معظمهم برأسه موافقاً، وجوههم الصغيرة جادّة ورصينة. قلّةٌ منهم لا تستجيب على الإطلاق، وربّما نحو نصف دزينة تهزُّ

رأسها بالنفي . وحدها أورورا من بين الأقلية المعارضة كانت شجاعة بما يكفي لتعبّر فعلياً عما يدور في خلدها .

- «لا أعتقد أنّ لوك كان الأفضل»، تقول أورورا بصوت ثابت . «أعتقد أنّه كان لثيماً، ولا أحسب أنّه ارتقى . أظنّ أنّه في الجحيم» .

تسري قشعريرة صعوداً عبر عمودي الفقريّ . وجهُ أورورا شاحبٌ جدّاً، لكنّ رؤية عينيها اللتين تفيضان عزماً وإصراراً جعلت قلبي يصطخب .

- «أنتِ لا تعرفين شيئاً»، يقول جيرمايا بصوت يرتفع تدريجياً . «أنتِ مجرد فتاة غيّبة . لم لا تخرسين فحسب؟» .

- «هذا يكفي»، أقول له . «مسموح للجميع أن يكون لهم رأيهم الخاص» .

- «هذا ليس رأياً، هذه هرطقة . كان لوك شقيقاً لنا، وقد دعاه الأب جون إلى جواره، ولا يمكنها أن تقول إنّه في الجحيم . هذا ليس مسموحاً»، يقول جيرمايا بصوت عالٍ ومرتعش . إنّهُ محظّم، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي .

أتجاهل الصوت، وأركّز كلّ انتباهي على جيرمايا . لقد وُلد في القاعدة، ومات والداه وشقيقه - البيولوجي - في الحريق، وأذكرُ نفسي كم هو حزين، إنّهُ مجرد طفلٍ صغيرٍ انهار عالمه بالكامل . أطالب نفسي أن تتحلّى بالصبر معه . معهم جميعاً .

- «هل من المهمّ بالنسبة لك أنّ لوك ارتقى يا جيرمايا؟»، أسأله .

يتجهّم كما لو أنّني طرحْتُ عليه أغبي سؤالٍ في التاريخ . «بالطبع إنّهُ مهم» .

- «لماذا؟» .

- «لأنّه ذهب ليجلس إلى جانب الربّ، مثلما وعد الأب جون»، يقول لي .

وإن كنتَ تصدّق أنّ هذا ما حدث للوك، فيمكنك أن تصدّق أنّ هذا ما حدث لوالديك وشقيقك .
- «ماذا يفعل برأيك؟»، أسأله .

- «هو ينظر إلينا من هناك الآن، جميعهم يفعلون»، يقول جيرمايا .

- «ماذا تريد لهم أن يروا؟» .

- «أننا نتمنّى لو كنّا معهم هناك»، يقول، وأرى دموعاً تتجمّع في زاويتيّ عينيّه . «وأننا لا نريد أن نُترك هنا لوحدها . نريد أن تأتي أيضاً» .

- «لم يذهب لوك إلى أيّ مكان، يا جيرمايا»، تقول هوني بصوتٍ خفيض . «مثلته مثل الأب جون والآخرين جميعاً . لقد ماتوا فحسب» .

أكثرُ إذ يستدير جيرمايا نحوها، وقد استحال لون وجهه وردياً غامقاً وغاضباً .

- «أنتِ كاذبة!»، يصرخ بأعلى صوته . «اسحبي ما قلته!» .

تهزُّ هوني رأسها . «لن أفعل» .

يقفزُ جيرمايا على قدميه، قبضته مكوّرتان ومشدودتان . «سوف أرغملكِ على ذلكِ إذّا! سوف —» .

- «لن تفعل أيّ شيء»، أقول له . «اهدأ، يا جيرمايا» .

ينظرُ إليّ، عيناه جاحظتان وتشتعلان غضباً . «ألم تسمعيها؟ ألم تسمعي ما قالته عن النبيّ؟» .

- «لقد سمعتُ ما قالته. يمكنني رؤية أنك مستاء، ولا بأس بهذا. لكن العنف ليس هو الحلّ».
- «لو أن قادة السرايا هنا —».
- «ماذا كانوا سيفعلون؟»، أسأله.
- «كانوا سيوسعونها ضرباً»، يقول جيرمايا، وفي عينيه وميضٌ يجعل معدتي تنقبض. «كانوا سيحبسونها في صندوق إلى أن تتعهد بآلاً تتلقظ بالهرطقة ثانية».
- «هل تعتقد أن هذا سيكون عدلاً؟»، أسأله.
- يومئ برأسه. «قطعاً».
- «لماذا؟».
- «لأنّ هذه مشيئة الرب».
- «كيف تعرف أن هذه هي مشيئته؟»، تسأل هوني وكأنّها تتكلّم بلساني.
- يهزّ جيرمايا رأسه. «لأنّه أخبر الأب جون، والأب جون أخبرنا»، يقول كلّ كلمةٍ ببطءٍ شديد كما لو أنّه يتحدّث إلى شخصٍ غيبيّ.
- «كيف تعرف أن الربّ أخبر الأب جون بأيّ شيء؟»، تسأل هوني.
- «لأنّ —».
- «لأنّه قال ذلك. بالضبط. لكن ماذا لو كان يكذب يا جيرمايا؟ ماذا عندئذٍ؟»، تقول هوني.
- «لَمْ قد يفعل الأب جون ذلك؟»، يسأل جيرمايا، ويوقظ بي ذاك الإيمان البريء الذي يشعّ على وجهه الرغبة في العودة بالزمن إلى الحريق كي أفعّل ما فعلته في البيت الكبير مرّةً ثانية. «نحن عائلته. لَمْ قد يكذب علينا؟».

- «الناس يكذبون»، تقول هوني بصوتٍ أرقٍّ من ذي قبل على نحوٍ ملحوظ. «أنا آسفةٌ، يا جيرمايا. لم أقصد إزعاجك. لكنّ الناس يكذبون».

لحظةٌ من صمتٍ ثقیل؛ لا أعرف خلالها بصدقٍ ما إذا كان جيرمايا سينقُضُ مهاجماً هوني أم أنّه سينفجر بالبكاء. يحدّق بقيّة إخوتنا وأخواتنا بي وكأنّهم ينتظرون منّي أن أفعل شيئاً، وأودُّ أن أخبرهم أنّه ما من شيءٍ يمكنني فعله، وأنّ هذه المحادثات هي ما نحتاجه إذا أراد أيُّ منّا المضيّ قدماً، لكنني لا أعرف كيف أخبرهم بذلك، لذا لا أقول أيّ شيء على الإطلاق.

- «أنا لا أكذب»، تقول رينبو بتمعّن. «لا أعتقدُ أنّ الكذب شيءٌ لطيف».

أشخُرُ ضاحكةً على نحوٍ لا إرادي. يمتقعُ وجهي على الفور جرّاء الشعور بالذنب، لكنّ الجدّية الكبيرة والمدرّوسة بعناية التي غلّفت صوتها صدمتني، ولم يعرف جسدي طريقةً أخرى غير الضحك ليتفاعل مع ذلك.

تعبس رينبو في وجهي بإحباط الأطفال عندما لا يعتقدون أنّهم يؤخذون على محمل الجدّ. ألوّح لها بيدي في محاولةٍ لطمأنتها بأنني لم أكن أضحك عليها، فأنا لم أكن كذلك في الحقيقة، لكنّ هوني بدأت تضحك عندئذٍ، وكذلك وينتر، وهو ما جعلني أنخرط في الضحك من جديد وأشعر وكأنّ جداراً قد انهار بداخلي - فماذا يفترض بك أن تفعل غير ذلك حين يحترق عالمك ويتحوّل إلى رماد لكنّك لا تزال على قيد الحياة، لا تزال تتنفس، ولا يزال المستقبل ينطوي على الاحتمالات، بغض النظر عن مدى ضبايتها؟

إنّ ثلاثة أشخاصٍ يضحكون معاً أكثر من كافٍ لإصابة أي أحد في مرمى السمع بالعدوى، وخلال ثانية كان الجميع تقريباً

يضحكون. البعض يمسكون ببطونهم، وآخرون يضغطون بأيديهم على أفواههم، وتستحيل حدود الجميع وردية اللون، وتمتلئ العيون فجأة بسعادة كان لا يمكن تخيلها قبل عشر ثوانٍ. لا تزال رينبو عابسة، كما لو أنها ليست مقتنعة تماماً بأننا لا نضحك عليها، لكن حتى جيرمايا تدبر أن يبتسم أصغر ابتسامة، رغم أنني لا أستطيع إلا أن أفكر أنها نتيجة اعتذار هوني له أكثر من كونها شيئاً قريباً للسعادة الحقيقية.

لكن لا بأس بذلك.

ذلك شيء ما.

وللحظة قصيرة جداً، تخطر ببالي لأول مرة منذ الحريق فكرة تدور حول احتمال - مهما كان ضعيفاً وضبابياً - أن الأمور ربما ستؤول لتكون على ما يرام، لبعضٍ منهم على الأقل. ربما.

بعد

البيت الأزرق. المدخنة. العشب الأخضر. اتساع المياه العظیم. الهيئتان البشريّتان.

أرسم وأضع الورقة جانباً، ثمّ آخذ ورقةً جديدة وأرسمُ ذات الشيء مجدّداً. لا يتطلّب مني هذا الرسم أيّ نوع من التفكير الواعي، وهو شيءٌ جيّد، لأنّ لوك يحتلّ عقليّ بالكاملٍ.

من بين كلّ الأشياء الفظيعة التي حدثت بسبب الأب جون، تلك القائمة الطويلة المرعبة، يبدو موت لوك الآن وكأنّه أسوأها. لقد اختار إخوتي وأخواتي البالغون أن يتبعوا النبيّ، وأن يثقوا ويؤمنوا به، بل وأن يكرّسوا حياتهم له، وذلك لأسباب تخصّهم: إيمانٌ حقيقيّ، أو يأس، أو ربّما مجرد حاجةٍ إلى أن يكونوا جزءاً من شيءٍ ما، وأن يكونوا قادرين على تصديق أنّ الحياة كانت أكثر من مجرد ما يمكنهم لمسهِ ورؤيته.

لكن لوك؟

لوك لم يكن لديه الخيار قطّ. لقد رُسمت حياته له حتّى قبل أن يولد.

تطفو على السطح ذكرى. لوك في العاشرة أو الحادية عشرة ربّما، شديد الانفعال ومضطرب وأبعد ما يكون عن النضج، كان ذلك على الأرجح بعد حوالي ثمانية عشر شهراً من وصول الأب جون إلى

القاعدة. كان جالساً عند الطرف الجنوبيّ من الفناء يكتب أرقاماً على الإسفلت بقطعة طباشير، كما لو أنّه يرسم شبكة لعبة الحجلة. أمشي عبر الفناء، أتوقّف خلفه وأقرأ الأرقام من فوق كتفه.

21 : 1

19 : 11

21 : 8

12 : 9

20 : 10

1 : 5

ينظر إليّ، يبتسم ثمّ يواصل الكتابة. أحدّق في الأرقام لبرهة طويلة قبل أن أدرك ما الذي أنظر إليه. إنّها مقاطع من الكتاب المقدّس. سِفر الرؤيا.

أمدّ يدي وأخذ ورقة جديدة بينما تملأ الدموع عينيّ. لا أحاول إرجاعها ولا أقوم بمسحها. أتركها تنهمر، لأنّها أقلّ ما يستحقّه لوك. أقلّ ما يستحقّه الجميع.

ما الفرصة التي كانت لديه؟ ما فرصته في ظلّ عدم وجود والدين لرعايته، والأب جون الذي أخذ دور أبٍ بديل له يهمس في أذنه عن نهاية العالم طوال الوقت؟

أخبرني هورايزون ذات مرّة أنّك إذا ضربت كلباً منذ يوم ولادته، فسوف يثُنّ ويختبئ وسوف يبدو مذعوراً ومرتباً. لكنّه قال إنّ في النهاية - ولن تعرف يوماً متى ستحلّ - الكلبُ نفسه سوف يبدأ في العَضّ. سوف يعضّ لأنّك لم تعطه سبباً لثلاً يفعل ذلك.

أدفعُ بورقةً أخرى جانباً. يصبحُ قلمُ الرسم أكثر تحرراً في يدي شيئاً فشيئاً؛ يبدو المنزل الآن أكثر بقليلٍ من مجرد علامة X داخل

مربّع مع مثلث في أعلاه، فوق عشبٍ هو عبارةٌ عن تشطّياتٍ باللون الأخضر ومع مياهٍ من خطوط زرقاء متعرجة.

أفكرُ في لوك وهوني ورينبو والآخرين، في الدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل، وأقول لنفسي إنَّ كلَّ ما أريدُ فعله هو المساعدة؛ كلُّ ما أريدُ فعله هو أن أجعل الأمور تتحسن.

كاذبة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي، لكنّه لا يبدو فظاً. إنّهُ لطيف.

أخفضُ رأسي وتسيلُ دموعٌ جديدة على خدّي، لأنني أعرفُ أنّ الصوت على حقّ. أنا أكذب على نفسي - إن كان كلُّ ما أريده حقاً هو المساعدة، كنتُ عندها سأخبر الدكتور هيرنانديز بكلّ شيءٍ في جلستنا الأولى، ولتذهب العواقب أيّاً كانت إلى الجحيم. لكنني لم أفعل ذلك آنئذٍ، ولم أفعل ذلك حتى الآن، لأنني لا أعرف ماذا سيحدث لي إن فعلت وأخاف حتّى أن أعرف.

لكن...

ماذا لو كان ثمة شيءٌ لم أخبرهما به وكان من شأنه أن ينقذ لوك؟ تفصيل صغير كان سيجعل الدكتور هيرنانديز وزملاءه يراقبون لوك عن كثب، أو يضعونه في مكان ما كان ليتمكّن فيه من إيذاء نفسه؟

لا، لا، لا، لا، لا.

أنا لا أستطيع أن أفكر على هذا النحو. أنا لا أستطيع فحسب. لن يعرف أحدٌ على الإطلاق لمَ فعل لوك ما فعله، فلا أحد سيمكن أبداً من سؤاله، إلّا إذا اتّضح أنّ الأب جون كان على حقّ طوال الوقت.

تسري قشعريرة في جسدي، فتلك فرضيّةٌ لا تحتمل أن أفكر بها، ليس حتّى لثانيةٍ واحدة.

أشرعُ في الرسم مجدّداً، وأحاولُ إرغام نفسي على الإبطاء
والتركيز كي أخلق شيئاً يبدو موجوداً حقّاً في العالم الفعليّ، وأفكّر
أثناء ذلك فيما طلب منّي الدكتور هيرنانديز والعميل كارلايل القيام
به .

أنا ممتنةٌ لهما .

أنا كذلك .

كما هو الحال مع كلّ شيءٍ حدث منذ أن استيقظتُ في هذا
المكان الكئيب، ينبغي بي أن أفترض أنّني لا أعرف سوى القليل ممّا
يجري بالفعل . قد يكون طلبهما خطوةً محسوبةً، فهما يعرفان كيف
يعمل عقلي، ويمكنهما توقّع ردود أفعالي، وكلُّ ما يفعلانه هو
إيهامي بأنني حرّة الإرادة .
لكنّني لا أصدّق ذلك .

كانت عينا الدكتور هيرنانديز تفيضان قلقاً وهو يشرح ما يريدان
منّي القيام به ولماذا، وهذا يعني أنّه إمّا كان متأثراً حقّاً بموت لوك
وما قد يعنيه ذلك لبقية الناجين أو أنّه ممثّلٌ بارع بصورة لا تصدّق .
لا أملك وسيلة لمعرفة أيّ من الحالتين تنطبق عليه، لكنّ هذا
لا يهمّ حقّاً . إذ لا يمكنني أن أجعل هذا يتمحور حولي بعد الآن،
حول ما أعرفه وما فعلته، وما سيحدث لي إذا ما اكتشف أحدٌ ذلك .
إخوتي وأخواتي هم كلّ ما يهمّ الآن .

بعد

يبتسمان إذ أخبرهما بما قالته رينبو، رغم أنني أعرف أن أحدهما على الأقل كان يشاهدها حين قالت ذلك.

- «لقد أبليتِ حسناً»، يقول الدكتور هيرنانديز. «حافظتِ على هدوئكِ وشجعتِ على النقاش، ولم تقمعي جبرمايا حين بدأ يتصرف برعونة. هذا بالضبط ما كنا نأمله».

- «يسعدني أنكما مسروران، لكنني لا أفعل ذلك من أجلكما أو حتى من أجلي. أنا أفعل ذلك من أجلهم»، أقول لهما. يتسم لي العميل كارلايل.

- «بالطبع. لكن هل يمكنك أن تخبريني لماذا؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لأنه سيحلُّ يومٌ يغادرون فيه هذا المكان. وسوف يكتشفون، سوف يرون بأنهم أن كلَّ ما يعرفونه كان خطأً، وكلُّ ما قيل لهم كان كذباً. إن أولئك الذين وُلدوا بعد التطهير لا يعرفون شيئاً عن العالم الحقيقي إلا ما وصلهم عبر القيل والقال».

- «سوف يُعَتنى بهم جيّداً. لن نتخلّى عنهم أبداً. سنساعدهم في كلِّ خطوة سيخطونها»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «أنا أصدّقك»، أقول وأنا أعني ذلك حقّاً. «لكن حين سيبدأ أناسٌ لا يعرفونهم في إخبارهم أن ما تربّوا على الإيمان به كان

خاطئاً، فإنَّ هذا سيجعل الأمر يبدو كما لو أنَّ الأب جون لطالما كان محقّقاً بشأن الغرباء».

- «إذا أنتِ تعتقدين أنَّكِ مَنْ يجب أن تخبريهم بذلك؟».

أهزُّ رأسي. «أنا لا أقول ذلك. أستطيع أن أرى التقدّم الذي أحرزوه بالفعل، وأعلم أنَّ بعضهم بدأ يثق بك وبزملائك. هل أظنُّ أن سماع نفس الأشياء مِنِّي أو من هوني سوف يساعد؟ نعم، أظنُّ ذلك. لكنني بصراحة لا أعرف إلى أيّة درجة. إنَّ ندوبهم عميقة حقّاً».

- «أنتِ تحاولين. هذا كلُّ ما يمكنكِ فعله»، يقول الدكتور هيرنانديز.

إنّه على حقّ، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي. محاولتكِ مهمّة، إنّها ليست بلا قيمة. أومئُ له برأسي.

- «هل ما حدث للأطفال هو ما جعلكِ تشكّكين في الفيلق؟»، يسأل العميل كارلايل. «مسألة لوك وهوني، وما فعله جاكوب رينولدز بلوسي؟».

أهزُّ كتفيّ. «ما جرى مع هوني كان بالتأكيد جزءاً من ذلك. لكنّ ضُرب جاكوب للوسي بعد التدريب كان قبل يوم أو يومين فقط من الحريق. كان إيماني قد سقط قبل ذلك بوقتٍ طويل».

- «هل يمكنكِ أن تتذكّري ماذا كان أول ما جعلكِ تشكّكين؟ هل كان نفي والدتك؟». أومئُ موافقةً.

- «هل أنتِ مستعدّة للحديث عن ذلك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لا».

- «هل ستحدّثين؟» .
- «نعم» .
- «لماذا؟» ، يقول مبتسماً .
- «لأنّني بحاجةٍ إلى ذلك» .

قبل

السماء ملبّدة والجوّ قاتم بينما يصطحبني قادة السرايا إلى البيت الكبير.

ساقاي ترتعشان إذ أصعد الدرجات إلى الشرفة. يقرع بير على الباب ثم يقف إلى جانبي بينما يقف هورايزون إلى الجانب الآخر. أسألهما ما الذي يحدث للمرة الخمسين خلال دقيقتين، لكن لا أحد منهما يجيبني، ولا أحد منهما ينظر إليّ.

- «أرجوكما، أخبراني ما الذي يحدث. أرجوكما».

لا شيء.

- «عليك أن تأتي معنا»، كان هذا ما قاله بير. كنتُ أعمل في الحقائق، رغم أنني لم أكن أعمل حقّاً، كنتُ في الغالب غارقة في أحلام اليقظة، ولو هلهة اعتقدتُ عندما رأيتهما يقتربان باتجاهي أنّهما لاحظا ذلك. «لقد استُدعيْتُ أمّك للمثول أمام الأب جون كي تقدّم إجاباتٍ عن خطاياها».

أَقْطُبُ حاجبي. «ما الذي تتحدّثُ عنه؟ أيّة خطايا؟».

- «الهرطقة»، يقول بير، وأشعر بمعدتي تتفكّك وتستحيل ماءً.

تفتح بيلا الباب الأمامي، وأدلفُ إلى البيت الكبير على ساقين من هلام، وأرى أمّي تقف وسط غرفة المعيشة الكبيرة، فأصرخ مناديةً باسمها لأنني مذعورةٌ حقّاً ولا أحد يخبرني بما يحدث. تدور

بسرعة لدى سماع صوتي، وترمقني بنظرة أعرفها جيداً؛ نفس النظرة التي رأيتهما عندما سقطتُ من السيّارة وكسرتُ ذراعي - النظرة التي ترمقني بها حين تريد منّي أن أكون شجاعة. يجتاح الذعر كلّ خلية في جسمي، وأهرعُ مستميتةً نحوها لألقي بنفسي في أحضانها، لكنّ هورايزون يأخذ خطوةً هائلةً واحدة ويرفعني بسهولة عن الأرض. أركلُ وأضرب وأصرخ لكنه يثبّتُ ذراعيّ إلى جانبيّ ويمسك بي بإحكام.

- «لا تجعللي الوضع أسوأ ممّا هو عليه. الربُّ طيّب»، يهمس لي.

- «لا بأس»، تصرخ أمّي. «لا بأس يا قمري الصغير. لا تبك».

يضعني هورايزون أرضاً. يبقى يديه على كتفيّ، لكنني لا أظنّ أنّني أستطيع حمل نفسي على التحرك مجدّداً - نظرة السخط على وجه أمّي، وجنتاها الحمراءوان وعيناها المتقدّتان وهي تحدّق في الأب جون، جعلتني تلك النظرة أتجمّد في مكاني. النبيّ جالسٌ على كرسيّ كبير تحت النافذة، وأنجل ولونستار يقفان بصمتٍ على جانبيه. بيلا وستار وأغافي جاثمات على السلالم، وجوههنّ شاحبة ويشوبها القلق.

الجميع هنا باستثنائي يدينون بالولاء للأب جون. لا أحد هنا من أجل أمّي. أنا الشاهد الوحيد على كلّ ما هو على وشك الحدوث.

ليس هناك خوفٌ على وجه أمّي. فمّها خطّ رفيع، بينما هي تحدّق في الأب جون، وعيناها تنظران في عينيه مباشرة. يهدر قلبي بقوة داخل صدري، وتنكمش أحشائي لتصبح بحجم حبة جوز وأنا أرتجف خوفاً لأنني لا أفهم ما الذي يحدث، لا أفهم على

الإطلاق. لقد استيقظتُ هذا الصباح وتناولتُ وجبة الإفطار، ثم ذهبتُ إلى الحدائق وكان كلُّ شيء يبدو طبيعياً تماماً، والآن يبدو وكأنَّ كلَّ شيء قد انقلب رأساً على عقب.

- «هل تنفين التهم الموجهة إليك؟»، يسأل الأب جون بصوت عميق وخفيض ومفعٍ بالتهديد.
لا تحرّكُ أمي ساكناً. لا تبدِ أيّ ردّ فعل. هي تحدّق به وحسب.

يردُّ لها التحديق بالمثل لبرهة طويلة، ثمَّ يبتسم ابتسامة عريضة ويقول: «دعيني أكرّر التهم على مسامعك كي يكون كلُّ شيء واضحاً كالشمس، وكي تتحقّق عدالة الربّ على أكمل وجه. التهمة الأولى هي الرّدة. كيف تدافعين عن نفسك؟».

دفاع؟ التهمة الأولى؟ هل هذه محاكمة؟

- «لستُ مذنب»، تقول أمي بصوتٍ أشبه بتكسر الجليد.
- «لقد عثرنا على دفتر يومياتك»، يقول الأب جون، ويلتفتُ إلى لونستار الذي يحمل كتاباً ذا غلافٍ جلديّ لم يسبق لي أن رأيته من قبل. «هل تعترفين أنَّ هذا يخصّك؟».
تومئُ أمي أصغر إيماءة برأسها.

- «ممتاز»، يقول الأب جون. «إنّه يصفُ بتفصيل دقيق انحرافك عن طريق الحقّ. لن أقرأ الفقرات بصوتٍ عالٍ، لأنَّ فعل ذلك سيكون تنفيذاً لإرادة الشيطان، لكن من الآمن جدّاً القول إنَّ تلك الفقرات تشكّلُ خيانةً شنيعةً للربّ جلّ وعلا. إنَّ هذا المكتوب بخطّ يدك يدينك على نحوٍ واضح وشامل، لذا سأمنحك فرصة أخرى للاعتراف بذنبك. فماذا تقولين؟».

تضيّقُ أمي عينيها وتقول: «لقد أسأتُ الفهم. لا يمكن أن أكون

مذنباً بالردة، إذ من المستحيل أن تتخلى عن إيمانٍ لم يكن لديك في الأساس».

تشهقُ بيلاً مصدومة، وتضعُ أغافى يديها على ركبتيها المرتجفتين.

- «إذاً أنتِ تعترفين بأنكِ زائفة؟»، يسأل الأب جون.
- «أنا لا أؤمنُ بك»، تقول أمي. «لم أؤمن بك يوماً، ليس حتى للحظةٍ واحدة. سأعترف بذلك بكل سرور». يتسم النبي ويقول: «وهكذا نكون قد توصلنا للحقيقة أخيراً. ربّما —».

- «الأب باتريك كان مغفلاً»، تزعق أمي. «كان مجرد حالم غير مؤذٍ حاول أن يخدم إلهه بأفضل ما يستطيع. أمّا أنت؟ أنتِ دجالٌ وضيع، آكلٌ جيفٍ يقات على الضعفاء واليائسين. أنتِ نكرةٌ حقيرة».

أشهقُ من هول الصدمة. لم أستطع منع نفسي، إذ لا أعتقد أنني سمعتُ من قبل أحداً يتحدثُ إلى الأب جون بهذه الطريقة، ليس حتى الزنادقة الذين غادروا أثناء التطهير.

تختفي ابتسامة النبي، ثم يقول: «يا قائد السرية!». يعبس أنجل وينظرُ إليّ. «ربّما ينبغي بمونيم أن —».
- «نفّذ ما أمرك به، يا قائد السرية».

- «نعم، يا أبت»، يقول أنجل، ثمّ يتقدّم للأمام ويضرب أمي على وجهها ضربةً قويّة. إنّها ولله الحمد صفعَةٌ أكثر من كونها لكمة، لكنّها لا تزال كافية لطرحها أرضاً. يرتطم رأسها بالأرض، أصرخ وأحاول أن أركض إليها لكنّ أصابع هورايزون تحفر على نحوٍ مؤلم عميقاً داخل كتفيّ. تنظرُ أمي في عينيّ مباشرةً فأرى فيهما نفس الرسالة التي هُمستُ في أذني قبل قليل.

لا تجعللي الوضع أسوأ ممّا هو عليه.

- «ارفعها»، يقول الأب جون.

يفعل أنجل ما أمر به، فيظهر أحد جانبي وجه أمي ناصع البياض مع لطخة من الدم عند زاوية فمها وعلى وجنتها، وأمتلئ فجأةً بأنقى كراهيةٍ شعرتُ بها في حياتي، حارّةً وباردةً، وحادةً بما يكفي لشقّ حنجرة أنجل وتقطيع وجه النبيّ المبتسم إرباً إرباً. إنّ جسدي يرتعشُ حرفياً بفعل تلك الكراهية، حتّى مع امتلاء رأسي بكلمة هرطقة.

- «بتهمة الرّدة أنا أجدرُ مذنب»، يقول الأب جون. «فلنتقل إذاً إلى التهمة الثانية ألا وهي الفساد الأخلاقي لعضوٍ صادق في فيلق الربّ. كيف تردّين على هذا؟».

تبصق أمي على الأرض دماً كثيفاً ولزجاً، ولا تنبس بينت شفة. أحدّق فيها، وإذ بذاك الانقضاض المفاجئ للكراهية يفسح المجال للخوف، خوفٌ ساطعٌ يعمي الأبصار.

لم يكن لديّ أيّة فكرة أنّها تحتفظ بدفتر يوميات، ناهيك عن كونه دفترًا مليئاً بالهرطقة والرّدة، ولا أستطيع أن أصدّق ما سمعتها للتوّ تقول للأب جون. لا أستطيع أن أصدّق ذلك. إنّ عدداً ليس بقليلٍ من جنود الفيلق كانوا قد حادوا عن طريق الحقّ، ودائماً ما يكون من المحزن أن يحدث ذلك لأنّنا نعلم علم اليقين أنّ أرواحهم سوف تهلك حالما يعبرون البوّابة الأمامية باتّجاه الخارج.

لكن أمي؟ هذا سخيف. سخيّف تماماً.

لقد كانت عضواً في فيلق الربّ لثلاثة عشر عاماً، وبعد أن مات والدي وتركها وحيدةً معي، هي بقيت هنا رغم أنّ أحداً ما كان ليلومها إذا ما اهتزّ إيمانها. لقد بقيت، ولم تربّيني لأسلك طريق الحقّ فحسب، بل وشجّعْتُ الأب جون أن يختارني كواحدةٍ من

زوجاته المستقبليات، وهو ما عمّق التزامنا تجاه الفيلق أكثر ما يمكن. الآن هي تقول إنَّ الأمر ليس أنَّها لا تؤمن فحسب، بل أنَّها لم تؤمن يوماً؟

ليس لهذا أيُّ معنى.

ليس له معنى على الإطلاق.

- «دعونا نراجع الأدلّة التي تدعم هذه التهمة»، يقول الأب جون. «لن أقبل أن يقول أحدٌ إنَّ عدالة الربّ ليست تامّة الأركان، أو أنَّ المتّهمين لا يعاملون بإنصاف. تصف هذه اليوميات - يومياتك - المحاولات المتكرّرة لإقناع شانتى؛ وهو أحد خدّمة الشيطان المعروفين، بأخذك وابتك معك بعد أن تخلّى عن طريق الحقّ وغادر فيلق الربّ. تصف أيضاً كيف قمتِ باستكشاف إمكانية اقتحام البيت الكبير، وسرقة هاتف الطوارئ بغية الاتصال بالحكومة مع نيّة واضحة لاختلاق الأكاذيب حول عائلتنا ودعوتهم لشنّ هجوم على موطننا. وأخيراً، تصف هذه اليوميات كيف فكّرتِ أن تعتدي على الأخ آموس قبل خروجه في رحلته الأسبوعية للتزوّد بالإمدادات والفرار في سيّارتنا المشتركة، مع الافتراض بأن تكون مونبيم أسيرتك بالإكراه. لذا سأسألك مجدّداً: بخصوص تهمة الفساد الأخلاقي لعضوٍ صادق في فيلق الربّ، كيف تدافعين عن نفسك؟».

أحدّق في أمّي. رأسي يدور بسرعة كبيرة.

هي أرادت أن تغادر؟ أرادت أن تغادر كلتانا؟ لماذا؟

تبصق الدم مجدّداً، وتقول له: «اذهب إلى الجحيم».

يبتسم لها الأب جون ويقول: «هذا مصيرك وليس مصيري. إنّه ليس من دواعي سروري أن أجدك مذنبّة بهذه التهمة الثانية. لذا وفي ضوء خطورة جرائمك، وحجم خيانتك للربّ، لا أرى خياراً سوى نفيك من الكنيسة المقدّسة لفيلق الربّ إلى الأبد. الربُّ طيّب».

- «الرُبُّ طَيِّبٌ»، يكرّر بعده قادة السرايا وزوجاته. أمّا أمّي فلا تنطق الكلمات - ولأول مرّة في حياتي - أنا أيضاً لا أفعل.

- «يُسمح لكِ بثلاثين دقيقة كي تجمعي أغراضك ومتعلّقاتك الشخصية. بعد انقضائها، سيصطحبك أموس إلى البلدة وسنكون قد تخلّصنا من هرطقتك. لا يُسمح لكِ التحدّث أو التواصل بأيّ شكلٍ من الأشكال مع إخوتك وأخواتك السابقين قبل مغادرتك. هل هذا واضح؟ أنتِ غير مرحّبة بكِ هنا بعد الآن»، يقول الأب جون.

- «إذا كنتِ تحسب أنني سأذهبُ إلى أيّ مكانٍ بدون ابنتي، فأنتِ أكثر جنوناً ممّا كنتُ أعتقد».

ماذا؟

تشهقُ بيلاً مجدّداً.

- «أبتِ»، أقولُ بصوتٍ مرتعش. «ما الذي —».

يبتسم النبيّ ويقول: «أيّها الأخ هورايزون، خذْ مونبيم إلى الخارج وانتظر هناك معها. القادة الآخرون يبقون معي. وليصعد كلُّ من تبقّى إلى الطابق العلويّ».

تنطلق بيلاً وأغافي وستار صعوداً على الدرج دون نظرة واحدة إلى الورااء. تنظرُ أمّي في عينيّ، ورغم أنّ الغضب لا يزال يملأ عينيها، إلّا أنني أُلح فيهما شيئاً جعل رأسي يدور ومعدتي تنقبض.

ريبة. خوف.

أراهما يحتلان شيئاً فشيئاً ملامح وجهها الملطّخ بالدماء، وأدركُ شيئاً على نحوٍ مفاجئ.

لقد كانت مستعدّة لهذا. كانت تعرف أنّه سيحدث. لكنّ شيئاً ما قد سار على نحوٍ خاطئ.

- «هياً بنا»، يقول هورايزون وهو يقودني نحو الباب الأمامي للبيت الكبير. أحاول أن أقاومه، لكنني أحاول أيضاً أن أقاوم دوران

الأرض. تستدير أمي وتنظر في عينيّ بينما هو يسوقني بعيداً عنها،
فأبدأ في البكاء. يشعر جانبٌ مني بالسخط عليّ لكوني ضعيفاً جداً
وبكاءة. لكنني لا أستطيع منع نفسي. أنا لا أستطيع فحسب.
- «أمي!»، أصرخُ بأعلى صوتي. «قولي له إنك لم تفعلي
ذلك، يا أمي! عليك أن تخبريه!».

تغضضُ ملامحها، وتشيح بوجهها بعيداً.
- «أمي!»، أزعقُ بيأس بينما يفتح هورايزون الباب ويدفعني
عبره. «أبت! أرجوك! أرجوك يا أبت! أمي!».

يُغلق الباب. يضعني هورايزون بالقوة على أحد المقاعد
المنتشرة على طول القسم الخلفيّ من الشرفة. أصرخُ وأبكي، ألكمه
وأركله، لكن لا يبدو أنه يلاحظ ذلك - هو يثبتني بين ذراعيه
بإحكام، ويهمس في أذني بهدوء.

- «اهدئي، يا فتاة. اهدئي الآن. ليس ثمة ما يمكن القيام به.
الرب لا يخطئ، وأنتِ تعرفين هذا حقّ المعرفة. الربُّ طيّب».
أنسلُ خارجةً من نفسي. أعلم أنّ هذا يبدو غريباً، لكنني لا
أجد طريقةً أخرى لوصف الأمر. لا أزال جالسةً على المقعد ويدا
هورايزون الهائلتان تمسكان بي جيّداً، لكنني أيضاً في مكانٍ آخر في
ذات الوقت. أنا أركض عبر الصحراء عند أطراف القاعدة، والريح
تتغلغلُ في شعري وتدفعه إلى الوراء، وأطفو عبر سماء زرقاء مثاليّة،
حيث كلّ شيء ساكن وكلُّ شيء هادئ؛ وأنا مستلقيةً على سريري
داخل غرفتي في الظلام، وكلُّ شيء آمن ولن يحدث أيُّ مكروه. لن
يحدث أيُّ مكروه على الإطلاق.

كانت دموعي قد جفّت وأرخی هورايزون قبضته عليّ عندما فُتح
باب البيت الكبير. يخرج عبره أنجل وهو يقتاد أمي من ذراعها،
وأوشك على الصراخ باسمها حين تنظر إليّ فتعلق الكلمة في حلقي.

هي ليست ذات المرأة التي رأيْتُها تقف أمام الأب جون، تعترف بالهرطقة وتنكّر لإيمانها؛ تبدو كما لو أنّها تقلّصت مذ ذاك أو انكمشت على نفسها. عيناها متورّمتان وغارقتان بالدموع، وهي غير قادرة على النظر إلَيَّ جيّداً. كتفاها مرتخيان، ويبدو وكأنّ يد أنجل هي الشيء الوحيد الذي يبقّيها منتصبه.

- «أمّي؟»، يخرج صوتي مثل حشرة. «ما الذي يحدث؟». ينقلب وجهها ويستحيلُ إلى شيء رهيب، وتبدو كما لو أنّها ستقول شيئاً ما، رغم أنّ جزءاً منّي لا يريد سماعه. لكنّ أنجل يدفعها إذ ذاك نزولاً على درجات الشرفة ويسحبها بعيداً عبر الفناء باتجاه المبنى رقم 9، فأشعرُ ببردٍ شديد ولا شيء غيره، كما لو أنّ عمودي الفقري استبدل بمكعباتٍ من الثلج.

ما الذي حدث في الداخل؟ ماذا فعلوا بها؟

- «هورايزون، أحضرُ إلَيَّ مونبيم. أريد أن أتحدّث إليها»، يصرخ الأب جون من داخل المنزل.

- «هل يمكنكِ الدخول بمفردك؟»، يسأل هورايزون بصوتٍ منخفض. «أم تريدان منّي أن أحملك؟ لا بأس إن كنتِ كذلك».

أنهض واقفة، فأنا لا أريد مساعدته، لا أريده أن يلمسني، لكن تخونني ساقي في الحال، ويلتقطني هورايزون قبل أن أسقط. يضع ذراعه حولي ويسير بي برفقٍ عبر الباب إلى داخل البيت الكبير. لا يزال الأب جون جالساً على كرسيّه وعلى جانبيه كلٌّ من بير ولونستار، بينما تقف بيلاً وستار وأغافي سوياً قرب السلاّم. لا بدّ أنّه طلب منهنّ العودة، فما كنّ ليجرؤن على العودة دون إذنٍ منه. يتسم لي النبيّ بينما هورايزون يساعطني على الدخول إلى الغرفة.

- «أنا آسفٌ لأنّك اضطررتِ إلى رؤية هذا، يا مونبيم»، يقول لي النبيّ. «أنا آسفٌ حقّاً. إنّ خروج أحدهم عن طريق الحقّ هو

شيءٌ قاسٍ دائماً، إنّه قاسٍ علينا جميعاً. إنّه يعني أنّنا فشلنا، بمن في ذلك أنا. لو أنّ والدتك كانت قد أتت إليّ حين شعرتُ أوّل مرّة بسموم الشيطان وقد بدأت تنتشر بداخلها، كنتُ لأستنفر السماء والأرض، كنتُ لأفعل كلّ شيءٍ لمساعدتها. كنتُ سأطرد الشيطان وأحارب حتّى آخر أنفاسي فداءً لأبدية روحها، تماماً كما قد أفعل مع أيّ من إخوتي وأخواتي، وتامّماً كما أعلم أنّ كلّ واحدٍ منهم سيفعل ذات الشيء من أجلي. لكنّ أوان ذلك قد فات، رغم أنّ قول هذا يكسر قلبي. جميعنا نعلم أنّه لا يمكن التسامح مع الزنادقة، ليس بعد أن يكونوا قد بدؤوا ينشطون في خدمة أعمال الشيطان. أعلم أنّك تفهمين ذلك، يا مونييم، لأنّك فتاة ذكيّة. فتاةٌ صالحة».

أقفُ وسط الغرفة. هورايزون خلفي، قريبٌ بما يكفي ليتمكّن من الإمساك بي إذ ما أوشكتُ على السقوط مجدّداً، لكنني بالكاد مدركةٌ لوجوده هناك، لأنني أحدّقُ في الأب جون ورأسي يدور بسرعةٍ كبيرة. إنّ كلّ ما يقوله منطقيّ، كلّ ما يقوله صحيحٌ تماماً، لكنّ مَنْ يتحدّثُ عنه هنا ليس الأب باتريك أو أيّ مهرطقٍ آخر. إنّها أمّي.

تضيق عينا الأب جون. «أنتِ فتاةٌ صالحة. أليس كذلك؟». أظنُّ ذلك.

أومئُ له برأسي.

- «أخبريني إذاً أنّك تفهمين لمَ يجب القيام بذلك».

- «أنا أفهم»، أقول بصوتٍ يكاد يكون همساً.

يبتسم الأب جون ثم يقول: «لم أشكّ في ذلك أبداً؛ ليس للحظةٍ واحدة. الزنادقة مخلوقاتٌ خبيثة، وضيعة، مخربّةٌ ومفسدة. الحلُّ الوحيد هو التخلص منها قبل أن يصبح ضررها أكبر من أن يمكن إصلاحه. هم لا يستحقّون بركة الربّ. هم لا يستحقّون الحبّ».

أحدق في عينيه . يبدو وكأنه يريد مني أن أقول شيئاً لكنني لا أعرف ما هو ، وحتى لو عرفت فلا أدري إن كنت قادرةً على صياغة الكلمات .

- «ألا تتفقين معي ، يا مونيم؟» ، يسأل الأب جون .
أومئ برأسي .

- «بالطبع أنت كذلك . لذا قللي الكلمات وحسب» .

تجمّع الدموع في عيني . «ماذا أقول ، يا أبت؟» .
يبتسم ويقول : «قللي إنك لا تحبين أمك . قولها الآن والرب شاهدٌ عليك . أظهر لي أن إيمانك صادق» .
لا ، أرجوك ، لا .

تنهمر الدموع على خدي . أنظرُ ورائي إلى هورايزون على أمل أن أجد عنده شيئاً يخبرني بأنني لست مضطرةً لقول شيء كهذا ، وبأنني لست وحيدة كما أشعر ، لكنه ينظر في عيني ، وكل ما أراه في وجهه هو الالتزام بأداء الواجب .

- «مونيم» ، يقول الأب جون بصوتٍ أصبح حاداً فجأة .
«انظري إلي» .

أشبح بوجهي بعيداً عن وجه هورايزون الخالي من التعبير ، وأنظر إلى النبي .

- «إنّ هذا صعبٌ عليك . أنا أفهم ذلك ، وأنت تحظين بتعاطفي في هذا الجانب . لكن إن لم تنبذي الهرطقة الآن وهنا ، فإنّ الرب بالتأكيد سيتساءل لماذا لم تفعلي ذلك» ، يقول الأب جون .
- «أنا أنبذ الهرطقة» ، أقول همساً .

- «جيد ، وماذا عن أمك؟» ، يسألني .

- «أرجوك ، يا أبت» ، أقول وصوتي مثل حشرةٍ بالكاد يمكن سماعها . «أرجوك لا تجعلني أقول ذلك . أرجوك» .

تضيق عيناه. «قولها».

- «أرجوك...».

- «قولها الآن، يا مونييم».

- «أبت...».

يندفع الأب جون واقفاً على قدميه. «قولها!»، يزمجر وقد استحال وجهه قرمزي اللون بفعل الغضب. «قولها الآن وإلا ستقضين ما تبقى من حياتك داخل صندوق! قولها! قولها!».

رأسي يدور، وعند أطراف مجال رؤيتي يومض لون رمادي، وأشعر كما لو أنني سأصاب بالغثيان. يقترب هورايزون مني ويداه جاهزتان للإمساك بي إذا وقعت. أركّز في وجه الأب جون، في الكراهية والقسوة اللتين أراهما فيه، وأغمض عيني.

- «أنا لا أحبها»، أقول همساً.

- «من؟ من تلك التي لا تحبين؟»، يسألني.

- «أمي»، تخرج الكلمة من فمي مثل نحيب. «أنا لا أحب»

أمي».

يشد هورايزون قبضته على كتفي. أطاقئ رأسي وأبدأ في البكاء، صدري يعلو ويهبط، وعيناوي مغمضتان. ثم أشعر بيدين تلمسان وجهي وتنزلقان حول خصري، وأسمع صوت بيلاً قرب أذني يقول: «لا تبكي. سيكون كل شيء على ما يرام، يا مونييم. كل هذا للأفضل. الرب طيب».

أفتح عيني، أرى بيلاً وأغافي راكعتين بالقرب مني، والقلق يملأ ملامحهما. أنظر إليهما، وأشعر كما لو أنني لا أعرفهما، كما لو أنني لم أقابلهما في حياتي. كما لو أنهما غريبتان عني تماماً.

- «يمكنها أن تبكي إن أرادت»، يقول الأب جون وقد عاد إلى كرسيه تحت النافذة، على وجهه ابتسامة لطيفة، والغضب الذي

اعتراه رحل بالسرعة التي وصل بها. «لقد ثبتَ زيف والدتها، ومن شأنِ هذا أن يزعج أيّ طفل مهما كان إيمانه قوياً. يمكنكِ البكاء، يا مونييم، وليوم ليلة لك أن تحزني على هرطقة والدتك».

أومئُ برأسي. «أشكرك، يا أبتِ»، أقول له. للكلمات طعمٌ حامضيّ لاذعٌ في فمي.

تسّعُ ابتسامته. «وبعد ذلك لن تتحدّثي عنها مطلقاً، حتّى أنكِ لن تفكرِي فيها. هل هذا واضح؟»، يقول لي.

كلماته مثل لكمّةٍ على البطن. تنقبضُ معدتي وأتخبّطُ داخل موجة غثيانٍ اجتاحتني، لكنني أدبّر أن أومئ برأسي إيماءةً صغيرةً جداً.

- «واضح، يا أبتِ»، أقول همساً. «أفهم هذا تماماً».

يومئ ويقول: «لم أشكّ في ذلك قطّ. ستبقيين هنا حتّى يحين الوقت لطرد المهرطقة. الربّ طيّب».

- «الربّ طيّب»، أقول بينما الصوت في مؤخّرة رأسي يقول لي شيئاً مختلفاً، مختلفاً تماماً.

أجلس على أرضية البيت الكبير بينما تمضي الثلاثون دقيقة التي أعطيت لأمي كي تحزم أمتعتها في غمضة عين.

يذهب الأب جون إلى مكتبه مدّعياً أنّه يحتاج لقضاء بعض الوقت في الطلب من الربّ أن يمنح عائلتنا القوّة كي تتجاوز هذا الوقت الصعب، لكنّ القادة الثلاثة وبيلاً وأغافي وستار بقوا جميعاً معي في غرفة المعيشة. لا أحد منهم يقول شيئاً، وهم يبذلون جهداً واضحاً كي لا ينظروا في عينيّ، لكنني أستطيع الشعور بهم يراقبونني. يبقى هورايزون قرب الباب، أحسبُ كي يحرص ألاّ أندفع خارجاً وأتوسّل أُمّي أن تأخذني معها - رغم أنّي حتّى إذا

تمكّنتُ من فعل ذلك، فإنّه لن يشكّل فرقاً على الإطلاق، إذ لن يُسمح لي مطلقاً بركوب الشاحنة معها ومع آموس. كان بإمكانني أن أقف في الفناء وأصرخ وأتوسّل طلباً للمساعدة، لكنّ أحداً ما كان سيقدّمها لي.

أعلمُ ذلك دون ذرّة شكّ.

لذا أنا أجلس على الأرض وأحاولُ ألا أفكّر فيما يحدث. أعلمُ أنّ هذا ينمُّ عن جُبْن، أعلمُ أنّه من المفترض بأعضاء الفيلق أن يقفوا ويواجهوا المحن وأن يتسلّحوا بإيمانهم، لكنني لا أكثرث لأيّ من ذلك في هذه اللحظة. أنا حقّاً لا أكثرث.

لا أستطيع تخيّل ألا تكون أمّي موجودةً هنا. ليس لهذا أيّ معنى على الإطلاق - يبدو وكأنّه لا يمكن لذلك أن يكون حقيقةً في الواقع، ناهيك عن كونه سيحدث في غضون دقائق. لا أقدر على تحمّل التفكير في أنّها في الخارج، بين الزنادقة ورجال الحكومة وخدّمة الشيطان. لا أريدها أن تذهب، ولا أستطيع تحمّل فكرة تركها لي هنا، لكنني في ذات الوقت أشعر بالذنب على نحوٍ لم أشعر به في حياتي، فأنا لا أرغب في الذهاب معها. لا أرغب في ترك بيتي وعائلتي والخروج إلى أغوار الظلمات.

أريدها أن تبقى هنا، أريد أن يبقى كلّ شيءٍ على حاله.

أريدُ من الأب جون أن يغيّر رأيه. أريدُ منه أن يمنحها فرصةً أخرى، حتّى لو كانت فرصتها الأخيرة، حتّى لو كانوا سيحبسونها في الصندوق لشهرٍ كامل كي تكفّر عن إثم هرطقتها.

لكنني أعرف أنّه لن يفعل.

فالربُّ لا يخطئ أبداً.

تخرج عواطفني عن السيطرة، تعمّها الفوضى وتصبح أشبه بغبارٍ وسط العاصفة. أحدّقُ في الأرض، أرفض النظر إلى هورايزون أو

بيلاً أو أيّ من الآخرين بينما لا أستطيع التوقّف تماماً عن البكاء، لكنّ الأمر ليس أنني منزعةٌ فحسب. أنا مصدومةٌ ممّا فعلته أمي، لكنني أيضاً حانقةٌ عليها أشدّ الحنق لأنّها كانت غيبّة لدرجة أنّ أمرها قد كُشف.

رغم معرفتي أنّهم ما كانوا ليعترفوا بذلك أبداً، إلّا أنّ كلّ الأعضاء في فيلق الرّب - باستثناء الأب جون ربّما - يمرّون بلحظاتٍ من الضعف والشكّ، حيث تخونهم أفكارهم ويصارعون كي يبقوا أنفسهم على طريق الحقّ. أعلم أنّ هذا يحدث معهم جميعاً لأنّ كلّ البشر خطّائون، تماماً كما تعلّمنا الأب جون. لكنّ تدوين هذه الأفكار، وملء كتابٍ مادّي حقيقي بها بخطّك لخرق القواعد وارتكاب الموبقات، هو بمثابة انتحارٍ فعليّ. هي حتّى لم تتوسّل طلباً للمغفرة عندما بات واضحاً أنّ أمرها قد كُشف. لقد اعترفت بجرائمها وكأنّها فخورةٌ بارتكابها، ثمّ شتمت الأب جون وتنكّرت لإيمانها.

لماذا؟ لماذا قالت ذلك؟ حتّى لو كانت تلك هي الحقيقة، فلم قد تقول ذلك؟

أشعر بالمرح في رأسي.

لا أعتقد أنّ عقلي يعمل على نحوٍ صحيح.

لماذا لم تتحدّث إليّ حول ما كانت تشعر به؟ ألم تكن تثق بي بما يكفي لتأتمني على سرّها؟ ألم تكن تحبّني بما يكفي لترغب في إخباري بالحقيقة؟

ينبض بداخلي إحساس بالذنب، لأنّها لرّبما افترضت أنّني سأذهب مباشرةً إلى أقرب قائد سرّيّة إذا أخبرني بالأشياء التي كانت تدور برأسها. كان هذا هو ما علّمني فعله، وهل يمكنني حقّاً أن أقول إنّني ما كنتُ لأفعل ذلك؟

هل يمكنني حقاً أن أقول لنفسي بصدق إنني ما كنتُ لأفعل ذلك؟

لديّ الكثير من الأسئلة، الكثير جداً منها. هي في معظمها أشياء أريد أن أسأل أمّي عنها، لكنني بدأتُ أفهم أنني لن أحصل على الفرصة أبداً. لا أعرف كيف يُفترض بي أن أمضي قدماً بعد رحيلها ولا أعرف كيف يُفترض بي أن أفكر، وكيف يُفترض بي أن أكون يوماً متصالحةً مع هذا الواقع. تواصل الدموع الانهمار على خدّي فيما أبتعدُ بعينيّ عن الجميع عبر التحديق في الأرض إلى أن يُفتح الباب الأمامي ويدخل أنجل، ويقول إنَّ الوقت قد حان. يظهر الأب جون أعلى الدرج. يقول: «جيدٌ جداً. هل تسبّبت لك بأيّ مشكلة؟».

يهزُّ أنجل رأسه. «إنّها هادئةٌ مثل فأرٍ صغير، يا أبتِ».

- «وهل أبلغتَ عائلتنا بالحُكم الذي صدر؟»، يسأل الأب جون. «بالحُكم والعقوبة؟».

- «لقد أبلغتهم، يا أبتِ. إنهم ينتظرونك في الفناء»، يقول أنجل.

يومئ الأب جون برأسه، ثمَّ ينزل الدرج ويتّجه إلى حيث أجلس على الأرض، ويقول وهو يمدُّ يده إليّ: «أمسكي بيدي، يا مونييم». أمسك بيده، وينمل جلدي على الفور لدى الشعور بملمس جلده. أتركُ له أن يسحبني حتّى أنهض على قدميّ. يسير بي باتجاه الباب، ويلحق بنا القادة وبيلاً وأغافي وبقية زوجات النبيّ بصمت.

الفيلق بأكمله مجتمعٌ في الفناء أمام الكنيسة. تقف أمّي وسط الحشد قرب الشاحنة الحمراء المتأهّبة للانطلاق، ويجلس أموس خلف مقودها مع نظرةٍ رصينة على وجهه المتغضّن. الجميع صامتون، الجميع ينظرون في كلّ اتّجاهٍ ممكن عدا ذاك الذي يؤدّي

إلى أمي. يبقون على هذا الحال إلى أن يُسمع وقع خطي الأب جون على الشرفة الخشبية فيستدير الحشد بأكمله لينظروا إليه. والي.

يقودني الأب جون ببطء نزولاً على الدرجات وإلى الإسفلت، لكن من الممكن أيضاً أن هذا يحدث مع شخص آخر، فأنا عاجزة عن التفكير، وعاجزة عن التنفس. وكل ما أنا قادرة عليه هو التحديق في أمي.

تحمل بين يديها بإحكام كيس قمامة أسود - كيس واحد لتضع فيه محتويات حياة كاملة. تعثر عيناها على عيني، وترمقني بنسخة مخففة عن النظرة التي رأيتها حين دخلت إلى البيت الكبير مع بير وهورايزون، تبدو تلك اللحظة الآن كما لو أنها حدثت قبل مليون عام.

لا تبكي. كوني شجاعة.

يتفرق الحشد ليمسح لي وللأب جون بالاقتراب من الشاحنة، ثم يعود ليتجمع في أعقابنا وينغلق جاعلاً إيانا في مركزه. يترك النبي يدي، ويستدير لمواجهة فيلقه.

- «الرب قاس»، يصرخ بصوت مزلز يهز الفناء وتردد المباني صداه. «لكنه منصف دائماً، وعادل أبداً. هو لا يمنح فرصاً ثانية، وهو لا يرتكب الأخطاء. هو معني بالصواب والخطأ، هو معني بالحق ولا شيء غيره. الرب طيب».

- «الرب طيب»، يردد الحشد بصوت واحد.

أنا لا أنبس ببنت شفة. جسدي يرتجف كله، وبشرتي ساخنة جداً، وأشعر بأنني سأتقياً في أية لحظة، لكنني لا أستطيع أن أبعد ناظري عن أمي. هي لا تزال لا تبدو نفس الشخص الذي أعرفه، لكنها أيضاً لا تبدو مهزومة تماماً كما بدت عندما أخرجها أنجل من

البيت الكبير - إذ عاد وميضٌ بسيط من الحياة إلى عينيها، وإلى وجهها عاد بعضُ اللون.

ينظر الأب جون إليها، ويسأل: «هل لديك ما تقولينه كتبرير لأفعالك قبل تنفيذ الحكم؟».

تنظر أمي في عينيه، ثم تسأل بصوتٍ ثابت: «هل لي أن أعانق ابنتي، لو سمحت؟».

تضيقُ عينا النبيّ، ثم يومئ برأسه ويقول: «فلتسرعي. إنَّ عدالة الربِّ لا تنتظر أحداً».

تركُ أمي كيسها يسقط على الأرض وتتجّه نحوي ببطء. أحملُ فيها، عقلي خاوٍ تماماً، وقدماي متيبّستان في مكانهما. لديّ الكثير من الأشياء التي أرغب في قولها، أشياء أعرف أنّني سأندم على عدم قولها لاحقاً حين تكون قد رحلتُ فعلاً وأصبح كلُّ هذا أمراً واقعاً، لكنني أعجزُ إذ يسقط ظلّها عليّ عن إيجاد كلمةٍ واحدة.

تجذبني إليها بحذر كما لو أنّها تظنّني سأنكسر. أظلُّ لبضع ثوانٍ معلّقةً بين ذراعيها فحسب، جسدي كما لو أنّه مصنوعٌ من قضبان معدنية. ثمّ تنهمر من عينيّ دموعٌ جديدة، وأرمي بذراعيّ حولها وأدفن وجهي في كتفها، وأشدّها بقوةٍ حتّى لا تكون قادرةً على الابتعاد.

حتّى لا تكون قادرةً على تركي.

- «لا بأس يا قمري الصغير»، تقول بصوتٍ خفيض ومختنق. «سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام. كوني فتاةً طيّبة، اتّفقنا؟ كوني طيّبة».

تشدّني بقوةٍ أكبر، ولثانيةٍ أو أقلّ يصبح فمها قرب أذني وتهمس بكلمتين بالكاد يمكنني سماعهما.

- «تحت وسادتك» .

أعبسُ وأرفعُ رأسي عن كتفها، لكنّها تتركني وتنهض واقفةً قبل أن تسنح لي الفرصة أن أسألها ما الذي تحدّثُ عنه . تحمل كيسها وتركب في مؤخرة الشاحنة دون أن تقول كلمةً أخرى، تاركةً إياي وحيدةً تماماً وسط كلّ مَنْ أعرفهم في هذا العالم .

يُطرق الأب جون برأسه ويغمض عينيه بينما تتحرّك شفّاته فيما يبدو أنّها صلاةٌ قصيرة صامتة . ثمّ يرفع رأسه، ينظر إلى آموس، ويومئ له .

يقعّعُ محرّك الشاحنة وهي ترجع ببطءٍ لتلتفّ بجانب الكنيسة . أراقبُ وعقلي يترنّح ذات اليمين وذات الشمال في عجزٍ تامٍّ إذ يضع آموس الشاحنة على وضع القيادة وتبدأ في التقدّم للأمام فوق إسفلت الفناء الناعم، ثمّ على أرض الصحراء الخشنة وهي تتسارع باتجاه البوابة الأمامية .

تحدّقُ أمّي فينا بينما تبتعد الشاحنة شيئاً فشيئاً، في الرجال والنساء الذين اعتبرتهم عائلتها على مدار ما يزيد عن عقدٍ من الزمن . ومع وصول الشاحنة إلى البوابة الأمامية، تستقرّ عيناها عليّ للحظات .

تخرج الشاحنة بعدئذٍ إلى الطريق الترابيّة، تلتفّ عند أوّل منعطف وتختفي عن الأنظار .

بعد

- «ماذا كان تحت وسادتك؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «لا شيء»، أقول له.

هو والعميل كارلايل يحدّقان بي بوجهين شاحيين. صرْتُ الآن معتادةً تماماً على رؤية التعابير الخاصّة بالصدمة على وجهيهما حين أتحدّث لدرجة أنّي بِتُ بالكاد ألاحظها.

- «لا يمكنني حتّى أن أتخيّل كيف كان الأمر. أنا جدُّ آسف أنّه حدث لك»، يقول الدكتور هيرنانديز.

- «شكراً لك».

- «ألم يدافع أحدٌ عنها؟»، يسأل العميل كارلايل. «ألم يقف لو شخصٌ واحد في صفّها؟»، يسأل العميل كارلايل.

أهزُّ رأسي، وأقول: «لقد قال الأب إنّها مهرطقة. ليس هناك جدالٌ في مسألة كهذه. ولا يمكنني أن ألومهم، فأنا أيضاً لم أفعل أيّ شيء. لقد شاهدتُ ذلك يحدث فحسب».

- «لقد كنتِ طفلة. لم يكن هناك شيءٌ يمكن أن تفعل عليه»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أهزُّ كتفيّ.

ربّما. وربّما لا.

- «هل تعتقدين أنَّ والدتكِ كانت مهرطقة؟»، يسأل العميل كارلايل.

أفكرُ في هذا ملياً ثمَّ أقول في النهاية: «هذا يعتمد على فهمك لمعنى الهرطقة. لقد كانت على الأرجح مهرطقة وفقاً لقواعد الفيلق؛ القواعد التي ادّعى الأب جون أنها جاءت من الربِّ مباشرةً. لم تتسنَّ لي رؤية يومياتها أبداً، لكنّها لم تنكر أنها كانت لها، كما لم تنكر محتوياتها. عليك أن تفهم أنَّ أولئك الذين ترعرعوا داخل الفيلق كانوا قد تعلّموا عدم التفكير في أنفسهم، حتّى منذ ما قبل التطهير. كان ثمة تسلسلٌ هرميٍّ واضح: الربِّ، الفيلق، ثمَّ كلُّ شيءٍ آخر. الحاجات الفردية لا أهمّية لها، أيّاً كان ما قد تريده فهو غير مهمّ. لذا أنا لم أتساءل إن كان ما حدث عدلاً، رغم أنَّ قلبي انفطر عندما اقتيدت خارج أسوار القاعدة، ولم أستطع تخيل كيف ستكون حياتي بدونها. كانت هرطقتها لا تزال بالنسبة لي هرطقة رغم أنَّها كانت أمي. لم أستطع التظاهر أنَّ ذلك لا يهمّ لمجرد أنني أحببتها. هل هذا منطقيّ بأيّ شكل من الأشكال؟».

يومئى الدكتور هيرنانديز موافقاً، ويقول: «إنّه منطقيّ تماماً للأسف. لقد رأيتُ هذا عشرات المرّات، رغم أنني نادراً ما رأيته في ظروف مماثلة من ناحية القسوة. إنّها طريقةٌ قياسيةٌ للتحكّم والسيطرة».

أعبسُ وأقول: «ماذا يعني ذلك؟».

يميل إلى الأمام في كرسيّه. «إنّه الخلق المتعمّد لوضع حيث يقدر فيه الناس شيئاً آخر أكثر ممّا يقدّرون أنفسهم، حيث يترك الناس أنفسهم يتعرّضون للأذى، أو حتّى يؤذون أنفسهم طواعية، لأنهم كانوا مبرمجين على الاعتقاد بأنَّ شيئاً آخر هو أكثر أهمّية من رفاهيّتهم. إذا تحكّمت بهذا الشيء الآخر، وهو الربِّ في حالتنا

هذه، فأنتِ تتحكّمين بالناس عندئذٍ. لقد حكم الأب جون الفيلق مثل ديكتاتور يوزّع بركاته وإداناته كما يشاء، والبقيةُ بُرمجوا على ألا يجادلوا أو يقاوموا بأيّ شكلٍ من الأشكال».

- «وحتى لو جادلت أو قاومت، كانت البنادق لدى قادة السرايا. وكلّنا نعرف لمن كانوا يدينون بالولاء»، يقول العميل كارلايل بهدوء.

أحاولُ أن أقول لنفسِي إنني لا أتعرف على هذا العالم الذي يصفانه، لكنّ الصوت في مؤخرة رأسي يحضر بلهجةٍ حادة على الفور.

لا تفعلِي ذلك. لا تكذبي على نفسك، ليس بعد أن قطعتِ شوطاً طويلاً الآن. أعلمُ أنّه يؤلمكِ سماع ذلك، كما أعلمُ أنّه يجعلكِ تشعرين بالغباء والإحراج لأنكِ كنتِ جزءاً من الأمر لوقتٍ طويل، لكنكِ تعرفين أنّهما يقولان الحقيقة. كلُّ ما عليك فعله هو مواجهتها.

- «قالت أمكِ للأب جون إنّه لا يمكن أن تكون مذنبةً بالردة، إذ لم تكن أصلاً مؤمنة كي تتخلّى عن إيمانها. هل يتناسب كلامٌ كهذا مع المرأة التي نشأت معها؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أهزُّ رأسي في محاولةٍ لتصفيته بقدر ما أقصد بذلك إبداء عدم موافقتي. «لم أشككِ بها أبداً. هي لم تكن متشدّدة مثل جاكوب أو لوك، لكنني لطالما اعتقدتُ أنّها كانت مؤمنةً صادقة. كنتُ قد أخبرتك أنّي شككتُ في أنّها لم تكن سعيدةً جداً، لكنني افترضتُ دائماً أنّ السبب في ذلك كان وفاة والدي، أو أنّ تلك كانت طبيعتها ببساطة. لكنني بكلّ صدق لم أشكّ يوماً في إيمانها أو في ولائها للفيلق. لقد أقنعت الأب جون أن يختارني كزوجةٍ مستقبلية، لذا ما كان ليخطر ببالي أبداً أنّها كانت تحاول سراً أن ترحل».

- «قد يكون هذا هو سبب قيامها بذلك»، يقول العميل كارلايل .
- أعبس ، وأقول: «لم أفهم» .
- «لربّما فكّرت أنّها عبر الدفع بابنتها للزواج من جون بارسون ستجعل من ولائها أمراً مسلماً به ولا مجال للشكّ فيه . ربّما اعتقدت أنّ ذلك سيضعها فوق الشبهات» .
- «ماذا كانت خطّتها إذاً لتكون حين أبلغ الثامنة عشرة، حيث كان يُفترض بي أن أتزوّجه؟»، أسأله .
- «أتصوّر أنّها كانت تراهن على أنّكما ستكونان قد هربتما بحلول ذلك الوقت»، يقول الدكتور هيرنانديز .
- «إنّها مقامرةٌ كبيرةٌ حقّاً»، أقول له .
- يوميّ موافقاً . «إنّها كذلك بالفعل» .
- «هل تعتقد أنّها كانت طوال الوقت تريد الرحيل؟ منذ أن وصلنا إلى هناك لأوّل مرّة؟»، أسأل الدكتور هيرنانديز .
- «هل هذا ما تعتقدينه؟»، يردّ لي السؤال .
- «ربّما ليس طوال الوقت»، أقول له . كنت قد فكّرت في هذا كثيراً منذ أن تمّ نفيها . «لكن نعم، أعتقد أنّها لفترةٍ طويلة كانت تريد أن ترحل . تريد أن نرحل . لكنني لم أر ذلك فحسب» .
- «لقد كنتِ طفلةً صغيرة في بيئةٍ تخضع لرقابةٍ مشدّدة، حيث لا أحد كان يشعر بالأمان لقول ما يفكر أو ما يشعر به حقّاً . لم يكن من الممكن أن تعرفي» .
- «كان بإمكانها إخباري» .
- «لا . لم يكن بإمكانها ذلك . ماذا لو قمتِ بإبلاغ أوّل قائد سرّيّة تصادفينه؟»، يقول العميل كارلايل .
- هذا بالضبط ما كنتِ ستفعلينه، يهمس الصوت في مؤخّرة رأسه .
- «نحن لا نقدّم أيّاً من هذا على أنّه حقيقة، نحن لا نعرف

الحقيقة، ولا ندعي أننا نعرفها. لكن ثمة شيء أوّد منك أن تفكر في فيه»، يقول الدكتور هيرنانديز.
- «ما هو؟»، أسأله.

- «ليس لديّ أدنى شكّ في أنّ الحزن على خسارة والدك كان جزءاً رئيسياً من السبب الذي جعل والدتك تبدو بعيدة عنك، وجعلك تشعرين في معظم الأحيان بأنّها ليست سعيدة. كما لا أشكّ في أنّ فهمك لها قد تأثر بإحساس الوالدين الطبيعي بخيبة الأمل الذي يترافق مع سنّ المراهقة، وأريد منك هنا أن تفهمي أنّني لا أقصد توجيه أيّ انتقادات إذ أقول ذلك، لا شيء من ذلك على الإطلاق. لكن ماذا لو كان جانب من تعاستها سببه هو أنّها لم ترغب أبداً في القدوم إلى تكساس والانضمام إلى فيلق الربّ؟ حين تحدّثتما عن الأمر هي لم تقل لك أنّهما أتيا لقضاء عطلة نهاية أسبوع طويلة حدّث أنّ شعرت خلالها بحالة روحانية عميقة أصبحت على إثرها مؤمنة حقيقية. بل قالت لك إنّهما بقيا لأنّ والدك كان مقنعاً إلى أبعد حدّ. لذا حاولي فقط أن تتخيّلي نفسك في الموقف الذي أصفه. لقد اقتلعت عنوة من حياتك بأكملها، وذهبت إلى مكان لا ترغبين في الذهاب إليه، وانضمت إلى شيء لم ترغبين في الانضمام إليه، ثمّ يموت الشخص الذي فعلت من أجله كلّ هذا، ويتركك عالقة مع ابنتك الصغيرة في مكان لم ترغبين في المقام الأول في القدوم إليه يوماً. كيف تعتقدين أنّك ستشعرين حيال ذلك؟».

- «أعتقد أنّني سأكون غاضبة»، أقول بينما تومض شرارة الحياة في ذلك الشعور بالتحديد عميقاً في داخلي. «بل أكثر من ذلك، في الواقع أعتقد أنّني سأكون ناقمة».

يومئ الدكتور هيرنانديز. «قلت إنّها كانت تبدو أكثر سعادة قبل التطهير؟».

- «هذا ما بدا الأمر عليه».

- «ربّما كانت كذلك فعلاً. ربّما اعتقدت أنّ الأمور كانت على ما يرام آنذاك، وأنّ الفيلق كان مكاناً جيّداً لكما عندما كان باتريك ماكليني هو المسؤول، وربّما تغيّرت هذه النظرة بعد التطهير. حين أنكرت والدتك الرّدة قالت للأب جون إنّها لا تؤمن به هو. لم تقل إنّها لا تؤمن بالربّ، أو حتّى بفيلق الربّ. بل به هو بالتحديد».

أومئّ موافقة. أسمعها في رأسي وهي تقول الكلمات بصوتٍ مثقّلٍ بالحقّد.

- «لكن ربّما كان الأوان قد فات حينئذٍ»، يتابع الدكتور هيرنانديز. «قلتِ بنفسك إنّ الإجراءات الأمنية قد شدّدت بعد التطهير، وإنّ الغرف باتت تُقفّل ليلاً، وبدأ قادة السرايا في حمل الأسلحة. ربّما أدركتُ أنّه كان عليها المغادرة بعد أن كان الأوان قد فات على ذلك. ربّما لهذا السبب هي لم تكن سعيدة».

- «لَمْ لم تأخذني وتغادر فحسب قبل أن يتولّى الأب جون مقاليد الأمور؟».

يهزّ رأسه، ويقول: «ليس لديّ فكرة. ربّما كانت تخشى العودة إلى العالم الحقيقي. ربّما كانت تخاف من فكرة أن تكونا لوحكما فيه».

أحدّق فيه.

- «كما قلتُ سابقاً، إنّها مجرّد أشياء لتفكّري بها»، يقول لي. يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي: إنّهُ محقّق. أنتِ تعلمين أنّه كذلك. أنتِ لم تحاولي مطلقاً أن تنظري إلى الأشياء من منظورها. كنتِ فقط قلقةً بشأن كيفية تأثير سلوكها عليك، وبماذا كان يجعلك تشعرين.

أهمس: «هذا ليس عدلاً».

يَقْطُبُ الدكتور هيرنانديز حاجبيه . «مونيم؟» .

أسمعه يقول اسمي لكنني لا أردّ، فأنا لم أعد حقاً في الغرفة بعد الآن . أحاول - إن كان ما يقوله صحيحاً - أن أتخيل بماذا شعرت أُمّي عندما أخذ الأب جون مكان الأب باتريك، وإلى أيّ درجة أحسّت بأنّها محاصرة وعاجزةٌ بالكامل . الكثير من الأسابيع والأشهر والسنين كانت لا تزال في الطريق . الكثير من الوقت الذي انقضى داخل سجنٍ لم تكن حتّى تدرك أنّه سجن إلى أن فات أوان الهرب منه .

- «هل أنت بخير؟ هل تريدان أن نتوقّف؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز .

نعم .

أهزّ رأسي بالنفي .

- «تلك إذاً كانت اللحظة حيث بدأ يضعف إيمانك؟»، يسأل العميل كارلايل .

- «أظنّ ذلك . ليس الأمر كما لو أنّه كانت هناك لحظة واحدة؛ كما لو أنّ مصباحاً قد أضاء في رأسي أو شيءٌ من هذا القبيل . لم أدرك أن شيئاً كان يتغيّر بداخلي إلّا بعد ذلك بوقتٍ طويل . لكن بالنظر إلى الوراء الآن، أظنّ أنّ تلك اللحظة كانت البداية . تلك هي اللحظة حين بدأت أفكّر في الأشياء على نحوٍ مختلف» .

- «حين أدركت أنّ الأمور قد بدأت تسوء؟» .

أهزّ رأسي مرّةً أخرى ثمّ أقول: «كنتُ أعرف أنّ نفي والدتي سيزيد الأمور سوءاً بالنسبة إليّ، لكنني لم أعرف أنّها ستسوء بالنسبة للجميع حتّى وقتٍ لاحق» .

- «متى؟» .

- «عندما غادر نيت. عندما لم يقع الاختيار على لوك ليكون قائد سرية. و...».

عندما تم توزيع الأسلحة. عندما اختار الأب جون زوجته الأخيرة.

-«مونيم؟»، يقول العميل كارلايل.
تخور البقية الباقية من قواي. تنبض يدي بألم لم أشعر بمثله منذ أيام، وأشعر برأسي خفيفاً وطافياً. «هل يمكننا التوقف من فضلك؟»، أسأله.

تضيق عينا العميل كارلايل بصورة طفيفة جداً، ويقول: «أعلم أن هذا صعب. صدّقي، أنا أعلم. ولا أريد أن أضغط عليك. لكن ثمة أشياء —».

أقاطعها قائلة: «ثمة أشياء تحتاج إلى معرفتها. أعرف هذا. وأنا لا أحاول أن أصعب الأمور، صدقاً أنا لا أفعل ذلك. أنا فقط لست قادرة على التحدث أكثر اليوم. هل يمكننا رجاء الاتفاق على أنه لا بأس بذلك؟».

يبتسم لي العميل كارلايل ابتسامة صغيرة وينظر إلى الدكتور هيرنانديز. يومئ هذا الأخير برأسه ويقول: «بالطبع لا بأس بذلك. سوف نستأنف هذا في الغد».

تغلق الممرضة هارو باب غرفتي، وأنتظر الصوت المألوف للقفل قبل أن أجلس على حافة السرير.

ساقاي ترتعشان وتتسارع نبضات قلبي، وقد تطلّب الأمر مني آخر جزء صغير متبقّ من القدرة على ضبط النفس كي أنجح في العودة عبر الرواق الرمادي دون أن انفجر في البكاء أو أتشبّث بذراعها كي أتمكن من البقاء واقفة على قدمي.

أضع رأسي بين ركبتيّ وأخذ نفساً عميقاً، ثمّ نفساً آخر،
وآخر. رأسي يترنّج لكنني أغمض عينيّ وأتجاهله؛ أركّز على التنفّس
- شهيق، زفير، شهيق، زفير - وأشعر أنّ الضغط يبدأ في التلاشي،
ثمّ أفتح عينيّ وأعتدل في جلستي.

أقف على قدميّ ببطء، ثمّ أمشي بثبات عبر الغرفة، وأجلس إلى
طاولة المكتب وأبدأ في الرسم. تظهر أمواج زرقاء وبيضاء على
الورقة بينما أحاول أن أرغم عقلي على إفراغ نفسه كي يتسنى له أن
يهيم حيثما يحتاج أن يهيم، رغم أنّني واثقة تماماً من أنّني لن أحبّ
وجهته.

تترأى لي صورة أمي، تنحني زاويتا فمها نحو الأسفل تعبيراً
عن خيبة أملٍ مستمرة لطالما كرهتُ أن أراها على وجهها، ولطالما
جعلتني أتساءل لماذا كنتُ على نحوٍ واضحٍ جداً غير كافية
لإسعادها، لماذا لم تكن ابنةً حيّة قادرةً على إزاحة ذكرى زوجٍ ميّت.
يا إلهي.

أدرك - متأخرةً جداً - إلى أيّ مدى كانت ترى الأشياء بوضوحٍ
شديد.

كم من المؤكّد أنّها شعرت بالغيثان وهي تشاهدني أقفز عبر
الفناء منشدةً الترانيم، وصباح يوم الأحد في الكنيسة ممسكةً بأيدي
إخوتي وأخواتي بينما أحدّق في الأب جون بإخلاصٍ أعمى لا يرقى
إليه الشكّ.

كم من المؤكّد أنّها تأذّت لمعرفة أنّها لا تستطيع المخاطرة
بإخباري الحقيقة خشية أن أنحاز إلى عائلتي ضدها، أو أن أبوح
بالشيء الخطأ للشخص الخطأ وأسبّب في انهيار كلّ شيء.

يا إلهي.

لطالما اعتقدتُ أنّها حثّت الأب جون على القبول بي كزوجةٍ

مستقبلية لأنها أرادت أن تسلّم مسؤولية حبّي والاعتناء بي إلى شخص آخر بأسرع ما تستطيع .
يا إلهي .

لكن إذا كانت قد دفعت بي إلى النبيّ فقط لأنها كانت تأمل أن ذلك سيبقيها في مأمن من الشبهات بينما هي تبحث لنا عن وسيلة للهرب ، عندها يمكنني أن أفترض بثقة أن التفكير في زواجي منه أربعها بقدر ما أربني . وإلاّ لما حاولت إيجاد مخرج قبل أن يحلّ الموعد .

يا إلهي .

رغم ذلك ، كيف كان لي أن أعرف بكلّ هذا؟ كنتُ مجرد طفلةٍ صغيرة فيما حافظتُ هي على خصوصية خطّتها وحملتُ العبء الثقيل لوحدها دون أن تقول كلمةً واحدةً لأيّ أحد . لقد لعبتُ دور المطيعة والمخلصة والمؤمنة أثناء قيامها بالتخطيط والتآمر ، ولفترة طويلة جداً اعتقدتُ الجميع أنّها بالضبط ما كانت تبدو عليه .
بمن في ذلك أنا .

هذا لأنك غبية ، يقول الصوت في مؤخرة رأسي . لا يبدو لطيفاً أو متعاطفاً ، بل يبدو غاضباً وقاسياً . أنت غبية وضعيفة وجاحدة ، ولم تفكر يوماً إلّا في نفسك .
- «اخرس» ، أ همسُ له .

لقد كانت أمك ، وكانت تحاول إنقاذكما ، وكلّ ما فعلته هو الاستياء من ذلك .

- «اخرس» . يطير القلم فوق الورقة جيئةً وذهاباً محدداً الخطوط البنية الداكنة للمنحدرات .

لقد فهمتُ ما كان عليه فيلق الربّ في الحقيقة ، لكنك آمنيت بما أخبروك به فحسب ، ولم تتمكني من رؤية ما كانت تحتاج منك

أن ترينه. لو لم تكوني عمياء، لتمكّنت من إخبارك بالحقيقة قبل فوات الأوان.

يمزّق قلم الرصاص الورقة إلى نصفين.

إنّه خطوك أنّها الآن في الخارج وحيدة. إنّهُ خطوك أنّكما أنتما الاثنين وحيدتين.

-«اخرس»، أصرّخ، وأكنسُ سطح المكتب بذراعي فتتطاير الأوراق وأقلام الرصاص والتلوين في الهواء، ثمّ أضرب بقبضتي على الطاولة. ينفجر ألمٌ مبرّحٌ عبر ذراعي اليسرى من يدي المصابة، ألمٌ حارق وشديدٌ ومروّع، لكنني أرحّبُ به لعلمي بأنني أستحقّه تماماً. «اخرس، اخرس، اخرس!».

أسمع صوت القفل يدور، لكنني لا أرى باب غرفتي يُفتَح لأنّ عينيّ مغمضتان بفعل الألم وكلّ شيءٍ بالنسبة لي أسود قائم وأحمر قانٍ. أسمعُ وقع خطيّ تتسارع على الأرض، ثمّ تطوّقُ ذراعان كتفيّ وأسمعُ صوت الممرّضة هارو يخبرني أنّ كلّ شيءٍ بخير، وكلّ شيءٍ سيكون على ما يرام. سمحتُ لها أن تجذبني إلى صدرها بينما يتدفّق سيلٌ جارف من الغضب والإحباط خارجاً منّي كما لو أنّني كنتُ أدفنه عميقاً في داخلي لسنواتٍ وسنوات، وأتركُ نفسي أتهالك خائفة القوى بين ذراعيها. تنهمرُ الدموع على خديّ بينما هي تهددني وتحاول طمأنتي مثل طفلٍ صغير، ويتكلّمُ الصوت في مؤخرة رأسي مجدّداً، لكنّ نبرته ألطف من ذي قبل إذ يهمس:

غداً، غداً تخبريهما بكلّ شيء.

كما قلتِ أنّكِ ستفعلين.

لا مزيد من الاختباء.

قبل

- «هاك. حاولي ألا تطلقي بها النار على قدمك»، يقول أموس.

أخذُ البندقية من يده وأنا أقاومُ الرغبة في قلبِ عيني. إنه سلاح AR-15 أسودُ اللون، مصنوعٌ بمعظمه من البلاستيك، وهو خفيفٌ على نحوٍ مدهشٍ نظراً لقوّته. يتحرّكُ أموس على طول الصفِّ الطويل من إخوتي وأخواتي، ثمَّ يظهر جاكوب رينولدز أمامي حاملاً مجموعةً من المخازن الفارغة وحقيبةً بلاستيكية مليئة بالرصاصة.

- «عبّئي المخزن، تحقّقي من سلاحك. حافظي على نظافة كلِّ شيء»، يقول لي.

أخذُ الذخيرة دون أن أنبس ببنت شفة، فيما هو يمضي قدماً دون أن يوليني من الاهتمام ما يكفي ليرمقني بنظرة ثانية.

إنّه صباح يوم الثلاثاء. فتحَ قادة السرايا الأبواب قبل الفجر بقليل وطلبوا منّا التجمّع أمام الكنيسة. خرج الأب جون من المبنى المتطاوّل حالماً اجتمعنا، وأخبرنا أنّ الربّ قد أوضح له أنّ الوقت أخذُ في النفاذ، وأنّه لم يعد من الحكمة إبقاء أسلحة الفيلق مخزّنة داخل قبو البيت الكبير؛ لقد آن الأوان لتكون في متناول اليد، جاهزةً لتُستخدم ضدَّ خدَمة الشيطان حين يبدوون أخيراً تحرّكهم ضدَّ أولئك الذين يسرون على طريق الحقّ.

أمرنا جميعاً بالاصطفاف في الفناء، وأبلغنا أنه سيكون لديه المزيد من الأخبار حالما يتنا مسلّحين على نحوٍ ملائم استعداداً لأعدائنا. ثمَّ غدَّ السير باتجاه البيت الكبير حيث بدأ إخوتي وأخواتي ينظّمون أنفسهم في طابورٍ واحد.

أنظرُ إلى البندقية التي في يدي وأعبس. ثمّة خدوشٌ وعلامات حول المقبض وبوابة اللفظ، كما تُبَتّ لوحان معدنيان في الجسم البلاستيكيّ لواقية الزناد على كلا الجانبين. إنها ليست مثل البنادق التي نستخدمها عادةً أثناء التدريب، تلك التي يقوم آموس بعدّها حين يخرجها ويرجعها، ويحافظ على نظافتها على نحوٍ ملفت - تبدو هذه البندقية كما لو أنها انكسرتُ إلى نصفين ثمَّ أُعيد تجميعها.

أرفعها إلى كتفي، وأصوّب بالنظر نزولاً عبر ماسورتها الطويلة. وكما هو الحال في كثيرٍ من الأحيان، فإنَّ القوّة الفتّاكة لهذا الشيء الذي بين يديّ تحرّض بعض الأفكار المجنونة في رأسي، كما حين يقوم جزءٌ من دماغك بحثّك على القفز حين تقف فوق حافةٍ عالية. يمكنني أن أستدير يميناً وأضغط الزناد مرّةً بعد مرّة، وسيكون معظم إخوتي وأخواتي على الأرض ينزفون حتّى قبل أن تخرج أوّل صرخة.

لكنني لا أفعلها مع ذلك.

يهمس الصوت في مؤخّرة رأسي: يمكنكُ ذلك. تعرفين أنّ هذا هو ما ترغيبين به.

لكنني لا أفعلها.

وهذا هو كلّ ما يهمّ.

- «إخوتي وأخواتي!» -

يهدر صوت الأب جون في أرجاء الفناء. يستدير الجميع نحو شرفة البيت الكبير حيث يتسم لنا من هناك ابتسامة عريضة.

- «تَجَمَّعُوا هُنَا أَمَامِي، يَا عَائِلَتِي»، يَقُولُ وَهُوَ يَدْعُونَا بِإِشَارَةٍ مِنْ يَدَيْهِ. «تَجَمَّعُوا لِتَسْمَعُوا الْأَخْبَارَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي شَارَكَنِي الرَّبُّ بِهَا».

أَمْشِي مَعَ بَقِيَّةِ الْحَشْدِ عَلَى الْإِسْفَلِ وَأَقِفُ أَسْفَلَ الشَّرْفَةِ، أَنْظُرُ لِلْأَعْلَى إِلَى الْأَبِ جُونِ بَعَيْنَيْنِ نَصْفِ مَغْمُضَتَيْنِ بَيْنَمَا شَمْسُ الصَّبَاحِ السَّاطِعَةُ تَوَاصِلُ صَعُودَهَا لِتَحْتَلَّ كِبْدَ السَّمَاءِ. مَعَ انْتِظَارِ الْجَمِيعِ فِي صَمْتٍ، يَفْتَحُ الْأَبُ جُونُ ذِرَاعَيْهِ وَيَنْظُرُ لِلْأَسْفَلِ نَحُونَا.

- «رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مِنَ الْمَلَائِمِ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِالْحِكْمَةِ. لَقَدْ تَحَدَّثْتُ إِلَيْكَ هَذَا الصَّبَاحَ بِالذَّاتِ. الرَّبُّ طَيِّبٌ»، يَقُولُ الْأَبُ جُونُ.

- «الرَّبُّ طَيِّبٌ»، تَرَدَّدُ مِنْ بَعْدِهِ الْجَمَاعَةُ.

يَتَابِعُ الْأَبُ جُونُ قَائِلًا: «سَيَكُونُ هُنَاكَ احْتِفَالٌ. سَتَكُونُ هُنَاكَ فَرَحَةٌ عَظِيمَةٌ، لِأَنَّ الرَّبَّ يَحِبُّ عِبَادَهُ الْمَخْلُصِينَ، أَوْلَئِكَ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ طَرِيقَ الْحَقِّ. لَقَدْ أَجَازَ لِي أَنْ أَفْهَمُ أَنَّهُ قَدْ آنَ الْأَوَانُ لِرَسُولِهِ الْمَتَوَاضِعِ كَيْ يَتَّخِذَ زَوْجَةً جَدِيدَةً، حَتَّى يَعْزِزَ سُلَالَةَ فِيلِقِهِ الْمَقْدَّسِ. لَقَدْ بَاحَ لِي بِاسْمِهِ، وَلَيْسَ لِي أَوْ لِأَيِّ رَجُلٍ فَانٍ أَوْ امْرَأَةٍ فَانِيَةٍ أَنْ يَشْكُوكَ فِي حُكْمِ الرَّبِّ».

تَنْتَشِرُ هَمَهَمَاتُ خَافَتَةٍ عِبْرَ الْحَشْدِ. أَرَى عَلَى الشَّرْفَةِ بَيَّلاً وَأَغَافِي وَبَقِيَّةَ زَوَاجَاتِ النَّبِيِّ وَرَاءَ زَوْجِهِنَّ، يَشِبْكُنَ أَيْدِيَهُنَّ مَعًا وَيَوْمُئِذٍ بَيْنَمَا تَعْلُو وَجُوهَهُنَّ ابْتِسَامَاتٌ تَشِي بِالْإِمْتِثَالِ وَالطَّاعَةِ. أَجُولُ بِنَظَرِي عَلَى الْحَشْدِ، وَأَرَى أَخَوَاتِي يَحْدَقْنَ فِي بَعْضِهِنَّ، وَالْوَاضِحُ أَنَّهُنَّ يَتَسَاءَلْنَ مَنْ مِنْهُنَّ عَلَى وَشِكِ الْإِنْتِقَالِ إِلَى الْبَيْتِ الْكَبِيرِ.

- «أَوْلَئِكَ الْمُنْذُورَاتُ لِي لَمْ يَعْدَنَّ كَذَلِكَ بَعْدَ الْآنَ»، يَقُولُ الْأَبُ جُونُ، وَأَشْعُرُ بِقَلْبِي قَدْ تَوَقَّفَ دَاخِلَ صَدْرِي. «أَنْتَنَّ أَخَوَاتُ حَقِيقَاتٍ فِي فِيلِقِ الرَّبِّ، وَلَا يُقْصَدُ مِنْ هَذَا أَيُّ إِهَانَةٍ أَوْ عَقُوبَةٍ. لَكِنَّ الْوَقْتَ يَنْفُذُ، وَقَدْ ارْتَأَى الرَّبُّ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِمُقَارَبَةٍ جَدِيدَةٍ لِلْأَمْرِ. وَهُوَ لَا يَخْطِئُ أَبَدًا».

عيناي شاخصتان إلى النبيّ. الشعور الأوّل الذي يغمرني - بصورة مضحكة وغير منطقية - هو الرفض، رفضٌ لاذعٌ ومرير. لطالما كنتُ أشعر بالرهبة من تلك اللحظة البعيدة التي كنتُ سأضطر فيها فعلياً إلى الزواج منه، لكن الآن وبعد أن تحرّرتُ من ذاك الالتزام، أشعرُ بقلبي يخفق بشيءٍ يبدو على نحوٍ غريب وكأنّه حزن. لماذا لم يعد يرغب بي؟ ألسْتُ جميلةً بما يكفي؟ أما كنتُ لأنجبَ أطفالاً جيّدين بما يكفي؟

تهرعُ الحقيقة مسرعةً وتتصدّر المشهد قبل أن يتسنى لي الوقت حتى لأفكر في الأسئلة المروّعة المتخمة بكره الذات التي تنزُّ من دماغي.

لستُ مضطّرةً للزواج منه. أنا حقّاً لستُ مضطّرةً لذلك. لقد قُضي الأمر.

وهكذا بكلّ بساطة، تلاشى الإحساس العابر بالرفض بعد أن جرّفه تسونامي من شعورٍ هائل بالارتياح. لا يهمني لماذا غير الأب جون رأيه - رغم أنّني أعرف حقّ المعرفة أنّه هو من فعل ذلك وليس الربّ - ولا يهمني كيف سيفكر الناس بي نتيجة هذا الأمر. هناك فكرةٌ واحدة ترنُّ في رأسي، مرّةً بعد مرّة.

أنا حرة.

يقول الأب جون: «لقد اتّخذَ الربُّ خياره. لقد أوضح مشيئته، وهو لا يتسامح مع أيّ نوع من أنواع الجدل. يمكنني أن أعلن أنّه اختار هوني لتتضمّن إلى رسوله المتواضع في رباط الزواج المقدّس». تنطفئُ فرحتي في الحال وعلى نحوٍ كامل كما لو أنّني لم أشعر بها على الإطلاق. أشعر بمعدتي تهوي بين قدميّ فيما الجميع يستديرون ببطء ويرمقون هوني بنظراتهم. إنّها على بعد عشرة أقدام منّي، تقفُ ساكنةً تماماً مثل التمثال بجانب والدتها أسترید التي

أشعث عيناها واتسعتا فرحاً، كما لو أن كل حلم من أحلام حياتها قد تحقق للتو. لكن هوني لا تبتسم. هي تحدق في الأب جون، وجهها شاحب جداً حتى يكاد يكون شفافاً.

لا، رجاء. ليس هوني. أوه، رجاء، ليس هي.

-«لن يكون هناك أي تأخير»، يتابع الأب جون. «لقد أوضح الرب أن هذه مسألة في غاية الأهمية، وأنه ما من وقت لنضيعة. الزواج سيُعقد هذا المساء. الرب طيب».

لثانية أو اثنتين، لا أحد يستجيب. يخيم على الحشد صمت ثقيل، كما لو أن الجميع يحاولون استيعاب ما حدث للتو، والتكيف مع انزياح آخر للأرض تحت أقدامهم. ولأقصر اللحظات، أرى ذات الشيء الذي رأيته يومض على وجه النبي عندما رفض نيت أن يكون قائد سرية.

نفس الخوف.

ثم يجأ جاكوب رينولدز: «الرب طيب» فتتقضي تلك اللحظة، ويحذو الجميع حذوه، ثم يبدؤون في الهتاف والتصفيق، ويتزاحمون حول هوني، ويخبرونها كم هي محظوظة وكم الرب حكيم لاختياره لها، كم هو حكيم وذكي ورائع. هناك على الشرفة، يبتسم الأب جون بينما زوجاته تصفقن مع بقية الحشد. لكنني أتجاهلهم جميعاً، لأنني أركز على هوني التي تتلقى تهنئة إختوتها وأخواتها، أهدق في عينيها الواسعتين وملامحها المنكوبة. إنها في الرابعة عشرة فقط؛ لم يسبق للأب جون أن تزوج فتاة صغيرة جداً.

- «هوني»، يقول النبي، ويخيم الصمت على الحشد في الحال. «هلا أتيت ووقفت بجانبتي؟».

ينتابني غضب شديد. هو يجعل الأمر يبدو كما لو أنه يطرح السؤال بصدق بدلاً من مجرد الإعلان عن إجراء شكلي. أشعر

بالاشمئزاز من وهْم الاختيار هذا، وهْم امتلاك أيّ أحدٍ لإرادة حرةٍ غيره.

يتّجه الحشد بنظراتٍ مترقّبة نحو هوني التي لا تزال تحدّثُ في خطيبها المعلن حديثاً بذات الملامح الخالية من أيّ تعبير. هي لم تحرّك حتّى الآن عضلةً واحدة في جسدها. ثمّ تتغنّضُ ملامحها فجأةً وينفتح فمها، وتزفر أختي الصغيرة الشجاعة - التي لطالما كانت شديدة الثقة بنفسها منذ أن كانت فتاةً صغيرة جداً - تنهيدةً صاخبةً رهيبة.

- «لا!»، تقول باكية. «لا، لن أفعل ذلك! لا ترغميني!».

يتردّد صدى شهادتٍ عبر الفناء. تسقطُ أستريد على ركبتها أمام ابنتها، وتحدّثُ إليها في همسٍ عاجلٍ ومحموم، بينما معظم الحشد يهزّون رؤوسهم ويغمغمون بأشياء عن الهرطقة. يمكنني سماع بعض ما تقوله أستريد - إنه لشرفٌ عظيم، إنها إرادة الربّ - وتكاد تغلبنني رغبةٌ عارمة في أن أضرب رأسها بالأرض الإسفلتية حتى تخرس.

- «لا يهمني!»، تصرخ هوني وهي تختنق بالعبرات بينما قلبي يعتصر ألماً عليها. «لا يهمني! أرجوك!».

ألقي نظرةً على الأب جون بحثاً في ملامحه عن الخوف الذي رأيته قبل بضع دقائق، نفس الخوف الذي جعله يتراجع إذ تحدّاه نيت - لكنني لم أجد هناك سوى غضبٍ باردٍ ومثيرٍ للفرع. تضيقُ عيناه، وأدرك بيقينٍ يكاد يجعلني أشفق - الفكرة التي تدور في رأسه.

لن أدع هذا يحدث مجدداً.

أشقُّ طريقي للأمام، عازمةً كلّ العزم أن أنتزع هوني من هناك وأحملها بين ذراعيّ، ثمّ أركضُ وأركض حتّى أعجز عن الركض، لكنني أتجمّد واقفةً في مكاني مثل كلّ شخصٍ آخر حين يرعد صوت الأب جون مجدداً في أرجاء الفناء.

- «سكوت! هل هذه هي الابنة التي ربّيتها يا أستيريد؟ هذه المهرطقة التي تنكر إرادة الرب؟».

يملاً الذعر عينيّ أستيريد وهي تقف لتواجه النبيّ. «اغفر لها، يا أبت!»، تقول بصوتٍ مرتجف. «إنّها مجرد طفلة، هي لا تعرف ماذا تقول».

- «هل الطفولة عذرٌ للمهرطقة؟»، يسأل الأب جون بصوتٍ ثقيل وخطير مثل الانهيار الأرضي. «هل هذا ما تقولينه لي؟».

- «أبت، أنا —».

- «ليس هناك من عذرٍ للمهرطقة! أنتِ تعرفين ذلك جيّداً كما أعرفه تماماً، إلّا إذا كنتِ أغبي ممّا تبدين عليه! لم يكن هناك من عذرٍ قطّ، لأنّ مبادئنا وضعها الربُّ بنفسه، ومعاييرنا غير قابلةٍ للتفاوض! والآن تنحّي جانبا ودعيني أراها!».

تبدو أستيريد وكأنّه سيُغمى عليها من الرعب، لكنّها تدبّرت أن تبتعد خطوةً أو اثنتين، تاركةً هوني بوجهها الأحمر الغارق بالدموع واقفةً لوحدها. أوّذ أن أصرخ في أستيريد حتّى يختفي صوتي إذ أنّي لا أستطيع أن أفهم كيف لا يكون منظر ابنتها المذعورة والغارقة في دموعها كافياً لجعلها تتماسك وتشجّع بعض الشيء.

- «هوني»، يقول الأب جون، ورغم أنّ صوته أخفض ونبرته ألطف، إلّا أنّه لا يزال بإمكانني سماع صوت الغضب الهادر القابع وراءه. «لقد جعل الربُّ من أمنياته واضحةً وجليّة، وأنّ مثلي تعلمين علم اليقين أنّه لا يخطئ. لذا فكّري جيّداً، يا طفلي. فكّري بجديّة أكثر ممّا فعلتِ يوماً».

هوني تحدّق به، شفتها السفلى ترتعش، وعيناها حمراوان وجاحظتان.

- «هل ستحدّينه؟»، يسأل الأب جون. «أم ستنضمّين إليّ في زواجٍ مقدّس كما أمر؟ أودُّ أن أحصل منك على إجابة».

هوني تحدّق به. وحولها من كلّ الجهات، عيون أخواتي الأكبر سنّاً شاخصةً إلى الأرض.

أصرخ في صمت: افعل شيئاً، أيّ شيء. شيءٌ ممّا أنت قادرٌ عليه. أوقف هذا الذي يحدث.

-«لا»، تهمس هوني، ثمّ تنظر إلى أستريد بعينين واسعتين متضرّعتين. «أمّي... أرجوك...».

يتملكُ الرعب أستريد ويمتقع وجهها، وتراجع مبتعدةً نصف خطوة عن طفلتها الوحيدة.

- «هذا مؤسف. هذا مؤسفٌ حقّاً. أيّها القادة!»، يقول الأب جون.

يتقدّم الرجال الأربعة إلى الأمام، وفجأةً أدركُ ما الذي سيحدث، فأحاول إرغام حنجرتي على أن تفعل شيئاً، أن تصرخ لتطلب من هوني أن تركض، أن تركض وحسب بأقصى ما تستطيع ولا تلتفت للوراء أبداً، لكنّ كلّ ما بداخلي جامدٌ ومتيبّس وعاجز، والشيء الوحيد الذي أستطيع فعله هو أن أتفرّج فقط.

- «احبسوها في الصندوق إلى أن تتعلّم كيف تتواضع أمام الربّ»، يقول الأب جون.

يضجُّ الفناء بصيحات الصدمة، وأرى أستريد تندفع متأخرةً لتمسك بابتها وهي تصرخ: «أرجوك، يا أبت! أرجوك لا!».

تلفّ هوني ذراعيها حول والدتها وتشبّث بها مثل اللصقة بينما يشقُّ قادة السرايا طريقهم عبر دفع الحشد الصاخب المحتجّ. اتغلّب أخيراً على حالة الشلل، وألقي بنفسي في إثر لونستار إذ يعبر أمامي، وأحاول الإمساك بكتفه كي أجعله يستدير فأناشده ألا يفعل ذلك،

لكنَّ أصابعي بالكاد تلامس قماش قميصه، وهو حتَّى لا يبطن من
وتيرة تقدّمه، ناهيك عن أن يفكر في التوقّف.

يصلُ جاكوب إلى أستريد أولاً. تزعقُ وتستدير مبتعدةً وهي
تحاول أن تجعل من نفسها درعاً لحماية ابنتها، لكنّه يجذبها بعنف
ويتمكّن من الإمساك بذراع هوني. تصرخُ هوني وقد تملّكها الذعر
بينما تحاول والدتها أن تظلّ ممسكةً بها وأنا أتقدّم بصعوبةٍ بين حشد
ضاحٍ بالك من إختوتي وأختوتي. إذ أوشكُ على الوصول إلى هناك،
يظهر لوك وراء أستريد ويجرّها للخلف بقوةٍ وعلى وجهه ابتسامةٌ
شنيعةٌ فارغة. تترنّح وهي تحاول عبثاً مقاومته، بينما يصرخ الناس
في اتجاه الشرفة مناشدين النبيّ أن يظهر الرحمة لأنّ هوني مجرد
طفلةٍ ولا تفهم ما تفعله، أن يظهر الرحمة لأنّ الأطفال لا يذهبون
إلى الصناديق، الأطفال لا يذهبون إلى الصناديق أبداً.

لا تلقى توسّلاتهم أذنًا مصغية لدى الأب جون، الذي لا يزيح
عينيه عن هوني إذ يمسكُ بها جاكوب جيّداً ويحملها بين ذراعيه، ثمّ
ينطلق بها فيما هي تركل وتصرخ وتنتحب عبر الفناء باتجاه حاويات
الشحن التي تتوهجُ جوانبها المعدنية تحت شمس تكساس الحارقة.

بعد

وجبة الغداء عبارة عن نقانق، وبطاطس مقلية، وسلطانية صغيرة من الفاصولياء التي طعمها يشبه الصابون، وكوب بلاستيكي من الحليب بنكهة الشوكولا .

أتناول وجبتي سريعاً، ثمّ أرسم المنزل والجرف والماء والهيئتين البشريتين الصغيرتين عدّة مرّات بينما أنتظر الممرضة هارو كي تأتي وتصطحبني إلى جلسة التفاعل الاجتماعي. الرسومات بسيطة، أكثر بقليل من خربشات أطفال، لكن لا بأس بذلك، لأنّ تركيزي ليس منصبّاً عليها حقّاً. عقلي مشغولٌ بالكامل بالعمل كارلايل والدكتور هيرنانديز؛ بملامحهما عندما انتهيتُ من إخبارهما عن إعلان الأب جون.

كلاهما كانا شاحبين مثل الأشباح.

كان الدكتور هيرنانديز يرتجف وهو يحدّق بي، كما لو أنّه كان يبذل مجهوداً بدنياً حقيقياً كي يحافظ على رباطة جأشه المعتادة، وحول عينيّ العمل كارلايل كانت ثمة بقع حمراء قانية مثل دم على بشرته الشاحبة. بدا وكأنّه كان يبكي، رغم كوني متأكّدة من أنّي كنتُ سألاحظ ذلك. أعتقد أنّي كنتُ سألاحظ. أحسبُ أنّه كان يفكر في ابنته بينما كنتُ أتحدّث، وفي ما سيفعله لو حاول أيُّ شخصٍ أن يفعل بها ما فعله الأب جون بهوني.

أفكرُ في كل الأشياء التي لا بدّ أنهما قد رأياها خلال سنوات قيامهما بعملهما - الأشياء المروّعة التي لا بدّ أن يكونا قد سمعاها، والرجال والنساء والأطفال المتضرّرين الذين التقيا بهم - ومن المطمئن على نحوٍ غريب رؤية أنّ كلّ ذلك لم يقتل الإحساس لديهما، ولم يفقدهما القدرة على الشعور بالصدمة والاستياء حين يخبرهما أحدٌ ما بشيءٍ فظيع. وأنّهما لا يزالان قادرين على الاستمرار، وعلى الاستيقاظ كلّ صباح والمضيّ قدماً بعد كلّ ذلك. هذا تذكيرٌ أنّهما لا يزالان مجردّ كائنين بشريّين، وهو ما يعطيني الأمل في أنّه ربّما لا يزال هناك مستقبلٌ من نوع ما بالنسبة إليّ. ليس لديّ أدنى فكرة عمّا قد يكون عليه ذاك المستقبل، لكن لا أعتقد أنّ هذا يهّم حقّاً الآن.

بعد أن سألاني الكثير من الأسئلة - حول الصندوق، وحول ردّ فعل زوجات النبيّ، وحول حجم الاحتجاج الذي بدر من إختوتي وأختوتي - قال لي العميل كارلايل إنّّه كان سعيداً بموت الأب جون. قال له الدكتور هيرنانديز إنّ هذا ليس بالرأي المفيد؛ أخصّص أنّّه قال ذلك لأنّه لا يريدني أن أفكر في أنّ العنف يحلّ المشاكل، لكنّ العميل كارلايل أخبره أنّ ذلك لا يهّمه، وكرّر التأكيد على سعادته بموت الأب جون. - «يسعدني أنّه ميت».

لا أرُدّ بشيء. ماذا عساي أقول؟ كان الدكتور هيرنانديز سيصاب بخيبة أمل لو قلتُ «وأنا أيضاً»، لكنّني أعلم أيضاً أنّه كان سيشعر بالقلق في حال اعترضتُ على ذلك. وإذا ما شعر بالقلق حيال شيءٍ ما، فهو يريد أن يتحدّث عنه. لذا لم أقل شيئاً. تتسلّل إلى ذهني ذكرى بركة حمراء داكنة تنتشر على أرضية البيت الكبير، لكنّني لم أقل كلمة واحدة.

لم يتبقَّ الكثير من الوقت في الجلسة، لذا وعدتهما بأنني سأكمل لهما ما حدث صباح الغد. ولسوف أفي بوعدتي، رغم علمي بأنَّ ذلك يعني إخبارهما بأحد الأمرين اللذين أقسمتُ أنني لن أفصح أبداً عنهما لأيٍّ أحد.

كوني شجاعة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. سوف أحاول. سوف أحاول بأقصى ما أستطيع أن أكون شجاعةً فعلاً. لكنني مرعوبة، ولا يمكنني التظاهر بعكس ذلك، أيّاً يكن ما يقوله الصوت.

أعلم أنه ينبغي بي أن أخبرهما بما فعلت. أنا خائفةٌ لأنني لا أعرف ماذا ستكون عواقب ذلك، لكنني أعلم أنَّ هذا ما ينبغي بي فعله، وجزءٌ منّي - ذلك الجزء البعيد الذي أشكُّ أحياناً أنَّ الصوت يأتي منه - جاهزٌ لينتهي من هذا.

جزءٌ منّي يرغب في إخبارهما. لأنني إذ شرحتُ لهما ما فعله الأب جون بهوني؛ إذ وجدتُ نفسي في الفناء وشعرتُ بدفع الشمس وسمعتُ أصوات الرجال والنساء الذين اعتدْتُ أن أناديهم بإخوتي وأخواتي، شعرتُ بالثقل على كتفيّ - ذاك الذي أشعر أنني حملته معي دائماً وأبداً - يصبح أخفّ مجدّداً، وإن كان بصورةٍ طفيفةٍ جداً.

أسمعُ طرقاتاً على باب غرفتي قبل أن يُفتح، وتخبرني الممرضة هارو اللطيفة والمبتسمة كالعادة أنَّ الوقت قد حان. أبتسمُ لها، ثمَّ أنهضُ وألحقُ بها إلى الرواق.

الأجواء في غرفة العلاج الجماعيّ مختلفةٌ اليوم. لا يزال غياب لوك يلقي بظلاله على كلّ شيء، وتتناهى إلى مسمعي كلمة «ارتقاء» أكثر من مرّة بينما يتحدث إخوتي وأخواتي

الصغار حول كتب التلوين والألعاب، لكن تشعر أنّ الهواء في الغرفة أخفّ بطريقة ما. يبدو أنّهم ما عادوا يتلفّتون حولهم بوجل، أو يفكّرون مليّاً في كلّ شيء يقولونه خشية أن يتسبّب في وقوعهم في ورطة. جزءٌ منّي يتساءل ما إذا كان يجدر بهم أن يكونوا أكثر حزناً، فمجرّد بضعة أيّام لا ينبغي أن تكون وقتاً طويلاً بما يكفي لما يبدو أنّه تجاوزٌ لوفاة شخصٍ عرفوه طيلة حياتهم، لكنني لا أثير هذه المسألة، وكذلك هوني - أظنّ أنّنا سعيدتان بتركهم يلعبون فحسب.

نجلس نحن الاثنتين إلى طاولة بلاستيكية في زاوية الغرفة، نتفرّج على جيرمايا وأورورا يلاحقان بعضهما في أرجاء الغرفة جيئةً وذهاباً بينما يقوم ثلاثة أطفالٍ آخرين بالعدّ من الرقم 15 تنازلياً، تعلو أصواتهم وتعلو إلى صرخاتٍ حماسيّة مع وصولهم إلى الصفر. قواعد هذه اللعبة ليست مفهومة تماماً بالنسبة لي، لكن لا بأس بذلك.

- «البعض منهم سيكون على ما يرام»، تقول هوني كما لو أنّها تستطيع أن ترى على وجهي السؤال الذي كنتُ أفكّر فيه. «ليس كلّهم، ولا حتّى معظمهم ربّما. لكن البعض منهم سيكون على ما يرام».

أهزّ رأسي. «لقد مات كلّ شخصٍ يعرفونه».

- «الأطفال مرنون. ما حدث سيظلّ معهم دائماً، لكنّهم سيمضون قدماً. وسوف أقول لك شيئاً آخر، رغم كونه يبدو ضرباً من الجنون الآن - سوف يتدبّرون أن ينسوا ما حدث، لمعظم الوقت على الأقل»، تقول هوني.

- «لا تزال رؤوسهم ممثلة بما علّمهم إيّاه الأب جون».

تهزّ كتفيها. «سيعلّمون أشياء جديدة».

أنظرُ إليها. أودّ أن أصدّق ما تقوله، أنّ الدكتور هيرنانديز

وزملاءه سوف ينتزعون كلّ الأكاذيب من رؤوسهم ويستبدلونّها بأشياء جديدة، أشياء مفيدة وحقيقيّة؛ أنّهم سوف يرتقون الشقوق ويرأبون الصدوع، عندئذٍ سيكون كلّ شيءٍ على ما يرام. لكنني أنظرُ إلى جيرمايا وأورورا ورينبو وكلّ الآخرين، فأرى كوابيس لن تفارقهم بالكامل، وجروحاً لن تلتئم يوماً بصورة تامّة. أرى طريقاً طويلة أمامهم جميعاً.

- «متى توقّفتِ عن الإيمان بالفيلق، وبالأب جون؟ متى رأيتِ الأمر على حقيقته؟»، أسأل هوني.

تعبس وتقول: «لم أوّمن قطّ. لقد أدركتُ أنّ الأمر برمّته هو محض هراء بمجرد أن أصبحتُ كبيرة بما يكفي لأفكر باستقلالية. تماماً كما حدث معك». مكتبة سرّ من قرأ أشعرُ بحرارة الحرج ترتفع في خديّ.

تضيّق عينا هوني. «ليس كما حدث معك؟».

أهزّ رأسي بالنفي وأقول: «لقد بدأ إيماني يضمحلّ بعد أن قاموا بنفي أمّي. كنتُ حتّى ذلك الحين مؤمنةً صادقة. اعتقدتُ أنّك كنتِ تعرفين ذلك».

- «لم أكن أعرف. لطالما اعتقدتُ أنّنا سواء».

- «أنا آسفة».

ينقلب عبوسها إلى ابتسامةٍ عريضة. «لا تقولي ذلك. لقد رأيتِ الحقيقة في النهاية. هذا أكثر ممّا حدث مع الغالبية الساحقة»، تقول لي.

- «كيف أمكنك رؤية الأمر مباشرة؟».

تهزّ كتفيها ثمّ تقول: «لا أعرف. الأمر فقط أنّه لطالما بدا واضحاً بالنسبة لي أنّ الشخص الوحيد المستفيد حقّاً من فيلق الرّب هو الأب جون».

أحدقُ بها. أشعرُ برأسي يلفُ ويدور.

يبدو الأمر بسيطاً جداً بعد أن وضعته في ذاك السياق. بسيطٌ وواضحٌ جداً. لمَ إذاً استغرق مني وقتاً طويلاً لأراه على حقيقته؟ لماذا لم أستطع أن أكون ذكيّةً مثلها؟

- «ماذا كنتِ ستفعلين إذاً لو لم يحدث الحريق؟»، أسألها.
- «كنتُ سأغادر»، تقول على الفور. «حالما أصبح كبيرةً بما يكفي بحيث لا يمكنهم إرسالني إلى أمي مجدداً. ألم يكن هذا ما ستفعلينه؟».

أومئُ موافقة. «أعتقد ذلك. هذا ما كنتُ أنوي القيام به حتى تلك الأيام القليلة الأخيرة حيث كنتُ لا أزال منذورةً للأب جون، كانت خطتي تتمحور حول المغادرة قبل أن يرغموني على الزواج منه».

- «المغادرة والعثور على أمك؟».

- «أظنُ ذلك. أقصد إن كانت لا تزال هناك»، أقول لها.

- «إنّها هناك»، تقول هوني.

- «كيف تعرفين ذلك؟».

تبسمُ لي. «لديّ إيمان».

أبتسمُ لها بالمقابل. «ماذا عن أمك؟».

تتلاشى ابتسامتها، ويومض سريعاً بصيصٌ من الحزن على وجهها، لكنني استطعتُ أن أراه. «ماذا عنها؟»، تقول لي.

- «ما كانت لتذهب معك، أليس كذلك؟».

- «ما من احتمال لذلك. كانت جنديّة مخلصّة حتى النخاع. لم

تكن لتعرف كيف تكون أيّ شيءٍ آخر»، تقول هوني.

- «هل تفتقدينها؟».

تفكرُ في سؤالي لثانيةٍ أو اثنتين. «أنا أفقدها، أفقدها حقاً».

مكتبة

t.me/soramnqraa

لكنني لا أعتقد أنه كان بوسعها النجاة خارج القاعدة، لذا فإنَّ جزءاً مني يعتقد أنَّ ما حدث كان لطفاً بها. أنتِ تعلمين أنَّها كانت مريضة، صحيح؟».

أومئُ برأسي. كانت أمراض أستريد معروفةً جيّداً، أمراضٌ كانت تزداد سوءاً كلّما طُلب منها القيام بشيءٍ لا ترغب في القيام به بحسب بعض أعضاء الفيلق غير اللطفاء.

- «كانت تعتقد أنَّها سترتقي حين تموت. كانت تصدِّق ذلك من كلّ قلبها، لذا أظنُّ أنَّها نالت مبتغاها في النهاية. لو أنَّها كانت قد نجت من الحريق ثمَّ أُجبرَتْ على الجلوس في غرفة بينما يقوم عملاء الحكومة بتحطيم كلّ ما آمنَتْ به يوماً، لكانَ ذلك قد دمرّها. لذا أعتقد أنَّ ما حدث ربّما كان للأفضل».

أنظرُ إليها، ولا أعرف ماذا أقول.

- «ومَن يدري؟»، تقول هوني مع ابتسامة كالحة. «لربما كانوا على حقٍّ طوال الوقت. وقد تكون الآن في السماء جالسةً بجانب الربّ».

أومئُ برأسي وأقول: «ربّما».

في وسط الغرفة، يصل العد التنازليّ الصاخب إلى الصفر مجدّداً. يؤدّي جيرمايا رقصةً صغيرة غريبة، تهتّزُّ فيها ساقاه وذراعاها ذات اليمين وذات الشمال كما لو أنه يتعرّض لصدمة كهربائية، ثمَّ يرمي بنفسه على الأرض، فتقفز أورورا ورينبو فوقه. الجميع يهتفون ويصرخون ويهللون، وهوني تبسم.

- «لَمْ فعلتِ ذلك؟ لَمْ قلتِ لا ورفضتِ الزواج منه؟»، أسألها. لا تزيح عينيها عن إخوتنا وأخواتنا، لكنني أرى كيف تغضن جبينها. «ماذا كان يُفترض بي أن أقول؟»، تسألني.

- «كان من الأسهل أن تقولني نعم».

- «أنتِ محقّة. كان ذلك أسهل»، تقول لي.
نجلس صامتتين لبعض الوقت نراقب الأطفال يلعبون.
- «هل حقّاً تعتقدين أنّهم سيكونون بخير؟»، أسألها.
- «لا أعرف. آملُ ذلك. أنا متأكّدة من شيءٍ واحد، يا مونييم،
وهو أنّه برغم الحريق والخسارات والحزن، فإنّ لديهم الآن فرصة
أفضل من التي كانت لديهم في السابق. فرصة أفضل بكثير».
أراقبُ إخوتي وأخواتي يلعبون ويركضون ويصرخون، وقد
أضاءت وجوههم بالمتعة البسيطة الناجمة عن كونهم أحياء ورفقة
أصدقائهم. يُفترض بكلمات هوني وإيمانها بمرونة البشر أن يجعلاني
أشعر بأنني بحالٍ أفضل قليلاً، خاصّةً أنّ وجود هؤلاء الأطفال هنا
في هذا المكان الرمادي بدون عائلاتهم هو خطئي في المقام الأوّل.
لكتّني لسْتُ أفضل حالاً.
على الإطلاق.

قبل

أذرعُ الفناء باتّجاه المبنى رقم 9، وعقلي مثقلٌ بالنظرة على وجه هوني بينما كانوا يغلقون باب الصندوق.

لا أعتقد أنني شعرتُ يوماً بمثل هذا الغضب. عندما نفوا والدتي، شعرتُ بقلبي ينفطر، كما لو أنّه كان ينفطر فعلياً ومادياً داخل صدري، لكنّ هذه حالةٌ أخرى تماماً. أريدُ أن أصرخ وأصيح، أريدُ أن أحرق كلّ شيء ثمّ أرقص فوق الرماد، أريدُ أن أنثر الملح في الأرض فلا ينمو بها شيءٌ مرّةً أخرى.

يظهر آموس خارجاً من ظلال الكنيسة ليسدّ طريقي ويقول: «هي تنال ما تستحقّه، أنتِ تفهمين هذا، أليس كذلك؟».

أحدّقُ فيه. في رأسي نارٌ مشتعلة، وفي عروقي الدم وكأنّه ماءٌ مثلّج، وأطالبُ نفسي أن أهدأ، وأهدأ، وأهدأ، لأنني لن أتمكن من مساعدة هوني إذا تسبّبتُ لنفسي في الحبس داخل الصندوق الذي بجوار صندوقها.

أخذُ نفساً عميقاً، وأجبرُ نفسي على الإيماء برأسي. تضيقُ عينا آموس. «دعيني أسمعها. دعيني أسمعكِ تقولين إنكِ تفهمين»، يقول لي.

- «أنا أفهم»، أقول بصوتٍ أشبه بحممة حيوان.
- «أمل ذلك، فهذا ليس وقتاً مناسباً للقيام بأيّ شيءٍ غبيّ».

ستأخذ هوني دواءها، وستخرج من هناك قبل أن تشعرى بغيابها، لذا
أهدئي وامضي في طريقك. الرب طيب».
أحدّق فيه. ليس هناك أيّ احتمال أنه قد يخمن ما أنا مقدّمة
على فعله، لكنّ آموس أذكى ممّا يبدو عليه، أذكى بكثير، لذا عليّ
أن أتوخّى الحذر.

- «هل سمعتني؟».

- «نعم».

- «إذا؟».

- «الرب طيب»، أبصق الكلمتين بصقاً.

تضيّق عيناه أكثر. الغضب في صوتي واضح ولا لبس فيه،
لكنني أظلم أنظر بثبات في عينيه وأتنفّس ببطء وبعمق، وأنتظر ثمّ
أنتظر، وبعد ما بدا أنها ساعات لكنّها ليست على الأرجح أكثر من
بضع ثوانٍ، يتنحّى آموس جانباً. أتخطّاه وأتابع طريقي عبر الفناء
دون أن أنظر إلى الورا.

أفتح باب غرفتي، أستلقي على السرير وأجبر نفسي على
الانتظار. إذا اعتقد آموس أنّني سأسبّب المتاعب، فسوف يذهب
مباشرةً إلى الأب جون ويبوح له بمخاوفه. عندها قد يكون لديّ
دقيقة أو دقيقتين على الأكثر قبل أن يظهر قائد سرّيّة عند باب غرفتي.
لذا سوف أنتظر.

أقول لنفسي: خمس دقائق ستكون كافية للتأكّد من الأمر.

أحدّق في الباب، وأنتظر أن يدفعه جاكوب رينولدز، ويخبرني
أنّ الأب جون يحتاج إلى التحدّث إليّ. أحاول أن أجبر نفسي على
أن أهدأ، وأن أكون عقلانية وحذرة، لكنني لا أرى شيئاً سوى وجه
هوني، ولا أسمع شيئاً سوى صوت أمي وهي تنادي الأب جون
بالدجال الوضيع، والكاذب والمحتال، وجهاً لوجه.

اهدئي، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. ابقِي هادئة.
لكنني لا أستطيع رغم ذلك. أشعر وكأنَّ تياراً كهربائياً يمرُّ عبر
أحشائي. إنَّه غضبٌ في الغالب، لكن ثمة كرة كِلَّة صغيرة قوامها
الإثارة هناك أيضاً. في أغلب الأحيان يكون شعوري هو العجز حين
يحدث لأحد إخوتي أو أخواتي شيءٌ قاسٍ أو غير منصف. لكن هذا
ليس هو الحال الآن.
ليس هذه المرّة.

كان نيت واضحاً جداً - لقد أخبرني أنّه لا يُسمح لي باستخدام
الهاتف الخليوي إلّا إذا ساءت الأمور حقّاً. أعلم أنّه كان يقصد أن
تسوء حقّاً بالنسبة إليّ، لكنني أعتقد أنّه سوف يسامحني على الخيار
الذي أوشكُ على اتّخاذه. لأنّه إذا لم يكن حبس فتاة في الرابعة
عشرة من عمرها داخل صندوقٍ معدنيّ دون طعام أو ماء في ذروة
صيف تكساس الحارق يعتبر أمراً سيئاً حقّاً، فلا أعرف ما الذي
يمكن اعتباره كذلك.

أتحقّق من الساعة على المنضدة الصغيرة بجانب السرير. مرّت
ثلاث دقائق منذ أن استلقيتُ على السرير. لا أسمع أيّ شيءٍ غير
عاديّ في الخارج، لا صراخ أو صوت خطيّ تقترب، لكنني أحمل
نفسي على الانتظار لوقتٍ أطول قليلاً.

دقيقتان إضافيتان. الأمان أفضل من الأسف.

تكاد هذه الفكرة تجعلني أضحكُ بصوتٍ عال. لأنّ الحقيقة
العظمى الساطعة في قلب هذا البيت الذي لم أعرف غيره في حياتي
- الحقيقة التي يغضبني كثيراً أنّني استغرقتُ وقتاً طويلاً لفهمها -
هي أنّه لا أحد في أمان داخل الفيلق، باستثناء الأب جون وربّما
- ربّما - قادته الأربعة. لطالما قيل لنا مرّةً بعد مرّة، في عظةٍ بعد
عظة، وإعلانٍ بعد إعلان، أنّنا بأمانٍ داخل أسوار القاعدة، لأنّ

الوحوش كلّها في الخارج. لكنّ الحقيقة على العكس من ذلك تماماً: الأسوار تبقي العالم الحقيقيّ خارجاً، والوحوش موجودة معنا في الداخل.

أتحقّق من الساعة مجدّداً.

أربع دقائق.

أراقب عقرب الثواني يكمل دورته البطيئة، وأتوسّلُ إليه في صمتٍ أن يسرع. حين يصل أخيراً إلى الرقم 12، أنزلُ من سريري وأجثو بقربه، وأتموضع بحيث أتمكّنُ من رؤية الباب إذا ما فُتح. أمُدّ يدي أسفل السرير، وتعثر أصابعي على لوح الأرضية السائب دون أن أضطر للنظر بحثاً عنه.

أرفعُ اللوح وأضعه جانباً بعناية. داخل التجويف الصغير أسفله توجد الأشياء التي تركها والدي، والشيئان اللذان أعطاني إياهما نيت قبل أن يهرب. أترك التذكارات والمفتاح الرئيسي في مكانهما، وأخرجُ الهاتف الخلوي.

بدا نظراً لخطورته وكأنّه يهتّزُ في يدي: أعرف حقّ المعرفة أنّه إذا ضُبط هذا الهاتف معي، فإنّ العقاب الذي سيُنزل بي سيجعل عقاب هوني يبدو مثل صفعَةٍ رقيقةٍ على ظاهر اليد.

أقفُ على قدميّ وأتفحصُ الهاتف. إنّهُ مستطيل الشكل، أسود اللون، ومصنوعٌ من البلاستيك، له شاشةٌ صغيرة في الأمام، وخمسة عشر زرّاً بيضوي الشكل أسفل منها. ثمّة رسمٌ صغير أخضر اللون على الزرّ في أعلى ويسار شبكة الأزرار. آخذُ نفساً عميقاً، وأحاولُ إبطاء دقّات قلبي المتسارعة، ثمّ أضغطُ عليه بإبهامي.

لا يحدث أيُّ شيء.

يغرق قلبي مثل حجرٍ في الماء.

ربّما تكون البطارية فارغة. ربّما يكون الهاتف معطلاً. أو ربّما

لم يكن يعمل أبداً، وهذا كله ليس سوى مزحة سمجة وقاسية، ولا بدّ أن نيت الآن في مكانٍ ما في الخارج يضحك بشدّة على الفتاة الغبية التي اعتقدت أنه قد —

تضيء الشاشة، ويكاد الهاتف يسقط من يدي على الأرض. أمسكه بكلتا يديّ بإحكام وأتفحصه جيّداً. ثمّة صفوف من خطوط صغيرة على جانبيّ الشاشة، وكلمة بحث... تتوهج في الأعلى. ثمّ تختفي، ويحلّ محلّها الرمز AT&T (الشركة الأمريكية للهاتف والتلغراف). إلى جانب هذه الكلمة الجديدة هناك خمس دوائر صغيرة. الدائرة الأبعد إلى اليسار ملوّنة بالأسود، فيما بقيّة الدوائر فارغة.

الشاشة ساطعة جدّاً، أكثر سطوعاً ممّا كنت أتوقّع، وأشعرُ فجأةً برعبٍ شديد من أنّ الضوء قد يلفت الانتباه عبر جدران المبنى، لذا أضع الهاتف في جيب سروالي. إنّه يشكّل انتفاخاً محدّد الحواف ومرئياً بوضوح، ومن المحتمل أن يسألني عنه أيّ شخص يراه، لكن ما من مكانٍ آخر لأضعه فيه. سيكون عليّ أن أتأكد من أن لا يراه أحدٌ وحسب، لأنني لن أجرؤ على استخدام الهاتف هنا. الجوّ هادئٌ داخل المبنى الآن، لكن قد يدخل أيّ أحدٍ في أية لحظة، وقد لا أتنبّه إلّا بعد فوات الأوان.

أمشي عبر غرفتي وصولاً إلى الباب حيث أتوقّف. لا يمكنني سماع أيّ شيء - أو أيّ أحد - في الممرّ خارجاً، لكنني مع ذلك أفتح الباب بمقدار بوصة واحدة فقط، وأختلس النظر عبر الشقّ الضيق.

لا شيء. فقط الجدران الخشبية الباهتة، والصليب المضيء، وأبواب غرف النوم الخمسة الأخرى. أخرج من غرفتي وأمشي باتجاه الباب الأماميّ للمبنى. أضغط أذني على الباب، ثمّ أفتحه إذ

لا أسمع أيّ شيءٍ غير عادي. ما من أثرٍ لآموس أو الأب جون، أو أيّ من قادة السرايا، بل رقعة الفناء القائمة فحسب، وأشكال إخوتي وأخواتي على مسافةٍ بعيدة وهم يؤدّون أعمالهم.

أتنفسُ الصعداء، وأخطو إلى الخارج. إنّها بالكاد العاشرة صباحاً، لكنّ الهواء ساخناً جداً لدرجة تجعلك تشعر بأحشائك وكأنّها تغلي. أفكرُ في هوني، أتصوّرها جالسةً على الأرض داخل الصندوق بينما جوانبه تصبح أسخن فأسخن، وأدفع بتلك الصورة بعيداً عن مخيلتي. ما أنا على وشك القيام به يحتاج ذهنًا صافياً، وليس رأساً يعوم على بحرٍ من الغضب.

أسير حول الفناء، وألتفتُ عند طرف الأسفلت الحارق، ثمّ أتّجه شرقاً نحو حظائر الصيانة. إنّها ليست مجرد مسألة العثور على مكانٍ ما داخل القاعدة حيث لن يكون هناك مَنْ يستمع إليّ - يمكنني أن أقف عند أية زاويةٍ من زوايا السياج ولن يتمكّن أحدٌ من سماع كلمةٍ أقولها. لكنني إذا فعلتُ ذلك فستكون احتماليّة رؤيتي أقفُ في الركن القصيّ من القاعدة وأضغطُ شيئاً على أذني عاليةً على نحوٍ خطير. حريٌّ بي والحال كذلك أن أدخل إلى البيت الكبير وأستخدم الهاتف الخلوي وسط غرفة المعيشة.

ما أحταجه هو مكانٌ بعيدٌ بما فيه الكفاية بحيث لا يمكن سماعي ومستوراً بما فيه الكفاية بحيث لا تمكن رؤيتي. الحظائر، حيث أوقفتُ لوك عن إجبار هوني على فعل شيءٍ فظيع، وحيث فعلتُ شيئاً فظيعاً بجاكوب رينولدز؛ الحظائر هي أفضل حلٍّ يمكنني التفكير فيه.

لا يزال هذا وقت نوبة العمل الصباحية، أي أنّ العدد والأدوات التي يحتاجها إخوتي وأخواتي لتأدية أعمالهم يُفترض أنّها قد أخذت بالفعل من الحظائر بحلول هذا الوقت. وسوف يتمُّ

إرجاعها إلى هنا عندما يرنُّ جرس الكنيسة إيزاناً بحلول وقت الغداء، لكنَّ هذا ليس قبل ساعتين على الأقلِّ ما لم تُلغَ وجبة الغداء بالمرّة - عادةً ما تكون الوجبات هي أوّل ما يُشطب عندما لا يكون الأب جون راضياً عنّا، وقد كانت النظرة على وجهه تنمُّ عمّا هو أكثر بكثير من الغضب بينما كانت هوني تؤخِّذ بعيداً. قد يدرك أحدهم أنّه بحاجةٍ إلى أداةٍ لم يكن يتوقَّع أن يحتاج إليها ويأتي ليأخذها، وقد ينتبه أحد القادة أنّني لستُ في المكان الذي يُفترض أن أكون فيه ويأتي بحثاً عنيّ، لكنَّ هذا ليس مرجّحاً جدّاً، كما أنّه ليس بوسعي فعل شيءٍ حياله إن حدث.

يبدو الوضع هادئاً إذ أصلُ إلى صفِّ الحظائر والأكواخ، لكنني أمرُّ بها سريعاً مع ذلك كي أتأكّد أنّها بالفعل فارغةٌ كما تبدو. تتدلى المناجل والمجارف والمذاري من صفوف من الخطافات فوق أكياس البذور والأسمدة والمبيدات الحشرية. يجثمُ الجرّار داخل أكبر حظيرة؛ قطعة كبيرة صدئة من المعدن تتركُ سحابة كثيفة من الدخان الأسود في أعقابها، وثمة بركةٌ صغيرة من الزيت تنتشر أسفلها. لا أرى شيئاً. لا أسمع شيئاً.

ليس هناك أحدٌ في الأرجاء.

أتحقّق مرّةً ثانية كي أتأكّد تماماً، ثمّ أقفُ في الظلّ الدافئ على الطرف البعيد لأكبر حظيرة، هناك حيث لن يتمكّن أحدٌ من رؤيتي ما لم أسمعه قادماً قبل ذلك، وأخرجُ الهاتف من جيبِي. لبرهةٍ طويلة، أحمله في يدي وحسب، إذ لا فكرة لديّ على الإطلاق عما سيحدث؛ الأمر كما لو أنّني على وشك الدخول في المجهول. أخبرني نيت أنّه ليس في ذاكرة الهاتف سوى رقم واحد، لكنّه لم يخبرني لمن يعود ذلك الرقم. عليّ أن أفترض أنّه رقمُ شخصٍ يمكنه مساعدتي بالنظر إلى تعليمات نيت بشأن متى يجدر بي استعمال

الهاتف، لكنني لا أعرف ذلك على وجه اليقين. ثم تخطر ببالي فكرة أخرى: لقد مرَّ ما يقارب العقد من الزمن منذ أن تحدّثتُ إلى أيّ شخصٍ خارج فيلق الربّ، منذ أن منَعَ الإعلان الأوّل الجميع باستثناء آموس من الذهاب إلى البلدة.

ما يقارب العقد من الزمن قضيتُه مع نفس الأشخاص. ما يقارب العقد من الزمن قضيتُه محتجزةً خلف سياج.

أغمضُ عينيّ، وأخذُ نفساً عميقاً، وأضغطُ مطوّلاً على الزرّ الذي يحمل الرقم 1. يُصدر الهاتف صوتاً حادّاً وعالياً - تجحظُ عينايا، وأمطُ رأسي من وراء زاوية الحظيرة لأنني أتوقّع رؤية قائد سرّيّة يندفع راكضاً عبر الأرض الصحراوية باتجاهي، جاهزاً لسحق الهاتف على الأرض سحقاً، وحسبي داخل صندوق لبقية حياتي.

لكن ليس ثمة شيء. القاعدة ساكنة وهادئة.

تظهر عبارة جاري الاتصال فوق سلسلة من الأرقام على الشاشة. ثمّ تتحول جاري الاتصال إلى متّصل، وأسمع صوتاً رفيعاً يخرج من مكبّر الصوت في الهاتف.

- «قسم شرطة مقاطعة لايتون».

يتجمّد الدم في عروقي. تمضي عدّة ثوانٍ وأنا أحدّق في الهاتف وحسب دون أن أتمكّن من قول كلمة واحدة.

- «مرحباً؟»، يقول الصوت.

أستحضّر صورةً لهوني؛ بشرتها حمرةً مع ارتفاع درجة الحرارة داخل الصندوق، ولسانها يتدلّى خارج فمها مثل كلب، وعيناها مقلوبتان وليس فيهما غير البياض. تسري قشعريرة على طول عمودي الفقري، وتنكسر حالة الشلل التي أصابتني، فأرفعُ الهاتف إلى أذني، وأقول: «مرحباً؟».

- «قسم شرطة مقاطعة لايتون»، يكرّر الصوت في الهاتف. كيف يمكنني مساعدتك يا سيّدي؟».
- «لا أعرف»، أقول مدركة أنّ هذا الجواب يبدو غيباً بالتأكيد، لكنّه الحقيقة. «أنا... أعتقد أنني بحاجة للمساعدة».
- «لا بأس»، إنّهُ صوت امرأة يوحى باللطف والثبات، وأجد نفسي فجأة أقاوم الرغبة في البكاء. «حاولي أن تبقي هادئة سيّدي. أخبريني ما الذي يحدث».
- «أنا عضو في فيلق الرّب. تقع كنيسةنا خارج طريق الولاية السريع 158. ليس بعيداً عن لايفيلد. هل تعرفين أين تقع؟»، أقول وأنا أسمع ارتجاف صوتي، وأشعر بانقباض معدتي.
- «بالأكيد. فيلق الرّب. حسناً»، تقول المرأة، لكنها لم تعد تبدو لطيفة، هي تبدو منزعة الآن.
- «اسمي —».
- أسكت فجأة. لا يمكنني أن أعطي اسمي لهذه المرأة. إذا أرسلت المساعدة فعلاً، واكتشف الأب جون أنني كنتُ السبب في وصولها، فسوف يقتلني.
- أعتقد أنّه سوف يقتلني بالفعل.
- يتعاضم شعوري بالذعر حتّى يكاد يطبق على صدري، إذ إنّني لا أعرف كيف من المفترض أن يجري هذا الأمر، وأنا واثقة أنني لم أفهمه بشكلٍ صحيح. «لا أستطيع أن أخبرك باسمي. صديقي نيت تشايلدرس هو الذي أعطاني هذا الرقم، هل تعرفينه؟»، أقول لها.
- «أخشى أنني لا أعرف أحداً بهذا الاسم، سيّدي».
- تتجهّم ملامحي. «هل أنت متأكّدة؟»، أسألها، لأنّ هذا لا يمكن أن يكون صحيحاً.
- «متأكّدة جداً. يجب أن تدري أن التقدّم ببلاغ كاذب إلى

سلطات إنفاذ القانون يعدّ جريمةً في ولاية تكساس، لذا ما لم يكن لديك شيءٌ حقيقي تخبريني به فسوف أنهي هذه المكالمة»، تقول المرأة.

- «لا»، أقول، وأشعر بالصدمة من حجم اليأس في صوتي. «أرجوك. أنا لا... لا أعرف ماذا أفعل غير هذا. أنا آسفة».

- «هل أنت بخير سيّدي؟ هل تريدني أن أرسل أحداً ما إليك؟»، تسأل المرأة وقد عاد شيءٌ من اللطف إلى صوتها.

- «نعم، نعم. لقد حبسوا هوني في الصندوق، والجوّ حارٌّ جدّاً، وهي في الرابعة عشرة من عمرها فقط، ولم ترتكب أي خطأ، لم ترتكب أيّ خطأ على الإطلاق...».

يتهدّج صوتي وأبدأ في البكاء. لأنّ ما فعلوه بهوني ليس من الصواب في شيء، ليس من العدل في شيء، وليحترق في الجحيم أي أحدٍ لديه أفكارٌ أخرى حول ذلك.

- «هَلّا كررتِ ذلك سيّدي؟ هل تقولين إنّ أحداً ما قد حُبس داخل صندوق؟»، تسأل المرأة.

أومئُ برأسي، ثمّ أدرك كم أنّ هذا غبيّ، وأقول: «نعم. إنّها صديقتي، اسمها هوني».

- «مَن حبسها في الصندوق؟».

- «الأب جون. قال إنّها يجب أن تتزوَّج منه، لكنّها لم ترغب في ذلك. إنّها في الرابعة عشرة وحسب».

- «لا بأس»، تقول المرأة. صوتها ثابت وهي تتحدّث بوتيرةٍ أسرع الآن، كما لو أنّها باتت فجأةً جدّيةً جدّاً وفي أعلى درجات التركيز. «ماذا عنك سيّدي؟ هل أنت في مكانٍ آمن؟».

- «لا»، أقول والدموع تنهمرُ مدرارةً من عينيّ نزولاً على وجهي. «إنّه ليس آمناً. كنتُ أعتقدُ أنّه آمن، لكنّه ليس كذلك».

- «أعطني موقعك بالضبط مرّة أخرى».

- «الكنيسة المقدّسة لفيلق الربّ. خارج لايفيلد، إلى جانب الطريق السريع 158. أنا لا أعرف العنوان الفعليّ»، أقول لها.
- «هذا جيّد»، تقول المرأة. «ابقي على الخطّ ريثما —».
أسمع من بعيد طقطقة غصنٍ جافّ، فتنهار أعصابي أخيراً.
وأهمس قائلة: «لا أستطيع الانتظار. أرجوكِ ساعديني فحسب. أنا آسفة».

أبعدُ الهاتف عن أذني بيدين مرتعشتين، وأضغط مرّة أخرى على الزرّ الأخضر مطوّلاً إلى أن تعود الشاشة فارغة مجدّداً. أعيد الهاتف إلى جيبي، وأخذُ بضع ثوانٍ أحاول خلالها دون جدوى أن أتماسك وأستجمع قواي، ثم ألتفتُ حول زاوية الحظيرة وأتّجه عائدةً إلى الفناء فيما قلبي يتخبّط داخل صدري ويضرب أضلعي بكلّ قوة.
أحاول أن أمشي بصورةٍ طبيعيّة - ليس بسرعةٍ كبيرة، وليس ببطءٍ شديد - وأجبرُ فمي أن يرسم ابتسامة أملٍ أنّها ستجعل من الواضح لأيّ شخصٍ ينظرُ إليّ أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام تماماً.
وأنّه ليس ثمة ما يقلقني.

بعد

بدأت أبكي وأنا أخبر العميل كارلايل والدكتور هيرنانديز بما فعلته. لم أكن أرغبُ في ذلك حقاً، لكنني لم أستطع منع نفسي. مع ذلك، لم أتوقف عن الكلام. أردتُ حالماً بدأتُ - حالماً قرّرتُ فعلاً أنني سأخبرهم بالحقيقة ولتذهب العواقب أيّاً تكن إلى الجحيم - أردتُ أن أنتهي من الأمر وأتخلّص من هذا العبء مرّة واحدة وإلى الأبد.

أحدّقُ بهما، تجفُّ الدموع على وجنتيّ، وأنتظرهما كي يخبراني عن حجم المتاعب التي أواجهها. وبينما أنتظر، أبحث في أعماقي عن الشعور بالذنب الذي كان رفيقي الدائم منذ أن ظهرت الدبابة خارج البوابة الأمامية، لكن كل ما أجده هناك هو شعورٌ عذبٌ وغير صحّي بالارتياح.

- «مونبيم»، يقول الدكتور هيرنانديز بصوتٍ خافتٍ وغلِيظ. «أعلمُ أنّ هذا كان قاسياً جدّاً عليك. أريدُ أن أشكرِكَ لأنكِ وجدتِ كلّ تلك القوة لتكوني شجاعةً إلى هذا الحدّ». أشدُّ عضلات وجهي حتّى لا أبدأ في البكاء من جديد، ثمّ أومئُ للدكتور هيرنانديز برأسي.

- «ثمّة شيءٌ يجب أن نخبركِ به. شيءٌ لم يخطر ببالنا قطّ أنّكِ لستِ على علمٍ به»، يقول العميل كارلايل.

- «ما هو؟».

ينظرُ في عينيّ بثبات. «كنا نعرف أنّك اتّصلتِ بقسم شرطة مقاطعة لايتون».

أحدّقُ فيه. «ماذا؟».

- «كنا نعرف أنّك أجريتِ الاتّصال. لقد سمعنا التسجيل»، يقول لي.

لا. هذا غير ممكن.

هذا غير ممكن فحسب.

إذا كانا يعرفان ما فعلته؛ إذا كانا يعرفانه طوال الوقت، فلماذا كانا لطيفين جداً معي؟ لماذا لم يدعواني بالقاتلة، ويضعاني في السجن ويخبراني أنني لن أرى ضوء الشمس مرّة ثانية؟ يهمس الصوت في مؤخرة رأسي: لكن إن كانا لا يعرفان، فلماذا قد يقولان إنهما كذلك؟ ماذا سيكسبان إذا كانا فظين إلى هذا الحدّ؟

- «سأمضي في هذا خطوة بخطوة، لأنّه عليّ أن أتأكّد من أنني أفهم الأمر على نحوٍ صحيح»، يقول العميل كارلايل. «هل كنتِ تعتقدين أنّ قوّة مهام مشتركة من مكتب التحقيقات الفيدرالي ومكتب مراقبة الكحول والتبغ والأسلحة، والتي تضمّ ما يزيد عن مئتي عنصر ودرّينة من المركبات مع دعم تكتيكيّ وتحكّم عن بعد، قد تمّ تعبئتها وإرسالها إلى مجمّع فيلق الرّب لأنّك أجريتِ اتّصلاً إلى قسم الشرطة المحليّ؟».

أومئُ موافقة.

أليس هذا واضحاً؟

- «وأنتِ الآن تعتقدين أنّ إجراء الاتّصال كان خطأً، لأنّك لم تكوني مدركةً لما سيحدث عند وصول المساعدة، وأنّ الأب جون

سيأمر حقاً إخوتك وأخواتك بإطلاق النار على السلطات؟». أومئُ مجدداً.

- «إذاً وبحسب اعتقادك، لقد أجريت الاتصال، فجاؤوا، ثمَّ تحوّلَ كلُّ شيءٍ إلى جحيمٍ حقيقيٍّ». أحدّقُ به.

- «أنتِ إذاً تعتقدين أنَّ إخوتك وأخواتك ماتوا بسبب ما فعلته؟».

تنقبض معدتي، ولا أبدي أية استجابة.

- «وقد حملتِ هذا العبء معك منذ ذلك الحين؟ عبء الاعتقاد بأنَّ كلَّ ما حدث لفيلق الربِّ كان خطأك؟»، يقول بصوت مرتعش كما لو كان على وشك البكاء.

- «لقد كانت كذلك. كانت غلطتي»، أقول وصوتي عبارة عن همسٍ أجشٍّ.

يبتسم لي العميل كارلايل ابتسامةً هي الأصغر والأكثر لطفاً على الإطلاق، ثمَّ يقول: «لا. لم يكن الأمر كذلك. لا شيء من كلِّ هذا هو خطؤك، يا مونييم. ليس حتّى أصغر جزءٍ منه».

أحملقُ به. جسدي كلّهُ يصاب بالخدر، ويغلظ عقلي ويثقل.

استمعي. يحثني الصوت في مؤخرة رأسي. استمعي إليه.

- «ماذا تقصد؟»، أتدبّرُ أن أقول له بصوت يكاد لا يكون مسموعاً.

- «لقد كانت كنيسة فيلق الربِّ المقدّسة قيد التحقيق من قبل ثلاث وكالات فيدرالية لمدة تزيد عن عامين. فُتِح الملفّ بعد أن اعترض موظّف شركة البريد في لوبوك طرداً يحتوي على معدّات تحويل الأسلحة النارية وصواعق تفجير، كان الطرد ذاهباً إلى صندوق بريد في لايفيلد، وموجّهاً إلى جيمس كارميل».

أعبس. «علامَ قلتَ أنه كان يحتوي؟».

- «على معدّات تحويل الأسلحة النارية، تلك التي تتيح لك تغيير السلاح من نصف آليّ إلى آليّ بالكامل. سوف أخمّن أنّك تفهمين الفرق بينهما».

أفهمه جيّداً.

أومئُ برأسي موافقة.

- «إنّ الأسلحة الآليّة قانونيّة في تكساس، لكن يجب أن تُسجّل في قاعدة بيانات عند شرائك لها، بينما يمكنك أن تشتري سلاحاً نصف آليّ من وول مارت برخصة قيادة سارية المفعول. إنّ قيامك بتحويل أوصاف السلاح من نصف آليّ إلى آليّ بنفسك يعدّ غير قانونيّ، لأنّ هذا يعني إمكانية تكديسك لترسانة من الأسلحة الآلية التي لا يعرف أحدٌ بامتلاكك لها. هل يبدو هذا مألوفاً؟».

يمتلئ رأسي برائحة الدخان وأزيز الرصاص الذي يصمّ الآذان. أشعر بالغثيان، لكنني أتدبّر أن أومئ برأسي.

- «توقّعتُ أنّه قد يكون كذلك»، يقول العميل كارلايل. «وصواعق التفجير كما يوحي اسمها تُستخدم لتذخير المتفجّرات».

- «لصنع القنابل»، أقول له.

يومئ العميل كارلايل برأسه. «حتّى قبل اعتراض الطرد في لوبوك، كان فيلق الرّب يخضع لمراقبة دورية باعتباره خطراً محتملاً للإرهاب المحليّ. كانت الوكالتان تؤسّسان القضية ضدّ الأب جون ومساعديه المقرّبين لفترة طويلة. وكان يُخطّط لتنفيذ أمر التوقيف الذي أطلق شرارة المواجهة مع أعضاء الفيلق لأكثر من شهر. حقيقةً أنّ ذلك حدث في اليوم التالي لإجرائك تلك المكالمة لم يكن سوى من قبيل الصدفة. قام قسم شرطة مقاطعة لايتون بإدخال المعلومات التي أعطيتها لهم إلى النظام حيث تمّ اعتراضها على الفور من قبل

مكتب التحقيقات الفيدرالي، الذي أصدر أمراً واضحاً جداً للشرطة المحلية بعدم اتخاذ أي إجراء، نظراً لوجود تحقيق نشط جارٍ بشأن الفيلق. لذا ما من شيء على الإطلاق ممّا حدث في اليوم التالي كان خطأك، يا مونييم. هل تفهمين ما أقوله لك؟».

أحدّق فيه وحسب، لأنني لا أعرف لماذا يكذب عليّ بعد كلّ هذا الوقت. لكنّه يكذب بالتأكيد، فإذا كان يعلم أنني أجريت الاتصال، إذا كان كلاهما يعلم ذلك، لماذا لم يخبراني بذلك من قبل إذا؟ لماذا تركاني أوصل الاعتقاد بأنّ كلّ ما حدث كان خطئي؟ لأنك لم تخبريهما أبداً بأنّ هذا ما كنت تعتقدينه، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لم تشقي بهما بما يكفي لتقومي بإخبارهما.

- «كنّا نعرف أنّك أجريت الاتصال»، يقول الدكتور هيرنانديز. «لم أرد أن أستعجلك في الحديث عن الأمر، لأنني كنت أعرف أنّه سيكون صعباً وقاسياً عليك، وأردت أن أتركك تصلين إلى هذا المستوى من الثقة بشروطك الخاصة. لكن لو كنت أعلم أنّك تلومين نفسك على ما حدث، لكنّك أخبرتك بالحقيقة على الفور».

- «أنا أصدّقك»، أقول، وأشعر بالدهشة قليلاً لكوني أفعل. تتملّك رأسي للحظة حالة من الإدراك الكامل، لكنّها تنتحى جانباً على الفور، فالارتياح الذي شعرتُ به لحظة انتهيتُ من إخبارهما بما فعلته تمدّد وانتشر ليطنّي على كلّ شيء آخر. أعلم أنّ الجميع ما زالوا موتى، لذا لا ينبغي بي أن أكون سعيدة حقّاً، لكن الفكرة التي تسيطر عليّ الآن هي أنّهم لم يموتوا بسببي، لم يكن ذلك خطئي، وكلّ ما يسعني فعله هو ألاّ أنفجر بالبكاء فرحاً.

يهزّ العميل كارلايل رأسه. «لا أصدّق أنّك كنتِ تجلدين نفسك بسبب ذلك. كان يجدر بكِ إخبارنا قبل الآن».

- «أردتُ ذلك»، أقول بصوتٍ عالٍ ومتزعزع كما لو أنني على وشك الضحك أو البكاء. «فكرتُ كثيراً في الأمر، لكنني لم أستطع حمل نفسي على فعل ذلك. لم أكن متأكّدة حتّى من أنني سأتمكّن من الخوض في هذا اليوم. عليك أن تفهم أنني في كلّ مرّة دخلتُ فيها إلى جلسة التفاعل الاجتماعي كنتُ أرى مجموعة من الأطفال الذين باتوا أيتاماً بسببي. بسبب ما فعلته».

- «أنا آسفٌ للغاية»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أخذ نفساً عميقاً. «لم يكن ذلك خطئي؟ لم يكن كذلك حقاً؟»، أسأل لأنني أحتاجُ أن أسمعه يقولها مجدّداً.

يبتسم لي ويهزُّ رأسه. «لا، يا مونييم. لم يكن خطأك حقاً». أغمضُ عينيّ. تغمرني موجة الارتياح حتّى أطراف أصابع يديّ وقدمي، ثمّ تتكسّر وتنحسر. يصفو ذهني شيئاً فشيئاً مع تراجعها، ثم يخطر شيءٌ ببالي. أفتحُ عينيّ، وأعبس في وجه العميل كارلايل.

- «كيف كنتم تقومون بمراقبتنا؟»، أسأله.

- «المعذرة؟».

- «قلتُ إنّ الفيلق كان تحت المراقبة لوقتٍ طويل. كيف؟».

- «بكثيرٍ من الطرق. تمّ اعتراض وفتح كل البريد الوارد والصادر، وكان لدينا ميكروفونات بعيدة المدى تمكّننا من سماع ما يقال داخل المجمع، وكاميرات تمكّننا من رؤية ما يحدث».

ماذا؟

أعبسُ أكثر، وأقول: «إذاً فقد رأيتم ما فعله قادة السرايا بهوني؟ رأيتم لوسي تتعرّض للضرب بلا رحمة من قبل رجلٍ يفوقها حجماً بعشرة أضعاف؟ ولم تفعلوا أيّ شيء؟».

يجفل العميل كارلايل، ويقول: «أنا لم أكن جزءاً من القوّة

الضاربة. تمّ إحضاري إلى هنا كجزءٍ من فريقٍ للتحقيق في سبب الحريق. لكنني أعرف تماماً أنّهم لم يروا أو يسمعوا كلّ شيء؛ حتّى أنّهم لم يقتربوا من ذلك».

- «إذا هم لم يعرفوا كيف كانت الأحوال داخل القاعدة؟»،
أسأل رغم أنّني أعرف الإجابة بالفعل. أريدُ أن أسمعه يعترف بذلك وحسب. «الأمر ببساطة أنّ الكاميرات والميكروفونات فوتتْ بطريقةٍ ما كل الأمور السيئة؟».

- «عليك أن تفهمي كيف يتمّ العمل على تحقيقٍ من هذا المستوى. كانت الأولوية هي لجمع الأدلة اللازمة للوائح اتّهام فيدرالية تتعلّق بالأسلحة النارية والتآمر. كانوا يؤسّسون لقضايا احتجاز غير قانوني واعتداء ويعملون على اثنتي عشرة تهمة أخرى في ذات الوقت، لكنّ الأسلحة الآليّة وصواعق التفجير هما ما كانا سيضعان جون بارسون في السجن لبقية حياته»، يقول العميل كارلايل.

- «لذا أثناء ذلك، هم شاهدوا الناس يتأذّون فحسب؟ سمحوا بحدوث ذلك بكلّ بساطة؟».

- «نعم»، يقول دون أن يحوّل نظره عني. «أنا آسف. أعرف كم يبدو وقع ذلك قاسياً. لكنّ هذه الأشياء تستغرق وقتاً، ولم يكن يمكنهم المخاطرة بتنبيه جون بارسون إلى أنّهم يقومون بمراقبته. لذا فقد راقبوا، واستمعوا، وانتظروا إلى أن أصبحوا جاهزين للتحرك».

يمتلئ رأسي بأفكارٍ رهيبة.

يا إلهي.

- «كلّ شيءٍ أخبرتكما به، هل كنتما تعرفانه بالفعل؟».

تتّسعُ عينا الدكتور هيرنانديز، ثمّ يقول: «قطعاً لا. لا تفكرّي بذلك حتّى لثانيةٍ واحدة. كلّ ما أخبرتنا به كان عظيم الفائدة».

أحدّق في وجهه. لا أرى خداعاً في عينيه، بل فقط القلق من أن هذه الجلسة قد بدأت تأخذ منحى سيئاً.

- «الدكتور هيرنانديز يقول لك الحقيقة»، يقول العميل كارلايل. «حين جئتُ إلى هذه الجلسات، كانت أوامري تقضي بأن أطلب منك توسيع فهمنا عن الحياة داخل فيلق الربّ، أن تؤكّدي لنا أموراً لدينا شكوكٌ حيالها؛ هذا صحيح، لكن أيضاً أن تخبرينا بأشياء لم نكن نعرفها. صدّقيني».

أومئ برأسي. «حسنٌ. أنا أصدّقك»، أقول له.

- «شكراً لك»، يقول لي.

- «لكنني ما زلتُ لا أفهم»، أقول له. «لا أفهم كيف يمكن أن يعرفوا أن الناس يتعرّضون للأذى ولا يفعلون أيّ شيء حيال ذلك».

- «إن كان هذا سيجعلك تشعرين بتحسن، فقد كان لديهم خطة طوارئ وأداتها موجودة داخل القاعدة إذا ما خرجت الأشياء حقاً عن —».

- «أيّها العميل كارلايل»، يقول الدكتور هيرنانديز محتدّاً.

أحدّق في الرجلين وقد غصّ العبوس جبهتي. ثمّ تتراصف الأفكار على نحوٍ متّسقٍ داخل رأسي، وأدركُ أن الأب جون كان محقّاً في شيءٍ واحدٍ على الأقلّ.

- «نيت، أنتَ تتحدّثُ عن نيت»، أقول للعميل كارلايل.

ينظر إليّ العميل كارلايل لبرهةٍ طويلة، ثمّ يومئ برأسه.

قبل

أنا ونيت نسير في محيط القاعدة من جهة الشرق .
يبلغ ارتفاع السياج حوالي اثني عشر قدماً : أعمدة خشبية سميكة
مغروزة في الأرض بقوة، تربط بينها شبكة من الأسلاك المعدنية مع
لفافة كبيرة من الأسلاك الشائكة على طول القسم العلوي منها . بعد
التطهير، زاد الاهتمام بالسياج، وعُمل على تقويته وتحسينه، وتعدّد
صيانتته من أكثر المهام حيويةً في لائحة الأعمال الروتينية .
فالحوانات تحفر تحته، والجذوع المتساقطة تُحدث ثقباً فيه، وهو
ما يجعل من صيانتته عملاً روتينياً يومياً .

الشمس تنحدر بسرعة نحو خط الأفق من جهة الغرب، لتملأ
السماء بضوء أرجواني غامق . كنتُ أعمل في الحداثق طوال فترة بعد
الظهر، أزيل الأعشاب الضارة وأنا جاثية على يديّ وركبتيّ، لذا أنا
أشعر بالحرّ والتعب، وجبهتي مغطاة بالعرق والتراب، وشعري
ملتصق بمؤخرة رقبتني ؛ لذا فقد كنتُ في حالة مثالية في اليوم الذي
قرّر فيه نيت أن يدعوني فيه كي نتمشّي بعد أن قُرع الجرس إيذاناً
بانهاء يوم العمل .

كنّا قد اعتدنا أن نخرج ونتمشّي في كثيرٍ من الأحيان، لكنّ كلّ
شيءٍ كان يتّسم بالغرابة مؤخراً . لقد مرّ ما يقرب من شهرٍ منذ تعرّض
أموس للهجوم في البلدة، لكن يبدو وكأنّ معظم الناس ما زالوا

يشعرون بالتوتر، كما لو كانوا قلقين من أن يكون ذلك علامةً على حدوث شيءٍ آخر، شيءٍ أسوأ ربّما. وأكثر من كل هذا، حتّى هنا في الخارج قرب السياج، أي أبعدَ ما يمكن عن المبنى المجاور للكنيسة، لا يزال بإمكانني سماع سعال هورايزون.

إلى حدٍّ بعيد، فإنّ الجميع ينتظرونه أن يرتقي وحسب، فلا أحد لا يزال يعتقد أنّه قد يتحصّن، مهما اجتهد الجميع في الصلاة لأجله. ورغم أنّه ما من أحدٍ يحلم بأن يقول ذلك بصوتٍ عال، فمن الواضح أنّ كثيراً من إخوتي وأخواتي سوف يشعرون بالارتياح عندما تحلّ ساعته أخيراً.

أحسبُ أنّه يمكنني تفهّم ذلك، رغم أنّ الاستماع إلى شخصٍ يحتضر هو شيءٌ شديد القسوة، خاصّةً إذا ما كان شخصاً تحبّه. يتوقّف نيت، ويطرق ببراجمه على أحد الأعمدة الخشبيّة. يبدو مشتّت الذهن، كما لو كانت آلاف الأفكار تدور في رأسه.

- «هل أراهن على ما تفكّر به؟»، أسأله.

يبتسم لأنّ هذه مزحةٌ قديمة بيننا.

- «سيكون رهانك خاسراً»، يقول لي.

- «أنت هادئٌ جدّاً. هل كلّ شيءٍ على ما يرام؟»، أسأله.

يهرّط كتفيه. «أنا بخير، وأنت؟».

- «أنا على ما يرام».

- «هل تفتقدن والدتك؟».

أحدّق فيه. يمكنني الشعور بشفتي تتدلّى وفمي ينفتح، وأعي إلى حدٍّ ما أنّ منظري يبدو الآن سخيّفاً بالتأكيد، لكن يبدو أنّه لا يمكنني فعل شيءٍ حيال ذلك - إذ إنّ سؤاله الخطير جدّاً وغير المألوف تماماً قد ذهب بدماعي المترنح بعيداً في رحلة بحثٍ عن استجابةٍ مناسبة.

إنَّه لمن الممنوع تماماً وبصورة قطعية حتَّى الإتيان على ذكر إخوة وأخوات سابقين كان قد تمَّ نفيهم من الفيلق؛ يُفترض بنا أن نتصرّف حرفيّاً كما لو أنَّهم لم يكونوا موجودين يوماً. ولو أنَّ السؤال جاء من أيِّ شخص آخر غير نيت، كنتُ سأفترض أنَّها محاولة خرقاء للإيقاع بي، وأنَّ أيّاً كان مَنْ يسأل فإنَّ نيّته هي الإبلاغ عني لقادة السرايا إذا أقررتُ بعيبٍ خطيرٍ كهذا.

ما كان نيت ليفعل ذلك بي. ما كان ليفعل ذلك وحسب. لذا عليّ أن آخذ سؤاله كما هو ببساطة، أي أنَّ السؤال يدور حول التفكير في أمّي، وهو شيءٌ لا أفعله كثيراً في الحقيقة. ليس لأنّه ممنوع - فأنا في هذه الأيام لا أهتمُّ كثيراً بما هو مسموح وما هو ممنوع - ولكن لأنَّ التفكير بها لا يزال مؤلماً جدّاً لدرجة أنَّني تقبّلتُ إلى حدٍّ كبير أنَّ هذا ما سيكون الحال عليه دائماً.

- «هذا سؤالٌ مباشرٌ وصريحٌ جدّاً»، أقول له.

- «آسف. لست مضطّرةً للإجابة إن كنت لا ترغبين بذلك»،

يقول نيت.

- «لا بأس»، أقول له. «نعم، أنا أفقدها. بالطبع أنا أفعل».

- «إنّهُ لشيءٌ مؤسفٌ أنّني لم أقابلها قطّ. أعتقد أنّني كنتُ سأحبّها».

أبتسم له. أعلمُ أنّه يحاول أن يبدي اللطف، وما كنتُ لأختلف معه بشيءٍ لا يمكنني أن أعرف على وجه اليقين ما إذا كان صحيحاً أم لا، لكنني لستُ واثقةً من أنّه كان سيحبّ أمّي. لم يكن هذا حال الجميع تجاهها.

بمَن في ذلك أنتِ، يهمس الصوتُ في مؤخّرة رأسي. لبعض الوقت على الأقلّ.

أجفل، وأطلب بصمتٍ من الصوت أن يخرس.

- «لقد نُفِيتَ في الصيف الذي سبق وصولي إلى هنا، أليس كذلك؟»، يسأل نيت.

أومئُ موافقةً.

يا إلهي، هل مضى على الأمر كلّ هذا الوقت بالفعل؟

- «أظنّ ذلك»، أقول له.

- «هل تصدّقين ما يقوله الناس عنها؟ هل تصدّقين أنّها كانت

مهرطقة؟»، يسأل نيت.

أصمتُ للحظة، فالهرطقة هي مجالٌ حصريٌّ للأب جون، وحتى الحديث عنها يمكن اعتباره هرطقة إذا ما قلت شيئاً خاطئاً.

لكنني أثق في نيت، وأرغبُ في التحدّث عن أمي. فأنا لم أتحدّث عنها بصوتٍ عال منذ وقتٍ طويل جداً.

- «لقد عثروا على دفتر يومياتها»، أقول له. «الأشياء التي

كتبتها فيه كانت هرطقة، لا يمكن الادعاء أنّها لم تكن كذلك».

- «إذا؟».

- «أعتقدُ إذاً أنّها كانت مهرطقة. بحسب تعريف الأب جون

على الأقل»، أقول لنيت.

يومئُ برأسه ثمّ يسألني: «وبحسب تعريفك؟».

أعبس وأقول: «بحسب ماذا؟».

- «بحسب تعريفك أنتِ للهرطقة».

- «ليس لديّ تعريفٌ لها»، أقول كذباً رغم ثقّتي به، فبعض

الأشياء تغور عميقاً جداً بحيث لا يعود من السهل التغلّب عليها.

- «حسنٌ. ربّما يجدر بنا أن نتحدّث عن شيءٍ آخر»، يقول

نيت.

أرى خيبة الأمل في وجهه إذ يستأنف المشي. آخذُ نفساً عميقاً

وأبقى واقفةً حيث أنا. ثمَّ بعد أن يمشى بضع خطوات، يستدير نحوي مقطَّب الحاجبين.

- «ألسِتِ قادمة؟».

- «اسألني مجدِّداً»، أقول له.

تضيقُ عيناه. «أسألكِ ماذا؟».

- «اسألني عن أمِّي مرَّةً ثانية».

- «حسنٌ»، يقول ويمشي عائداً إليّ، ثمَّ يتوقَّف قبالي. «هل تعتقدن أن أملكِ كانت مهرطقة؟».

- «نعم. أعتقد أنَّها فقدت أيَّ إيمانٍ كان لديها بفيلق الربِّ قبل وقتٍ طويل من نفيها. ربَّما منذ ما بعد التطهير، أو عندما مات والدي، أو ربَّما لم يكن لديها أيُّ إيمانٍ في الأساس».

لا يقول نيت شيئاً. هو ينظر إليّ وحسب بعينه الخضراوين اللامعتين، لذا أمضي قدماً مندفعةً دون إبطاء - فعندما تفتح أبواباً معيَّنة؛ أبوابٌ من النوع الذي يفترض أن تبقى مغلقة، فعليك عندها أن تذهب للنهاية أيّاً تكن العواقب.

- «أعلمُ أنَّه لا يفترض بي أن أفكر بها. وأعتقدُ أنَّها كانت تستحقُّ النفي في ظلِّ القواعد التي نعيش جميعاً وفقاً لها. لكنني لا أعتقدُ أنَّها ارتكبتُ أيَّ خطأ، يا نيت. ليس بعد الآن. هل هذا سيِّءٌ من قبلي؟».

أوشكُ فجأةً على البكاء. جزءٌ من ذلك سببه الذعر الذي يتصاعد بداخلي، فإذا لم يكن نيت من أعتقد، فقد سلَّمته طواعية تسليم اليد ما يكفي لأحبس داخل صندوقٍ إلى أن تحلَّ نهاية الزمان. لكنَّ جزءاً آخر منه - معظمه في الواقع - هو نتيجة سيلٍ جارف من الشعور بالارتياح. كنتُ أرغبُ لفترة طويلة في أن أقول ما قلته للتو،

حيث إنَّ كلَّ كلمةٍ غير منطوقة كانت قد بدأت تثقل كاهلي، مثل حملٍ ثقيلٍ حول رقبتَي.

يقترِب نيت خطوةً مِنِّي ويقول: «لا. لا أعتقد أنَّ هذا سيءٌ من قبلك. لا أعتقد أنَّه سيءٌ على الإطلاق. لكنني أريد منك أن تقطعي لي وعداً بأنك لن تقولي أبداً ما قلته للتو لأيِّ شخصٍ آخر. هل تعديني؟».

أومئُ برأسي. «أعدك».

- «جيد. لا يمكنك الوثوق بإخوتنا وأخواتنا، يا مونيم. لا يمكنك الوثوق بأيِّ أحدٍ غيري».

- «حسنٌ»، أقول له، لكنَّ كلماته والحقيقة المروعة التي تنطوي عليها، جرحتني مثل مشرط. يمكنني الشعور بالدموع تهدد بالانهمار من زاويتي عيني.

يرى نيت ذلك فيبتسمُ لي ابتسامةً صارمة ويقول: «لا تبك. سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام».

- «كيف؟»، أسأله بصوتٍ مرتجف. «كيف سيكون كلُّ شيءٍ على ما يرام؟».

- «الربُّ طيبٌ»، يقول لي.

- «لا أعتقدُ أنني أصدِّقُ ذلك، يا نيت».

هرطقة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي، لكنَّه لا يبدو وكأنَّه غاضبٌ مِنِّي، بل يكاد يبدو فخوراً بي.

يشير إلى الأسلاك الشائكة الملفوفة على طول الجزء العلوي من السياج. «لَمْ هذه موجودة هنا؟».

- «لإبقاء أعدائنا في الخارج»، أقول بصورةٍ تلقائية.

تتسعُ ابتسامة نيت. «تحدِّثين مثل جنديٍّ حقيقيٍّ في الفيلق. لَمْ هي هنا حقاً؟».

- «لا أعرف»، أقول له، لكنني أعرف بالفعل. فقط أريده أن يكون هو مَنْ يقول ذلك، لأنني أخاف أن أفعل.

- «لإبقائنا في الداخل. أنتِ، أنا، والجميع»، يقول لي.

أهزُّ رأسي بالنفي، لأنه وعلى الرغم من أنَّ هذا هو بالضبط ما بُتَّ أو من به في السنوات التي تلت نفيهم لأمي، فإنَّ اليقين الذي زُرِع في رأسي منذ حدوث التطهير كان أقوى من أن يُنحَى جانباً ببساطة.

- «يمكن للناس أن يغادروا متى أرادوا ذلك. لا أحد مجبرٌ على البقاء»، أقول له.

- «آموس هو الوحيد المسموح له بالذهاب إلى لايفيلد. لا يُسمح لبقيتنا بالخروج من القاعدة. ومتى كانت آخر مرة غادر فيها شخصٌ ما الفيلق بإرادته الحرة؟».

- «بعد التطهير».

يوميُّ برأسه. «بالضبط. أولئك الذين كان ولاؤهم للأب باتريك. هل تعتقدين أنَّ الأب باتريك كان حزيناً لرؤيتهم يغادرون؟».

- «وماذا عن ما حدث بعد الإعلان الثالث؟ لقد غادر الكثيرون في ذلك الوقت»، أقول له.

يوميُّ مجدداً. «أولئك الذين أوضحوا أنَّهم لن يمثلوا للحكم الجديد، والذين كان بقاؤهم سيتسبَّب على نحوٍ مؤكَّد في حدوث المتاعب؛ لو أنَّهم لم يقرِّروا المغادرة بأنفسهم، لكان الأب جون سيطردهم في غضون شهر. أضمنُ لك ذلك».

- «أمي...».

- «أمك كانت مهرطقة»، يقول وهو يلوي قسماً وجهه مع كلِّ

كلمة. «لقد أدينْتُ بالردّة، رغم أنّ تلك لم تكن جريمتها الحقيقيّة. أنتِ تعرفين هذا، أليس كذلك؟». أعبسُ. «ماذا تقصد؟».

- «إنّ الاضطرار إلى نفي أحدٍ ما بسبب الردّة لهو أمرٌ سيّء، لأنّه يعني الاضطرار أيضاً إلى الاعتراف بأنّ الإيمان هو شيءٌ يمكن فقدانه. لو اعتقد الأب جون بوجود أيّة طريقة يمكن من خلالها إعادة والدتكِ إلى جادة الصواب، لكان فعل كلّ ما يتطلّبه الأمر في سبيل ذلك».

- «فلماذا لم يحاول إذّا؟ هل بسبب ما قالته له؟»، أسألُ نيت. يعبس نيت. «ماذا قالت له؟».

أحدّقُ فيه لبرهةٍ طويلة. أدركُ في هذه اللحظة أنّي لم أخبر أيّ شخص أبداً بما رأيته في البيت الكبير يوم نفي والدتي، وأنّ أولئك الذين يعرفون حقيقة ما حدث قليلون جدّاً: النبيّ، وقادة السرايا، وبيلا، وأغافي، وستار، وأنا.

هذا كلّ شيء. هؤلاء هم الجميع. وأمّي بالطبع. أينما كانت الآن.

- «قالت للأب جون إنّها لم تؤمن به قطّ. ووصفته بالدّجال الوضيع، وأكل جيفٍ يقتات على الضعفاء والبائسين»، أقولُ نيت. يهزُّ رأسه، ويطلق صفيراً خافتاً، ثمّ يقول: «يا للهول! لا يدهشني كونه أخرجها من هنا بأسرع ما يمكن».

- «لقد أرسل معها أنجل كي يراقبها وهي تحزم أغراضها. طلب منه أن يحرص على ألاّ تتحدّث إلى أحد».

يتجهّمُ وجه نيت. «أنا واثقٌ أنّه فعل ذلك. هذا يثبتُ فقط النقطة التي كنْتُ أحاول توضيحها. لقد كانت والدتكِ خطيرة من منظور الأب جون. بالنسبة له، كان رحيلها هو الحل الأكثر أماناً».

- «لَمْ كَانَتْ خَطِيرَةٌ؟ هِيَ لَمْ تَتَسَبَّبَ يَوْمًا بِأَيِّ مُشْكَلَةٍ».

- «بِسَبِيلِكَ، يَا مُونِيمِ»، يَقُولُ لِي.

مَاذَا؟

أَحَدُ قُ فِيهِ. «أَنَا لَا...».

- «لَمْ تَكُنِ وَالِدَتُكَ تَبْحَثُ فَقَطْ عَنْ طَرِيقَةٍ لِمَغَادَرَةِ فِيلِقِ الرَّبِّ»، يَقُولُ نَيْت. «قَالَ الْأَبُ جُونُ إِنَّ يَوْمِيَّاتَهَا ذَكَرَتْ بوضوح أَنَّهَا كَانَتْ تَخْطُطُ لِاصْطِحَابِكَ مَعَهَا. وَأَنْتِ الْمَنْذُورَةُ لَهُ؛ الْمَخْتَارَةُ مِنَ الرَّبِّ لِتَكُونِي زَوْجَتَهُ عِنْدَمَا يَحِينُ الْوَقْتُ. لَكَ أَنْ تَتَخِيلِي كَيْفَ كَانَ الْأَمْرُ سَيَبْدُو لَوْ أَنَّ خَطَطَ وَالِدَتِكَ تَكَلَّلَتْ بِالنَّجَاحِ. مَاذَا كَانَ سَيَفْعَلُ بِشَأْنِ صُورَتِهِ أَمَامَ إِخْوَتِنَا وَأَخَوَاتِنَا لَوْ أَنَّهَا تَمَكَّنَتْ مِنْ أَخْذِكَ بَعِيداً عَنْهُ؟».

- «لَكِنَّهَا أَرَادَتْ مَنِّي أَنْ أَتَزَوَّجَ الْأَبُ جُونُ. اقْتَرَحْتُ الْأَمْرَ عَلَيْهِ مَرَاراً وَتَكَرَّراً، وَاحْتَفَلْتُ حِينَ أَعْلَنْ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ اخْتَارَنِي زَوْجَةً الْمُسْتَقْبَلِ. لَمْ إِذَا فَعَلْتُ كُلَّ ذَلِكَ إِنْ كَانَتْ تَخْطُطُ لِأَخْذِي بَعِيداً عَنْ هُنَا؟».

يَهْزُ رَأْسَهُ وَيَقُولُ: «لَا أَعْرِفُ».

هَرَاءَ. أَنْتَ تَعْرِفُ شَيْئاً وَلَا تُخْبِرُنِي بِهِ.

- «لِمَاذَا أَنَا لَا أَصَدِّقُكَ؟»، أَسْأَلُهُ.

- «أَنَا أَقُولُ لَكَ الْحَقِيقَةَ، يَا مُونِيمِ. هُنَاكَ أَشْيَاءٌ مِنَ الْأَكْثَرِ أَمَاناً أَلَّا تَعْرِفِي عَنْهَا؛ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ، لَكِنِّي لَوْ عَرَفْتُ أَيَّ شَيْءٍ عَنِ وَالِدَتِكَ فَسَوْفَ أَخْبِرُكَ بِهِ. أَعِدْكَ بِذَلِكَ».

أَقْطَبُ حَاجِبِي، ثُمَّ أَسْأَلُهُ: «أَيَّةُ أَشْيَاءٍ؟ مَا الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْآمَنِ أَنْ أَعْرِفَهُ؟».

لَا يَجِيبُ نَيْتُ بِشَيْءٍ. هُوَ فَقَطْ يَحْدِّقُ عَبْرَ السِّيَاحِ فِي الصَّحْرَاءِ خَارِجاً.

- «نَيْتُ؟ أَيَّةُ أَشْيَاءٍ؟»، أَسْأَلُهُ.

- تظلُّ عيناه شاخصتين في الأفق البعيد. «لَمْ يخاف الأب جون كثيراً من الخارج؟»، يسأل.
- «لأنَّه ليس آمناً».
- «مَنْ قال ذلك؟».
- «الأب جون».
- يشخر نيت بضحكة، ثمَّ يقول: «بالطبع هو. لَمْ ليس آمناً؟».
- «هل تقصد لماذا يقول إنَّه ليس كذلك؟».
- «نعم».
- «لأنَّه المكان الذي يعيش فيه أعداؤنا».
- يوميئ نيت برأسه ويقول: «صحيح. أولئك الذين قيل لنا إنَّهم سوف يعذبوننا ويختطفوننا ويقتلوننا إذا ما سنحت لهم أدنى فرصة. لكن هل سبق لك يا مونيم أن رأيت أيَّ شخصٍ خارج هذا السياج؛ بصرف النظر عن فتیان الجامعة الذين يتطفلون ببلاهة على طوله من وقتٍ لآخر؟ أليس هذا كلَّ شيء؟».
- «لا. وأنا أفهم ما الذي ترمي إليه. ولكن إذا أردتُ أن أجادل، فسأقول: ألن يكونوا مختبئين إذا ما كانوا هناك في الخارج؟».
- «ربَّما»، يقول نيت وهو يهزُّ السياج. «لكن وبحسب الأب جون فإنَّ خَدَمَ الشيطان يمتلكون دَبَابَات وقنابل وطائرات هليكوبتر ترشُّ البنزين. إذا كان الحال كذلك فعلاً، هل تعتقدين أن سياج الدجاج هذا سيقبضهم خارجاً؟».
- «لا أعتقد ذلك».
- يهزُّ نيت كتفيه.
- «ما الذي تحاول قوله إذا؟ هل تريد أن تقول إنَّ أعداءنا ليسوا حقيقيين؟»، أسأله.

يهزُّ رأسه ويقول: «ليس هذا ما أقوله. لا أنوي أن أخبرك بأنَّه ما من أحدٍ يكرهنا في الخارج، ولا أقول إنَّ الخارج هو فردوسٌ مسالم. لكنَّ الأب جون يحضّر الفيلق لمعركةٍ يعتقد أنَّها حتميةٌ، وهذا النوع من التفكير نزاعٌ إلى إثبات صحّة تنبؤاته».

أكشّر، وأقول: «أنا لا أفهم».

ينظر إليّ للحظةٍ طويلةٍ جوفاء، ثمَّ يبتسم ويقول: «أنا آسف. لقد تحدّثتُ كثيراً. يجب أن نعود أدراجنا».

- «لا بأس بذلك»، أقول له، لأنني لا أريده أن يسكت، ولا أريد أن أعود إلى بقيّة أفراد عائلتنا؛ أريدُ أن أبقى هنا، حيث ليس عليّ أن أخاف من كلّ كلمةٍ أقولها، وحيث لا أحد ينظر إليّ كابنة المهرطقة.

- «لا بأس بذلك؟»، يكرّر من بعدي. «لا أعرف إن كان هذا صحيحاً، يا مونييم. أنا حقّاً لا أعرف. لكننا هنا حيث نحن، أنت وأنا، فسأقول شيئاً آخر قبل أن نذهب».

- «حسنٌ».

- «ثمّة غرفةٌ في قبو البيت الكبير. بابها مغلقٌ دائماً»، يقول نيت.

- «حيث يحتفظُ آموس بالبنادق للتدريب. أعرف ذلك»، أقول له.

- «يوجد بداخل تلك الغرفة ما هو أكثر من مجرد بندق. أكثر بكثير»، يقول نيت.

- «مثل ماذا؟».

لا يجيب بشيء. هو يحدّق في عينيّ مباشرة وقد ضاقت عيناه قليلاً، كما لو أنّه ينتظر مني أن أفعل شيئاً ما، أو أقول شيئاً ما.

- «مثل ماذا؟ أخبرني»، أقول له.

يهزُّ رأسه، ويقول: «أعتقد أنَّ هذا يكفي لليوم».

يتصاعد الغضب بداخلي. «لا تفعل هذا. أنا لستُ طفلةً، يا

نيت. لا يمكنك أن تقرر ما هو كافٍ أو غير كافٍ بالنسبة إليّ».

يبتسم لي ابتسامة واسعة تشعُّ صدقاً، ثمَّ يقول: «لم أقصدك

بذلك. سأتمشَّى عائداً باتجاه الحقائق. هل أنتِ قادمة؟».

لا أجيِبُ في الحال. أريد منه أن يخبرني عن الغرفة المغلقة،

وما زلتُ لم أقرِّر بعد ما إذا كنتُ سأنزِعُ منه بسبب تعليق «هذا

يكفي»، لأنَّه لم يكن يتحدَّثُ عن نفسه بالتأكيد. لكن يمكنني من

خلال النظرة على وجهه القول بأنَّه لن يخبرني بأيِّ شيءٍ آخر في

الوقت الحالي، وأعتقد أنَّه لا ينبغي بي أن أغضب منه في الوقت

الذي يبدو أنَّه لربَّما يكون صديقي الوحيد في العالم أجمع.

- «بالأكيد. دعنا نذهب»، أقول له في النهاية.

يومئ لي برأسه، وأذهب للسير بجانبه على طول السياج من

الجهة الشمالية.

سوف يخبرني لاحقاً عن الغرفة في قبو البيت الكبير. أنا واثقةٌ

من ذلك. الأمر ليس وكأنَّ أيَّاً منَّا ذاهبٌ إلى أيِّ مكان.

بعد

يقول العميل كارلايل: «لم أكن أعرف بشأن نيت عندما سألتني عنه من قبل، أقصد أنني كنت أقول لك الحقيقة».

أبتسم له. «أعتقد أنني يجب أن أصدق هذا، أليس كذلك؟»
- «آمل أن تتمكني من ذلك».

أهز كتفي ثم أسأله: «لصالح مَنْ كان يعمل إذا؟ نفس الأشخاص الذين تعمل لهم؟»

يهز العميل كارليل رأسه يقول: «لقد كان عميلاً في ATF. تعرفين من هم، أليس كذلك؟»

أومئى موافقة. كانوا على قائمة الأب جون لوكالات الحكومة الشريرة. «مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية».

يومئى برأسه. «هذا صحيح. لقد أرسلوه بعد اعتراض الطرد في لوبوك. يبدو أن حوالي خمس أشخاص فقط كانوا يعرفون أنه كان هناك».

سألته: «هل يعرفون ما إذا كان هذا يشمل الأب جون؟»

- «ملف قضية نيت سري»، يقول العميل كارلايل. «لكنني تحدثتُ إلى أحد العملاء في قسمه، وهم لا يعتقدون أن جون بارسون كان يعرف بأمره. النظرية الحالية هي أنه طلب من نيت أن

يكون قائد سرية بحسن نية، وقد اتهمه بأنه جاسوس فقط لحفظ ماء الوجه بعد أن رفض نيت العرض. إنهم لا يعتقدون أن بارسون كان ليعطيه ليلة ليعيد النظر في قراره لو كان يشبه في الحقيقة». اتجهّم. «أعتقد أنهم على الأرجح محقّون». يومئ موافقاً.

- «إذاً أنا لم أكن أعرفه فعلاً؟»، أسأل. «أعني الشخص الحقيقي. الشخص الذي اعتقدت أنه صديقي كان مجرد كذبة». يهزّ العميل كارلايل رأسه ويقول: «هذا ليس صحيحاً. العملاء السريون مدرّبون على أن ينحرفوا عن شخصياتهم الحقيقية بأقل قدر ممكن. من الأسهل كثيراً أن تكون مقنعاً عندما لا تتظاهر بأنك شخص آخر. لذلك فالشخص الذي عرفته كان حقيقياً».

- «هل حقاً كان اسمه نيت تشايلدرس؟»

- «لقد كان كذلك».

- «لا أحسب أنني أستطيع أن أراه؟»

يجفل الدكتور هيرنانديز: «لا أعتقد أننا في تلك المرحلة بعد».

- «انس الأمر»، أقول، وأعود بعينيّ إلى العميل كارلايل.

- «إذا تحدثت إلى زميلك مرة أخرى، فاطلب منه أن يشكر نيت

على كل ما فعله من أجلي. أخبره أنني ممتنّ له».

- «سأفعل. يمكنك الاعتماد على ذلك»، يقول لي.

- «شكراً لك».

- «لماذا تعتقدين أنه قال لك تلك الأشياء؟»، يسأل الدكتور

هيرنانديز. «عن أعداء الفيلق والباب المغلق في القبو؟».

أهز رأسي، وأقول: «لا أعرف. لقد فكرت في الأمر كثيراً، خاصة بعد هروبه، وأعتقد أنها ربما كانت أشياء تقض مضجعه، ولم

يعد قادراً على إخفائها أكثر. وأحبُّ أن أعتقد أنني كنت الشخص الوحيد الذي يثق به بدرجة كافية ليقولها له. لكنني لا أعرف ذلك على وجه اليقين».

- «لقد خاطر بشدة»، يقول العميل كارلايل.

- «كان يعلم أنني ما كنتُ لأخبر أحداً، أو على الأقل أتمنى أنه كان كذلك. أنا أيضاً كنتُ سأقع في ورطة»، أقول له.

- «هل هي ورطةٌ كبيرة؟».

- «لا. لكن ذلك لم يكن ليكون جيداً لأيِّ منا»، أقول له.

يسأل الدكتور هيرنانديز: «هل تعتقدين أنه وثق بك لأنه استطاع أن يرى أنكِ كنتِ تعيشين صراعاً يتعلّق بإيمانك الشخصي؟».

- «سيكون ذلك منطقياً على ما أعتقد. لكنني لا أعرف ما الذي رآه على وجه التحديد»، أقول له.

يوميُّ برأسه، ويدوّن ملاحظة سريعة في أحد دفاتره، ثم يقول: «هل ترغبين في الاستمرار؟ يمكننا التوقّف إن كنتِ ترغبين في ذلك؟».

أهز رأسي بالنفي. «أريد أن أنتهي من هذا».

يبتسم العميل كارلايل ويقول: «حسنٌ إذاً. هل يمكنكِ إخبارنا بما حدث في اليوم التالي لإجرائك المكالمة مع قسم شرطة مقاطعة لايتون؟ يوم السابع عشر من الشهر؟».

أهدئي، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. كل شيء على ما يرام. أنت بخير. سيكون الأمر على ما يرام.

- «يوم الحريق»، أقول.

يوميُّ كلاهما.

سيكون الأمر على ما يرام.

أغمضُ عينيّ، وأعود بذاكرتي إلى الورا إلى أن أستشعر
الحرارة، وأسمع دويّ الرصاص، وأشتّم رائحة الدم والغبار.
سيكون الأمر على ما يرام.
أخذ نفساً عميقاً. أفتحُ عينيّ.
أبدأُ في الكلام.

قبل

إذ أمشي عبر الفناء، أسمع شيئاً ما.

بينما كان الجميع ينهون وجبة الإفطار في قاعة جنود الفيلق، ذهبْتُ كي أتحدّث مع هوني، كي أجعلها تعرف أنني كنتُ أفكر فيها، وأنها لم تصبح نسياً منسياً، لكنّ آموس ظهر خلفي قبل أن أتمكن من قول أكثر من بضع كلمات وجرتني بعيداً. كان وجهه كالحا مثل عاصفة هوجاء. سمعتُ هوني تقول «مرحباً» قبل أن تسقط يده على كتفي، لذا علمتُ أنها لا تزال على قيد الحياة على الأقل، رغم أن صوتها كان ضعيفاً وبدا أن حلقها مبطنٌ بورق الصنفرة.

- «هل أنت غبية، يا فتاة؟»، سأل آموس. «هل أنت مصممة على جعل الأمور أسوأ؟».

نفضتُ يده عني وقلت: «أنا أتحدّث إلى أختي. ما من قاعدةٍ تحرّم ذلك».

- «أختك تعاقب على هرطقتها. يمكنك أن تتحدّثي إليها بعد أن تصوّب من نفسها أمام الرب. ليس قبل ذلك».

- «ولا بأس بذلك بالنسبة لك؟»، أسأله وقد امتقع وجهي بحرارة الغضب. «هذا جيد فحسب؟».

- «الرب طيّب»، دمدم آموس. «والآن اخرجي من هنا بحق

الجحيم، واشكري الربّ لأنني لا أعتقد أنّ هذا الأمر يستحق أن أقلق راحة النبي لأجله».

حدّقتُ فيه لبضع ثوانٍ طويلة، ورأسي ينبض بغضب شديد، ثم استدرتُ عائدةً نحو الفناء.

الضوضاء التي يمكنني سماعها الآن منخفضة وبعيدة.

إنّ الطريق الترابي الذي يمتد من البوابة الأمامية إلى الطريق السريع يبلغ طوله ميلين تقريباً، ولكن عندما تهب الرياح في الاتجاه الصحيح يمكننا سماع قعقة عرضية لمحرك بعيد. لا يمكننا رؤية المركبات بنفسها، لأن الطريق يتقاطع مع تلين منخفضين يحجبان الرؤية من جهة الجنوب، لذلك أحب أن أحمّن ما هي - ربّما شاحناتٌ كبيرة مثل التي اعتدنا أن نراها تمضي متثاقلة على الطريق السريع عندما كان لا يزال مسموحاً لنا الذهاب إلى البلدة، أو ربّما الحافلات الصفراء المليئة بالأطفال، أو العائلات في السيارات والمنازل المتحركة، يغنون مع الراديو بأعلى صوتهم.

فكرتي الأولى أنّ ما أسمع الآن هو أحد تلك الاحتمالات.

أتوقف في منتصف الفناء وأنظر إلى ما وراء البوابة الأمامية، وأصيحُ السمع. الضجيج عبارة عن قعقة منخفضة تبدو وكأنّها صوت محرك، لكن بعد بضع ثوانٍ أدركت شيئاً ما. الصوت يعلو شيئاً فشيئاً.

حول الفناء أرى العديد من إخوتي وأخواتي يتوقفون أيضاً. لا أحد يقول شيئاً، ولا أحد يبدو قلقاً على نحوٍ خاص، لكنهم يستمعون. جميعهم يستمعون. على شرفة البيت الكبير، أرى بيلا تحتضن أحد أطفالها، وبجانب الكنيسة أرى جاكوب رينولدز يحدق جنوباً بعينين ضيّقتين.

يزداد صوت القعقعة باطراد، حتى تبدأ الأرض بالاهتزاز تحت قدمي. في بعض الأحيان - قليلاً ما يحدث ذلك - يصل بعض السكان المحليون إلى البوابة الأمامية كي يتمكنوا من رؤية فيلق الرب غريب الأطوار بأنفسهم، لكن هذا لا يبدو وكأنه سيارة أو شاحنة صغيرة.

يبدو أكبر.

أكبر بكثير.

يقف شعرُ ذراعيّ وتنقبضُ معدتي كما لو أنني لم أكل منذ أيام. عيناى شاخصتان إلى المنعطف الأول في الطريق الترابية، على بعد ما يقرب من مئة متر خارج البوابة الأمامية.

هواء الصباح الباكر دافئ، ولا يزال ساكناً تماماً. يبدو الأمر وكأن كل شيء قد تم إيقافه مؤقتاً، كما لو تم إخبار العالم بأكمله أن يأخذ استراحة لمدة عشر دقائق. ثم يستدير من حول المنعطف شيء هائل الحجم وأسود اللون، ويبدأ الجميع في الجري والصراخ في نفس الوقت.

إنه يشبه إلى حد كبير الدبابات التي رأيتها على شاشة التلفزيون قبل التطهير، في الأيام التي كان يسمح لنا فيها بمشاهدة الأفلام - ست عجلات عملاقة تحمل صندوقاً معدنياً زاوياً مع عمود طويل بارز في المقدمة وبرج دائري في الأعلى. إنه يتحرك ببطء على الطريق الترابي، ومحركه يزأر ويتجشأ دخاناً، لكن في زئيره الآخذ بالاقتراب تشعر أنه ثمة شيء محتوم ولا مفرّ منه على نحو رهيب.

يتنقل جاكوب عبر الفناء، صارخاً بأعلى صوته، حيث يبدأ الناس في الركض في كل اتجاه. يُفتح الباب الأمامي للبيت الكبير ويخرج الأب جون إلى الشرفة، وعلى وجهه ملامح عبوس تنم عن انزعاج شديد. أرى عينيه تتسعان حدّ الجحوظ قبل أن يختفي مرة

أخرى في الداخل، وصوته يهدر عبر الفناء وهو يصيح في الجميع كي يسلّحوا أنفسهم.

تسري قشعريرة على امتداد بشرتي.

يسلّحوا أنفسهم.

أفكر في بندقية AR-15 التي أعطاني إياها آموس. إنها مستلقية على المنضدة بجانب سريري، مذخرة وجاهزة للاستخدام.

توقّف الدبابة خارج البوابة الأمامية، وأرى صفّاً من المركبات يظهر خلفها من حول منعطف. هناك شاحنات سوداء عليها الحروف ATF مطبوعة على جوانبها وسيارات إسعاف حمراء وبيضاء، وسيارات جيب خضراء داكنة، ونصف دزينة من السيارات السوداء والبيضاء. تنعطف إحدى السيارات خارجة عن الرتل وتتباطأ حتى تتوقف، ويتوقّف قلبي داخل صدري إذ رأيتُ ما كان مطبوعاً على بابها.

قسم شرطة مقاطعة لايتون.

أنا عاجزة عن الحركة. عاجزة عن التنفس.

أحدق في الكلمات وحسب، بينما تملأ ذهني فكرة رهيبة واحدة.

أنا التي فعلتُ هذا.

الناس حولي يركضون في كلّ اتجاه. أسمع صرخات مشوشة تبدو وكأنها لأطفال، لكن وإذ أحاول إجبار نفسي على الالتفات والبحث عن مصدرها، أرى لوك ينفذ خارجاً من المبنى رقم 12 حاملاً بندقية AK47 في يديه، ونظرة الفرع البهيج على وجهه تصدمني مخرجة إياي من حالة الشلل.

أركض نحوه وأصرخ به كي يضعها أرضاً، بينما يفتح البرج

الموجود أعلى الدبابة ويظهر شكلٌ بشري داكن - رجل حكومة - يحمل مكبر صوتٍ في يده، وكنتُ لا أزال بعيدة عن لوك عندما لعلَّ صوته في أرجاء القاعدة قائلاً: «يا أعضاء الكنيسة المقدسة لفيلق الرب، بحوزتنا مذكرة توقيف فيدرالية بحق جون بارسون وأمر تفتيش ومصادرة فيدرالي لهذه الأماكن، وكلاهما صادر وفقاً للقواعد الفيدرالية للإجراءات الجنائية وقد وُقِعَ عليهما القاضي وارين هارتفورد من مقاطعة لايتون. يرجى منكم التجمع في الساحة المركزية مع رفع أيديكم أثناء تنفيذ هذه الأوامر».

لا أزال أركض باتجاه لوك حين أخذ يتباطأ إلى أن توقّف عند طرف الفناء ورفعَ بندقيةَ AK47 إلى كتفه. أسمع أحدهم يصرخ «بندقية!»، وأصرخ به أن يضعها أرضاً لأنني أعرف من هم هؤلاء الناس ولماذا هم هنا، وهذا ليس ما أردتُه، أوه يا إلهي، ليس هذا ما أردته على الإطلاق.

تنطلقُ النيران من ماسورة AK47 إذ يسحب لوك الزناد. صوت الرصاص يصمُّ الآذان في هواء الصباح الساكن؛ وتيرةٌ ثابتة من الانفجارات ذات الوقع المعدنيّ. ثمَّ يُسمع دويّ إطلاق نار قصير من مكان ما بالقرب من البوابة الأمامية، وينطلق الغبار في الهواء بينما كان الرصاص يتطاير على الأرض حيث كان لوك يقف. لكنه يتحرك بالفعل، يركض نحو الكنيسة ويلتفّ حولها ويختفي عن الأنظار. صرخات الخوف وعواء الغضب تطفو عبر الفناء، وبينما كنت أحرق في رقعة الأرض التي مزّقها الرصاص حيث كان يقف لوك، تدوي أصوات طلقات نارية مما بدا وكأنّه من كلّ مكان دفعة واحدة، كما لو أن العالم بأسره امتلأ فجأة بالرصاص المتطاير.

ألقي بنفسي على الأرض، وألّفتُ ذراعيّ حول رأسي. أسمع صوت رصاصات ترتطم بالإسفلت من حولي، وأسمع من على

مسافة بعيدة جداً كما لو أنها في المقاطعة التالية أو حتى الولاية التالية، صوتاً مضخماً لرجل الحكومة يهتف: «أوقفوا إطلاق النار!» مراراً وتكراراً، لكنّ هدير البنادق لا يبدو أنه ينخفض على الإطلاق، ناهيك عن أن يتوقف.

أقف مترنحة على قدميّ، وأمسح على نحوٍ محموم بعينيّ الامتداد الواسع للقاعدة. لقد اختبأ بعض إخوتي وأخواتي خلف المباني والأشجار وكتل الآليات. هناك واحد أو اثنان منهم قد تجمّدا حيث كانا يقفان، عيونهما مغلقة ووجهاهما مسكونان بالرعب، لكن غالبيتهم يطلقون رشقات من الرصاص في اتجاه البوابة الأمامية. ثمة صرخات تطفو فوق دويّ الرصاص ولا أستطيع تحديد أيّها صرخات ألم وأيّها صرخات نشوة عنيفة لأنّ المعركة النهائية قد بدأت أخيراً.

أركض مسرعةً وأجتاز الفناء محاولةً البقاء منخفضة قدر المستطاع. أخطر بإلقاء نظرة باتجاه الجنوب عندما وصلت إلى زاوية المبنى رقم 8، وأرى أربعةً من رجال الحكومة يسحبون شكلاً أسود مرتخياً عبر ثقب في السياج، ويلوحون على نحوٍ محموم لإحدى سيارات الإسعاف. لا يزال رجل الحكومة الذي في برج الدبابة يصرخ في مكبّر الصوت، ويطالب الجميع بالتوقف عن إطلاق النار، ولكن لا يبدو أن أحداً ينتبه لذلك. الجميع يصرخون ويطلقون النار وكل شيء يصمّ الأذان. أشيحُ بنظري بعيداً وأركض حول الجزء الخلفي من المبنى رقم 8، منتظرةً أن أشعر في أية لحظة بشيء يلكمني في ظهري، أن أرى دمي يتطاير فوق التراب.

أندفع عبر الممرّ بين المبنيين إلى المبنى رقم 9 وأفتح بابه. أسرع على طول الممر وألقي بنفسي في غرفتي حيث الرصاص يضرب الجدران من حولي بعنف. بندقيّة AR-15 ملقاة على المنضدة

بجانب سريري ولكني لا أنظر إليها حتى بينما أزحف على الأرض وأنزلق تحت سريري. أرفع لوح الأرضية السائب، وأمسك بالكيس البلاستيكي الذي يحتوي على المفتاح الرئيسي، ثم أنهض على قدمي مجدداً. أعود نزولاً عبر الممر وأفتح الباب الأمامي، لكن وابلأً من الرصاص يضرب الإطار، فأصرخ مذعورة، وأنكص مبتعدة، ثم أتكور على نفسي فوق الأرض.

تمطر شظايا من الخشب عليّ وأنا أعود زاحفةً إلى الباب المفتوح. في الخارج أصبح الهواء بالفعل ينجرف سميكاً مع الدخان ورائحة البارود اللاذعة والمرة. الضجيج لا يهدأ أبداً، نشاز لا ينتهي من أصوات انفجار البارود وانسحاق الرصاص لدى الارتطام. أجعل نفسي في وضع القرفصاء، وأخذ نفساً عميقاً، وأندفع عبر الباب. أركض شمالاً بأقصى سرعتي بمجرد أن لمست قدمي الأرض، متجهَةً إلى صفّ الصناديق المعدنية بالقرب من السياج.

هذا من فعلي، كلُّ هذا. أنا السبب في هذا الكابوس، وأنا متأكدة بالفعل من أنه ما من شيء يمكنني القيام به لإيقافه. لكن ثمة شيء يمكنني القيام به.

يمكنني الحرص على أن لا تموت هوني مثل حيوان داخل قفص.

أنا في منتصف الطريق حول الفناء، أشق طريقي متوارية على طول حافة الإسفلت، عندما يُفتح باب البيت الكبير ويظهر الأب جون مرة أخرى، ووجهه مشتعلٌ بغضبٍ ورع، وبندقية M4 في يديه. «القادة إليّ»، يجأر بصوتٍ مرعب، «الأطفال إلى أغافي! قاتلوا، يا إخوتي وأخواتي! قاتلوا حتى النهاية! المعركة النهائية على عاتقنا!»

يرتفع هدير عبر القاعدة ويتمكن إطلاق النار بطريقة ما أن يصبح أكثر حدة وكثافة، إلى حدّ تشعر فيه أنّ الهواء في أغلبه من الرصاص، وأشعرُ برأسي ينضغط حتّى يكاد ينفجر. لكنّ فكرةً واحدة تتمكّن من اختراق الضجيج الرهيب؛ بينما أركض تحتلّ الفكرة عقلي بالكامل، باردةً وأكيدة مثل عاصفة شتوية.

نحن ميّتون.

لقد قتلنا جميعاً.

بعد

يقول العميل كارلايل : «لقد استمعتُ إلى كلِّ تسجيلٍ صوتي من ذلك الصباح . يمكنك أن تسمعي بوضوح جون بارسون وهو يأمر الجميع بالقتال حتى النهاية» .

حلقي يؤلمني ، لكنني أتدبّر أن أومئ برأسي وأنا أسكب لنفسي كوباً من الماء من الإبريق على الطاولة .

يسأل الدكتور هيرنانديز : «هل تشعرين أنَّ بوسعك المتابعة؟ لا مشكلة أبداً إذا كنتِ بحاجة إلى استراحة» .

أفرغُ كوب البلاستيك الصغير في جوفي ، ثمَّ أهزُّ رأسي وأقول : «لا أريد استراحة . أريد أن أنتهي من هذا» .

ينظر إليّ لبرهةٍ طويلة ، ثم يومئ برأسه ويقول : «حسنٌ . فلتأخذي الأمور برويةٍ إذاً . أنتِ تبلين حسناً جداً» .

قبل

أنا على وشك أن أجتاز الأرض المفتوحة باتجاه الصندوق عندما يخرج جاكوب رينولدز من الدخان أمامي، عيناه متوحشتان، ومسلحاً حتى أسنانه.

أندفع بسرعة نحو اليمين، وتثير قدمي غباراً برتقالياً، ثم أركض بقوة نحو مؤخرة الكنيسة. يحدث الرصاص ثقباً في الجدار الأبيض مع وصولي إلى زاوية المبنى، فأتعثّر وأفقد توازني إذ أرمي بنفسي خلف الزاوية. أهبط على وركي، فتضرب صاعقة من الألم نزولاً عبر ساقَي اليمنى، وبينما أحاول أن أنهض مجدداً، تخذلني ساقَي وأعاود السقوط على الأرض، وأنا أعوي من الألم. أضغط على فخذي بكلتا يدي محاولةً تحفيز الإحساس به مرة أخرى، وأكافأ بإحساس كما لو أنّ أحداً ما قد غطى ساقَي بالكامل بنمل ناري. الألم مروّع لدرجة أنني كنتُ لثانية متأكدة من أنني سأتقيأ، لكن عندما أقف على قدمي للمرة الثانية، حملتني ساقَي.

أعرجُ على طول الجدار الخلفي للكنيسة. متجاوزةً صفّ النوافذ ذات الأقواس، إلى أن تلفت انتباهي الحركة داخل المبنى وأتوقف وألقي نظرة عبر الزجاج. يسير لوك رجوعاً على طول الممر بين صفوف المقاعد الخشبية، ويضخُّ سائلاً أصفر من برميل بلاستيكي أحمر ويرشه على الأرض والمقاعد. يصل إلى الباب الذي يفتح

على الفناء. يقذف البرميل جانباً، ويسحب علبةً من أعواد الثقاب من جيب بنطاله الجينز.

أشعر وكأنَّ شيئاً صفعني إذ أفهم ما يحدث. أضرب بقبضتي على النافذة، وأنا أصرخ وأناادي باسمه، بينما يُشعل عود ثقاب ويطلق الشعلة على بقية علبة الثقاب. ينظر إليّ فتسري بداخلي برودةٌ صقيعيّة، لأنَّ الابتسامة على وجهه تكاد تكون أسوأ شيءٍ رأيته في حياتي.

- «الرب طيّب!»، يجأر وهو ينظر في عينيّ بثبات. ثم يقوم برمي علبة الثقاب المحترقة في الممر، ويهرع خارجاً عبر الباب. يستحيلُ كلُّ شيءٍ أصفر اللون.

ثمة صوتٌ مثل ألف قصف رعد، وأشعر بقدميّ تتركان الأرض بينما تنفجر نوافذ الكنيسة في ما يشبه عاصفة بردٍ من الزجاج المتطاير، وتندفع النار عبر الفجوات. شدة الحرارة لا تصدق، وأنا أتدحرج على الأرض الجارفة ذهاباً وإياباً لأنني متأكّدة من أنني أحترق من دون شك؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ حارٌّ على نحوٍ لا يُحتمل.

أسمع صوت إطلاق النار وهو يتراجع مع ارتفاع أصوات الصراخ مرة أخرى، وإذ أقفُ على قدميّ، أشعر بطنينٍ هائل في أذنيّ، وأرى شعر ذراعي قد احترق، وسقف الكنيسة بات مفتوحاً. ألسنة اللهب تتصاعد منه، مرسلّة دخاناً أسود يتصاعد في السماء. تحطّمت قطع الخشب المحترقة فوق الأسطح المستوية، وقبل أن يتسنّى لي الوقت لالتقاط أنفاسي، بدا أنَّ نصف القاعدة قد احترق.

أتراجع مترنّحة من شدة الحرارة، وأنا أسعل وأبصق وأحاول تصفية رأسي. يمسك شخص بكتفي ويجعلني أستدير. أنا واثقةٌ من أنه سيكون لوك، وأنه سيقتلني ببندقية AK47 ولن يعرف أحدٌ بأمرى أبداً، لكنه لم يكن لوك، إنّها ستار؛ عيناها منتفختان، وفي يديها بندقية M16 تكاد تكون أكبر منها.

تصرخ بي: «لماذا لا تقاتلين؟ هذه هي، يا مونيم! إنها المعركة النهائية».

- «أين بناتك يا ستار؟».

- «أخذت أغافي كل الأطفال إلى المهاجع الغربية»، تقول لي. «سيكونون بأمان هناك حتى تحقيق النصر. تعالي معي، يا مونيم. سنقاتل من أجل الرب معاً».

أهز رأسي، وأراجع خطوة إلى الوراء. تنظر إلي نظرة توحى بعدم فهم مطلق، ثم ترفع بندقية الـ M16 وتصوبها إلى صدري. يتوقف كل شيء.

تتلاشى حرارة النيران، ويخفت دوي الرصاص، حتى الدخان بدا وكأنه معلق في الهواء مثل قلبي الذي تجمد في صدري. لأنني إذ أنظر في عيني ستار، لا أرى المرأة التي كانت في الغالب لطيفة معي، والتي بدت دائماً أنها تعشق أطفالها، وتحب إخوتها وأخواتها بصدق. بدلاً من ذلك، أرى نظرة حيوان مفترس في عيني شخص لا يمكنني تمييزه.

أرى شخصاً لا أعرفه أبداً.

- «لا...»، أقول لها. «ستار... أرجوك...».

هي تحدق بي، والبندقية ثابتة في يديها. أنتظر أن يمر شريط حياتي أمام عيني، فهذا ما يُفترض أن يحدث عندما تكون على وشك الموت، لكنني لا أرى أي شيء، ولا شيء يحدث، وكل شيء يظل ساكناً إلى أن تقوم ستار برمي البندقية بعيداً وتختفي في الدخان دون أن تقول كلمة واحدة. أقف متجذرة في مكاني، إلى أن ينتج دماغي صورة لهوني ميتة على أرضية الصندوق، ويصرخ الصوت في مؤخرة رأسي بي أن أستيقظ. آخذ عدة أنفاس عميقة، ثم أستدير شمالاً وأركض عبر الدخان الكثيف.

لا تزال ساقى تصرخ من الألم لكنها تحملني مع ذلك، وهذا كل ما يهم الآن. يلوح صف الصناديق المعدنية في الأفق، وأخاطر بالتلفّ سريعاً حولي وأنا أتجه نحوهما.

تنتشر النار مثل نهرٍ جارٍ على امتداد الأرض الجافة، تشعل كل شيء تلامسه، وسحب الدخان الدوّارة تجعل من الصعب رؤية أي شيء. أستطيع أن أرى الهيئات السوداء لرجال الحكومة تتحرّك بالقرب من السياج، لكن لا يمكنني القول ما إذا كانوا قد انتقلوا إلى داخل القاعدة. لا يزال إطلاق النار بلا نهاية - دويٌّ مستمر يصمُّ الأذان.

أصلُّ إلى الصندوق الوحيد الذي يُفترض أنّه ليس فارغاً، وأشقّ طريقي وصولاً إلى مقدّمته. أخرج الكيس البلاستيكي من جيبي، أفتحه وأمسك المفتاح الرئيسي في يدي بإحكام، أصرخ مناديةً هوني، وأقول لها إنّ كلّ شيءٍ بخير، كلّ شيء سيكون على ما يرام. أدخلُ المفتاح في القفل وأديره. لجزءٍ من الثانية لم يتحرّك المفتاح أبداً، لكنّ نابض القفل ينفصل بعد ذلك ويصدر صوتاً مجلجلاً، ثمّ يَصِرُّ الباب وينفتح، وأقفُ محدّقةً في الظلام لبرهةٍ طويلة لأنني لا أعرف ماذا يمكنني أن أفعل غير ذلك.

الصندوق فارغ.

أستدير بسرعة وأحاول أن أنظر عبر سحب الدخان السابحة. الكنيسة عبارة عن جحيمٍ مستعر، ويمكنني أن أرى أشكال إخوتي وأخواتي الضبابيّة وهي تتحرّك جيئة وإياباً، وتطلق النار على أهداف غير مرئية من حيث أقف.

لا يمكنني رؤية هوني.

ما من أثرٍ لها.

أسمع وقع خطي تقترب، وفجأة أجد نفسي مدركةً تماماً لحقيقة أنني على الأرجح الشخص الوحيد غير المسلح على مسافة خمسة أميال في أي اتجاه، باستثناء الأطفال في المهاجع الغربية، وأستدير في اللحظة المناسبة لأرى بيلا تخرج من الدخان وفي يدها مسدس أسود اللون.

- «ماذا تفعلين، يا مونييم؟ لم أنتِ —».

- «أين هوني؟»، أقول لها.

تصرخ وعيناها تلمعان غضباً: «هذا ليس من شأنك! لماذا لست تقاتلين من أجل عائلتك؟ أين هو —».

- «أخبريني أين هي، يا بيلا! أخبريني في الحال!»، أصرخ بها.

تسّع عيناها وترفع المسدس باتجاهي، إلا أنني كنت قد تحركت بالفعل فقد حظيتُ بسلاح مصوبٍ نحوي في الدقائق الخمس الأخيرة، وذلك أكثر من كافٍ.

أضربها بيدي على معصمها ضربةً عنيفة ترتج ذراعي بالكامل من قوتها، فتصرخ بيلا من الألم مع سقوط مسدسها على الأرض. أهرع للأمام وأدفعها بعنفٍ في صدرها. تترنح متراجعةً إلى الوراء حتى تتشابك قدمها وتتمدد واقعةً على ظهرها. أتقدم نحوها بقبضتين مشدودتين، وأنا خائفة وقلبي يضخ كميات هائلة من الأدرينالين، ولا أعتقد أنني شعرت يوماً بغضبٍ شديد وخارجٍ عن السيطرة كالذي أشعر به الآن. أنتزع المسدس من الأرض وأصوبه نحو قلبها.

- «أين هي، يا بيلا؟»، أقول بسخطٍ شديد. «لن أسألك مرة أخرى».

- «لقد سمح لها آموس بالخروج»، تقول لي. عيناها

جاحظتان، وأرى فيهما الرعب بينما تنظر إليّ. «أعتقد أنه وضعها مع الآخرين».

- «في المهاجع الغربية؟».

تومئ برأسها. لا أضيع وقتاً في قول أي شيء آخر. أتركها ملقاة على الأرض، وأعود من الطريق التي أتيت منها.

أندفع عبر الفناء، عيناى تفيضان بالدمع، وقلبي يدقّ داخل صدري بعنف.

لا يزال دويّ إطلاق النار يصمّ الآذان، وأنا أسمع - أسمع بالفعل - أزيز رصاصات تتجاوزني، أنينها الخافت مثل طنين الحشرات الحثيث، لكنني لا أبطئ، ولا أغير مساري. حريق الكنيسة خارج عن السيطرة، ابتلعت النيران الهائجة سقفها، وانطلق منه نحو السماء عمود دخانٍ هائل، وأصوات مكبرات الصوت الحكومية تتردّد في أنحاء المجمع، وتكرّر أوامرها المصمّة للآذان مرّة بعد مرّة.

- «ألقوا أسلحتكم، وتقدّموا إلى الأمام ببطء وأيديكم مرفوعة في الهواء!».

لا أحد يصغي. لا رجال الحكومة الآخرين، وبالتأكيد لا أحد من إختوتي وأختواتي.

بعيداً، عند البوابة الأمامية، تهدر الدبابة مندفعة لتسحق السياج الشبكي الضعيف، وهي تمخض أرض الصحراء. من مكانٍ ما بين ضجيج المحرّكات وصخب إطلاق النار الذي لا يتوقّف، يمكنني سماع صرخات ألمٍ وتوسّلٍ في طلب المساعدة، لكنني أجبر نفسي على تجاهلها والمضيّ قدماً: عيناى مثبّتان على الكبائن الخشبية عند الطرف الغربي من القاعدة.

أتعثر بشيء ما .

تشابك قدمي وأقع منبطحة فوق الأرضية الإسفلتية المتصدعة .
يسري ألمٌ مبرّح عبر جسدي مع ارتطام كتفي بالأرض ، لكنني أكرّ
على أسناني وأعاود النهوض على قدميّ ، وألقي نظرةً حولي لأرى ما
الذي سقطتُ فوقه .

إنّها أليس مستلقيةً على ظهرها ويدها تقبضان على بطنها .
استحال قميصها أحمر اللون ، فيما هي غارقةً في بركةٍ من
الدماء تبدو أكبر من أن تخرج كلّها من شخصٍ واحد . رغم ذلك ،
هي لا تزال على قيد الحياة . عيناها باهتتان ، لكنهما تمكّنتا من
العثور على عينيّ ، وها هي تنظر إليّ بتعبيرٍ أعجز عن وصفه . ثمة
ألمٌ ، وصدمة ، وخوف ، وشيءٌ شبيه بالارتباك ، كما لو أنّها تريد أن
تعرف كيف وصلت الأمور إلى هذا الحدّ .

أنظر في عينيها المحدّقتين بي . أريد أن أبقى معها ، أريد أن
أخبرها أنّ كلّ شيءٍ على ما يرام ، وأنّها ستكون بخير ، لكنّ الحقيقة
أنّ كلّ شيءٍ ليس على ما يرام ، أنا لا أعرف الكثير عن جروح
الرصاص ، لكنني لا أعتقد أنّها ستكون بخير .
أنا واثقةٌ من أنّها ستموت .

أحدّقُ بها ، أضيّع بضع ثوانٍ ثمينة ، أخذ الجزء الصغير الذي لا
يزال يعمل من دماغي يصرخ عليّ لتضييعها ، ثم أركض متّجهةً إلى
المهاجع الغريبة . تتّسع عينا أليس وأنا أستدير مبتعدة ، لكنني لا أرى
غضباً فيهما . أعتقد أنّها تفهم ما يتوجّب عليّ فعله .
هذا ما أقوله لنفسي على الأقلّ .

يخرج شخصٌ ما من قلب الدخان المتصاعد ، فأتجمّد واقفةً في
مكاني وأرفعُ يديّ . لكنّه ليس أحد رجال الحكومة ذوي الخوذ
السوداء والنظارات الواقية والبنادق . إنّه آموس ، عينا محمرّتان

ومنتفختان، إحدى ذراعيه تتدلى رخوةً إلى جنبه، وفي يده السليمة مسدّسٌ يرتعش.

- «أين هو الأب جون؟»، يسأل بصوتٍ أجشٍّ وممزّق. «هل رأيته؟».

أهزُّ رأسي وأحاول الالتفاف كي أتجاوزَه، لكنّه يمسك بذراعي ويجذبني نحوه.

- «أين هو؟ أين النبي؟»، يصرُّ آموس.

- «لا أعلم!»، أصرخ وقد وصلت الدبابة إلى الفناء، وإطلاق الرصاص بات أكثر من أيّ وقتٍ مضى، والنيران تقفز من مبنى لآخر بأسرع ممّا يمكنني اللحاق به.

أدفع آموس بأقصى ما أستطيع، فيتعثّر متراجعاً إلى الوراء. يصوّب المسدّس نحوي لكنني كنتُ قد تحرّكتُ بالفعل. أسمع صوت طلقات خلفي لكنّ أيّاً منها لم يجد طريقه إليّ قبل أن أختفي في غمامة الدخان.

من الصعب التنفّس على الفور؛ أثبتّ إحدى يديّ على فمي وأنفي، لكنّ الدخان الكثيف المرّ ينزلق بين أصابعي، وأبدأ في السعال. أرى إختوتي وأختواتي الذين سقطوا في كلّ مكانٍ من حولي بينما أركض بأقصى سرعتي، أشكّالٌ داكنةٌ أترنّح يميناً وشمالاً كي أتجنّبها. عددٌ قليلٌ منهم كان يتحرّك، يحاولون جرّ أنفسهم على الأرض أو يرتجفون ويتشنجون وكأنّهم يعانون نوبةً ما، لكنّ معظمهم كان بلا حراك.

معظمهم كان ساكناً تماماً.

تلوح المهاجع الغربية إلى الأمام متّي، تنبثق من جدرانها وأسقفها ألسنةٌ من الدخان الكثيف. أصوات إطلاق النار خلفي لا تتوقّف، ومع الكثير جدّاً من الرصاص المتطاير في الهواء بدا وكأنّها

مسألة وقت قبل وقوع المحتوم. لكن إذا ما استطعتُ فتح الكبائن قبل ذلك، فلستُ أهتمّ. أنا حقّاً لا أهتمّ.

أتعثّر وأنا أخوض في الدخان الأسوأ متّجهةً نحو أقرب كابينة، أتحمّس المفتاح الرئيسيّ في جيبِي. أمسكُ بالقفل المعلّق في الباب، فأسمعُ صوت حسيّس احتراق، وللحظة قصيرة جداً لم أفهم ما حدث - إلى أن يتفجّر الألم عبر جسدي فأسحبُ ذراعي بقوة لتبقى معظم راحة يدي عالقةً في القفل المعدنيّ. أسقط جاثيةً على ركبتيّ، وأنشُبُ يدي اليسرى المهشّمة على معدتي، وتنفجر من فمي صرخةٌ لا تبدو بشريّةً حتّى.

الألم؛ إنّه كاسحٌ، ساحق.

إنّه كما لو أنّ شخصاً أقحم يدي داخل وعاءٍ من الحمض القويّ وهو يبقّيها هناك بالقوّة، وإذ يحاول عقلي معالجة الألم المبرح، يتلاشى كلّ شيءٍ آخر: رائحة الدخان، حرارة النار، ضجيج البنادق. يتسلّل الوهن إلى الداخل من جميع الجوانب، كما لو أنّ حواسّي تذوي شيئاً فشيئاً. ثمّ يدفعني شيءٌ ما من الخلف فأهوي ساقطةً على الأرض.

أحد رجال الحكومة يقف فوقِي، وجهه مختفٍ خلف قناعه، وفوهة بندقيّته مصوّبةً بين عينيّ.

- «يذاكٍ حيث يمكن أن أراهما!»، إنّه صوت رجل. «أريني يديك!».

ترتعش يداي إذ أرفعهما فوق رأسي. «أرجوك»، أقول بصوتٍ أشبه بالنعيب. «أطفال. يوجد أطفالٌ في تلك الكبائن. أرجوك».

- «اخرسي!»، يصرخ بي. «لا تتفوّهي بكلمةٍ أخرى!».

- «أرجوك»، ألح عليه. «إنّهم في الكبائن. عليك أن تساعدهم».

ينظر رجل الحكومة إلى المباني. رأسي يدور ومعدتي تتأرجح وأشعر بأنني على وشك فقدان الوعي جرّاء الألم الصارخ في يدي، لكنني أُجبر عينيّ على البقاء مفتوحتين، وأجبر عقلي على التركيز على الهيئة البشرية الداكنة الواقفة فوق.

- «الأقفال»، أهمس، وأرفع المفتاح الرئيسيّ. «أرجوك...». تخذلني قواي. ينظر رجل الحكومة إلى الكابينة. ثمّ ينظر إلى الأسفل نحوي. وينظر إلى الكابينة مجدّداً.

- «تبّاً!»، يصرخ، ثمّ ينتزع المفتاح من يدي ويستدير مسرعاً نحو الباب. أشاهده وهو يمسك القفل بيده التي ترتدي قفّازاً، ويزلق المفتاح في القفل، وأتساءل للحظةٍ مرعبةٍ ما إذا كان هذا كلّهُ مضيعةً للوقت، وما إذا كانت هناك بعض الأقفال التي لا يمكن حتّى للمفتاح الرئيسيّ أن يفتحها. ثمّ تدور الأسطوانة وينفتح القفل. يجذب رجل الحكومة الباب فاتحاً إيّاه، ويندفع إخواني وأخواتي خارجين وهم يسعلون ويتنحنحون، عيونهم محمّرة والدموع تنهمر منها.

- «اذهبوا إلى البوّابة الأماميّة»، أتدبّر قول هذه الكلمات بشقّ الأنفس. «ابقوا معاً. ارفعوا أيديكم...».

أرى هوني في مؤخّرة الحشد، وللحظاتٍ أشعر بشيءٍ ما يجتاح صدري ويطفئ على الألم في يدي. عيناها متورّمتان ومنتفختان وبشرتها شاحبة، لكنّ فمها وفكّها أظهرتا تصميمهما المألوف، وهي لا تزال تنفّس، وهو الشيء الوحيد الجيّد. لم أكن متأكّدة أنّها ستكون كذلك.

هي تساعد آخر الأطفال الباكين، المذعورين، في الخروج من

الكابينة وتقودهم جنوباً نحو البوابة الأمامية. يندفع رجل الحكومة إلى الكابينة التالية، ويصرخ في جهاز اللاسلكي خاصته طلباً للدعم، فأشعر بشيء في داخلي ينفلت متحرراً، تجتاحني موجة من الارتياح قوية لدرجة أنها أثرت بي جسدياً، إذ تبعث الحياة في عضلاتي المنهكة، فأسحب نفسي إلى وضعية الجلوس.

يشق الأطفال طريقهم عبر الفناء، وأيديهم مرفوعة باستسلام كامل، ثم يندفع رجال الحكومة خارجين من غمامة الدخان الكثيف ويبدوون بحمل إخوتي وأخواتي خارجين بهم عبر الفتحات في السياج. يمكنني سماعهم يبكون في طلب أهاليهم، وأشعر بقلبي ينفطر حزناً عليهم، لكنهم أحياء؛ هم لا يزالون أحياء، وهذا كل ما يهم، هذا هو الشيء الوحيد المهم بينما العالم يحترق من حولنا.

أسمع صراخاً عالياً وحاداً بما يكفي لاختراق أزيز الرصاص وهدير الجحيم من حولي، فأدير رأسي باتجاهه. قبض اثنان من رجال الحكومة قرب أنقاض الكنيسة المحترقة على لوك ورفعاه عن الأرض من يديه وقدميه. هو يتخبط في قبضتهم، يصرخ ويصرخ أن ينزلوه على الأرض، أن يدعوه يذهب مع الآخرين، أن يتركوه يرتقي.

صوته المفعم بالغضب والهيّاج واليأس والذعر المحموم، هو آخر شيء أسمع قبل أن يلف الظلام كل شيء.

بعد

يخيّم صمّتٌ ثَقِيلٌ على الغرفة لفترةٍ طويلة بعد أن توقّفتُ عن الكلام. أشعرُ أنني مستهلكَةٌ بالكامل، كما لو أنّ كلّ ذرّةٍ متبقّيةٍ من طاقتي قد استُنزِفَت تماماً، لكن هذا ليس شعوراً سيئاً؛ إنه شعورٌ غريب، ولا أعرف ما الذي يُفترض بي فعله الآن، لكنني أتخيل أن هذا ما ينبغي أن يكون عليه شعور الإنسان الحُرّ.

- «لا أستطيع حتّى أن أتخيل معنى أن يمرّ المرء بكلّ هذا»، يقول الدكتور هيرنانديز بصوتٍ هادئٍ فيما هو يحرق بي باهتمامٍ شديدٍ لدرجة تجعلني أشعر بعدم الارتياح إلى حد ما. «أعتقد أنك شابةٌ رائعة، يا مونييم. ما فعلته للتو - أن تروي لنا ما حدث بتلك الطريقة - أخذ الشجاعة إلى مستوى يكاد يجعلني عاجزاً عن الكلام».

- «يكاد فقط؟»، أقول له. إنها مجرد مزحة صغيرة، لكنه يبتسم لي مع ذلك.

العميل كارلايل لا يبتسم. «أعتقد أن شجاعتك مسألة غير مشكوكٍ فيها. وأنا أكره أن أضطرّ لفعل هذا، لكن أخشى أننا بحاجة إلى العودة إلى شيء أثّير بصورةٍ عَرَضِيَّةٍ منذ وقتٍ طويل. لم أضغط عليك في ذلك الوقت، ولكن هذه المرة يجب أن أفعل. هل أنتِ متمسكةٌ بالقصة التي مفادها أنّك لم تدخل البيت الكبير أثناء الحريق؟».

- «إنها ليست بقصة. إنها الحقيقة»، أكذبُ على الرجل.

تضيّق عيناه، لكنني لا أرى غضباً فيهما؛ أرى خيبة أملٍ فحسب: «حسنٌ. دعينا إذًا نخوض في هذا بالتفصيل. هل تعلمين أنه تمّ تصوير ما يقرب من مئتي ساعة من مقاطع الفيديو في صباح اليوم السابع عشر؟»، يسألني.
- «لا».

- «كان العملاء الذين نفّذوا مذكرة التوقيف يرتدون كاميرات مراقبة. وفي كلّ مركبة كانت ثمة كاميرا واحدة على الأقل. تم تحليل كل لقطة على حدة، وتمكّنّا من تجميع سجل مرئي واضح للحدث بأكمله، من نصف دزينة من الزوايا المختلفة. ولهذا السبب يمكنني القول بثقة مطلقة إن هوني لم تخرج من المهاجع الغربية بعد أن استخدم العميل جيفريز مفتاحك لفتح الأبواب. لقد خرجت عبر البوّابة الأمامية مرفوعة اليدين قبل ذلك بأربع دقائق، وكانت قد بدأت تتلقّى العلاج بالفعل من قبل خدمات الطوارئ عندما تمّ تحرير بقية الأطفال».

- «لقد رأيتها تخرج»، أقول له.

- «لم تفعل، يا مونييم. هي لم تكن هناك».

- «لقد رأيتها»، أقول له. أشعر كأنني طفلة صغيرة تظلّ ملتزمةً بكذبتها بعناد حتى عندما تعلم أنّ أمرها قد كُشف، لكنّ هذا هو الشيء الوحيد الذي يمكنني التفكير في فعله. لقد أخبرتهم بكل شيء آخر، على الرغم من أنني لم أرغب في فعل ذلك مطلقاً وقد أخافني القيام به كثيراً.

لم يتبق سوى شيء واحد. ولا أستطيع إخبارهم به.
لا أستطيع ذلك.

لا ينبس العميل كارلايل ببنت شفة. هو يحدّق بي فحسب.

- « لقد رأيتها»، أكرّر له. «لا يهمني ما إذا كنت تصدقني أم لا».
- «لا بأس. دعونا نحاول الحفاظ على هدوئنا. لا داعي أن ينقلب الجوّ عداًياً».
- «أنا هادئة»، أقول له.
- «أنا هادئٌ أيضاً»، يقول العميل كارلايل. «هل تعلمين أن إحدى الكاميرات حصلت على لقطة واضحة جداً لك وأنتِ تصوّبين مسدساً نحو بيلا؟».
- «لقد أخبرتك عن ذلك».
- «لقد فعلتِ، أخبرتنا أنك تركتها ملقاة على الأرض وذهبت إلى المهاجع الغربية لإطلاق سراح الاطفال المحتجزين هناك».
- أومئُ برأسي. «هذا ما فعلته».
- يهزُّ العميل كارلايل رأسه ويقول: «لا. ليس صحيحاً. لقد ذهبت إلى المهاجع الغربية بالفعل، لكنّه ليس ما فعلته مباشرةً بعد أن تركتِ بيلا. لدينا لقطة واضحة لكِ وأنتِ تدخلين إلى البيت الكبير، حيث بقيت هناك لستّ دقائق تقريباً».
- «هذا ليس صحيحاً»، أقول وقد بدأ صوتي يعلو. «كم مرّة يجب أن أخبرك بذلك؟».
- «مونيم»، يقول الدكتور هيرنانديز. «أنا أتفهّم حاجتكِ إلى حماية نفسك، أنا حقاً أتفهّم، لكنني كنتُ أمل أن نكون وصلنا إلى مرحلة متقدّمة من الثقة».
- ترتفع حرارة وجنتيّ، وأمل أنّهما لا يريان أنّ يديّ بدأتا ترتعشان. لكنني أتدبّر أن أقول له: «أنا أخبرك بالحقيقة. لكن شكراً لمحاولة أن تجعلني أشعر بالذنب. أنا أقدرُ لك ذلك حقاً».
- يجفل، ويتلوّن وجهه بما أخمّن أنّه لون الإحراج الوردّي.

- «يمكنني أن أحضر شاشة إلى هنا وأظهر لك اللقطات. هل تعتقدن أن هذا قد ينشط ذاكرتك»، يقول العميل كارلايل. أهز رأسي. «لست بحاجة لرؤية أي لقطات».

- «إذاً لن نخبرينا بما حدث داخل البيت الكبير؟»

ابقي هادئة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لا بأس. لو كانوا يعرفون ما فعلته، فلن يضغطوا عليك كما يفعلون الآن، كانوا ببساطة سيقولون لك إنهم يعرفون.

أخذ نفساً عميقاً، وأقول: «لا أعرف ما الذي حدث لأنني لم أذهب إلى هناك».

يقول العميل كارلايل: «أعتقد أنك فعلت. في الواقع أنا أعرف أنك فعلت. لذلك أنا أشعر بالفضول حول ما لا تريدن إخبارنا به». أهز كتفي. ما من شيء يمكنني قوله ردّاً على ذلك.

يميل الدكتور هيرنانديز في كرسيه إلى الأمام ويقول: «أعتقد أننا يجب أن نتوقف هنا. نحن نعرف مدى صعوبة ذلك بالنسبة إليك، يا مونبيم، ولا أريد لك أن تفكري للحظة واحدة في أننا لا نقدر صدقك أو قوتك. أعتقد أنه سيكون من المفيد لنا جميعاً أن نحصل على قسط جيد من الراحة في الليل والليل من الوقت للتفكير ملياً في الأشياء».

يوميّ العميل كارلايل برأسه ويقول: «أعتقد أنك على حق. يمكننا المتابعة في الصباح، ربما سنرى الأشياء بشكل مختلف قليلاً عندئذ».

- «حسن»، أقول، رغم أنني لا أرى الهدف من ذلك حقاً، فقد كنت قد فكرت في كل هذا لفترة أطول بكثير مما فعلا، وما من شيء سيتغير بعد ساعات قليلة.

يجمع الدكتور هيرنانديز أغراضه ويتجه الرجلان نحو الباب.

ينظر العميل كارلايل إليَّ من فوق كتفه قبل أن يفتح الباب، وأشعر
كما لو أنَّ تعابير وجهه تلکمني بقوة في القلب. إنَّها ليست تعابير
غضب، ليست حتَّى خيبة أمل - إنَّها تعاطف.
هو يشعر بالأسف عليّ.

يغلق الباب، وأبقى جالسةً أحدقُ في الحائط، وأحاولُ إبطاء
دقات قلبي المتسارعة.

أقول محدثةً نفسي: إنَّهما لا يعرفان. لا بأس. إنَّهما لا
يعرفان، ولا يمكنهما أبداً أن يعرفا ما لم تخبريهما بنفسك. لذا
عليك أن تبقي قوية.

إنَّ هذا ليس شبيهاً بالمكالمة الهاتفية التي أجريتها مع قسم
الشرطة، حيث تبينَ أنَّني كنتُ مخطئة بشأن حجم المتاعب التي
اعتقدت أنَّني سأجد نفسي في مواجهتها. إذا اكتشفا ما فعلته داخل
البيت الكبير، فلن أخرج من هنا أبداً.
أبداً.

أجلس إلى مكتبي وأبذل مجهوداً واعياً لرسم شيء ما؛ شيءٌ
غير المنحدرات والمياه والبيت الأزرق. أحاول رسم نيت كما
أتذكره.

أشعر وكأنَّه لم يمضِ أيُّ وقتٍ منذ أن أيقظني في منتصف الليل
كي يعطيني الهاتف والمفتاح، ويخبرني بأنه سيغادر، ولكن لا بد أن
شيئاً غريباً يحدث داخل رأسي إذ لا أستطيع أن أتذكر كيف كان يبدو
حقاً.

كنتُ واثقةً تماماً من أنني لن أراه مرة أخرى أبداً، وهو ما
يجعلني أتساءل ما إذا كان جزء من عقلي الباطن قد قرَّر أنه لا فائدة
من الاستمرار في التمسك به، وأن إبقائه على قيد الحياة في ذاكرتي

سيكون مؤلماً للغاية. أخربش بقلم الرصاص على الورقة، محاولة أن أجترح سحراً يخلقه من العدم، خطوط وجهه الجميلة، وخضرة عينيه، والفم الواسع الذي عادة ما كان يتقوّس في ابتسامة تسكب حمماً منصهرة داخل معدتي.

محاولتي الأولى تبدو حرفياً مثل أيّ شيء عدا نيت، لذا أمرّقُ الورقة وأرميها جانباً. المحاولة الثانية والثالثة ليستا أفضل حالاً، وأستشعر أوّل جمرات الإحباط الساخنة وهي تكبر بداخلي. لكن الرسم الرابع يلتقط شيئاً ما.

إنّه أكثر بقليل من خليط من الخطوط، لكن في وسطها، إذا نظرتُ بالطريقة الصحيحة، يمكنني رؤية منحني ذقن نيت، ويمكنني رؤية الزوايا الحادة لفكه. أترك القلم ينزلق إلى أعلى الصفحة، وأنا أحاول أن أتصوّر عينيه والدفء الذي لطالما رأيته كلّما نظرتُ فيهما، لكن عقلي يخونني إذ يصرخ قائلاً إنّ نيت كان كاذباً، كاذباً محترفاً، وإنّه لم يهتم بي على الإطلاق، ويفقد الرسم على الفور أيّ شيء حقيقيّ تضمّنه لو للحظات.

أكوّر الورقة وأضربُ بها الحائط، فترتدُّ عنه إلى الأرض قرب الأوراق الأخرى بينما أرجع إلى الخلف في كرسيي وأحاول التفكير.

كيف ينبغي أن يكون الحال حين تتظاهر بشيءٍ أنت لست عليه؟ أيّ نوع من الأشخاص يجب أن تكون لتفعل ذلك وتستمرّ في فعله على نحوٍ مقنع لفترة طويلة؟

لا بدّ أنّك تعرفين، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لكم من الوقت تظاهرتِ بعد نفي والدتكِ بأنّكِ جندي صادق ومؤمن؟ ثلاث سنوات؟ حتى النهاية؟

أتجهّم، وأطلبُ من الصوت أن يخرس لأنّ هذا ليس نفس الشيء على الإطلاق. إنه ليس كذلك حقّاً. ربما لم أخبر إخوتي وأخواتي أن إيماني بدأ يضعف، لكنني كنتُ لا أزال الشخص الذي عرفوه دائماً. كنت ما أزال أنا. بينما عاش نيت داخل القاعدة لأكثر من عامين، ولم يكن أبداً كما ادّعى. الناس وثقوا به وأحبّوه، ورحبوا به في عائلتهم، وطوال ذلك الوقت كان يراقب ويستمتع ويكذب ويتآمر.

أنتِ لا تعرفين ذلك. أنتِ لا تعرفين ما إذا كان هو الشخص الذي كنتِ تعتقدين أنه هو حقّاً أم أنّه كان شخصاً آخر. كل ما تعرفينه على وجه اليقين هو أنّه كان يتظاهر بأنه يؤمن بالأب جون والفيلق. تماماً كما كنتِ تتظاهرين.

أطرّد الصوت من رأسي مجدّداً، هذه المرّة بقوة أكبر، لأنني أريد أن أغضب من نيت ولست في الحد الأدنى بمزاج مناسب لأنّ يُملَى عليّ ما يجب أن أفعله أو كيف يجب أن أفكر. حتى لو لم يكذب بشأن طبيعة الشخص الذي كان عليه، فقد كذب بشأن سبب انضمامه إلى الفيلق، وكذب في كل مرة نادى فيها شخصاً ما بالأخ أو الأخت، لأن الناس لا يتجسّسون على عائلتهم. ليس في العادة على أية حال.

هل كان يقدم تقاريرَ عنا؟ أعتقد أنه كان يفعل، لأنه لن يكون هناك فائدة من زرعه بيننا إذا لم يكن يرسل لهم المعلومات.

هل كتب تقاريرَ عني؟ عن الفتاة الصغيرة الغيبّة التي كانت تلحق به مثل جرو، وكانت ممتنة على نحوٍ مثيرٍ للشفقة لاهتمامه بها لدرجة أنها لم ترَ أبداً ما كان ماثلاً أمامها طوال الوقت؟

تطعني الفكرة في صدري مثل سكين.

لا يمكنك تصديق ذلك. الدكتور هرنانديز قال إنّ نيت لم يكن

في الغالب الأعمّ شيئاً سوى نفسه، وماذا سيربح من الكذب عليك؟ عليك أن تصدّقي أن نيت كان صديقك.

أتذكر كل الوقت الذي قضيته مع نيت. اللحظات التي كانت دافئة وسعيدة تبدو الآن باردةً وفارغةً، كما لو أنّ غيوماً داكنة قد استقرّت فوقها. تلاشى اللون والضوء منها، وحلّ محلّهما الرمادي المحايد، وإنّ جزءاً من دماغي ليشعر بالعجب من قدرته على تقويض ذكرياتي، وإعادة كتابة تاريخي بسرعة كبيرة، واستخدام الحقيقة بشأن نيت في اختراق وتمزيق أعماق أعماقي إرباً، تلك النواة الهشة والمضطربة لمن أكون حقاً.

يجب أن أصدق أنه كان صديقي. يجب عليّ ذلك.

أنهض عن طاولة المكتب وأستلقي على سريري.

ستحضر الممرضة هارو غدائي في غضون بضع دقائق، وبعد ذلك سيحين موعد جلسة التفاعل الاجتماعي، ما لم يتم إلغاؤها مرة أخرى. ثم سيمتدّ المساء طويلاً ومثابراً، ثمّ سيأتي الليل وقد يكون نومي خالياً من الأحلام السيئة، وربما لن يحدث ذلك. وبعد ذلك سيكون الصباح، وسأجلس في غرفة المقابلات رقم 1 مرّةً أخرى، وسوف يوجّهان لي نفس الأسئلة التي أنهيا بها جلسة اليوم، مرّةً بعد مرّة.

أعلم أنّهما لن يتوقّفا عن ذلك، لأن ما حدث داخل البيت الكبير هو آخر شيء أعرفه ولا يعرفانه. ولا بأس في ذلك. أنا لا ألومهما حقاً، ولكنني لن أخبرهما بما فعلت.

ليس فقط لأنني خائفة مما سيحدث لي إذا فعلت ذلك.

بل لأنه الشيء الوحيد الذي بقي لي لوحدي.

بعد

مكتبة

t.me/soramnqraa

يخطو الدكتور هيرنانديز داخل غرفة المقابلات رقم 1 ويغلق الباب خلفه .

أنا أخذشُ الضمادة الجديدة التي لَفْتُها الممرضة هارو حول يدي عندما أحضرت لي الإفطار؛ لا يزال الجلد تحتها يبدو لامعاً بعض الشيء، لكنّه الآن يبدو طبيعياً تقريباً، كما أنّه يسبّب حكّةً جنونية. أعبسُ إذ يجلس الرجل ويفتح حقيبته الجلدية.

- «أين العميل كارلايل؟»، أسأله .

يبتسم وهو يرتب أقلامه ودفاتره ويقول: «توجّب عليه الذهاب إلى دالاس اليوم. سوف يعود في الغد». هراء .

- «إذا كان هذا ما تقوله» .

تضيق عيناه قليلاً جداً. «أنا أقول لك الحقيقة، يا مونييم .

- «أنا أصدقك. أنا فقط أتساءل ما إذا كان الناس يقولون لك

الحقيقة» .

- «ماذا تقصدين؟» .

- «لقد كان العميل كارلايل موجوداً في جميع جلساتنا باستثناء

بضع جلسات في البداية. ثم يقرّر كلاكما أنني أكذب بشأن الحريق،

وفي اليوم التالي يتمّ استدعاؤه إلى دالاس؟ هكذا فجأة؟» .

- «ما كنتُ لأدّعي أبداً أنني أعرف كل شيء»، يقول الدكتور هيرنانديز. «أنا لا أَلعب أيّ دورٍ في تطبيق القانون، لذا أنا متأكّد من أنّ هناك عدداً كبيراً جداً من الأشياء التي يتمّ التعتيم عليها أمامي. كل ما يمكنني أن أخبرك به هو أنني شاهدت العميل كارلايل وهو يركب سيارته هذا الصباح بعد أن أخبرني أنه سيعود غداً».

- «أعتقد إذاً أنّه ينبغي بك أن تثق به. وينبغي بي أن أثق بك»، أقول له.

- «هل هذه مشكلة؟»، يقول عابساً.

أهزّ كتفي وأقول: «لا أعرف. لقد كانت مشكلة، ثمّ بعد بعض الوقت بدأتُ أفكرُ أنّها ربما لم تكن كذلك. لكنني الآن لستُ متأكدةً من شيء».

- «سأكون صادقاً معك تماماً. أنا سعيدٌ لأنّ العميل كارلايل ليس معنا هذا الصباح. أعتقد أنّنا شهدنا عدداً من الاختراقات الهامة في الأيام القليلة الماضية، لكن الضرورات المرتبطة بالتحقيق عنثُ أنّه كان علينا التعامل مع هذه الاختراقات بطريقةٍ لم تكن هي خيارٍي الأول. أنا متحمّسٌ للعودة إليك، ومعرفة كيف تبلين».

- «أنا بخير».

يهز رأسه. «إنّه جواب من لا يعتبر هذا السؤال ذا أهميّة».

- «بل إنّها الحقيقة»، أقول له.

يوميّ برأسه، ويكتب شيئاً في أحد دفاتر ملاحظاته. وبينما أنتظر حتى ينتهي، أدركُ فجأةً أمرين. الأول هو أن استجوابي - لأنّ هذا هو ما كان عليه - قد انتهى، والآن سنعود إلى عملية الدكتور هيرنانديز. والثاني أنّ العميل كارلايل يعتقد بوضوح أنّه حصل على كل ما سيحصل عليه مني - كلّ ما هو مفيد، على الأقل - لكنني ما أزال هنا.

أنا لن أخرج من هذا المكان ما حيت.

- «إنَّه غير صحيح»، أقول وأنا أعلم أنه من الغباء أن أطرح طواعيةً ما كنَّا نتحدث عنه بالأمس، لكن جزءاً عنيداً مني يريد مواصلة التطرُّق إلى هذه النقطة، يريد بطريقةٍ ما أن يقنعهما بتجاهل ما لديهما من أدلَّة وتصديق كذبتني. «ما قاله العميل كارلايل عن ذهابي إلى البيت الكبير. إنَّه غير صحيح».

ينهي الدكتور هيرنانديز تدوين ملاحظته ويضع قلمه جانباً. «هذا يشير اهتمامي»، يقول لي.
- «لماذا؟».

- «لقد شاهدتُ اللقطات التي كان العميل كارلايل يشير إليها. رأيْتُك تدخلين البيت الكبير وتخرجين بعد ست دقائق، شاهدتُ ذلك بأمِّ عيني. لذا أعلمُ جيِّداً أنَّ ثمة شيئاً لا تخبريننا به، رغم أنَّني لا أعرف ما هو بالضبط. ولا بأس بهذا، يا مونييم. إنَّ تفاصيل ما حدث في ذلك الصباح مهمَّةٌ للغاية بالنسبة للعميل كارلايل وزملائه، لكنني لستُ محقِّقاً. ما يهمني هو سبب عدم رغبتك في التحدث عن الأمر أياً يكن».

- «إذا أنت أيضاً تدعوني بالكاذبة»، أقول له.
يبتسم لي ثم يقول: «أعتقد أنَّ كلينا يعرف أنَّك لا تقولين الحقيقة كاملة. لا أرى أنَّك مريضة بالوهم، ولا أعتقد أنَّك تعانين من فقدان الذاكرة. أنا مقتنعٌ بأنَّك تتخذين التكتُّم كخيار. إذا كنتِ تريدين أن تستكشفي هذا الخيار، فيسعدني كثيراً أن أساعدك في ذلك، ولكن إذا كنتِ تفضِّلين التحدث عن شيءٍ آخر، فلا بأس بذلك».

- «دعنا نتحدَّث عن شيءٍ آخر»، أقول له.

أجلس مع هوني إلى طاولة في غرفة العلاج الجماعي، نراقب بصمت إخوتنا وأخواتنا يُسلّون أنفسهم.

كانت عينا جيرمايا حمراوين عندما دخلتُ من الباب، لكن حين سألتُه، نفى تماماً أنه كان يبكي. هو الآن يلعب مع أورورا بمكعبات الليغو ويبدو أنه بخير، رغم أنه من المستحيل معرفة ما الذي يدور حقاً داخل رأس أيّ منهم.

- «أخبرتني رينبو أنها كانت تعاني من كوابيس عن الحريق»، تقول هوني بهدوء.

- «لا أعتقد أن هذه مفاجأة كبيرة».

- «قالت إنها كانت محاصرة في غرفتها في المبنى رقم 12. كانت النيران تقترب أكثر فأكثر، لكنها كانت مستلقية على سريرها ولا تستطيع أن تتحرك. كانت تصرخ طلباً للمساعدة، لكن لم يأت أحد».

أتخيّل كيف بدت بينما كانت هي والأطفال الآخرون يشقون طريقهم عبر الفناء نحو البوابة الأمامية وأيديهم مرفوعة فوق رؤوسهم، بينما النيران تستعر في كل مكان والرصاص يتطاير في كل اتجاه، بينما الأشكال الداكنة تنتقل عبر الدخان، والرجال والنساء الذين عرفوهم طيلة حياتهم - إخوتهم، أخواتهم، آبائهم وأمهاتهم - ينزفون ويحتضرون على الأرض.

حقيقة أنهم ليسوا متحجرين تماماً قد تبدو أشبه بمعجزة، إن كنت لا أزال أوّمن بمثل هذه الأشياء.

لقد رحل الإحساس الثقيل بالذنب الذي كان يمزّق أحشائي كلّما نظرتُ إليهم، وأنا ممتنة لذلك. أنا حقاً كذلك. لكنني في الواقع لا أشعر بتحسّنٍ إذ أشاهدهم يلعبون ويدردشون ويضحكون. إن كان هناك من شيء، فهو اعتقادي بأنني في الحقيقة أسوأ حالاً -

لأنه وبطريقة ما من الأصعب الآن الاعتراف بأنه لا يوجد شيء
يمكنني القيام به لتصحيح الأمور.

يقول الصوت في مؤخرة رأسي: ليست وظيفتك أن تصححي
الأمور. أنت تعلمين أنها ليست كذلك.

أعلم أن الحريق لم يكن خطئي؛ إنها حقيقة. وهذه ليست
مسؤوليتي، فأنا لم أضع إخوتي وأخواتي في هذه الغرفة بمفردهم،
ولن أملأ قلوبهم بالحزن.

لكن...

كان جزء مني - جزء آخذ بالتعاضم وممتلئ بالأمل - قد توصل
إلى قناعة مفادها أنني إذا تمكنت من العثور على طريقة أثق من
خلالها بالعمل كارلايل والدكتور هيرنانديز بما يكفي لإخبارهما
بشأن المكالمات الهاتفية التي أجريتها، إذا تمكنت على الأقل من
تحرير نفسي من عبء السرّ الآثم الذي كنت أحمله معي، فسأكون
عندئذ حرة. وفي النهاية، كنت سأجد نفسي قادرة على القيام بما هو
أكثر من مجرد التخلص من الشعور بالذنب - كنت سأتمكن من رؤيته
وهو يتلاشى.

لكن إذ أنظر إلى إخوتي وأخواتي، أدرك أنني لست حرة.

لست حتى قريبة من ذلك.

أنا محاصرة مثلهم تماماً.

بعد

إنّه الصباح الرابع على التوالي حيث لا يكون العميل كارلايل متواجداً.

لم يعد الدكتور هيرنانديز يكلف نفسه عناء تبرير غيابه بعد الآن. أعتقد أنه يعرف أنه لا جدوى من ذلك، لأن ما فهمته في صباح اليوم الأول حيث يُفترض أنه تم استدعاؤه إلى دالاس، كان عين الحقيقة: لقد حصل على كل ما أمكنه الحصول عليه منّي، وقد رحل الآن.

أسوأ جزء هو أنني أفقده.

الآن وقد تلاشى غضبي وخيبة أمني من اختفائه المفاجئ، أنا أفقده فعلاً.

فقد أحببتُ التحدّث إليه؛ في النهاية على الأقل. أحببتُ ذلك، وقد اعتدتُ على وجوده هناك - غمزاته وضحكته العميقة وكيف تقبع عواطفه تحت السطح مباشرة، ودائماً ما توشك أن تتغلّب عليه. لقد أخبرته بأشياء كنت قد وعدت نفسي بأني لن أخبر أحداً بها، ولا أندم على ذلك.

أنا أفهم أنّه كان لديه عملٌ ليؤدّيه. عملٌ انتهى بي الأمر أن أكون جزءاً أساسياً منه. ليس الأمر كما لو كنت أعتقد أننا في الواقع صديقان، وأنّه عندما ينتهي كل هذا سوف يتبناني ويأخذني إلى

المنزل، وسأكون وابنته مثل أختين وسنعيش جميعاً في سعادة دائمة.
أنا لست مغفلة.

كلُّ ما في الأمر أنني أتمنى لو أنه لم يجعل مسألة كوني يُستغنى
عني بهذه السهولة واضحةً إلى هذه الدرجة.

أنتِ تعرفين ما الذي سيجعله يعود. يهمس الصوت في مؤخرة
رأسي. أنتِ تعرفين ما يمكنكِ أن تقطعي وعداً بإخباره إياه. تعرفين
أنه سيأتي جرياً.

أنا أعرف بالفعل، وجزءٌ منِّي يريد أن أفعل ذلك بالضبط. ما
حدث داخل البيت الكبير بدأ يثقل كاهلي، ويجذبني للأسفل، وإنَّ
جزءاً منِّي لا يريد أن يحتفظ بأيِّ أسرارٍ بعد الآن، مهما كانت
التكلفة.

فلتفعلي ذلك إذاً، يهمس الصوت. انتهى من الأمر، مرة
واحدة وإلى الأبد.

لا أستطيع، أقول للصوت. أنت تعرف أنني لا أستطيع ذلك.
لأنَّ هذا لا يتعلَّق بالعمل كارلايل، أو الدكتور هيرنانديز، أو حتَّى
بي. إنه يتعلَّق بإخوتي وأخواتي. يتعلَّق بالأشخاص الذين اعتدت
أن أسميهم عائلتي. لا أستطيع أن أخبرهما.

لا بأس. لا بأس بذلك حقّاً. ولكن ربما يكون هناك شخص
آخر يمكنكِ أن تخبريه؟ يهمس الصوت.

يتجمّد قلبي داخل صدري.

أكرّر كلمات الصوت في رأسي مرّاتٍ عديدة، وأتساءل كيف
أمكن أن يستغرق هذا منِّي كلّ هذا الوقت حتَّى أفكّر به. لأنني
أعرف من الذي يشير إليه الصوت. هناك شخص يمكنني أن أخبره،
وكل شيء يصبح فجأةً شديد الوضوح.

أنا أعرف ما سأفعله بالضبط.

- «كيف حالك هذا الصباح، يا مونبيم؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «أنا بخير، أحتاج أن أخبرك بشيء»، أقول له.

يسند ظهره إلى كرسيه ويقول: «بالطبع. أخبريني».

أخذ نفساً عميقاً. «لقد ذهبتُ إلى البيت الكبير أثناء الحريق. لقد دخلتُ إلى هناك بالفعل»، أقول وأشعر بضيق في صدري إذ أنطقُ الكلمات بصوت عالٍ.

يومئ برأسه. «حسنٌ».

- «آسفةٌ لأنني كذبت. أنا حقاً آسفة. أنا فقط... شعرتُ أنني كنتُ بحاجة إلى ذلك».

- «هل يمكنكِ إخباري لم شعرتِ على هذا النحو؟».

أهز رأسي بالنفي. الأرجح أنني أستطيع أن أشرح له ذلك، وأظنُّ حتى أنه قد يفهمني، لكن الأمر سيستغرق وقتاً طويلاً ولا أعتقد أنَّ لهذا أهمية بعد الآن.

- «لا بأس»، يقول لي. «لا بأس بذلك تماماً. وأياً يكن ما حدث داخل البيت الكبير، إن كنتِ قد رأيتِ شيئاً، أو فعلتِ شيئاً، فأنا أعدك أنَّ كلَّ شيءٍ سيكون على ما يرام، ولن تكوني في أيِّ ورطة».

يظهر صوت الأب جون في رأسي، لأول مرة منذ ما تبدو وكأنها سنوات. سوف تحترقين في الجحيم! الربُّ يعرف ما فعلته وإنَّ عدالته لقاسية! الأبدية في بحيرة النار تنتظرك! أيتها المهرطقة! أيتها الفاجرة! أيتها القا—

أدوس على صوته المذعور بأقصى ما أستطيع، فيسكتُ تاركاً صدى كلماته البغيض وحسب.

ثمّة فرصة في أن يكون على حق - بشأن أنَّ الربَّ يعرف حقاً

ما فعلته. لكنني لا أصدق أن أي شخص آخر يعرف شيئاً عن ذلك. أعتقد أن العميل كارلايل يشك في شيء قد يكون قريباً من الحقيقة، لكنني متأكدة تماماً من أن الدكتور هيرنانديز يحاول طمأنتي فحسب، وهو شيء غالباً ما يفعله.

- «الأمر لا يتعلق بالوقوع في ورطة»، أقول له رغم أن لا يزال يتعلق بذلك حقاً، جزئياً على الأقل. «إنّه متشابكٌ على نحوٍ فوضوي مع الكثير من الأشياء التي لا علاقة لك أو للعميل كارلايل بها. لهذا السبب لم أستطع إخبارك. ولهذا السبب لا أستطيع إخبارك».

- «حسنٌ. بمَ له علاقة إذا؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

- «بي، بفيلق الرب، بالأب جون»، أقول له.

يحدّق بي. أعلمُ أنه يحاول معرفة ما إذا كنت أقول الحقيقة فعلاً أو أحاول فقط كسب الوقت بكذبة أخرى. ألتقطُ نظرتي، وأتمسكُ بها.

- «حسنٌ»، يقول في النهاية. «لا يمكنكِ إخباري ولا يمكنكِ إخبار العميل كارلايل، لكنكِ على استعداد لإخبار شخص ما. هل أفهم هذا على النحو الصحيح؟».

أومئُ برأسي موافقة.

- «حسنٌ، لمَ لا تخبريني بمَ يدور في ذهنك؟».

شكراً لك.

أومئُ برأسي مرة أخرى، ثم أقول: «أحضر نيت إلى هنا. سأخبره بما حدث داخل البيت الكبير. بعد ذلك، يمكنه أن يخبرك ويخبر العميل كارلايل وأي شخص آخر يحتاج أن يعرف. بعد ذلك، لن أكرث بشيء».

بعد

شعرتُ بتوترٍ وانقباضٍ في معدتي حين فتحتُ الممرضة هارو باب غرفة المقابلات رقم 1.

استلقيتُ مستيقظة معظم الليل، وأنا أحاول تخيّل ما سأشعر به عندما أرى نيت من جديد. أعتقد أنني سأشعر بالغضب منه لأنه لم يثق بي بما يكفي لإخباري بحقيقة مَنْ هو حقاً، ليس حتى في النهاية عندما كانت العتمة تقترب وترخي بظلالها. لكنني في الغالب متحمّسة فحسب لفكرة أن أكون قادرةً على التحدّث إلى شخص يفهم حقاً المكان الذي ترعرعتُ فيه، والحياة التي أُجبرت على خوض غمارها، شخصٌ لن أكون مضطّرةً إلى شرح أي شيء له.

أجلس على الأريكة الحمراء وأنتظر بفارغ الصبر. يخطو الدكتور هيرنانديز إلى الغرفة بعد دقيقة أو نحو ذلك، وأعلم حالماً أرى وجهه أنّ نيت ليس هنا. هو يرسم ابتسامة عريضة على وجهه، لكنّها لا تصل إلى عينيه.

- «صباح الخير، يا مونييم»، يقول. كيف الحال —.

- «إنه ليس هنا، أليس كذلك؟»، أقول له.

تختفي الابتسامة. «أخشى أنّه كذلك. لقد قمتُ بتمرير طلبك إلى رئيس القسم المكلف بالتحقيق صباح أمس، بمجرد أن أنهينا جلستنا. قالوا لي إنهم سيقيمون الطلب ويرجعون إليّ».

- «هل تصدّقهـم؟» ، أسأله .

- «نعم» .

أبتسم وأقول : «أعتقد أنّ هذا يجعل واحداً منا كذلك» .

بعد

نمتُ بشكلٍ سيّءٍ للغاية لليلة الخامسة على التوالي . لا أتذكر ما إذا كنت أحلم، لكنني استيقظتُ وأنا غارقةٌ في العرق وقلبي يترنّح داخل صدري، لذا أظنُّ أنّ هذا ربّما يكون للأفضل .

يدخل الدكتور هيرنانديز إلى غرفة المقابلات رقم 1 في تمام الساعة العاشرة، وقبل أن يغلق الباب، أسأله نفس السؤال الذي بدأتُ أطرحه كل صباح .
«أيُّ أخبار؟» .

فيمنحني ابتسامةً صغيرةً جداً، ويهز رأسه بالنفي .

بعد

عاد العميل كارلايل .

يلحقُ بالدكتور هيرنانديز عبر الباب ، ويمنحني ابتسامةً عريضة . ينبغي بي أن أكون غاضبةً منه ، فمن الواضح أنه تخلى عني بمجرد أنه لم يعد لديّ أيُّ شيءٍ مفيدٍ لأخبره به ، ولكن إذ يجلس الرجلان على كرسيّهما المعتادين خلف المكتب ، يغلبني شعورٌ جارفٌ غريب بالسعادة ، لأنّ كلّ شيءٍ عاد فجأةً إلى ما كنتُ قد بدأتُ أعتبر أنه الوضع الطبيعي .

أردُّ الابتسامة للعميل كارلايل ، وأنا متفاجئة من مدى سعادتي برؤيته . كنتُ إلى حدٍّ بعيدٍ قد استسلمتُ لواقع أنّ الدكتور هيرنانديز والممرضة هارو وإخوتي وأخواتي سيكونون الأشخاص الوحيديين الذين سأتمكّنُ من التحدّث إليهم من الآن إلى أن يحين وقت خروجي من هنا .

هذا إن خرجتُ يوماً .

أخبرتني هوني أنّ عليهم أن يطلقوا سراحي عندما أبلغ الثامنة عشرة من عمري . لا أعرف من أين أتت بهذه الفكرة ولا أعرف ما إذا كانت صحيحة أم لا ، ولكن حتى لو كانت كذلك ، فلا يزال ذلك بعد أشهرٍ من الآن . وأنا عاجزةٌ عن التخلص من الشعور بأنهم سيكونون قادرين على إبقائي محبوسة قدر ما يشاؤون ، إذا ما قرر

الدكتور هيرنانديز أن هذا هو الأفضل لي. الأمر ليس كما لو أن أي شخص سوف يتحدث بالنيابة عني.

لا أعرف لماذا لم يأت نيت. ربما كان العميل كارلايل هو الوحيد الذي اهتمّ فعلاً بما حدث داخل البيت الكبير، وربما كان من الغباء أن أفكر خلاف ذلك. ربما أرسل نيت في مهمّة تجسس في مكان ما وليس بوسعهم إخراجه. أو ربما كان الدكتور هيرنانديز هو الشخص الوحيد عدا إختوتي وأختواتي الذي لم ينسَ أمري. هذا بالتأكيد ما كنتُ قد بدأتُ أو من به، حتى ما قبل حوالي خمس ثوانٍ. - «مرحباً يا مونبيم. لم أرك منذ وقت طويل»، يقول العميل كارلايل.

خطأ من هذا؟

- «لقد كنتُ هنا بالضبط»، أقول له.

تبهتُ ابتسامته. «بال تأكيد».

- «كيف حدث أنك عدت؟»، أسأله.

تختفي ابتسامته تماماً بينما ينظر إلى الدكتور هيرنانديز، وأشعر ببرودة مألوفة تتسلّل صعوداً عبر عمودي الفقري. ماذا الآن؟

- «أخشى أن لدى العميل كارلايل بعض الأخبار السيئة، يا مونبيم»، يقول الدكتور هيرنانديز، وأجد نفسي أقاوم الرغبة في الضحك، فهل من نوع آخر للأخبار؟ «سوف نتحدث بالأمر طالما أنت بحاجة لذلك، لكنني أريد منك أن تخبريني على الفور إذا شعرت أنه عليك التوقف. اتفقنا؟».

يتجمّد قلبي، وأشعر به مثل حجرٍ صلبٍ داخل صدري. «هل هي أمي؟».

- «لا، إنها ليست أمك»، يجيب الدكتور هيرنانديز بسرعة.

أشعر بصدرِي يسترخي قليلاً. «حسنٌ، ما الأمر إذا؟».

يأخذ العميل كارلايل نفساً عميقاً، ثمَّ يقول: «إنه نيت تشايلدرس، أخشى أنه قد مات، يا مونيم. أنا آسف جداً».

أحدّق فيه. أوّل فكرةٍ يائسةٍ تخطر ببالي هي أنّ هذا اختبارٌ من نوع ما أو ربما خدعة؛ خدعةٌ فظيعة ولئيمة، لكنني أنظر في عينيه وكلّ ما يمكنني رؤيته هو الألم.

- «ماذا...»، تخذلني الكلمات، فأحاول مرة أخرى. «أنا

لا...».

يخلّصني العميل كارليل من بؤسي. «لقد عُثر على جثته قبل أسبوع. كانت قد دُفنت في قبرٍ سطحيٍّ على بعد نصف ميل من مجمّع فيلق الرّب. التحقيق جارٍ في جريمة قتل، والأمر برمّته كان سرّياً حتى ليلة أمس. ما أُفْرِج عنه حتّى الآن هو الاستنتاجات الأوّلية فقط، لكنّ حالة الجسد تشير إلى أنّه قضى قبل أشهرٍ عديدة. النظرية هي أنه قُتل —».

- «في الليلة التي هرب فيها»، أقول بصوتٍ أشبه بالهمس. يتجهّم وجه العميل كارلايل. يخيمُ قلقٌ واضح على ملامحه، وتبقى عيناه مثبّتين عليّ بينما يميل الدكتور هيرنانديز إلى الأمام في كرسيّه ويسألني:

- «مون بيم؟ هل أنت بخير؟».

أنظرُ إليه. لا أستطيع حتى أن أتخيل ماذا يريد منّي أن أقول. يجعلُ عبوسٌ عميق جبينه: «مونيم؟ تحدّثي إليّ»، يقول لي. أحبسُ دموعي في زوايا عينيّ، وأحاول أن أخرج الكلمات عبر الالتفاف حول الكتلة التي ظهرت في حلقي. «ماذا حدث له؟».

- «لقد خُنق»، يقول العميل كارلايل. «أنا آسف».

- «بيديّ الأب جون؟»، أبصقُ الكلمات بصقاً.

- «من المستحيل أن نقول ذلك على وجه اليقين. أنا متأكد من أنك لن تتفاجئي بمعرفة أن وحدة التحقيق قد أدرجت كلاً من جون بارسون والثلاثة الذين كانوا يشغلون منصب قادة السرايا في ذلك الوقت كمشتبه بهم رئيسيين».

لونستار. بير. أنجل. إخوتي.

تسري قشعريرة على طول ذراعي. أركز فيها، في آلاف النتوءات الدقيقة التي ظهرت على بشرتي، لأن كل شيء آخر كبير جداً ومؤلم جداً.

- «من غير المستحيل أن يتمكن الطب الشرعي من اكتشاف دليل حاسم»، يتابع العميل كارلايل، «لكنني أخشى أن يكون ذلك غير مرجح».

«هو لم يهرب إذا»، أقول وأنا أحاول حمل نفسي على التفكير ومعالجة ما يقوله الرجل لي، لكن عقلي يشعر بالخدر. كل شيء بي يشعر بالخدر. «لقد قتلوه».

يومي برأسه. «النظرية التي يتم العمل عليها هي أنه قد أُلقي القبض عليه وهو يحاول الهرب».

فكري. اهدئي وفكري في الأمر ملياً.

- «إذا لم كان الأب جون غاضباً جداً في صباح اليوم التالي؟».

- «أنت أخبريني. ماذا كان يمكن أن تكون ردود الفعل ضمن الفيلق إذا أعلن أنه وقادته قد قتلوا شخصاً ما؟».

أفكر في السؤال بعناية بقدر ما يسمح لي دماغي المضطرب. لن يكون لدى عدد غير قليل من إخوتي وأخواتي الراحلين مشكلة في قتل خادم الشيطان المزعوم - كانوا سيرون الأمر على أنه تحقيق لعدالة الرب. لكنني متأكدة تماماً من أن معظمهم، ولا سيما أولئك

الرجال والنساء الذين انضموا إلى الفيلق منذ ما قبل التطهير، كانوا سيجدون صعوبة بالغة في قبول الأمر.

ما أعرفه على وجه اليقين هو أن مثل هذا الإعلان كان سيسبب هلعاً تاماً داخل القاعدة. كان الناس سيتوقعون أن رجال الحكومة سوف يأتون للبحث عن جاسوسهم المفقود، وبمجرد أن...

- «لماذا لم يأت أحد؟ لقد اختفى نيت قبل شهرين من الحريق. ألم يلاحظ أحد أنه مفقود؟»، أسأله.

يقول العميل كارليل: «لم يكن لديه جدول مواعيد للإبلاغ عن حالته. القيود والإجراءات المشددة داخل مجمع الفيلق لم تكن تسمح بالاتصال على نحوٍ منتظم. إن مرور عدة أشهر دون أن يسمعوها منه كان أمراً طبيعياً على ما يبدو، لذلك لم يدرك مشغله أنهم يواجهون مشكلة حتى انتهى التحقيق الأولي في الحريق. توقع عملاء مكتب الكحول والتبغ والأسلحة النارية أن يرونها يخرج مع بقية الناجين، وعندما لم يحدث ذلك افترضوا أن إحدى الجثث التي تم سحبها ستكون له».

البرودة التي قبضت على عمودي الفقري تنتشر الآن ببطء في جسدي كله. أعلم أن ما يقال لي هو شيء فظيع، وأنا مدركة إلى حد ما للآثار التي قد تترتب عليه، لكنني أحاول في اللحظة الراهنة أن أشعر بشيء تجاه نيت، أن أشعر بأي شيء تجاهه، ويبدو أنني لا أقدر على ذلك فحسب. كل ما أشعر به هو أنني متعبة. متعبة جداً جداً جداً.

- «هل من شيء آخر تودّين معرفته؟»، يسأل العميل كارلايل. «المعلومات التي لديّ محدودة للغاية، لكنني سأخبرك بكل ما أستطيع إخبارك به».

- «هل كانت لديه عائلة؟ هل كان هناك أشخاص في الخارج ينتظرونه؟»، أسأله بصوتٍ أقرب للحشرة.

- «كان له والدان وأخت في أريزونا، لقد تمَّ إبلاغهم. لم يكن متزوجاً وليس لديه أطفال»، يقول العميل كارلايل.

أومئُ برأسي، لأنني لا أملك أدنى فكرة عما يمكن قوله. المزيد من الحزن، المزيد من البؤس، المزيد من الأرواح المحطمة. المزيد من الألم.

- «أنا آسف جداً، يا مونييم. أنا حقاً كذلك. لا شيء أحبُّ إليَّ من المجيء إلى هنا ذات صباح لإبلاغك ببعض الأخبار التي تجعلك سعيدة بالفعل. لقد تناقشنا بشأن إخبارك عن نيت، ولكن في النهاية، لم يعتقد أيُّ منا أنَّ إخفاء الأمر عنك هو الخيار الأنسب. أمل أنَّك ترين أننا اتخذنا الخيار الصحيح».

لا. نعم. لا أعرف.

يقول الدكتور هيرنانديز: «سوف أنهي هذه الجلسة عند هذه النقطة. هذا كثيرٌ جداً لاستيعابه، وأريد التأكد من أنَّ لديك الوقت والمساحة اللازمين لمعالجته. لكنني سأكون هنا كالعادة لبقية النهار. إن احتجت إليَّ، أخبري إحدى الممرضات وسأكون هناك بأسرع ما يمكن».

أتدبّر إيماءة صغيرة وأقول له: «شكراً لك».

أجلس على سريرى بينما تغلق الممرضة هارو باب غرفتي. تأتي الدموع حالماً أسمع صوت القفل ينزلق في مكانه، وتتدفق مني بقوة كما لو أنها لن تتوقَّف أبداً.

أحاول أن أتخيل نيت الذي عرفته، الرجل اللطيف المحترم الذي لم يعاملني أبداً كفتاة صغيرة وتحمل إعجابي به ولم يستغله

أبداً. لكن الصورة الوحيدة التي يمكن - أو يريد - أن يستحضرها
دماغي المسموم الخائن هي صورة نيت مع يدين مجردتين تقبضان
على رقبتة بإحكام، ووجهه الوسيم يستحيل أرجواني اللون، وعينه
الخضراوان الجميلتان تجحطان بينما تنسحب الحياة خارجةً منه.
أرى القبر الذي ينتظره، حفرةً ضحلة في الصحراء محاطة بحشد من
الذئاب والنسور الذين ينتظرون بصبر أن يتقاتلوا على أحشائه.

أنهض مترنحةً عن السرير، معدتي تتشنج بشدة، وأميل فوق
حوض المغسلة، إذ أشعر فجأة أنني سأتقيأ بالتأكيد. أسعلُ وأبصق،
ثم أسعلُ مجدداً وأحاول أن أخرج ما في جوفي، يتأرجح جسدي
بشكلٍ خارجٍ عن السيطرة، لكنني أعجز عن التقيؤ. تتساقط الدموع
بوتيرة ثابتة في الحوض وأستطيع تذوق طعم الملح، تشتعل بشرتي
كلها بحرارة لاهبة، وأرفض النظر إلى الصفيحة المعدنية المصقولة
التي تؤدي دور المرأة لأنني لا أريد أن أرى وجهي.

إذ تستقر معدتي أخيراً، أخرج نفسي إلى مكتبي وأبدأ بالرسم.
يحفر قلم الرصاص أخاديد عميقة في الورقة، وخطوطاً سوداء
وأشكالاً خشنة فيما أحاول أن أمنح شكلاً للغضب والحزن اللذين
يملآنني؛ أن أجعلهما يخرجان مني بطريقة ما وأحبسهما في الورقة.
كنتُ مؤمنةً أن نيت قد هرب.

من كل قلبي، كنت مؤمنةً بذلك.

حتى في تلك الأيام الأخيرة الرهيبة، عندما شككتُ في كل
شيء ولم أعد أثق في أي شيء، كنت مؤمنةً دائماً أنه هرب وأنه كان
في مكان ما في هذا العالم، تماماً مثل أمي. لكن إذا كان نيت —
لا تفعل ذلك، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. لا تسلكي

هذا الدرب. ما من نهاية جيدة له.

لكنني لا أستطيع منع نفسي.

إذ ما الذي رأيته حقاً في اليوم الذي طُردتُ أمي فيه؟ لقد أخرجها آموس من القاعدة في الشاحنة الصغيرة، ثم عاد من دونها. أخبرني الأب جون أنه سيتمُّ إيصالها إلى لايفيلد حيث ستترك هناك، لكن ماذا لو كان قد أعطى أمراً آخر، أمراً لم أسمعته؟ ماذا لو أخذ آموس أمي إلى الصحراء و—

لا تفعلني هذا بنفسك، يقول الصوت متوسلاً. أرجوك لا. أغمض عيني، آخذ نفساً عبر أنفي وأزفره عبر فمي مرةً بعد مرة، حتى بدأ رأسي يصفو شيئاً فشيئاً. إذ أفتحهما مجدداً، كانت الفكرة البغيضة قد رحلت. ومع ذلك، يبقى جذرها ملتفاً ومتشابكاً وشائكاً ويستحيل أن أتمكن من تجنبه أو التخلص منه. رحلتُ أمي.

مات نيت.

وهو ما يترك إخوتي وأخواتي، والعميل كارلايل، والدكتور هيرنانديز، ككل ما تبقى لي في هذا العالم.

بعد

تضع الممرضة هارو صينية إفطاري على المكتب وتخبرني أن جلستي الصباحية قد ألغيت، لكن الدكتور هيرنانديز تحت الطلب إذا ما احتجتُ إليه.

كنتُ قد أُعفيتُ من جلسة التفاعل الاجتماعي بعد ظهر أمس. لم أمانع ذلك. لم أرغب بالتحدث إلى أي شخص، ولا أعتقد أنني كنت سأترك أثراً إيجابياً جذاً على إخوتي وأخواتي الصغار. بدلاً من ذلك، رسمتُ، وذرعتُ الغرفة جيئةً وذهاباً، واستلقيت فوق سريري، ثم في وقت ما وبعد أن تحوَّلت قطعة السماء المربَّعة الصغيرة التي أراها عبر النافذة العالية إلى اللون الأسود، نمت. لا يمكنني أن أتذكَّر أحلامي، إن كان هناك من أحلام. يبدو ذلك ضرباً من ضروب الرحمة.

الإفطار عبارة عن زبادي وفاكهة ولحم مقدَّد وكدسة صغيرة من الفطائر المحلّاة، وكوب بلاستيكي من عصير البرتقال. كلّها تبدو شهية لكنني لستُ جائعة على الإطلاق. أشعر بخواء تامّ، لكنني لا أعتقد أنه شعور جسدي حقاً.

أعلم أنه ينبغي بي أن أكل شيئاً ما، لذا أجبر نفسي على تناول نصف الفطائر وقطعتين من الفاكهة، رغم أن عمليّة البلع تحقّز الإحساس بحنجرتي على نحوٍ كبير، وهو ما يعيد إلى ذهني صورة

وجه نيت المتورّم والمختنق. أحاول دفع الصورة بعيداً، لكنّ التركيز على ذلك يجعلها تصبح أكثر وضوحاً وتفصيلاً فحسب، ويبدو كما لو أنّ عقلي مصمّم على أن يسلّط الضوء على أسوأ ما فيها: الأوعية الدموية المتكسّرة في عينيه، والشعيرات الدموية المتفجّرة تحت جلده، واللعب والزبد على شفثيه.

أشعر بمعدتي تدور بسرعة، فأركض إلى الباب وأضغط على زر النداء على الحائط بجانبه. وعلى الفور وكما لو أنّه سحر، تفتح الممرضة هارو الباب وتسال إن كنت بخير.

- «لا»، أقول إذ لا أرى أيّ جدوى من الكذب عليها.

- «هل أنت مريضة؟ هل تريدني منّي أن أحضر أحد الأطباء؟». أهزّ رأسي. «هل يمكنك أن تطلبي من العميل كارلايل أن يأتي لرؤيتي؟».

تعبس وتقول: «يجب أن أمرّر هذا الطلب إلى الدكتور هيرنانديز».

- «لا بأس»، أقول لها. «اطلبي منه ألا يأتي مع ذلك. أريد أن أرى العميل كارلايل فقط».

- «حسنٌ، يا مونييم. سوف أنقل طلبك إليه الآن»، تقول وقد خفّ عبوسها دون أن يخفني تماماً. - «شكراً لك».

تبتسم لي الممرضة هارو ابتسامة صغيرة غير مقنعة، ثم تخفني في الرواق.

أحاول الرسم بينما أنتظر عودتها بإجابة الدكتور هيرنانديز، لكن كل شيء يخرج على نحوٍ غريب وبشع، لذا أكوّر الورقة، وأذهب

لأستلقي على سريري، حيث أحتقُ بالسقف حتى أسمع الصوت المألوف لمفتاح يدور في قفل. أنزل بقدميَّ على الأرض وأجلس فوق السري، وأنا أنتظر رؤية وجه الممرضة هارو الذي لا نهاية للطفه، ولكن إذ انفتح الباب كان العميل كارلايل هو الذي دخل إلى غرفتي.

- «هنا يحتفظون بك إذاً، إنَّه مكانٌ فاخر»، يقول وهو يبتسم لي.

أبتسمُ له بالمقابل. «إنَّه بمثابة ترقيةٍ للمكان الذي كنت أعيش فيه، صدق أو لا تصدق».

يغمغم ضاحكاً. «أنا أصدقك».

- «شكراً لقدومك. لم أعرف إن كانوا سيسمحون لك بذلك. أم إن كنتَ سترغب في القدوم»، أقول له.

- «أمسك بي الدكتور هيرنانديز في موقف السيارات قبل أن أغادر. من المفترض أن أكون في طريقي إلى أوديسا».

- «هل ستقع في مشكلة لعدم ذهابك؟».

تتسَّع ابتسامته ويهز كتفيه. «سيتعيَّن عليهم أن يتدبَّروا أمورهم من دوني وحسب»، يقول ثمَّ يمسك بالباب موارباً. «أنا بحاجة إلى ترك هذا مفتوحاً. هل يناسبك ذلك؟».

- «لماذا؟»

- «ثمة قواعدُ بشأن التواصل غير الخاضع للمراقبة. إنها نوعٌ من إجراءات الحماية وضمان السلامة».

أبتسم، وأقول: «يمكنني إذاً طلب المساعدة إذا ما قررت مهاجمتي لسببٍ ما؟».

- «هذا صحيح».

تظل كلمة «غير خاضع للمراقبة» عالقةً في ذهني. «هل يعني ذلك عدم وجود أيّ كاميرات هنا حقاً؟». يهز كتفيه. «ليس على حدّ علمي. إذاً، ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك، يا مونييم؟».

ألتف فوق السرير وأجعل ظهري إلى الحائط، ثمّ ألفت ذراعي حول ركبتي، وأقول له: «كان ذلك صعباً عليك، صحيح؟ أعني أن تستمع إليّ وأنا أتحدّث عن الفيلق؟».

يوميّ برأسه دون تردّد، ويقول: «لقد كان صعباً بالفعل. آسفٌ إن كان الأمر واضحاً، ولكن... نعم. لقد وجدت الأمر صعباً، بل صعباً جداً في بعض الأحيان». - «لماذا؟».

تلمع عيناه قليلاً إذ يفكّر في سؤالي. «أعتقد أنني أحب أن أصدّق أنّ العالم مكانٌ عادل في الأساس»، يقول بعد لحظة. «أنا واثقٌ أنّ هذا يبدو ساذجاً، خاصة بالنسبة إليك، وقد رأيتُ الكثير من الاستثناءات الرهيبة على مدار مسيرتي المهنية، لكنني أنام بصورةٍ أسهل في الليل عندما أتمكّن من إقناع نفسي بأنّ الناس يحصلون على ما يستحقونه في العموم. هل تفهمين ما أعنيه؟». أوميّ برأسي. «أعتقد ذلك».

- «حسنٌ، هذا ما في الأمر. لا أشكُّ للحظة في أنّ الكثير من الأشخاص داخل الفيلق، وربما حتى الغالبية منهم، كانوا يعيشون بالطريقة التي اعتقدوا أنّ ربّهم أراد منهم أن يعيشوا من خلالها. أعلم أنّهم كانوا كذلك، لأنّك أخبرتني عنهم. أعتقد أنّهم كانوا أشخاصاً محترمين، ولا أعتقد أنّهم كانوا يقصدون أيّ ضرر، لكنّ هذا لا يغيّر حقيقة أنّ الأمر انتهى بهم جثثاً هامدة على الأرض وبنادقهم في أيديهم لأنّ جون بارسون أخافهم وغسل أدمغتهم

وحشاها بالأكاذيب. لقد رأيت صوراً لهم، هؤلاء الرجال والنساء الذين دفعوا أرواحهم لأنهم وضعوا ثقتهم بالشخص الخطأ، وأنا إذ أنظر إليهم لا أرى أنهم كانوا أغبياء أو أشرار أو ضعفاء. أعتقد أنهم تعرضوا للتضليل، كما أعتقد أن ما حدث لهم يمكن أن يحدث لأي شخص إذا توقّرت الظروف المناسبة. قد يحدث لأناسٍ أعرفهم؛ أناس أحبهم. وأحاول أن أتخيل كيف سيجعلني ذلك أشعر، لكنني أعجزُ عن ذلك. لا أستطيع حتّى أن أتخيل من أين سأبدأ».

أنا متأكّدة من أن هذا هو أكثر ما سمعته يوماً يقوله دفعةً واحدة. إنّه يبدو شاحباً أكثر قليلاً ممّا كان عليه عندما دخل عبر الباب، لكنّ عينيّه ظلّتا تنظران في عينيّ بثبات.

- «جزءٌ منّي يأمل أنّ الأب جون كان على حق طوال الوقت»، أقول له. «هذا يعني أنّ جميع إخوتي وأخواتي الأموات يجلسون بجانب الرب الآن، تماماً كما كان يعدّهم».

- «لكنّك لا تعتقدين أنّ هذه هي الحال؟».

أهز رأسي.

- «هل تحداه أحد؟ عندما طلب من الجميع القتال حتى النهاية، هل رفض أحد ذلك؟»، يسأل العميل كارلايل.

ذكريات ذلك الصباح، التي لم تكن بعيدة عن السطح، تندفع متسارعةً إلى رأسي - النيران، الدخان، الدم.

- «نعم»، أقول له. «رأيت بعضهم يحاولون الاختباء. لكن هذا لم يكن كافياً لينقذهم».

يهز رأسه. «لا، لم يكن كذلك».

- «إنهم ليسوا من تسأل عنهم، أليس كذلك؟»، أقول له.

يهز رأسه مجدّداً.

- «أنتَ تعرف، أليس كذلك؟».

يبتسم لي العميل كارلايل ابتسامةً لطيفة. «لَمْ لا تخبريني
فحسب بما حدث عندما دخلتِ إلى البيت الكبير؟».
أحدقُ فيه.

هَيَّا، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي. أخبريه. فلتنتهي من كلِّ
شيءٍ.
أخذُ نفساً عميقاً.

قبل

تتسّع عينا بيلاً وترفعُ المسدس باتّجاهي، إلّا أنّني كنتُ قد تحرّكتُ بالفعل فقد حظيتُ بسلاحٍ مصوّبٍ نحوي في الدقائق الخمس الأخيرة، وذلك أكثر من كافٍ.

أضربها بيدي على معصمها ضربةً عنيفةً ترتجّ ذراعي بالكامل من قوّتها، فتصرخ بيلاً من الألم مع سقوط مسدّسها على الأرض. أهرعُ للأمام وأدفعها بعنفٍ في صدرها. تترنّج متراجعةً إلى الوراء حتى تتشابك قدمها وتتمدد واقعةً على ظهرها. أتقدم نحوها بقبضتين مشدودتين، وأنا خائفة وقلبي يضخُّ كمّيات هائلة من الأدرينالين، ولا أعتقد أنّني شعرت يوماً بغضبٍ شديد وخارجٍ عن السيطرة كالذي أشعر به الآن. أنتزع المسدّس من الأرض وأصوّبه نحو قلبها.

- «أين هي، يا بيلاً؟»، أقول بسخطٍ شديد. «لن أسألك مرة أخرى».

- «لا أعرف»، تقول بيلاً.

- «لا أصدّقك»، أقول، وأرفع المسدّس مصوّبةً بين عينيها.

- «أخبريني أين هي في الحال».

- «هي بأمان. هي مع النبيّ»، تهمس بيلاً.

- «أين؟ في البيت الكبير؟»، أسأله.

تومئ برأسها. لا أضيع وقتاً في قول أيّ شيء آخر. أتركها

ملقاة على الأرض، وأعود من الطريق التي أتيت منها.

ألسنة اللهب البرتقالية تلتهم سقف البيت الكبير بينما أقترّب منه، مرسلّة عموداً من الدخان الأسود إلى السماء. الهواء كثيف ولاذع، أسعل بقوة وأنا أضغ يدي على فمي، والدموع تنهمر مدرارة من عينيّ مع وصولي إلى الدرجات. إذ أصدّ إلى الشرفة، يهدر على نحوٍ متزامن تقريباً صوت يصمّ الآذان لأربع طلقات نارية من داخل البيت. أرتمي على الأرض بقوة، وقد تملّكني الرعب.

ليس هوني. أوه، أرجوك. ليس هوني. أرجوك.

أبقى منخفضة أحاول الإنصات، ووجهي مضغوط فوق الألواح الخشبية الساخنة، وقلبي يضرب بعنفٍ بين ضلوعي، لكن داخل المبنى ثمة صمتٌ ثقيل. على امتداد الفناء خلفي، يبدو أن إطلاق النار قد ضعّف قليلاً، لكنني لا أجرؤ على السماح لنفسي بالتفكير فيما قد يعنيه ذلك. بدلاً من ذلك، أقف على قدمي وأركل الباب الأمامي وأدخل البيت الكبير، ومسدّسٌ بيّلاً يرتجف في يدي.

أول شيء أشمه هو رائحة دخان البنادق.

أول شيء أراه هو الدم.

إنّه في كلّ مكان، متناثرٌ على الجدران وجارٍ فوق الأرض في أنهار متلاثلة. تخترق رائحة نحاسية فظيعة الدخان اللاذع وتسبّب لي الغثيان. آخذ بضعة أنفاسٍ عميقة، وأغمض عينيّ للحظة قصيرة، ثم أجبر نفسي على إلقاء نظرة على الغرفة التي باتت أشبه بمسلخ الآن. أمام موقد النار تستلقي أربع جثث على شكل دائرة. اختفت أقحاف رؤوسهم، لكنني أتعرفُ عليهم جميعاً.

بير، لونستار، جاكوب، إنجل.

قادة سرايا الأب جون.

ثلاثة منهم يحملون مسدسات في أيديهم الميتة، وثمة بندقية

ملقاة على الأرض قرب أصابع اليد المفتوحة لرابعهم . يطفو دخان رماديّ خارجاً بتكاسلٍ من أفواههم . عيونهم مغلقة ، سيقانهم مثنية ، ركبهم مضمومة إلى بعضها ، وأجد نفسي أقاوم فجأة موجة من الغثيان إذ أدركُ على نحوٍ صاعقٍ ما الذي حدث هنا حقاً .
لقد كانوا راكعين . عندما أطلقوا النار على أنفسهم ، كانوا راكعين .

صوت حائرٌ بين الشهيق واللهاث يخرج من بين شفتيّ . لأنّ هذا جنون ، هذا تماماً —
ثمة جلبةٌ إلى يساري .

أستدير ، والمسدس يرتعش في يدي ، لأشاهد الأب جون يخطو عبر الباب أسفل الدرج ، ذاك الذي يؤدي إلى الطابق السفلي . يتوقف إذ يراني وتضيّق عيناه .

- «مونبيم» ، يقول بصوتٍ لا يزال مسكوناً بنيرانه الهادرة .
«لماذا لا تقاتلين مع إخوتك وأخواتك؟ ألم تسمعي الأمر الذي أعطيته؟» .

- «لقد سمعته» ، أقول ويمكنني سماع الغضب يجلجل في صوتي ، يمكنني سماعه فعلاً . «لماذا أنت لا تقاتل ، يا أبت؟ لماذا أنت مختبئٌ هنا؟» .

- «راقبي ألفاظك . لدى الرب خطة لكل واحد منا . إنه لا يخطئ» ، يقول وقد أخذ وجهه يمتقع .

- «حقاً لا يخطئ؟ ماذا حدث لقادة السرايا؟» ، أسأله .

يعبس وكأنني سألت سؤالاً غيباً . «لقد ارتقوا» .

- «هل طلبت منهم أن يفعلوا ذلك؟» ، أسأل ، رغم أنني أعرف الإجابة بالفعل . أريد أن أسمعه يعترف بذلك فحسب .

- «لقد شرحتُ ما يطلبه الرب منهم. أنا لم أضع المسدسات في أيديهم. أنا مجرد رسول»، يقول الأب جون.
- «أنت قاتل»، أجأُزُّ بأعلى صوتي. «لقد وثقوا وآمنوا بك والآن هم موتى، تماماً مثل نصف الناس في الخارج. لقد قتلَهم. أنتَ مَنْ فعل ذلك».
- «إخوتك وأخواتك يقاتلون بشجاعة ضدَّ خَدَمَةِ الشيطان، وهو أكثر بكثير مما يمكن أن يقال عنك، يا مونييم. إنَّهم يفهمون ما الذي على المحك، وإذا اختار الرب هذا اليوم ليدعوهم إليه، فسوف يرتقون ممجدين».
- «لَمْ إِذَا لَمْ تَرْتَقِ مع قادة السرايا؟»، أسأل.
- «لم ينته الرب مِنِّي بعد. لا يزال هناك عملٌ أقوم به في هذه الدنيا»، يقول الأب جون.
- أحدقُ فيه بينما يخطر شيءٌ ببالي. إنه شيءٌ مروّع، لكنني أدركُ على الفور أنه الحقيقة، يمكنني أن أشعر بها في أعماق أعماقي.
- «لقد أخبرتهم، أليس كذلك؟ أخبرتهم أَنَّكَ ستموت معهم»، أقول.
- «كيف لي أن أعرف بمَ كانوا يفكرون في لحظاتهم الأخيرة؟ لقد ارتقوا بابتسامات على وجوههم ومجد الرب في قلوبهم، فبِمَ يهْمُ ذلك إِذَا؟».
- أرفع المسدَّس وأوجهه إلى وسط صدر الأب جون، حتى دون أن أعي أنني أفعل ذلك. فيقف الرجل ثابتاً بلا حراك.
- «لا تكوني غبية، يا مونييم. أعطني المسدَّس»، يقول لي.
- أهز رأسي. «أين هوني؟».
- يعبس ويقول: «ليس لدي أية فكرة».

هي لا تعني شيئاً بالنسبة إليه، لا أحد منا يعني شيئاً بالنسبة إليه.

- «قالت بيلا إنها هنا».

- «كانت كذلك. تركتها تنضم إلى إخوتها وأخواتها»، يقول لي.

- «إنها في الرابعة عشرة من عمرها، وأرسلتها وسط معركة بالأسلحة النارية؟»، أقول وأشعر ببرودة شديدة تجتاح كل بوصة من جسدي، كما لو أنني غُمرت في ماء مثلج.

- «هي طلبت الذهاب. أرادت أن تقاتل مع عائلتها. كيف يمكنني أن أحرمها من هذه الفرصة؟».

- «تماماً كما لم تستطع حرمان بيلا أو ستار أو باقي النساء اللاتي سمّينك زوجهن؟ لقد خرجنَ إلى هناك حاملات البنادق في أيديهن بينما أنتَ تختبئ هنا. كيف يمكنك أن تفعل ذلك للأشخاص الذين تدّعي أنك تحبهم؟»

يقول الأب جون: «الرب يهب الحكمة لمن يستطيع أن يتعامل معها. إنه لا يخطئ. والآن أعطني المسدّس، يا مونييم. لن أسألك مجدّداً».

بدأ المسدس يهتز في يدي بعنف بينما يتقدّم الأب جون نحوي.

- «أعطني المسدّس»، يكرر بصوت منخفض ولطيف. «أنتِ على حق، كان ينبغي بي أن أقود الفيلق بنفسي. كان يجب أن أقف مع إخوتنا وأخواتنا، لكنني مجرد إنسان، يا مونييم، نحن مجرد بشر، ونحن معيبون، والرب يتفهّم ضعفنا. لكنّ بإمكاننا أن نرتقي معاً، أنتِ وأنا. يمكننا أن نذهب إليه في هذه اللحظة بالذات، ويمكننا الجلوس بجانبه إلى الأبد. أعطني المسدّس فحسب».

أرجع خطوة إلى الوراء. «لا تقترب أكثر من ذلك».

يبتسم لي ويقول: «لن تطلقني النار عليّ، يا مونييم. أنت فتاة طيبة، وأنتِ تسلكين طريق الحقّ. ما كنتِ لتطلقني النار على نبيّك». - «أنتَ لست نبيّاً لي»، أقول بصوتٍ مرتجف. «أنتَ جبان، ومحتال. كانت أُمي على حقّ بشأنك».

ينفجر الغضب على وجهه، ويجأر بأعلى صوته: «وأنتِ لستِ أكثر من عاهرة مهترّقة. عاهرةٌ ملحدة تتناسخ —». يهدرُ المسدّسُ بدويّ يصمُّ الآذان.

يتوقّفُ كلُّ شيء. للحظةٍ قصيرة جدّاً، تغدو غرفة المعيشة ساكنةً تماماً ويخيّم عليها صمتٌ مطبق، كما لو أنّ الكون برّمته قد توقّف مؤقتاً. ثم يأخذ الأب جون خطوة مترنّحةً إلى الوراء، وتتسعُ عيناه فيما يداه تتلمّسان صدره، ويحدث كلُّ شيء بسرعة كبيرة.

ينبثق الدم من بين أصابعه، ويصبغ قميصه بلونٍ قرمزي. يتلوّى خيط دخان من فوهة المسدّس في يدي. يحدّقُ الأب جون بي وأراقب الضوء وهو يتلاشى من عينيه. ثم ينقلب للخلف ويسقط فوق ألواح الأرضية، وقد تباعدت أطرافه وارتخت.

تُفتحُ أصابعي بشكل لا إرادي ويسقط المسدّس على الأرض. صدري مطبق بإحكام وتبدأ رئتاي بالصراخ، لكنّ كل ما يمكنني فعله هو التحديق في الشكل المنكمش على نفسه أمامي. ينتشر الدم على الأرض تحته وهو راقد بسكونٍ تامّ، ولا أحتاج إلى فحص نبضه لأنني أعرف أنّه ميت.

إنه ميت.

لأنني أطلقت النار عليه.

قتلته.

أسحب بصعوبةٍ كبيرة نفساً نحو حنجرتي بينما بدأت معدتي

تترنّح بشدّة، فأنحني للأمام حتى أكاد أسقط، وأغمض عينيّ بقوة لعلّني حين أفتحهما لن يكون هناك دماء، ولن يكون أحدٌ قد مات، وسأكون مستلقيةً في ظلام غرفتي في المبنى رقم 9، وكلّ هذا سيكون مجرد كابوس. لكن إذ أنظر مجدّداً، لم يكن شيءٌ قد تغيّر. لا تزال رائحة الدم تملأ أنفي، ولا يزال المسدس ملقياً بجوار قدمي، والأب جون لا يزال ميتاً.

يظهر الصوت في مؤخرة رأسي، قاسياً وملحاحاً. يطلب منّي ألا أبقى عالقة في حالة الذهول هذه، ويخبرني أنه ما من شيءٍ يسعني القيام به هنا سوى الموت مع الآخرين، لكن ورغم معرفتي بأنه محقٌّ تماماً فأنا عاجزة عن تحريك جسدي. أنا متجمّدة تماماً في مكاني، مأخوذةٌ بما يحيط بي من رعب. بما فعلته بيديّ.

تحركي! يصرخ الصوت. عليك أن تتحركي بينما لا يزال هناك وقت!

أتمكّن بصعوبة من تحريك رأسي، وتستقرّ عيناï على الباب أسفل الدرج، ذاك الذي خرج منه الأب جون. أستشعرُ وزن المفتاح الرئيسيّ في جيبï، وأسمعُ صوت نيت وهو يخبرني أنّ هناك في غرفة القبو ما هو أكثر من البنادق، أكثر من ذلك بكثير.

أخذُ خطوةً مترنّحة نحو الباب، وخطوة أخرى، وأخرى، ثم أمسك بالإطار الخشبي، وها أنا أنظر إلى السلالم التي صعدتها الأب جون - قبل أن تطلقني النار عليه - بالكاد قبل دقيقة واحدة. الأضواء مضاءة، ويمكنني أن أرى الطابق السفلي من هنا، أبدأ في نزول الدرجات وأنا أمسك بالدرابزين بإحكام لأنني لست واثقةً من أنّ ساقيّ ستحملانني.

أتعثّر في الخطوة الأخيرة وأتمايل ذات اليمين وذات اليسار إلى

أن أستعيد توازني وأنجح في الوصول إلى الأسفل قطعة واحدة. يمثل أمامي الباب المعدني ذو السطح اللامع الذي حدّثني عنه نيت. أخرج المفتاح الرئيسي من جيبِي، وأدخله في القفل المصفّح، وأديره نحو اليسار. يدور بسهولة وسلاسة ودون أن يصدر صوتاً، ثمّ ينفصل الباب عن إطاره بعد صوت قعقة ثقيل. أدفعه فاتحةً إيّاه، وأدخل إحدى الغرف القليلة التي لم أذهب إليها من قبل في القاعدة بأكملها.

تدبّ الحياة في الأضواء فوق رأسي فيقفز قلبي من الرعب، وأمسخ على نحوٍ محموم كل ركن من أركان الغرفة الساطعة بضوء المصابيح الفلورية البيضاء، فلا أرى أحداً هناك. يتلاشى الذعر الذي تملّكني، وأجول بنظري في المكان مجدّداً، لكن ببطءٍ وتمعّن. يحتوي جداران كاملان على رفوف معدنية تصل إلى السقف تقريباً. ورغم أنّ النار تُطلق من عشرات وعشرات البنادق بأيدي إخواني وأخواتي في هذه اللحظة، إلّا أنّ الرفوف لا تزال مليئة بالبنادق.

الكثير من البنادق.

مواسير البنادق والمسدسات تلمع بالزيت، وتجلس فوق الرفوف التي تتنّ بصناديق من كل نوع من الذخيرة، وبينما أحاول استيعاب كلّ هذا لتشكيل فكرتي الأولى عن الأمر، أتساءل من أين أتت كلّ هذه الأسلحة. من المؤكد أن آموس لم يجلبها جميعاً معه في رحلاته إلى البلدة يوم الجمعة؟

لكنني أفكّر بعدئذٍ في المدة التي كان فيها فيلق الربّ موجوداً، وعدد المرات التي انطلقت فيها الشاحنة الصغيرة ذهاباً وإياباً إلى لايفيلد، ولكم من الوقت ظلّ الأب جون يبشّرُ بنهاية الزمان. أفكّر في كل ذلك وأنا أحرق في رفوف البنادق، وأدركُ فجأةً شيئاً حاول

نيت أن يخبرني به عندما كنا نمشي بجوار السياج الشرقي - إلى أيّ درجة كان الأب جون قد خطّط بعناية لما يحدث بالخارج الآن. إلى أيّ درجة أراد أن تأتي المعركة النهائية.

على الرغم من أنه كان يعلم تماماً أن الناس سوف يموتون. لكنّ هذا لم يكن مهماً، فهو لم يكن ينوّ أبداً أن يقاتل بنفسه.

يشتعّل الغضب في صدري، لكنني لا أطرده بعيداً، بل أرحّب به، فهو يصفّي ذهني ويمدّد جسدي المترنح بالقوّة. أتركه يستقرّ بداخلي، وأجول بنظري حول بقية أرجاء الغرفة.

على طاولة كبيرة في الوسط، يوجد عدد من البنادق المفكّكة إلى قطع بجانب صناديق بلاستيكية مليئة بالمفكّات وطرود بريديّة مفتوحة ومهمّلة. وسط الجدار المقابل، ثمة خزانة ملفات رمادية تنتصب واقفةً بمفردها.

أمشي وصولاً إليها، ولا أزال ممسكةً بالمفتاح الرئيسي في يدي، لكن يتّضح على الفور أنّني لن أحتاجه، لأنّ الدُرج العلوي منها نصف مفتوح. أسحبه خارجاً وأجعله مفتوحاً بالكامل، وألقي نظرةً بداخله.

ثمة مجموعة من الملفات ذات الأغلفة الكرتونية معلّقة على قضبان بلاستيكية. ليس على الملفات أيّ ملصقات، لكنني إذ أسحب الملفّ الأول، أشعر بالغضب الذي كان يغلي بداخلي يُستبدل بقلقي باردٍ ومألوف، فالملف مليءٌ برخص القيادة.

العشرات والعشرات من رخص القيادة. ألتقطُ حفنة منها وأرى وجوهاً أميّزها بجانب أسماء لم أسمع بها من قبل. الرخصة الأولى عليها صورة هورايزون، والتي لا بدّ أنّ عمرها لا يقلّ عن عشرين عاماً - لا تزال اللحية الكثيفة موجودة، لكن الخطوط المميّزة حول عينيه لا يمكن رؤيتها أبداً - ومذكورٌ هنا

أنَّ اسمه مايكل برانتلي، من سيوكس فولز، ساوث داكوتا. الثاني يشبه شخصاً أتذكره بشكل غامض عندما كنت صغيرة، ربما أحد أولئك الذين غادروا في أعقاب التطهير. الثالث هو شخص لا أعرف عليه على الإطلاق، وهو شيء غريب.

الرابع يجعلني أشفق بصوت عالٍ.

لربّما تكون بيلا الآن تستلقي ميتة على الأرض في الخارج، لكنّها في الصورة التي أهدق فيها تبدو بالكاد أكبر مني. شعرها الأشقر الطويل مفصول من المنتصف فيما هي تبسم للكاميرا، يخبرني الخطّ الباهت على البطاقة البلاستيكية أن اسمها ميجان جوينر، وأنها تعيش في برلينغتون، بفيرمونت.

أنتقل بين بقية الرخص. الرجال والنساء الذين كانوا إخوتي وأخواتي يتسمون لي من خلال صورهم بوجوه جمدها الزمن، بينما تتسلّل برودةٌ جليديّة تحت كل شبر من بشرتي وتستقر هناك. أعيد الرخص إلى المجلّد وأُخرجُ المجلّد التالي. إنه مليء بالرسائل والشهادات التي ليس لدي وقت لقراءتها، لكنني أُميّزُ بعض الأسماء في أعلى بعض الأوراق.

مصرف تشيس مانهاتن. مصرف سيتي بنك. مصرف ويلز فارغو. أدفع هذا الدرج وأغلقه، وأفتح الدرج التالي أسفله. لا يوجد سوى مجلد واحد داخل هذا الدرج، وأشعر إذ أرفعه خارجاً بكتلةٍ تقبض على حنجرتي. إنّه يحتوي على حزمة سميكة من المستندات مثبتة معاً بواسطة شريط مطاطي، لكنني أستطيع رؤية الكلمات في الصفحة الأولى وأنا أعرف ما تعنيه.

الوصية الأخيرة والعهد.

أضع المستندات أعلى خزانة الملفات، وأسحب الشريط المطاطي، وأقرأ الفقرة القصيرة الوحيدة في أوّل صفحة.

أنا أموس ناثانيال أندروز، أصرّح بموجب هذا وأنا بكامل
قواي العقلية والجسدية أنني أترك عند وفاتي جميع ممتلكاتي
الدينية لجون بارسون، من مقاطعة لايتون، تكساس. أو لمن
يخلفه. أفل هذا بمحض إرادتي، تحت عيني الرب اليقظتين.
المستند الثاني يكاد يكون مطابقاً، مع تغيير الاسم فقط.
والتالي كذلك الأمر.

والتالي، والذي يليه.
أتصفح سريعاً بقية الرزمة، ربما خمسين أو ستين صفحة، وأجد
الشيء نفسه في كل واحدة منها: رجالٌ ونساء يتركون كل ما
يملكونه بحرية وبطيب خاطر لجون بارسون.
للأب جون.

يهمس الصوت في مؤخرة رأسي قائلاً: بحرية وبطيب خاطر.
صحيح.

فجأة يصبح جزءٌ آخر ممّا قاله لي نيت بعد ظهر ذلك اليوم عند
أطراف القاعدة منطقياً. لقد أوضح لي أنّ السياج لا يمكنه إبعاد
أعدائنا، لكنّه ادّعى أنّ السياج قادرٌ على إبقاء الناس في الداخل،
ولم أفهم ما الذي كان يقصده حتى الآن. ليس السياج هو ما يبقى
الناس في الداخل، ولم يكن كذلك يوماً - الناس يبقون ما لم يرغب
الأب جون في رحيلهم، لأنه تأكّد تماماً من عدم قدرتهم على
المغادرة.

أعتقد أنّ الغرباء يمكنهم الحصول على رخصة قيادة جديدة إذا
ما احتاجوا إلى واحدة، فمن المؤكّد أنّ الناس تفقد رخصتها طوال
الوقت. ولكن كيف لك أن تبني حياة جديدة إذا كان شخص ما
يتولّى أمر كل حساباتك المصرفية وحسابات التوفير، ولديه وثيقة
موقّعة تفيد بأن كل ما تملكه سيكون في يوم من الأيام ملكاً له؟ قد

عبر البوابة الأمامية بأسرع ما يمكنك وتوجه إلى الشرطة؟ وكلّ محامياً؟ ضع ثقتك في الحكومة واطلب مساعدتها؟ ربما.

ولكن ماذا لو كان الأب جون على حق طوال الوقت؟ ماذا لو ذهبت إلى الشرطة وانتهى بك الأمر موثقاً إلى طاولة في قبو ما وهم يصبّون البنزين في حلقك؟ هل أنت متأكّد من أنّ هذا لن يحدث؟ هل أنت متأكّد لدرجة أنك ستخاطر؟

جنون الارتياب. الخوف. دائماً وأبداً، يقبعان وراء كل شيء. يجثمان في أصل كل شيء.

الخوف، والسيطرة.

أغلقُ المجلّد وقد أصاب الخدر بشرتي من ملمس تلك الأوراق. أفتح الدرج الثالث والأخير. هذا ليس به مجلّدات على الإطلاق؛ بدلاً من ذلك، فهو مكدّس حتّى أعلاه بعشرات من الأشياء التي لا أتعرفُ عليها ولكنني أفهم ماهيّتها على نحوٍ غريزيّ. محافظ وحزم من المفاتيح. صور رجال ونساء يبتسمون. ولاعات سجائر فضية وعقود من الخرز متعدّد الألوان. خواتم ذهب وفضة. سيارات صغيرة، بطاقات لصور لاعبي البيسبول. دفاتر مصنوعة من الجلد والورق. وما لا يقل عن عشرين هاتفياً خلويّاً.

أشياء كانت ذات يوم عزيزة على إخوتي وأخواتي، أشياء كانت تهتمّهم بطريقٍ لم يكن بإمكانهم على الأرجح أن يشرحوها بالكامل، أخذتُ كلّها منهم ووُضعتُ في خزانة ملفات خلف باب مغلق. تذكارات عن كيف كانوا من قبل.

تذكارات عن حيواتٍ ضائعة.

تسلّل الدموع إلى زوايا عيني إذ أفكّر في سكاكين والدي وصفحة يومياته وصورة جدّي، وأحاول أن أتخيل ماهيّة شعور أن

أتخلى عن هذه الأشياء وأقوم بتسليمها إلى شخص ما وأنا أعرف أنني لن أراها مرة أخرى، ولا يمكنني ذلك فحسب. ثم أرى مظلوماً أبيض في الجزء الخلفي من الدرج، ألتقطه وأقلبه، فيترنح كل شيء بداخلي على الفور، وأشعر فجأة أنه سيُغمى عليّ بالتأكيد.

ثمة كلمة واحدة على المظروف. ستة أحرف مكتوبة بخط يد يمكنني تمييزه في أي مكان على الفور. إنه خط يد أمي.

ومكتوب على الظرف مونيم.

لا أعرف لكم من الوقت أصدق فيه. ربما لمجرد ثانية أو ثانيتين، لكن رأسي يدور ويدور وأنفاسي تنحبس في رثتي ويبدو الأمر وكأنه ساعات، وكأنه أيام وأسابيع وشهور، وكأنه دهور من الزمن تمر في غمضة عين. في الخارج، دوي إطلاق النار لا نهائي، لكنني لا أسمعه. فرقة انتشار النيران تزار بصوت هادر، لكنني لا أسمعها أيضاً. بدأت الغرفة تزداد سخونة، لكنني لا أشعر بها.

لا أسمع شيئاً ولا أشعر بشيء لأنني لم أعد هنا.

أنا في مكان آخر.

أقف على قمة منحدر أخضر لامع، وأنظر إلى المياه الزرقاء لدرجة أنها تؤذي عيني. لا أستدير، لكنني أعلم أن ثمة منزلاً خلفي، منزلاً بجدران زرقاء عنبرية، وسياج خشبي أبيض، ودخان يتصاعد من مدخنته، وأعرف أن وقع الخطى الذي يمكنني سماعه عائدٌ لأمي، وأعلم أنها تبتسم وهي تمشي نحوي وفي أي لحظة الآن سوف تضع يديها على كتفي وتخبرني أن الوقت قد حان للدخول لأنَّ العشاء —

يملاً القبو صوتٌ سحقٍ يصمُّ الآذان، ويخرج بي على نحو

صادم من المكان الذي كان عقلي قد انسحب إليه . أضغطُ بيديّ فوق أذنيّ لأن الصوت فظيع وعالٍ وحادّ جداً لدرجة أنني لا أظنُّ أنَّ بوسعي تحمّله ، وأندفع عبر الغرفة باتجاه الباب المعدني المفتوح .

بالكاد بعد ثانية واحدة ، ينهار معظم السقف ، فتتهشم الطاولة وتُدفن الأرض تحت كومة من الخشب المتفحم والزجاج المكسور . هناك كراسي وألواح أرضية وأجزاء مما يبدو مثل إطار سرير ضمن كومة من الحطام ، ويمكنني أن أرى دخاناً متصاعداً وقطعة من السماء الزرقاء فوقي ، وبينما أسعل وسط سحابة متصاعدة من الغبار والرماد أفهم ما الذي حدث للتو .

لقد انهار السقف .

يظهر الصوت في مؤخرة رأسي ، ويقول بالحاح واستعجال : يجب أن تذهبي من هنا . يجب أن تذهبي الآن .

إذ أستدير مجدّداً نحو الباب ، جاهزة لفعل ما طُلب منّي ، ينتابني فجأة شعورٌ بالذعر . أنظر إلى الأسفل فيما يشبه الحركة البطيئة ، لكن ولحسن الحظ فإنّ الرسالة التي تحمل اسمي لا تزال في يدي ، وأتمكّن من التنفّس على نحوٍ يكاد يكون طبيعياً إذ أندفع خارجةً من الباب وألقي نظرة على السلالم . لا يمكنني رؤية أي ضرر ، رغم أن هذا قد لا يعني أي شيء حقاً - إذا كان السقف قد انهار بالكامل ، فالأرجح أنّ الباب أعلى السلالم أصبح مسدوداً ولا يمكن فتحه ، وهو ما يترك التسلق عبر الفتحة الموجودة في السقف كسبيلٍ وحيد للخروج من القبو .

إنّ نظرةً سريعة للوراء تكفي لتأكيد أنّ الغرفة بدأت تشتعل بالفعل في عدّة مواضع . أجدق فيها للحظة ، لكنني إذ ذاك أتذكر صناديق الذخيرة المدفونة الآن تحت العوارض المحترقة والسجاد وشظايا الألواح الجصّية ، فأستدير وأصعد السلالم بأسرع ما أستطيع

وأنا أسعل وأتنحّح، أتعثّر وأترنّح في كلّ خطوة. أخيراً، أصل إلى أعلى السّلام، وأدير مقبض الباب ثمّ أدفعه بكلّ قوتي. ينفّتح الباب وأندفع عائدةً إلى غرفة المعيشة. المنزل بأكمله يئنّ ويطلق وثمة انتفاخ يندّر بالسوء في وسط السقف، لكن يبدو أنّه لا يزال صامداً، في الوقت الحالي على الأقلّ.

أدسّ المظروف في جيبي، وأتجه إلى الباب الأمامي مروراً بجثث الأب جون وقادة السرايا، ببرك الدماء التي اندمجت لتشكّل بحيرة متلائة قرمزية اللون. يعلق الهواء العابق بالدخان في حلقي، ويحرق عيني إذ أعبر الشرفة المستقلة وأنزل الدرجات الخشبية، ثمّ أركض بأقصى سرعةٍ تتحمّلها ساقي باتّجاه المهاجع الغربية.

بعد

لوقتٍ طويل، يحدق بي العميل كارلايل فحسب.
- «تلك هي الحقيقة»، أقول بصوتٍ يكاد يكون همساً. «تلك هي بالكامل».

يواصل التحديق، وجهه شاحب، وتعاييره غير مقروءة. «قل شيئاً. أرجوك؟»، أقول له.

يقف ويمشي إلى الأمام. يتنفس جزءٌ منّي الصعداء عندما يميل على السرير، لأنّ هذه هي بالتأكيد اللحظة التي كنت أعلم دائماً أنها قادمة. اللحظة حيث يضع الأصفاد حول معصمي ويقول لي إنني رهن الاعتقال بتهمة القتل - لكن ليس هذا ما يحدث. بدلاً من ذلك، هو يمسك بكتفيّ ويسحبني برفق بعيداً عن الحائط، ويلفّ ذراعيه حولي.

أبدأ في البكاء، نشيخٌ رهيب يملأ حنجرتي ويضرب صدري بعنف، والعميل كارلايل يحضنني ويقول لي إنّ كلّ شيءٍ على ما يرام. أودّ أن أقول له إنني لا أبكي لكوني حزينة، أنا حتّى لا أبكي بسبب الذكرى الأليمة لما فعلته، لكنني أعجز عن صياغة الكلمات.

أنا أبكي لأنّ آخر باب مغلق بداخلي قد فُتح. أنا أبكي لأنني كنتُ قد نسيْتُ كيف هو الحال عندما لا أملك قلباً مليئاً بالأسرار، عندما لا أكون خائفةً طوال الوقت. أبكي لأنني لا أعرف ماذا

سيحدث تالياً ولا بأس بذلك، لا بأس بذلك حقاً. عدم المعرفة يبدو مثل شعور الحرّية.

- «لقد مات الكثير من الناس»، يقول العميل كارلايل، صوته خافت، وفمه قريبٌ من أذني. «الكثير من الأرواح دُمّرت، ومن أجل ماذا؟ كي يتمكن رجلٌ وضيع من أن يكون ملكاً على رقعةٍ من الصحراء مليئة برجالٍ ونساء أرادوا بشدة أن يؤمنوا بشيء ما».

يُفلتني ويتراجع للخلف. أخرجِرُ نفسي إلى حافه السرير وكلُّ منّا ينظر إلى الآخر، وليس لدي أية فكرة حول ما يُفترض بي فعله الآن.

ليس لديّ شيءٌ آخر لأخبره به. لم يتبقَّ شيءٌ لقوله.
أنا خاوية.

يتكئُ العميل كارلايل على مكتبي، ثم يقول: «هل بقية ما أخبرتنا به صحيح؟ هل جرت الأحداث مثلما أخبرتنا؟». أومئ برأسي وأقول: «ذهبتُ إلى المهاجع الغربية، أحرقتُ يدي إذ أمسكتُ بالففل، واستخدم أحد العملاء مفتاحي للسماح للأطفال بالخروج».

- «ماذا عن هوني؟».

أهز رأسي. «لم تكن هناك. قادت رينبو الآخرين عبر الفناء، وآخر شيء أتذكره هو لوك محمولاً نحو البوابة الأمامية».

- «قالت إنّها بحثتُ عنك»، يقول العميل كارلايل. «أقصد هوني. ذهبتُ إلى البوابة فقط بعد أن رأيتُ سقف البيت الكبير ينهار».

أقول: «كان الأجدر بها أن تذهب دون تأخير. لكنّها تمكّنت من النجاة في النهاية. هذا هو كلّ ما يهم».
يوميُّ برأسه. «وهل رأيتَ أموس آندروز؟».

أومئُ موافقة. «نعم رأيته. أعتقد أنه أطلق النار نحوي، لكنني لست متأكدة».

- «لَمْ برأيك لم يتم استدعاؤه إلى البيت الكبير مع القادة؟ كان أقدم رفيق لجون بارسون».

- «لا أعرف. أعتقد أنّ هذا لم يعنِ له الشيء الكثير في النهاية»، أقول للعميل كارلايل.

- «أظن أنه لم يعنِ الكثير بالفعل».

اسأليه، يقول الصوت في مؤخرة رأسي. اسأليه فحسب. لا بأس في ذلك.

أخذ نفساً عميقاً، وأسأله: «هل أنا في ورطة بسبب ما فعلت؟».

- «ما فعلته بجون بارسون؟».

أومئُ برأسي.

يهز رأسه، ويقول: «قطعاً لا. سبق أن أخبرتك أنّ ما فعلته سيكون أسهل قضية دفاع عن النفس يضطلع بها أيُّ محام على الإطلاق. لكنّ الأمر لن يصل إلى هناك. التحقيق الجنائي الآن مرَكزُ بالكامل على جون بارسون وكبار الأعضاء الآخرين في فيلق الربّ. لن يتم توجيه اتّهامات أخرى».

- «إنهم لا يعرفون ماذا فعلت، أتحدّث هنا عن زملائك. قد يفكرون بشكلٍ مختلف إذا عرفوا»، أقول له.

- «لا أعتقد أنهم سيفعلون. ما أفهمه هو أن التحقيق سيخلص إلى أن أحد قادة السرايا أطلق النار عليه قبل أن يقوموا بقتل أنفسهم. يمكنني مع ذلك أن أقول الحقيقة، إذا كنت حقاً تريدني مني ذلك؟».

- «أخبرهم»، أقول على الفور. «لا أريد المزيد من الأسرار.
لا أريد أن أحمل أي شيء معي عندما أغادر هذا المكان».
- «هل أنت متأكدة؟».
- «أنا متأكدة».

- «أنت تفهمين أنني لا أستطيع أن أضمن كيف سيتفاعل
زملائي مع الأمر؟ ربّما الأكثر أماناً بالنسبة لي أن أخبرهم أنك
عثرت على بارسون ميتاً عندما دخلت البيت الكبير»، يقول لي.
- «أنا متأكدة من أنك على حق. لا شكّ لديّ في أنّ هذا
سيكون أكثر أماناً. لكنني أريد منك أن تخبرهم بالحقيقة. لقد سئمت
من الأكاذيب».

يومئ برأسه ويقول: «حسنٌ. سأخبرهم بما حدث. يجب أن
أحذرك من أن الأمر قد يستغرق بعض الوقت لتقييم كل شيء
والتوصل إلى نتيجة».

«أعتقد أنني أستطيع التعامل مع ذلك».
يبتسم لي ويقول: «لا أعتقد أنّ هناك الكثير ممّا لا يمكنك
التعامل معه، يا مونيم».

أتمنى لو كنت متأكّدة من ذلك مثلك.
- «شكراً لك»، أقول له.

يومئ برأسه، وتتحرك عيناه عبر الحائط ورائي. يبدو وكأنه
يفكر في شيء ما، لذا أجلس بهدوء وأدعه لكي يصل إلى حيث يريد
أن يذهب. بعد دقيقة أو دقيقتين من الصمت، يقف ويسحب مجلداً
برتقالياً صغيراً من الجيب الداخلي لسترتة.
- «ما هذا؟»، أسأله.

يمدّ يده إليّ به. «إنّ شيءٌ يخصّك».
أعبس إذ أخذ المجلد منه وأشرعُ بفتحه. ثم يتوقّف قلبي

ويصاب جسدي بأكمله بالخدر، فأنا أحمل في يدي المظروف الذي أخذته من خزانة الملفات في قبو البيت الكبير. إنه مجعد ومتسخ، ومن الواضح أنه قد فُتح، لكنَّ اسمي لا يزال مقروءاً بوضوح على وجهه الأمامي.

- «هل قرأتها؟»، أسأله وعيناي مثبَّتتان على تلك الأحرف الستّة. لم أقصد أن أسأله ذلك - لكنّه كان أول شيء خرج من فمي.

يومي برأسه. «لقد قرأتها».

- «وتصادف أنك تحملها في جيبك ببساطة؟».

- «لقد أفرج عنها من بين الأدلّة بعد ظهر أمس. كان الدكتور هيرنانديز سيعيدها لك هذا الصباح لو لم يتم إلغاء جلستك. طلب منّي أن أحضرها لك عندما طلبت رؤيتي».

أحرق في المظروف. جزء منّي - نفسُ الجزء الذي لم يرغب أبداً في إخبار أيّ شخصٍ بأيّ شيء - يريد أن يسأل العميل كارلايل عما إذا كان سيعطيني الرسالة لو لم أخبره للتو بآخر شيء كان يريد معرفته، لكن ما من شيء جيّد سينجم عن معرفة الجواب. بدلاً من ذلك، أسحب بأصابع مرتعشة ورقتين من المظروف. أفتحهما، وأشرعُ في القراءة.

مكتبة

t.me/soramnqraa

عزيزتي مونييم،

إنّ دفتر يومياتي مفقود، مما يعني أنها مسألة وقت فقط قبل أن يتم اصطحابي إلى الأب جون لتقديم إجابات عمّا بداخله. لا أعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك، لذا فهذه الرسالة من أجل أسوأ السيناريوهات. لا أعتقد أنّه سيقتلني

- رغم أنني أتمنى لو كنت متأكدة أكثر من ذلك - ولكن إذا أبعدني، فهناك أمورٌ تحتاجين إلى معرفتها. لأنني أعلم أنه لن يسمح لي بأخذك معي. أعلم ذلك علم اليقين.

الأمر الأول هو أن فيلق الربّ كذبة. إنّه كذبة، ولن أسامح والدك أبداً لأنه أتى بنا إلى هنا. ولن أسامح نفسي أبداً لأنني سمحت له بذلك. أنا آسفة جداً.

الأمر الثاني هو أن الأب جون أخطر بكثير مما يعتقد أي أحد. هو يؤمن بأنّ المعركة النهائية آتية لا محالة، يؤمن بذلك من كلّ قلبه الفاسد، وهو يريد لها أن تأتي. ولسوف يجعل الأمر يتحقّق إذا لم يحدث من تلقاء نفسه، والناس سوف يتأذّون، أو أسوأ من ذلك. لا أستطيع أن أرى طريقة أخرى ينتهي بها كلّ هذا، وقد كان أُملي الوحيد هو أننا لن نكون هنا عندما يحدث ذلك.

لكنني أعتقد أنك تعرفين هذا بالفعل أو لديك شكوكٌ بهذا الشأن على الأقل. أنت أذكى مني بكثير، يا مونييم. لطالما كنتِ كذلك. لذا أبقي عينيك مفتوحتين وثقي بغرائذك. ثقي أنني أحبك من كلّ قلبي، ولطالما بذلتُ قصارى جهدي لحمايتك. احرصي على سلامتك. كوني آمنة دائماً.

إذا أبعدوني، فسوف تسمعين بعد رحيلي أشياء عني سيكون وقعها قاسياً عليك. لا أعرف ماذا ستكون، لأن معظمها ستكون عبارة عن أكاذيب من تلفيق الأب جون، ولكنّ شيئاً واحداً على الأقل سيكون صحيحاً وهو أنني أحاول منذ وقت طويل إيجاد طريقة للخروج من هذا المكان، طريقة لخروج لكلينا.

طلبتُ من شانتي أن يخفيها في سيارته عندما غادر، لكنه كان خائفاً جداً من القيام بذلك. لا أستطيع أن ألومه على ذلك، على ما أعتقد. حاولت المغادرة بعد الإعلان الثالث، لكن الأب جون أوقفني. هو لم يهتم بي - لم يهتم بي يوماً - لكنه اهتم بك، يا مونييم، وأنا أعلم أنه يراقبك عن كثب. كان يجب أن أغادر بعد التطهير. كانت تلك أفضل فرصة لنا، الآن فقط أرى ذلك. لكنني كنت خائفة يا مونييم، كنتُ خائفة من العالم الخارجي، وكنت خائفة من تربيتك بمفردي. ولما أدركتُ ما الذي كان يحدث، كان الألوان قد فات. أنا آسفة لأنني لم أكن أقوى. أنا آسفة لأنني خذلتك. لذا أياً كان ما سيقولونه عني بعد إبعادي، أياً كانت النعوت التي سيطلقونها عليّ - المهرطقة، خادمة الشيطان، والربّ يعلم ماذا أيضاً - فقط اعلمي أنني حاولت إيجاد مخرج لنا، وأنني سأظل أحاول. لن أتوقف عن المحاولة أبداً.

أعلم أنك كنتِ مستاءة مني لإقناعي الأب جون باختيارك كزوجة المستقبل، ولم أملكِ أبداً على ذلك. أنا أفهمك تماماً، أنا حقاً أفهمك. لكنني فعلت ذلك لأن هناك أشياء تتعلق بالفيلق حاولت بذل قصارى جهدي لإبقائك بعيدة عنها، أشياء كنت آمل ألا تضطري إلى اكتشافها أبداً. الإعلان الثالث ليس حقيقياً. إنه كذبة، مثل كل شيء آخر.

معظم الأطفال الذين ولدوا منذ إصداره ليسوا من صُلب الأب جون، بغض النظر عما يقوله أي أحد. الآباء الحقيقيون هم رجال تسللوا إلى الغرف التي فتحها قادة

السرايا وصولاً إلى أسرة الفتيات اللواتي لم يسمح لهنّ بمعرفة أن ما كان يُفعل بهنّ هو خطيئةٌ كبرى. في العالم الحقيقي خلف أسوار القاعدة، سيقضي الرجال سنوات في السجن إذا اكتشف أحدٌ ذلك. أمّا داخل الفيلق، فيمرُّ هذا على أنّه أمرٌ عادي.

لا أحد يتحدث عن ذلك أبداً، ويتمّ تحذير الفتيات بشدة من إخبار أيّ أحد بالحقيقة. الوحيدات اللواتي تظل أبوابهنّ مغلقة في الليل - وبالتالي يَبْقَيْنَ آمَنات - هنّ أولئك الفتيات اللواتي نُذِرْنَ للأب جون. فتياتٌ مثلك، يا مونييم.

لا أعلم ما إذا كنت ستسامحينني يوماً لأنني دفعتكِ باتجاهه، لكن حاولي أن تفهمي أن هذه كانت الطريقة الوحيدة التي استطعتُ من خلالها إبقاءكِ بأمان. كان بعض إخوتك قد بدأوا ينظرون إليك عندما كنتِ لا تزالين مجرد فتاةٍ صغيرة، وقد أخافني ذلك بشدة، لأنّه لم يكن بمقدوري أن أكون معكِ في كل ثانية. لم يكن بمقدوري أن أجلس بجانب سريرك كل ليلة كي أراقب باب غرفتك. كان جعلكِ مندورةً للأب جون الطريقة الوحيدة التي يمكنني من خلالها حمايتكِ إلى أن أجد لنا مخرجاً، ولم أدرك إلا بعد فوات الأوان أن كل ما فعلته هو جعل الهروب أكثر صعوبة بكثير.

لم أفهم أنه ما كان يسمح لأيّ شخص بأخذكِ بعيداً عنه بمجرد أن تُنذري له؛ وأنّه لا يمكن أبداً أن يدعكِ تتركه. حَسِبْتُ أنّي كنتُ أتصرّفُ بدكاءٍ شديد.

أنا آسفة، يا قمري الصغير. أنا آسفة أكثر مما ستعرفين يوماً. كنت سأصعد السياج وأنتِ بين ذراعي لو لم أكن متأكدة من أنهم كانوا سيقبضون علينا قبل أن نصل إلى

الطريق السريع. لكنَّ هذا ما كان سيحدث، وكانت عقوبتنا لتكون مروّعة. لا يهمني ما يحدث لي - لم يعد ذلك يهمني منذ فترة طويلة - لكنني لم أستطع أن أعرضك للخطر. أنا لم أستطع فحسب، فأنت الشيء الوحيد الذي لا يزال يهمني.

إذاً هذا ما عليك القيام به إذا أبعدوني - وأنا واثقة من أنهم سوف يفعلون ذلك، لأن الأب جون لن يخاطر بالسماح لي بالبقاء بمجرد أن يرى دفتر يومياتي - أريد منك أن تخبري الجميع أنني أستحق ذلك، وأريد منك أن تعني ذلك من كل قلبك. أريدك أن تجعلهم يصدقونك، ابقني على مقربة من الأب جون، ولا تتوقفي أبداً عن البحث عن مخرج، وابقني بأمان حتى أتمكن من العودة وإحضارك. سوف أعود من أجلك. سوف أعود وأخذك بعيداً عن هذا المكان الرهيب ولن ننظر إلى الورااء أبداً. أعدك.

هذا عنوان جدّيك - إذا نجحت في الهرب بنفسك، تواصلني معهما. سوف يساعدانك، وسوف يعرفان كيف يعثران عليّ.

مايكل وآن دالتون

364 غرين هاربور

سانت جيمس - وايومينغ

78046

أحبك أكثر مما يمكن أن تتخيّلي، يا قمري الصغير. أعلم أنني كنت قاسيةً عليك، وأعلم أنك تعتقدين أنني لم أكن

أهتُم لأمرِك، لكنني كنت خائفة جداً من أن ألفت إلينا
الانتباه، خائفة من أن يشكَّ أحدٌ في ما كنت أحاول القيام به .
أنا متأكدة من أنه كانت هناك أوقات فكَّرت فيها أنني لا
أحبُّك - وأنا لا ألومك على ذلك، ولكن الحب شيء خطير
داخل الفيلق. يطالب الأب جون بطاعةٍ وتفانٍ مطلقين، وهو
غيورٌ ومتوحش.

إليك الحقيقة - أنت أفضل شيء حدث لي على
الإطلاق، وسوف أقضي بقية حياتي في محاولة التعويض ما
فعلناه بك أنا والدك.

كوني حذرة. ابقِ بأمان. ولا تتوقفي أبداً عن البحث
عن مخرج، لا تتوقفي أبداً عن المحاولة.

أحبُّك.

ماما.

أنظر إلى العميل كارلايل، وأغمضُ عينيَّ على الفور - فالقلق
الذي يشعُّ منه أكثر من أستطيع التعامل معه.

أحاول استيعاب رسالة أمي، أحاول الخوض في الكلمات وما
بين السطور للوصول إلى العمق. لكنها كبيرة جداً وأشعر بعقلي
وقلبي وكأنَّهما مكسوران. أستدعي قائمة الأسئلة التي لطالما أردتُ
طرحها عليها، وهي قائمة لم تبتعد يوماً عن سطح ما يعتمل في
ذهني، وأدرك بشيء يكاد يكون أشبه بالحزن أن معظمها قد أُجيب
عنها الآن.

لقد أحبَّتي. لقد أحبَّتي حقاً.

أحبَّتي وحاولتُ أن تجد لنا مخرجاً بحيث نترك الأب جون

وفيلق الربّ وراءنا. لقد حاولتُ جاهدة حتى وهي تعلم حجم الورطة التي ستواجهها إذا ما اكتشف أحدٌ ذلك.

والبرودة التي لطالما كرهتها، والتي جعلتني دائماً أشعر أنّها لا تهتم بي على الإطلاق؟ إذا أخذت رسالتها في ظاهرها - وأعتقد أنني مضطرة إلى ذلك، نظراً لأن هذا كل ما تبقى لي منها - فإنّ المسافة التي احتفظتُ بها دائماً بيننا كانت أمراً محسوباً أكثر من كونها إهمالاً؛ محاولة متعمدة كي تعطي الانطباع بأنّها غير ملحوظة بينما كانت تعمل على هروبنا من وراء الكواليس. حتى جعلني منذورة للأب جون - والذي كانت محقة فيه، ولم أسامحها عليه بالكامل أبداً - كان لسببٍ لم يكن من المتوقع أن أفهمه في ذلك الوقت. كان ذلك لإبقاء السواد القابع في قلب فيلق الربّ بعيداً عن ابنتها. كان ذلك من أجل حمايتي. من أجل شراء الوقت.

شراء الوقت لكلّينا.

أفتحُ عينيّ، وأنظر إلى الاسمين والعنوان اللذين قامت بتدوينهما. والدتها ووالدها. عائلتي الحقيقية، تلك التي لم أعرفها من قبل أبداً.

- «لقد حاولنا الاتّصال بجديك»، يقول العميل كارلايل. «مات جدك منذ سبع سنوات، وجدتك بعده بثمانية عشر شهراً. أنا آسف». أومئُ برأسي إيماءة شكر، رغم أنّني لم ألتق بهما أبداً ورغم أنّ ميّتين إضافيّين يبدوان مجرد رقمين في هذه المرحلة. أنا لا أشعر بأيّ شيء، ولا أعرف ما إذا كنتُ سأشعرُ بشيء بعد الآن. أعتقد أنني قد أكون مخدّرة بصورة دائمة.

- «إذاً قد ماتا قبل نفي أمي، عندما كانت لا تزال داخل القاعدة»، أقول للعميل كارلايل.

- «أرسلنا فريقاً إلى المدينة التي كانا يعيشان فيها، في حال

ذهبت والدتك إلى هناك لتسأل عنهما بعد أن تركت الفيلق. لم يتذكر أيّ من الجيران أنّه رآها، وليس لدى محكمة المقاطعة سجلّ لأيّ شخصٍ حاول الوصول إلى ممتلكاتهما».

- «لقد تبخّرت في الهواء إذًا؟».

- «لم تصدر شهادة وفاة باسمها، لكن أخشى أن هذا كلّ ما نعرفه على وجه اليقين»، يقول العميل كارلايل.

يذبلُ شيءٌ ما بداخلي. أشعر به يتقلّص ويختفي، ويستغرق الأمر مني ثانية لأدرك ماذا كان. وأشعر إذ ذاك بفراقه وكأنّه لكمّة قويّة في البطن.

خبثٌ آخر جذوة أملٍ لديّ.

- «هي لم تعد من أجلي. تقول الرسالة إنّها لن تتوقف أبداً عن المحاولة، لكنّها رحلت منذ ثلاث سنوات. ولم تعد أبداً»، أقول له.

يحدّق بي بعينين مليئتين بتعاطفٍ عميق.

- «هل تعتقد أنّها نسيّني؟».

يهز رأسه بشدة ويقول: «لا أصدق ذلك لثانية واحدة. أنت أيضاً لا يجب أن تصدّقي ذلك».

- «هل تعتقد أنّها ماتت؟».

- «مونيم...».

- «قل لي الحقيقة، هل تعتقد أنّها ماتت؟».

- «لا أعرف»، يقول، رغم أنّ عينيه تحكيان قصّة مختلفة.

- «لا بأس».

- «أنا آسف، يا مونيم. أنا حقاً آسف»

لا أشعر بشيء. أشعر بالخدر فحسب.

- «قلّت لا بأس».

- «لدينا في الخارج أشخاص يبحثون عنها. إذا كانت هناك، فسوف يعثرون عليها».
- لن يفعلوا. لكن هذا ليس خطأك.
- «أنا أصدقك»، أقول له.
- «وافقتُ على فريق التحقيق شخصياً. إنهم الأفضل في مجالهم. لا تستسلمي»، يقول لي العميل كارلايل. من الواضح أنه يريد إقناعي أنه لا تزال هناك فرصة.
- لقد فات الأوان.
- «لن أستسلم»، أكذبُ عليه. «ماذا سيحدث الآن بعد أن انتهينا هنا؟ إلى أين ستذهب تالياً؟».
- «لن أذهب إلى أي مكان. سأكون في الجوار متى ما احتجت إليّ. ليس عليكِ إلّا أن تنطقي باسمي».
- تظلُّ ابتسامتي ثابتة في مكانها. أريد حقاً أن أصدقه، لكن لم يتبقَ لدي أيُّ إيمان.
- لقد استنزف حتّى آخر قطرة.

بعد

لم يعد هناك الكثير ممّا كان عددنا من قبل .
لقد مرّ أكثر من شهر على الحريق ، منذ أن كان إخوتي وأخواتي
الناجون يسعلون ويتنحّنون وهم يترنّحون مبتعدين عن الحياة
الوحيدة التي عرفها أيّ منهم يوماً . لم يتغير الروتين اليومي : ألتقي
بالدكتور هيرنانديز في الصباح ، وفي بعض الأحيان يطلّ العميل
كارلايل برأسه عبر باب غرفة المقابلات رقم 1 ويلقي التحية . إنه
لأمرّ لطيف أن يبذل شخص ما جهداً ليأتي ويراك على الرغم من
عدم وجود شيء يمكنك فعله من أجله .
يبدو ذلك صادقاً .

كانت رينبو أول من غادر . أخبرني الدكتور هيرنانديز أنّ جدّيتها
كانا يحاولان إقناع الحكومة بالسماح لهما بإخراجها من الفيلق
لسنوات ؛ ومع وفاة والديها ، لم يستغرق الأمر من القاضي وقتاً
طويلاً حتى يوقّع أمر وضعها في عهدهما . رأيتهما قبل وصولهما
لاصطحابها مباشرة ، وكان الأمر كما لو أنها لا تستطيع أن تقرر ما
إذا كانت ستشعر بالخوف أو الحماس . لا يزال الحزن طافياً مثل
سحابة فوقها - أعتقد أنه سيمرّ وقتٌ طويل علينا جميعاً قبل أن
تتحلّل سحابة الحزن وتنجرف بعيداً ، هذا إذا كان من الممكن أن
تتحلّل بالكامل - ولكنّ احتمالية مغادرة الأروقة الرمادية لمركز

جورج دبليو بوش الحكومي حتى مع شخصين لم تقابلهما من قبل،
ملاً وجهها بالسعادة. كان من دواعي سروري أن أرى تلك السعادة،
رغم أنّ الألم اعتصر قلبي عندما لفت ذراعيها الصغيرتين حولي
وعانقتني، وأخبرتني أنها تحبني، ثمّ قالت وداعاً.

من ذلك الحين، ذهبت كلٌّ من أورورا ووينتر إلى عمّ وعمّة
يعيشان في هاواي، وذهبت لوسي للعيش مع جدتها في مزرعة في
ولاية أيوا. في كلّ مرّة يغادر واحدٌ منا، نقيم حفلة صغيرة في غرفة
العلاج الجماعيّ، مع رقائق البطاطس والحلوى وأباريق من مشروب
البرتقال، حيث يبكي البعض والجميع يخبرون بعضهم بعضاً أنّ
يظلّوا بأمان وأن يعتنوا بأنفسهم. واحدٌ أو اثنان من الأطفال الأصغر
سنّاً ما زالوا يقولون «الرب طيّب» ولكن لديّ الانطباع أنّها لم تعد
ذات معنى بالنسبة لهم حقّاً، يبدو الأمر وكأنه ردٌّ فعل تلقائيّ؛ كما لو
أنهم ينسون أحياناً أنّهم لن يكونوا في ورطة إذا لم يقولوا تلك
العبارة.

لا تزال هوني هنا، وكذلك جيرمايا وعشرة آخرون. سيغادر
بعضهم قريباً للعيش مع أقارب تتبّع أثرهم العميل كارلايل وزملاؤه،
لكن البعض منهم بمن فيهم أنا، إما ليس لديهم أسرة على قيد الحياة
أو - وهو ما لا يقال علناً على الإطلاق - ليس لديهم أحد على
استعداد لاستقبالهم. سألتُ الدكتور هيرنانديز ما الذي سيحدث
لهم، فقال إنّهم سيذهبون في النهاية إلى أسرٍ رعاية، رجالٌ ونساء
يستقبلون أطفالاً ليسوا أطفالهم ويعتنون بهم.

يبدو لي أن وجود مثل هؤلاء الناس لهو دليلٌ أفضل بكثير على
أن الربّ طيّب من أي شيء أخبرنا به الأب جون يوماً.

بعد

- «أريد أن أتحدث عن الغضب. هل يناسبك ذلك؟»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أبتسم وأقول: «أشعر وكأننا غطينا ذلك مرة أو مرتين». يردُّ لي الابتسامة ويقول: «لم أقصد أن يكون وقع الكلمات مشؤوماً هكذا. ما قصدته هو أنني أود أن أتحدث حول كيف نبدأ في الماضي قدماً متجاوزين الغضب». - «حسنٌ. يبدو هذا جيّداً بالنسبة إليّ»، أقول له.

يوميُّ برأسه، ثم يجلس في كرسيه. ليس ثمة آلة تسجيل على المكتب هذه الأيام، وهو مسترخٍ أكثر بكثير مما كان عليه عندما بدأنا التحدث مع بعضنا لأول مرة. لقد كان حذراً جداً في التعامل معي في تلك الأيام الأولى، كما لو كان يخشى من أن تعليقاً في غير محله قد يجعلني أتشظى إلى ملايين القطع الصغيرة. بعد ذلك، عندما بدأ العميل كارليل في أخذ زمام المبادرة في استجابتي، شعرتُ أن الدكتور هيرنانديز كان يراني مثل أحجية يجب حلّها، مثل تحدٍّ موضوعي لمهاراته وخبرته المهنية. والآن هو يتحدث معي وكأننا صديقان، ورغم أنني أعلم أننا لسنا كذلك في الحقيقة - إذ لا أرى أننا سنتسكع معاً عندما أغادر هذا المكان أخيراً، هذا لو غادرته - إلا أنني أحبُّ هذا الأسلوب أكثر بكثير.

- «لِكِ كل الحق في أن تكوني غاضبةً بسبب ما مررت به»،
يقول الدكتور هيرنانديز. «بل يجب أن تكوني غاضبة، ولأكون
صادقاً معك تماماً، فسوف أشعرُ بالقلق إن لم تكوني كذلك. لقد
عملنا على الأمر كثيراً في هذه الغرفة، لكنني أريد التأكد من أنكِ
تعالجين غضبك؛ أريد التأكد من أنكِ تبقين تركيزك على إبقائه قابلاً
للإدارة. لا أريد له أن يلهيهمك».

- «إنّه ليس كذلك»، أقول له.

يومي برأسه. «هل أنت غاضبة، يا مونييم؟».

- «نعم»، أقول. أنا لم أعد أكذبُ عليه.

- «ممن؟».

- «من الأب جون».

يدوّن ملاحظة سريعة في أحد دفاتره، لكن حتى هذا لم يزعجني
كما كان الحال من قبل. «ماذا عن والدتك؟».

أهز رأسي. «أنا لستُ غاضبةً منها».

- «أموس أندروز؟ جاكوب رينولدز؟».

- «لا ولا».

- «لوك؟».

أتوقف للحظة، ثم أهز رأسي بالنفي.

تضيق عيناه. «هل أنت متأكدة؟ تعرفين أنه يمكنكِ إخباري إن
كنتِ غاضبةً منه. لا بأس بذلك».

- «أنا لست غاضبة من أيّ منهم. لقد كنتُ كذلك. لوقتٍ

طويل، كنتُ خائفةً من لوك، وكنتُ غاضبةً من أمي، وكنتُ أكره
أموس وجاكوب. أنا لا أقول إن أيّاً منهم كان غير مُلام على الأشياء
التي فعلوها والتي جعلتني أشعر على هذا النحو، أنا لا أقول ذلك
على الإطلاق. لكنّ الخطأ في معظمه لم يكن خطأهم».

- «خطأ مَنْ كان إذا؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز .
 أبتسم . «هل ستجعلني أقول اسمه مجدداً؟» .
 - «لا . لا أعتقد أن هذا ضروري . لكنني سأقول الاسم مع ذلك ، إن لم تكن لديك مشكلة في هذا؟»
 أهز كتفي . «قل ما تريد» .
 يقلبُ عينيه ، لكن ثمة ابتسامة على وجهه . «ماذا عن الأب جون؟ هل يمكنك أن تتخيلي وقتاً لا تكونين فيه غاضبة منه؟» .
 أهز كتفيّ ، وأقول : «لا أعرف . أمل ذلك» .
 - «هل يمكنك أن تتخيلي نفسك وقد سامحتَه يوماً على ما فعله؟» .
 - «لا» ، أقول على الفور .
 - «هل أنتِ —» .
 «أنا متأكدة» .

مكتبة
 t.me/soramnqraa

بعد

- «إنه يعيش في مكان يسمّى لندن. يجب أن أستقل طائرة لمدة عشر ساعات للوصول إلى هناك»، تقول هوني. أبتسم. «أنا متأكدة من أنك ستكونين بخير».

تومى وتقول: «عندما تحدّثُ إليه عبر الهاتف، أخبرني أنه سيجلس بجواري ويمسك بيدي طوال الرحلة، فسألته كم يعتقد أنني أبلغ من العمر، فأحسّ بالحرج. أظنُّ أنني سأحبّه».

- «هو شقيق والدتك؟»، أسألها.

تومى برأسها مجدداً، وتقول: «يبدو أنني كنتُ قد التقيتُ به من قبل. يقول إنه جاء لرؤيتي في المستشفى عندما وُلدت. لكن أُمي لم تأتِ على ذكره أبداً».

- «أظنُّ أن هذا ليس مفاجئاً»، أقول لها. نحن نجلس في غرفة العلاج الجماعيِّ وأحاول جاهدةً أن أحتفظ بابتسامةٍ مقنعة، إذ إنني سعيدةٌ جداً لأنَّ هوني سوف تغادر، سعيدةٌ جداً، لكنني سأفتقدها كثيراً.

- «سوف أكتب لك. لا تزال هناك بعض الأشياء التي أريد أن أسألك عنها، حالما لا نكون تحت الإشراف»، تقول لي.

أتذكّرُ ما همستُه في أذنها أثناء أوّل جلسة تفاعل اجتماعي شاركتُ فيها وأبتسم لها. تبتسم لي بالمقابل وتتابع: «كما يمكنك أن

تأتي لزيارتي عندما يسمحون لك بالخروج».

- «أودُّ أن أفعل. عليك أن تسألني خالك رغم ذلك»، أقول لها.
تبتسم وتقول: «سيقول نعم. أعلم أن هذا ما سيقوله. لقد أرسل صورة لمنزله. إنه ضخم جداً».

- «لا بد أنه أبلى حسناً في حياته».
- «أعتقد أنه غني. لم أفهم تماماً ماذا يفعل ليكسب عيشه؛ شيء له علاقة بصناديق التحوط، على ما أعتقد، ولكن أيّاً يكن الأمر، لا بدّ أنه يجني له الكثير من المال».
- «سيكون الأمر رائعاً، أعلم تماماً أنك ستكونين سعيدة هناك»، أقول لها.

تومئ برأسها، ثم تبهت ابتسامتها وتقول: «وأنتِ ستكونين كذلك. كما تعلمين، عندما تخرجين من هنا يمكنك الذهاب إلى أي مكان تريدين. يمكنك فعل أي شيء».
أومئ برأسي.

- «لقد نجونا، يا مونييم. يجب أن تتذكّري أن تكوني سعيدة بشأن ذلك».

أضحك. «هذا حكيمٌ جداً».
تضيق عيناها. «أنا جادة، عِدني بأنك سوف تتذكّرين».
- «أعدكِ»، أقول لها.

تميل إلى الأمام وتعانقني، وذراعاها مشدودتان حول ضلوعي، وأنا أضمُّ ظهرها بذراعيّ بكل قوتي وأبتسم، لأنّها على حق. لقد نجونا.

نحن الاثنان - جميعنا - تركنا بعضاً من أنفسنا في الحريق، لكنّنا نجحنا في الخروج منه سالمين.
نحن لا نزال هنا.

بعد

يُفتح الباب، ويدخل العميل كارلايل والدكتور هيرنانديز إلى غرفة المقابلات رقم 1. يجلس الرجلان على كرسيّهما المعتادين وهما يتسلمان لي بينما يضع العميل كارلايل ملفاً سميكاً على الطاولة أمامه.

- «صباح الخير، يا مونبيم، هل كل شيء على ما يرام؟»،
يقول لي .

أبتسم . «ربما بنسبة سبعين بالمئة؟» .

- «ليست بالنسبة السيئة . كيف حال يدك؟» .

لقد أزيلت الضمادات أخيراً بعد ظهر أمس . ثمة حوافّ لامعة على أصابعي، وعُقدٌ من نسيج ندبي أبيض اللون على راحة يدي فيما الجلد الجديد وردّيّ فاتح مثل جلد الطفل حديث الولادة . بدت الممرضة هارو سعيدة حقاً، وظلّت تخبرني أنه كان يمكن للوضع أن يكون أسوأ، أسوأ بكثير .

أعتقد أنها غالباً على حق .

«لا بأس»، أقول للعميل كارلايل . «يبدو وكأنّ الجلد قد تمدّد أكثر من اللازم، لكن لا بأس» .

- «أنا سعيدٌ لسماع ذلك»، يقول لي . «والآن، لقد سُمح لي

بتزويدك ببعض المعلومات، لكن فقط إذا كنت ترغبين في سماعها، يمكنك أن ترفضي ببساطة».

تسري برودة في عروقي، إحساسٌ يكاد يجعلني أشعر بالحنين.

- «هل هي معلومات عن أمي؟»، أسأله.

يهزُّ الدكتور هيرنانديز رأسه ويقول: «أخشى أنها ليست كذلك، يا مونييم. إنها تتعلق بالأب جون».

تجتاحني قشعريرةٌ لا إراديةٌ وتتجهَّم ملامحي. أكره حقيقة أنه حتى مجرد ذكر اسمه لا يزال قادراً على إثارة رد فعل جسدي بداخلي. ربّما مرَّ يومان أو ثلاثة منذ آخر مرة فكّرتُ فيه، ربما حتى أسبوع، فقد كنتُ أبذل مجهوداً واعياً حتى لا أفكر فيه، لكنه كان حاضراً على نحوٍ طاعٍ في حياة الأشخاص الذين كنتُ أدعوهم عائلياً لدرجة أعرف معها أنني لن أتخلص منه بشكلٍ كاملٍ أبداً. على الأقلّ، لقد صمّتَ صوته الذي اعتقدتُ لفترةٍ من الوقت أنه سيظلُّ يعذبني إلى الأبد.

- «ماذا عنه؟»، أسألها.

- «أخبرتكَ أنه كان يخضع للتحقيق لفترة طويلة قبل اندلاع الحريق في مجمع فيلق الربّ. لا يزال هذا التحقيق مستمراً، ومن المحتمل أن يمر عام آخر على الأقل قبل اكتماله وتقديمه إلى وزارة العدل. ومع ذلك، فقد فوضني رئيس قسمي بمشاركة المسودة الأولى لموجز العناوين الرئيسية معك، إذا كنت ترغبين في سماعها»، يقول العميل كارلايل.

- «ماذا تقول المسودة؟»، أسأله.

- «معظم المعلومات لن تكون بمثابة أخبار بالنسبة إليك، لكنّها تشرح بعضاً مما فعله، ومن كان قبل وصوله إلى مقاطعة لايتون. لقد أخبرتنا أن الجميع كان ممنوعاً من التكهن بشأن تلك الفترة من

حياته، لذا اعتقدتُ أنّك قد تكونين مهتمة بسماع الحقيقة».

- «أنا كذلك، أخبرني»، أقول له على الفور.

يتسم الدكتور هيرنانديز بينما يفتح الوكيل كارلايل الملف.

- «جون بارسون»، يقول العميل كارلايل. «وُلد في الثالث

والعشرين من مارس عام 1971 في موديستو، بكاليفورنيا. أبواه

تشارلز ولوري بارسون. انفصل هذان الأخيران في عام 1974،

ويمكننا بصورة عامّة القول إنّ والدته بارسون ربّته بمفردها إلى حدّ

بعيد. طفولة غير ملحوظة تقريباً، درجات متوسطة في المدرسة

الثانوية. وزوج من التحذيرات بجنحتي أحداث هما السُّكر والقيادة

تحت تأثير الكحول، ليس ثمة سجلّ حضور رسمي في أيّة جامعة.

في عام 1990، كان أحد الموقعين على عقد إيجار شقة في إيكو

بارك شرق لوس أنجلوس. لم يتم تقديم أي إقرارات ضريبية تتطابق

مع رقم الضمان الاجتماعي الخاص به، لذا لا يمكننا التأكّد من

كيفية كسبه للقامة العيش خلال فترة وجوده في لوس أنجلوس، ولكنّ

عدداً من زملاء بارسون المعروفين من تلك الفترة أخبرونا أنّه عمل

بصورة غير منتظمة كموسيقيّ يعزف في النوادي مقابل المال. وفي

تلك الفترة أيضاً، بدأ وفقاً لتصريحاتهم في تعاطي الهيرويين

والالتّجار به. هل تعرفين —».

- «أنا أعرف ما هو الهيرويين»، أقول له.

- «لقد أخبرتنا أنّ أحد المواضيع المفضّلة في عِظات الأب

جون كان شرور الإدمان»، يقول الدكتور هيرنانديز.

أومئ موافقة.

- «وكان يعتقد أنّ الأدوية الموصوفة هي من أدوات الشيطان».

- «هذا صحيح»، أقول له.

يتسم لي، ويدوّن شيئاً بسرعة في أحد دفاتر ملاحظاته.

- «ألقي القبض على بارسون من قبل شرطة لوس أنجلوس في صيف عام 1992»، يقول العميل كارلايل. «أقرّ بالذنب بتهمة الحيازة بقصد التوزيع، وحُكم عليه بالسجن ثلاث سنوات، اثنتان منهما مع وقف التنفيذ. قضى في السجن ثلاثة أشهر فعلياً»، يقول العميل كارلايل.

أعبسُ. «لَمْ الفترة قصيرة جداً؟».

- «بسبب الاكتظاظ. كانت جريمة غير عنيفة، لذا سمحوا له بالخروج عندما احتاجوا إلى زنزانته من أجل شخص أسوأ. هذا شائع جداً. لكن لم يمضِ وقت طويل قبل أن يعود إلى الداخل على أية حال. في مايو التالي، هُشِّمَ رأس أحد الجيران بمضرب البسيبول وأدين بالاعتداء بسلاح مميت. لقد قضى ثماني سنوات في وادي كيرن، وخرق إطلاق سراحه المشروط بعد عشرة أيام من خروجه، فعاد إلى السجن لمدة تسعة أشهر أخرى. تُظهر سجلاته الجنائية بأنه كان خلال تمديد الاعتقال الأخير هذا قد بدأ يحضر صفوفاً في دراسة الكتاب المقدس، وأعلن أنه وُلد من جديد. لقد تحدثت إلى قائد مجموعته في ذلك الوقت وقال إنَّ أحداً لم يصدّق ذلك لثانية واحدة. كان ذلك، وأنا أقتبس هنا: "محض هراء"».

- «لَمْ قد يتظاهر بذلك؟»، سألته.

- «يميل القضاة إلى النظر بعين العطف إلى المجرمين الذين يهتدون إلى الرب في السجن، ويدّعون أنهم أدركوا كم كانوا قد ضلّوا السبيل. ليس كلّ القضاة بالتأكيد، ولكن عددٌ مقبولٌ منهم. وعندما تكون مداناً لمرتين وخارقاً لشروط الإفراج عنك في آخر مرة أُطلق سراحك فيها، فإنَّ أي شيء يستحقُّ المحاولة»، يقول العميل كارلايل.

- «الأشخاص الياثسون يفعلون أشياء يائسة»، يقول الدكتور هيرنانديز. «أعتقد أنك ستفهمين ذلك أفضل من الأكثرية».

بلا مزاح!

أومئ برأسي.

يقول الوكيل كارلايل: «سواء كانت تلك هداية حقيقية أو مجرد هراء، فهذه نقطة لن يتسنى لنا أن نعرفها على وجه اليقين. لكن وفي كلتا الحالتين، فمن الواضح أن بارسون قرر التمسك بها. في عام 2002، انضم إلى مجموعة منشقة عن السبتيين تسمى حملان الرب، وانتقل إلى مجمّعهم في نيفادا. مكث هناك لمدة عامين تقريباً، حتى تمّ إجباره على المغادرة. أخبرنا أعضاء سابقون هناك أنّ بارسون ندّد بزعيم الجماعة باعتباره خادماً للشيطان وحاول الإطاحة به»، يقول العميل كارلايل.

- «هل يبدو ذلك مألوفاً؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

أومئ برأسي، وأعطيه ابتسامة صغيرة.

- «يبدو أن آموس أندروز غادر نيفادا معه»، يقول العميل كارلايل وهو يقلّب الصفحات في ملفه. «بعد ذلك، لم يتمّ تسجيل أيّ من تحركاتهما إلا بعد وصولهما إلى فيلق الرب. لا أعتقد أننا نحتاج إلى مراجعة ما حدث بعد ذلك».

أهز رأسي. «لا أعتقد ذلك أيضاً».

يبتسم العميل كارلايل.

- «إذاً فقد كان كما قالت أمي بالضبط؛ دجّالٌ وضع».

يومئ برأسه، ويقول: «لقد عرفتُ أيّ نوعٍ من الأشخاص هو، لقد رأيتُ حقيقته بكلّ وضوح».

- «من المؤسف أنّها الوحيدة التي رأيتُ وعرفتُ»، أقول لهما.

لم يجب أيُّ من الرجلين بشيء، لكن لا يمكنني لومهما. فما من شيء يمكن قوله ردّاً على ذلك.

- «أشكركما على إخباري»، أقول عندما يصبح من الواضح أنّ الأمر منوط بي لكسر الصمت. «أقدّر لكم ذلك».

يومئ العميل كارلايل. «على الرحب والسعة».

- «هل تريدان متابعة هذه الجلسة؟»، يسأل الدكتور هيرنانديز.

«يمكنك العودة إلى غرفتك إذا كنت تحتاجين وقتاً للتفكير فيما سمعته».

أهز رأسي وأقول: «أنا بخير»، فقد قضيتُ وقتاً أكثر من كافٍ في تلك الغرفة. «أخبراني بما يحدث في الخارج».

يسند الدكتور هيرنانديز ظهره إلى كرسيه بينما يشرع العميل كارلايل في حكاية قصة طويلة حول كيف تمّ استدعاؤه إلى مدرسة ابنته لأنها صحّحت لأحد مدرّسيها والآن تحاول المدرسة فصلها. أستمعُ وأومئ برأسي وأبتسم في المواضيع المناسبة، لكنّ عقلي في مكان آخر.

أفكر في الأب جون، وفي كيف يمكن أن تدمّر حيوات الكثير من الناس وتنتهي لأنّهم وضعوا إيمانهم في رجل هو أبعد ما يمكن أن يكون عن القداسة. ورغم أنّ بعضاً منّي فخورٌ لأنني رأيته على حقيقته في النهاية، إلّا أنّ معظمي مأخوذٌ بفكرة واحدة: يا للخسارة الفظيعة.

يا للخسارة الفظيعة العبيّة.

بعد

أنا الأخيرة الآن. أنا كلُّ مَنْ تَبَقَّى.

جاء زوجان من هيوستن لاصطحاب جيرمايا هذا الصباح. رأيتُهما ينتظران في الردهة بينما كانت الممرضة هارو ترافقني إلى غرفة المقابلات رقم 1. كانا يقفان متوترين بجوار مكتب الاستقبال مع حقيبة مليئة بالألعاب بين أيديهما وأملٍ مشرق على وجهيهما. كانا قد رأيا جيرمايا ستّة مرّات خلال الأسبوعين الماضيين، لكنني لم أرهما حتى اليوم. يبدوان مثل أناسٍ لطفاء.

سمح لي الدكتور هيرنانديز بالخروج من جلستنا لخمس دقائق من أجل توديع جيرمايا. في الرواق عانقني وعانقته، وقلْتُ له أن يكون ولدًا طيبًا. قال إنّه سيحاول، وقلْتُ إنني أظنُّ أن ذلك يؤدّي الغرض، فضحك وعانقني مرة أخرى. كان لا يزال ثمة شيءٌ لا أحبه خلف نظرة عينيه؛ بقايا الأذى الذي لحق به، مثل كدمةٍ لا يمكن لأحد رؤيتها، لكنّه إذ سمح لإحدى الممرضات بأخذ يده واصطحابه إلى الردهة لمقابلة عائلته الجديدة، تمكنتُ من إقناع نفسي أنه سيكون على ما يرام مع الوقت.

أتمنى أن يكون كذلك، هو وجميع الآخرين.

بمن فيهم أنا.

في غضون ثلاثة وعشرين يوماً، سأبلغ من العمر ثمانية عشر

عاماً وأصبح رسمياً بالغاً. في ذلك اليوم، أصبح مسؤولاً عن نفسي بصورة قانونية، وهو ما لا يبدو مخيفاً كما كان ذات يوم.

لن يؤدي التحقيق مع فيلق الرب - تماماً كما توقع العميل كارلايل - إلى توجيه اتهامات لأيٍّ من أعضائه الأحداث، بمن فيهم أنا. تمّ تسجيل ما فعلته داخل البيت الكبير والتحقّظ عليه، ولن يحدث أيُّ شيءٍ حيال ذلك. لا أعرف ما إذا كانوا قد قرّروا ألا يصدقوا ما أخبرتهم به، أو ما إذا كان قد اعتُبر دفاعاً عن النفس، أو ما إذا كانوا قد توصلوا ببساطة إلى أنه ليس لديهم ما يكفي من الأدلة لمقاضاتي، ولكن أيّاً يكن السبب، فالأمر متّهِ.

متّهِ تماماً.

لم يكن العميل كارلايل قادراً على إخباري بنفسه - لأن الاستنتاجات الأولية صدرت في يومٍ كان فيه الرجل في دالاس، ولم يُرد لي أن أنتظر حتى يصل إلى هنا كي أعرف ما أفضت إليه - لذا فقد زوّدني الدكتور هيرنانديز بالأخبار.

بكيّ لحوالي نصف ساعة. ليس لأنني كنتُ حزينة، أو حتى لأنني كنتُ سعيدة، ولكن لأنني شعرتُ بالارتياح. شعرتُ بأنَّ شيئاً ما قد انتهى، كما لو كنتُ سأصبح أخيراً قادرةً على النظر إلى ما هو أمامي، بدلاً من الالتفات والنظر إلى الوراء طوال الوقت. لأن ما سيأتي تالياً قد بدأ يشغل المزيد والمزيد من أفكاري.

أخبرني الدكتور هيرنانديز منذ حوالي أسبوع أنه سيكون مسموحاً لي بمغادرة مركز جورج دبليو بوش الحكومي - إذا أردتُ ذلك - في يوم عيد ميلادي. هناك الكثير من الاجتماعات التي يجب أن أحضرها - بخصوص المال والإيجار وبطاقة الهوية وعشرات الأشياء الأخرى - قبل السماح لي بالذهاب، وسيكون عليّ تسجيل

حضورى فى مكتبه فى أوستن مرّة فى الأسبوع، لكن وبمجرّد أن
أصبح فى الخارج، يمكننى الذهاب حيث أشاء.
ليس لى أى فكرة أين قد يكون ذلك، لكن أظنّ أنّى سأجد
حلًّا.

أظنّ أنّى سأكون مضطّرّة لذلك.

بعد

بقيت ثلاثة أيام حتى عيد ميلادي .

أصبحت جلّساتي الصباحية كل يومين الآن، ولم تعد هناك جلسات تفاعل اجتماعيّ لأنه لم يتبقّ لي أحدٌ لأتفاعل معه . يمكنني أن أخبر الممرضة هارو أنّني بحاجة لرؤية الدكتور هيرنانديز، وعادةً ما سيطرق باب غرفتي في غضون ساعة، أو سيتصل إذا كان قد عاد إلى أوستن، لكنني أحاول ألا أفعل ذلك ؛ لقد استثمر الرجل الكثير من نفسه فيّ وفي إخوتي وأخواتي، وكرس الكثير من وقته لنا جميعاً، ويبدو من العدل أن يكون قد بدأ في استعادة جزء من حياته على الأقل .

لقد رحل العميل كارلايل . أخبرني أنّ رئيسه كان قد منحه إجازة لمدة ثلاثة أشهر، وهو ما بدا لي تصرفاً لائقاً . لا بدّ أنّ عائلته قد افتقدته خلال تلك الأيام الطويلة الحالكة التي أعقبت الحريق، حيث كان إلى حدّ بعيد يقضي كل دقيقة يكون مستيقظاً فيها إمّا هنا أو بين أنقاض القاعدة المحترقة . لا بدّ أنّ ابنته افتقدته على نحوٍ خاصّ، تلك التي تصغرني بأربعة أشهر فقط ؛ قال لي مرّاتٍ عديدة أنّني كنتُ ساحبها، وأنا متأكدة من أنّ هذا صحيح . أعطاني بطاقته قبل أن يحتضنني مودّعاً للمرة الأخيرة، وقال لي ألا أتردّد في

الاتصال به إذا احتجت إلى أي شيء. شكرته، وقلت له إنني سأفعل، لكنني لا أعتقد أنني سأفعل بذلك الوعد. أعتقد أنه فعل ما يكفي.

كلاهما فعل.

في معظم الأوقات لم يعد بابي مقفلاً. لا أستطيع مغادرة الوحدة الآمنة، وما زال الباب يُقفل ليلاً، لكن أثناء النهار يمكنني أن أذهب وأرجع كما يحلو لي. ثمّة مكتبة بالقرب من صفّ غرف العلاج الجماعي، حيث أذهب إلى هناك أحياناً وأجلس لبعض الوقت. في معظم الأيام أخرج وأتجول في الفناء. لكنني مع ذلك ما زلت أقضي معظم وقتي في غرفتي.

توقّفتُ عن الرسم. كان المنزل والمنحدرات والمياه أشياء يمكنني أن ألجأ إليها عندما أحتاجها، أشياء يمكنني التمسك بها على أنها ملكي. لقد أدّت الغرض منها، والآن انتهى دورها. اقترح الدكتور هيرنانديز عليّ أن أكتب يومياتي، فحاولت لمدة أسبوع تقريباً، لكنني لم أحب الأمر ولم أعتد عليه.

لست بحاجة إلى تدوين الأشياء التي حدثت لي، والأشياء التي رأيتها. إنّ جذوتها لا تخبو بداخلي، مثل الندوب التي ترفض أن تزول.

بعد

تقول لي الممرضة هارو «عيد ميلاد سعيد» وهي تفتح باب غرفتي عند الساعة العاشرة. هي لم تقل تلك الكلمات عندما أحضرت وجبة الإفطار لي، لكن لا بدّ أنّ أحداً ما أخبرها في هذه الأثناء، وهو أمر لطيف حقاً، لذا لن أتذمّر.

أبتسم وأتبعها إلى الرواق، وأتّجه بصورة تلقائية يساراً نحو غرفة المقابلات رقم 1. لكنها تنعطف يميناً نحو الردهة والكافتيريا وغرفة العلاج الجماعي. لم نعد نسلك هذه الطريق أبداً، ليس منذ أن رحل جيرمايا.

أسألها ما الذي يحدث لكنها لا تجيب، وهو أمرٌ غريب أيضاً. كانت الممرضة هارو لطيفة معي منذ يوم وصولي، ولا يمكنني التفكير في أي سبب يجعلها تبدأ فجأة في تجاهلي. أمشي بجانبها في صمت، ومع كل خطوة أشعر بقدمي أثقل قليلاً من المعتاد، وأسمع صوتهما فوق بلاط الأرضيات البلاستيكي يتردّد على طول الرواق. أعلم أنّها لاحظت ذلك، لكنها ما زالت لا تقول شيئاً.

ننعطف عند الزاوية، وأرى الدكتور هيرنانديز يقف أمام غرفة العلاج الجماعي. يبتسم لي بينما تستدير الممرضة هارو وتعود أدراجها، وأمشي المسافة المتبقية إليه بمفردي.

- «صباح الخير، يا مونييم»، يقول وهو يقف منتصباً تماماً،
وثمة نبرة رسمية غريبة في صوته. «عيد ميلاد سعيد».

- «شكراً لك. هل كل شيء على ما يرام؟».

يومئ برأسه ويقول: «كل شيء على ما يرام. آسف للتغيير في
الروتين، ولكن هناك شيء أريدك أن تريه».

- «حسنٌ. ما هو؟»، أسأله.

يشير نحو الباب ويقول: «انتظري في الداخل. وبينما أنتِ
تنتظرين، أريدك أن تفكري في ما يعنيه هذا اليوم، وأن تحرصي على
أن يكون ذهنك متفتحاً. تذكرني أنني هنا إذا احتجت إليّ».

- «ما الذي يحدث؟»، أقول عابسة.

يهز الطبيب هيرنانديز رأسه. «أنا هنا خارج الغرفة مباشرة»،
يكرّر، ويفتح لي الباب. أمشي عبره، وأنا أعد نفسي لكل ما قد
يكون في انتظاري، لكن الغرفة التي عرفتها جيداً خلال الأشهر
القليلة الماضية كانت شبه فارغة. اختفت الطاولات والأرائك
وكذلك صناديق اللعب وأكوام الورق وعلب الألوان. لم يتبق سوى
كرسيين بلاستيكيين يواجهان أحدهما الآخر في وسط الغرفة.

ألتفتُ للوراء كي أسأل الدكتور هيرنانديز عما يجري، لكن
الباب مغلق.

أنا بمفردي.

أمشي ببطء نحو الكرسيين، وأتساءل ما إذا كان هذا هو الجزء
الأخير من عملية الدكتور هيرنانديز التي لا أفهمها؛ شيء مثل
الاختبار النهائي لتقرير ما إذا كان ينبغي به السماح لي بالخروج من
هنا أم لا. أسمع الباب يُفتح مجدداً خلفي وأستدير نحوه،
والانزعاج الآخذ بالازدياد في نبرة صوتي وأنا أتكلم بات واضحاً
تماماً.

- «لا أعرف ماذا تريد مني أن —».

يتوقف كل شيء.

يستحيل جسدي صلباً مثل الخرسانة وثقيلاً مثل الرصاص،
تتوقف كلُّ الساعات عن العمل ويتوقف العالم عن الدوران في
الفضاء، لأن أمي هي التي تقف في المدخل .

يدها على فمها وثمرّة دموع في عينيها وهي تنظر إلي مباشرة،
فيما أنا عاجزة عن الحركة، وعاجزة حتى عن التفكير لأنّ هذه أمي،
إنّها هي حقاً، أنا متأكدة من ذلك، والفكرة الأولى التي تمكّن عقلي
من صياغتها؛ الفكرة الوحيدة، هي أنّه لا بدّ أنّي أحلم، إذ ما من
تفسيرٍ منطقي آخر.

هي تبدو أكبر بكثير مما كانت عليه آخر مرّة رأيته فيها، وكأنّها
تقدّمت في السن بوتيرة أعلى بكثير ممّا يجب أن تكون عليه خلال
السنوات الثلاث التي مرّت منذ أن تمّ نفيها: في شعرها خطوط
رمادية، وبشرتها شاحبة، وهناك تجاعيد حول رقبتها وعبر جبهتها،
لكنّها لا تزال لديها ذات العينين.

نحدّق في بعضنا، وتبدو المسافة التي تفصلنا مثل أوسع محيط.
تتلاطم الذكريات والعواطف وتصطدم ببعضها البعض، ألم وارتياح
وغضبٌ وحزنٌ وفرحٌ يجتاحونني جميعاً في سيلٍ جارف لا أستطيع
استيعابه، ولا أستطيع السيطرة عليه، ولا يمكنني فعل أي شيء حياله
سوى محاولة التنفس والأمل بأن أتمكّن من النجاة.

تأخذ خطوةً نحوي، وأتأكّد فجأةً أنّه سوف يُغمى عليّ،
وسوف أنهار متكوّمة على الأرض. يصرخ الصوت في مؤخرة رأسي
بأنني أقوى من هذا، وأنني لم أتجاوز كل ما مررت به كي أنهار في
اللحظة الأخيرة، وأنا أعلم أنه على حق. أجبته بصرخة صامتة يتردّد

صداها في جمجمتي، فيصفو ذهني ويعود الإحساس بساقي، أقف ساكنةً بينما تأتي أمي نحوي ببطء وحذر كما لو كانت تقترب من حيوان بري.

عندما تصبح قريبة بما يكفي لأمدّ يدي وأمسها، تتوقف في مكانها. تنهمر الدموع على وجهها وإحدى يديها لا تزال فوق فمها فيما هي تنظر إليّ وكأنني لست حقيقية، وكأنّها لا تصدّق أنني أقف أمامها بالفعل.

- «يا قمري الصغير»، تهمس لي، فيشقني صوتها وكأنه سكينٌ حادٌّ جدًّا، وأتفتّح جاعلةً دواخلي مكشوفةً للعالم بأسره.

تتلوّى قسمات وجهي وأبدأ في البكاء، لأنني لم أعتقد أبدًا أنني سأسمع صوتها من جديد. كنتُ قد توصّلتُ إلى تقبّل تلك الحقيقة المروعة والتعامل معها، واستهلكْتُ كل ما لديّ من حزنٍ وبكاء وشتائم، وإنّ الشعور بالارتياح لأنني كنتُ مخطئةً يكاد يكون أكثر من أن أستطيع تحمّله.

- «لا تبكي»، تقول لي. «أرجوك لا تبكي، يا مونييم. إنّ كلّ شيءٍ على ما يرام».

أهزُّ رأسي بالنفي، إذ ليس كل شيءٍ على ما يرام. بل لا شيءٍ على ما يرام. لا شيءٍ على ما يرام عندما يموت الكثير من الناس، وعندما يمسي العديد من إخوتي وأخواتي أيتاماً مع جراح لن تندمل أبداً على نحوٍ كامل، ولا شيءٍ على ما يرام عندما تتمكّن أمي من العودة إليّ بينما أهالي أولئك الأطفال يتعفّنون تحت التراب. هذا ليس عدلاً.

لكنني لا أستطيع أن أقول لها ذلك. بل لا أريد أن أقول لها ذلك. لأنّ كل ما أريد أن أفعله هو أن أعانقها وألتصق بها وأن لا أفلتها أبداً.

- «قولي شيئاً. أرجوكِ قولي شيئاً»، تقول لي بصوتٍ مرتعش .
أفتح فمي، لكنّ الكلمات لا تخرج، فتندفع نحوي وتسحبني
إليها وهي تهمس في أذني بكلمتين، وتكرّرها مرّةً بعد مرّة .
- «أنا آسفة . أنا آسفة . أنا آسفة» .

بعد

لا أعرف لكم من الوقت قد بقينا على هذه الحال، واقفتين وسط الغرفة وكلّ منّا تلفّ ذراعيها حول الأخرى. يبدو وكأننا قد بقينا هكذا إلى الأبد.

إذ تُفلتُ إحدانا الأخرى في النهاية، أذهب إلى الباب وأطلب من الدكتور هيرنانديز أن يدخل إلى الغرفة. تبدو أمي مرتبكة، حتى متوترة، كما لو كانت قلقة من أنني سأطلب منه إجبارها على المغادرة. لكن هذا ليس سبب إرسالي في طلبه. أريده أن يقف بجانبني إذ أ طرح عليها السؤال الوحيد الذي لا يزال ذا أهمية الآن. أين كنت؟

يرسم لي وهو يدخل عبر الباب ابتسامة صغيرة تسألني بوضوح: هل أنت بخير؟ أومئ برأسي، ثم أقف بجانبه، وننظر سوياً إلى أمي ثم أ طرحُ سؤالاً.

تخبرني أنّه عندما أُخرجتُ من البيت الكبير بعد اتّخاذ القرار بإبعادها، أخبرها الأب جون بأمرين. الأول هو أنه كان لديه أشخاصٌ موالون للفيلق في الخارج، أشخاص كانوا سيقابونها كلّ يوم لبقية حياتها ليتأكدوا من أنها لن تلجأ إلى السلطات أبداً.

الثاني هو أنه إذا وصلت الشرطة أو أي جهة حكومية أخرى يوماً إلى القاعدة، سيفترض أن ذلك بسببها. سيفترض أن هذه فعلتها، وسيطلب عندئذ من جاكوب رينولدز أن يأخذني إلى الصحراء ويمزقني إرباً ويتركني طعاماً للذئاب.

لم تعرف ما إذا كان عليها أن تصدق ادّعاءه الأول، لكنها لم تشكّ أبداً في ادّعاءه الثاني، ليس لثانية واحدة.

- «كان يعني ذلك. يا إلهي، لقد كان يعنيه حقاً»، تهمس بصوت متصدّع.

بينما هي تتحدّث، يقترب الدكتور هيرنانديز خطوة منّي وقد شحب وجهه. أظنّ أنه يستعد للإمساك بي إذا ما أغمي عليّ. لا أعتقد أنه سيُغمي عليّ، لكنني أقدرُ له المبادرة.

تخبرني أمي أنها اتّصلت بصديقة لها في سانتا كروز وطلبت منها المساعدة؛ صديقة كانت قد حاولت إقناعها بعدم الذهاب إلى تكساس في المقام الأول. تخبرني أن صديقتها أرسلت لها ما يكفي من المال لاستئجار شقة في أوديسا، حيث بدأت التخطيط من هناك لكيفية إخراجي من الفيلق. لكنّ الشقة اقتُحمت ثلاث مرات في غضون ثلاثة أشهر، وشعرتُ كما لو أنّ هناك أشخاصاً يراقبونها؛ أشخاص كانت تراهم في مبناها أو في المتجر. بدأت تعتقد أنه يتمّ التنصّت على هاتفها، وبدأت مغادرتها للشقة تصبح أقلّ شيئاً فشيئاً. وبدأت تشرب. بدأت تشرب كثيراً.

تتوقّف وتقول إنها غير متأكدة من أنني أودّ سماع ذلك، ليس الآن على الأقلّ. يقول الدكتور هيرنانديز إنه يعتقد أن هذا قرارٌ يمكنني اتّخاذه بنفسي، فأشعر بموجة من المودة تجاهه، وأقول لها إنني أريدُ أن أعرف كلّ شيء، مهما كان سيئاً.

كوني شجاعة، يهمس الصوت في مؤخرة رأسي .
بدأت في البكاء وهي تخبرني ببقية الأمر. كيف تخلّثت عن
الشقة في أوديسا وهربت إلى دالاس، كيف رأث جماعة الأب جون
عند كلّ زاوية، في كلّ مطعم وحانة، في الغرباء الذين ابتسموا لها
أثناء مرورهم بها في الشارع. شربت أكثر وأكثر، حتى لم تعد تفعل
أي شيء آخر حقاً.

ولفترة طويلة بعد ذلك، كانت تائهة تماماً.

وبعد ما يزيد عن عامين على هذه الحال، تطلّب الأمر رحلة في
سيارة الإسعاف إلى غرفة الطوارئ لجعلها تستيقظ. كان قد انتهى بها
الأمر بالعيش في سياتل لأسباب تقول إنها لم تعد تتذكرها، حيث
انهارت خارج متجر عقاقير في الجانب الجنوبي من المدينة. توقّف
قلبها مرّتين في الطريق إلى المستشفى - تنقبض معدتي إذ تخبرني
أنها ماتت عملياً لسبب دقائق - لتبدأ أخيراً رحلة العودة إلى ذاتها
الحقيقة بعد شهر تقريباً عندما تركوها تذهب مع عنوان مأوى يمكنها
أن تقيم فيه.

كانت وسط برنامج داخليّ لعلاج الإدمان مدّة ستّة أشهر في
ولاية أوريغون عندما اندلع الحريق في القاعدة. كانت إمكانية
الوصول إلى الأخبار أثناء البرنامج محدودة جداً، كي لا تربك سير
العملية - أنظر إلى الدكتور هيرنانديز إذ تستخدم تلك الكلمة - ولا
أحد في المركز كان يعرف بأن لديها أي صلة بفيلق الرب. ونتيجة
لذلك، هي لم تعرف ما حدث إلّا منذ يومين عندما انتهى البرنامج
وأطلق سراحها.

بدأت على الفور في إجراء اتّصالات، في محاولة لمعرفة ما
حدث لي، وفي غضون ثلاث ساعات كانت على متن رحلة إلى
تكساس. وصلت إلى أوديسا الليلة الماضية، وفي هذا الصباح - في

عيد ميلادي من بين كلّ الأيام - أبلغها الدكتور هيرنانديز بالخبر
الذي كانت قد توقفت عن الاعتقاد بأنّها ستسمعه يوماً.
كنتُ في الخارج. وكنتُ بأمان.

تنهي حديثها وتنظر إليّ. إنّ قلبي يتألّم لأجلها، ولأجل كلّ ما
مرّت به، وأتساءل ما إذا كان الضرر الذي تسبب به الأب جون
سينتهي حقاً ذات يوم؛ ما إذا كان ظلّه سيبقى موجوداً دائماً، مخلّفاً
الألم والبؤس أينما حلّ.

يسألني الدكتور هيرنانديز إن كنتُ بخير، فأقول له إنّني أريد
العودة إلى غرفتي. تبدو أُمي وكأنّها ستبدأ في البكاء مجدّداً، وتقول
لي إنّها لا تلومني إن كنتُ أكرهها لأنّها خذلتني، وتخلّت عني.
أهزّ رأسي، وأقول لها إنّني أحبّها.

عندئذٍ، تبدأ في البكاء فعلاً، وتقول لي إنّها هي أيضاً تحبّني،
وإنّها لم تتوقف يوماً عن حبّي.
سأحاول أن أصدّقها.

بعد

بلغتُ الثامنة عشرة منذ أكثر من شهرٍ بقليل .

أصبحتُ بالغةً الآن . يمكنني أن أذهب إلى أي مكان في العالم
أختار الذهاب إليه ، ولكن حالياً على الأقل ، ها هنا حيث أريد أن
أكون .

أنا جالسةٌ في حديقة منزل أُمي الصغير على مشارف بورتلاند ،
في ولاية أوريغون . لقد ذهبتُ إلى المدينة لتقابل المشرف عليها ، ثمَّ
ستمر بالمتجر في طريق عودتها كي تشتري طعام العشاء . ودائماً ما
يستغرق منها الأمر حوالي العشر دقائق حتى تركب في السيارة ،
وذلك بعد أن تنجح في إقناع نفسها بأنني أقول الحقيقة إذ أخبرها
أنني سأكون على ما يرام إذا ما قضيتُ بضع ساعات بمفردي .

يتصاعد البخار من فنجان قهوة على طاولةٍ بجانب كرسيي . لم
أكن قد شربتُ القهوة في حياتي حتى وصلتُ إلى هنا . وما زلتُ غير
واثقةٍ إن كنتُ أحبها أم لا ، لكن يبدو أن شرب القهوة هو شيءٌ يفعله
معظم الناس في العالم الحقيقي ، وأنا لا أريد أن أكون مختلفة . أريد
أن أكون تماماً كأَيِّ شخصٍ آخر ، لفترةٍ من الوقت على الأقل .

أتناول رشفة وأجول بنظري في أرجاء المكان الذي تحرص أُمي
دائماً على تذكيري بحقيقة أنه بيتي . ليس ثمة جرفٌ في نهاية

الحديقة، ولا مياهُ تمتد حتى الأفق. لا مدخنة في هذا المنزل، ولا
جدران زرقاء.
لكن لا بأس.
إنّها بداية.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ويل هيل

بعد الحريق

«لست بحاجة إلى تدوين الأشياء التي حدثت لي، والأشياء التي رأيتها. إن جذوتها لا تخبو بداخلي، مثل الندوب التي ترفض أن تزول».



من قبل، كانت تعيش داخل السياج. من قبل، لم يُسمح لها أن تغادر أراضي الملكية أبداً، لم يُسمح لها أن تتحدث إلى الغرباء، ولم يُسمح لها أن تعبّر عما يجول في خاطرها. فقد كان الأب جون يتحكم في كل شيء. والأب جون كان يحبّ القواعد. وتترتب على عصيان الأب جون عواقب وخيمة.

لكن وراء كلمات الأب جون، جثمت الأكاذيب. في الخارج، كانت الحقائق مختلفة تماماً. ثم جاء الحريق.



«مختلفة في كل شيء... مثيرة وساحرة».

- المؤلف الأكثر مبيعاً باتريك نيس

«قصة أخذة عن النجاة والهرب... ستجعلك تسهر إلى وقت متأخر حتى تعرف النهاية».

- المؤلفة الأكثر مبيعاً مورين جونسون

مكتبة

t.me/soramnqraa

المركز الثقافي العربي



الدار البيضاء: ص.ب. 4006 (سيدنا)
markaz.casablanca@gmail.com